

الوجوه المتعددة للإرهاب

وجهات نظر وقضايا مختلفة

تحرير: ديفيد كانتر

ترجمة وتقديم

جيهان الحكيم

المركز القومي للترجمة

2233

في هذا العمل، يحاول مجموعة من الخبراء الدوليين والمتخصصين فى مجالات معرفية متعددة، أن تقدم خلاصة تجربتها فى مواجهة للإرهاب والقضايا الآنية المرتبطة به فى عصرنا الحديث. ويعتبر الإرهاب ذو الجذور الإسلامية والقضايا الحالية المتصلة به، محور تركيز هذا العمل. إلى جانب عدة قضايا أخرى وثيقة الاتصال بقضية الإرهاب عموما كالعلاقة بين الجريمة المنظمة والعنف المتطرف. كما يحاول إلقاء الضوء على مجموعة من الأنشطة الإرهابية الأخرى بخلاف العمليات الانتحارية والتفجيرات، مثل جرائم الاختطاف مقابل الفدية. فضلاً عن شكل جديد من أشكال الإرهاب الحديث، وهو إرهاب الشبكة العنكبوتية أو الإنترنت. كما يبحث المساهمون فى هذا العمل أيضا ديناميكيات شبكات الاتصال الاجتماعى، التى تعتمد عليها معظم المجموعات الإرهابية اليوم بشكل حيوي ومتزايد. يقدم لنا هذا الكتاب خلاصة ما اتفقت عليه فروع معرفية متعددة بحثت فى طبيعة ظاهرة الإرهاب وأقرت تعدد وجوهه وأشكاله في عالمنا المعاصر.



تصميم الغلاف: نسرين كشك

الوجوه المتعددة للإرهاب

وجهات نظر وقضايا مختلفة

المركز القومى للترجمة
تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: رشا إسماعيل

- العدد: 2233
- الوجوه المتعددة للإرهاب: وجهات نظر وقضايا مختلفة
- ديفيد كانتر
- جيهان الحكيم
- اللغة: الإنجليزية
- الطبعة الأولى 2014

هذه ترجمة كتاب:

The Faces of Terrorism: Multidisciplinary Perspective
Edited by: David Canter

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

الوجوه المتعددة للإرهاب

وجهات نظر وقضايا مختلفة

تحرير: ديفيد كانتر

ترجمة وتقديم: جيهان الحكيم



2014

الوجوه المتعددة للإرهاب: وجهات نظر وقضايا
مختلفة/ ترجمة وتقديم: چيهان الحكيم. -
القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣.
٤٦٤ص؛ ٢٤ سم.
تدمك ٢ ٦٩٨ ٤٤٨ ٩٧٧ ٩٧٨
١ - الإرهاب
أ - الحكيم، چيهان (مترجم ومقدم)
رقم الإيداع بدار الكتب ٢٣٧٩٠/ ٢٠١٣
I. S. B. N 978 - 977 - 448 - 698 - 2

ديوى ٣٦٤.١٢١

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى، وتعريفه بها. والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

المحتويات

تقـــديم

أفرد هذا الكتاب فصلا تفصيليا كاملا عن الإرهاب ذى الجذور الإسلامية وارتباطه بحركة الجهاد الإسلامى. ومن المشاهد والموثق أيضا أن الربع الأخير من القرن السابق، قد شـهد تناميا ملحوظا للحركات الأصوليـة لعدة أديان. وأن ذلك قد تزامن مع أفول نجـم الأيديولوجيـات الملحدة كالشـيوعية، على سـبيل المثال. ومن الأمثلـة المهمة على تنامـى الأصولية، انتشـار المجموعات المسـيحية المتطرفة، وكذلك انتشـار المجتمعات الأرثوذوكسـية بإسرائيـل. إن أهم ما يميز حركة الجهاد الإسـلامى عـن هذه الحركات الأصولية، هو انتهاجها لأسلوب العنف، بهدف قلب الأنظمة العربية السائدة وتحويلها إلى أنظمة حكم دينى، وإقامة نظام الخلافة الإسلامية طبقا للسلف. من أهم الأسئلة التى يحاول هذا الفصل الإجابة عنها: أسباب تأييد شباب المسلمين لفتاوى الجهاد الإسلامى، بينما يقدم لهم الإسـلام طرقا أخرى أكثر سـماحة، يبرهنون مـن خلالها على قوة إيمانهم. ومن بين المجموعات المسـيحية المتطرفة، تعتبر مجموعة الأمم الآرية، الأكثر تطرفا.. بل تعد من أشـدها كراهية وعنصرية، لكل مـن لا ينتمى إلى الجنس الأبيض الآرى، حيث يؤمن أعضاؤها إيمانا راسخا بتفوق وسيادة الجنس الأبيض الأنجلوسكسونى على بقية الأجنـاس. وعلى الرغـم من تركـيز الولايات المتـحـدة الأمريكية عقب أحـداث ١١/ ٩ / ٢٠٠١ عـلى مجموعـات الإرهـاب الخارجيـة، فـإن أكثر الاعتـداءات ضراوة وقسوة، تمت على يد مجموعات إرهاب أمريكى، كالتفجير الذى وقع بمدينة أوكلاهوما عـلى يد تيموثى ماكفيه، أو تفجير المستشـفيات التى تمارس عمليات الإجهاض على يد مجموعـات مسـيحية متعصبة. إلى جانب حـوادث القتل الجماعـى. إلا أن العدو اللدود

لمجموعـة الأمـم الآرية هـو اليهود. ومن هنـا كان تحالفهم فترة من الزمـن مع عدوهم القديم، الجهاد الإسـلامى على أسـاس أن «عدو عدوى هو صديقـى». وبالطبع كانت هناك انقسـامات داخل المجموعة فى هذا الشأن، بين مؤيد ومعارض. وتتلخص وجهة نظر الفريق المؤيد فى أن اليهود عدو مشترك للجهاد الإسلامى وللأمم الآرية فى الوقت نفسه. وأن هذا يعد سببا كافيا ومبررا قويا لقيام تحالف بينهما.

مـن مظاهـر المغالاة فى التمييز الدينى فى عصرنا الحديث، ما نشـهده من تمييز طائفى بين المسـلمين وإخواننا المسيحيين بتشـجيع وإيعاذ من بعض القنوات الفضائية، الدينية الإسلامية السلفية، وكذا بعض القنوات المسيحية والقبطية، ومن مظاهر هذا التعصب الأعمـى، حـادث نجـع حمـادى ليلة عيـد الميلاد المجيـد يـوم ٦ ينايـر ٢٠١٠.. ويتجه نمـط التحريـض إلى السـجالات والخطابـات التى تحمل العنـف الرمـزى والتمييزى. بـل إن المدارس تشـهد، الآن، نوعا من الخطـاب الدينى التمييزى عـبر مناهج التعليم، أو مـن خـلال المعلمين مـن ذوى التوجهات الدينية السـلفية الذين يعتمدون أسـلوب الإشـارات على أسـاس الانتماء الدينى، مما يكرس التمايز الطائفـى بين الطلاب. وذلك بدءًا من رياض الأطفال إلى المدارس الإعدادية ثم الثانوية. (نبيل عبد الفتاح- الإعلام الجديـد وثقافة التمييز الدينى -الأهـرام، ١١ فبراير ٢٠١٠). ومن تداعيات اعتداءات ٩/١١، طالعتنا صحف الجمعة ١٠/ ٩/ ٢٠١٠ بخبر مخطط كنيسـة بروتسـتانية بولاية فلوريدا بأمريكا، لحرق مئات النسـخ من المصحف فى يوم ذكرى ١١ سـبتمبر ٢٠٠١. وعـلى الرغم من التداعيات المتوقعة لمثل هذه الخطوة عـلى الجنود الأمريكيين المحاربين بأفغانسـتان والعراق، إلى جانب الصدمة الدولية والانتقادات الحقوقية الرسـمية داخل أمريـكا، فإن الرئيس أوباما قد اكتفى بمجرد توجيه تحذير للقس تيرى جونز، قس هذه الكنيسـة. وفى حين تبنت واشـنطن إجراءات أمنية مشـددة لسـفاراتها حول العالم، بدأ مسـلمو أمريكا يتحركون بخطوات قانونية وسياسـية، معلنين تحديهم لكنيسـة فلوريدا بصلاة عيد الفطر بالقرب من الكنيسة.

فى الفصل الخامس من هذا العمل، يقوم متخصصون بالمقارنة بين ثلاث مجموعات إرهابية معروفة لنا جميعا، هى فتح بفلسطين وبيرا Pira بأيرلندا الشمالية وفارك Farc بكولومبيا. وبينما تسعى منظمة فتح إلى تأسيس وطن مستقل ودولة ذات سيادة يحكمها الفلسطينيون، تحاول فارك أن تفجر ثورة شيوعية شاملة بكولومبيا. أما منظمة بيرا، فتريد أن يغادر الجيش والحكومة البريطانيان أيرلندا الشمالية. يبحث الفصل فى أوجه التشابه والاختلاف بين هذه المجموعات الإرهابية الثلاث.

كما يلقى الكتاب ـ عبر فصليه السابع والحادى عشر ـ الضوء على العلاقة الوثيقة بين الإرهاب والجريمة المنظمة، وإن اختلفت الأهداف. ومن ذلك اشتراك كليهما فى أنشطة مثل الاختطاف مقابل الحصول على الفدية. كما يؤكد لنا خبراء الجريمة تورط المجموعات الإرهابية فى حوادث سرقات البنوك أو تهريب الأسلحة أو الاتجار بالبشر، أو تجارة المخدرات. بغرض توفير التمويل اللازم لدعم المجموعة وتحقيق الهدف السياسى الذى قامت من أجله. وقد تنتهى بعض هذه المجموعات إلى تغليب المصلحة الشخصية وممارسة الجريمة المنظمة بغرض تحقيق الربح والمكسب المادى متناسية الأهداف الأيديولوجية أو السياسية للمجموعة. كما أنه من الوارد على الجانب الآخر، أن تتحول مجموعات الجريمة المنظمة فى بعض الأحيان إلى جماعات سياسية حينما تشترك فى التنسيق مع المجموعات الإرهابية للقيام بأعمال عنف لتحقيق هدف سياسى.

كما يستعرض الفصل الثانى عشر مثالا واقعيا على إرهاب الدولة فى أبشع صوره من خلال تاريخ نزاع الشيشان، بمنطقة شمال القوقاز (عام ١٩٩٤) ضد القبضة الحديدية للاتحاد السوفيتى. حيث أسفر العنف واستخدام القوة المفرطة ضد المدنيين العزل عن قتل وإصابة وتشريد ما يقرب من ٣٠٠٠٠٠ مواطن. (أخبار موسكو، ١٩ نوفمبر ٢٠٠٤).

ولعل ما يقترف الآن من مجازر فى حق الشعب السورى على يد بشار الأسد وزبانيته من القوات المسلحة السورية، من قمع وتعسف، خير مثال على إرهاب الدولة فى القرن

الحادى والعشرين. فقد ارتفع عدد ضحايا القمع الدموى من المحتجين السوريين، المطالبين بإسقاط النظام إلى نحو ٤٨٠٠ شهيد منذ منتصف مارس الماضى (المصرى اليوم، ٤/ ١٢/ ٢٠١١). ومن ضمن من قتلوا نساء وأطفال. كما أدان التقرير الرسمى للجنة التحقيق الدولية حول سوريا التابع لمجلس حقوق الإنسان بالأمم المتحدة ستخدام النظام السورى العنف الجنسى الممنهج ضد المعارضين والمتظاهرين والمنشقين من أبناء الشعب السورى. وذلك من الجنسين.

ونذكر أيضا من وسائل قهر الدول لشعوبها فى العصر الحديث، المراقبة الإلكترونية للمواطنين. فقد كشف مؤسس موقع ويكيليكس، جوليان آسانج، عن ٢٨٧ وثيقة جديدة تدين ١٧٠ شركة تعمل مع الأنظمة الديكتاتورية حول العالم فى مجال المراقبة الإلكترونية (المصرى اليوم ١١/ ١٢/ ٢٠١١) حيث تقوم هذه الشركات بالتنصت على المحادثات الهاتفية للمواطنين وتحديد مواقع الهواتف النقالة باستخدام نظام GPS وحجب بعض الرسائل الإلكترونية. ويبدو أن صناعة التجسس على الشعوب قد أصبحت منذ ما يقرب من عشر سنوات، صناعة رائجة، تبيع خدماتها للأنظمة الديكتاتورية. وذكرت نفس الصحيفة، أن شركة فرنسية تدعى «أميس» كانت قد ذودت ليبيا، فى ظل حكم القذافى، بنظم مراقبة تسمح لها بالتجسس على البريد الإلكترونى وبرامج الدردشة ومحادثات الإنترنت الخاصة بالمعارضة فى الداخل والخارج، لاسيما فى بريطانيا. وتشير الصحيفة كذلك إلى لجوء النظام الإيرانى والسورى والتونسى السابق لشراء هذه الأنظمة لتعقب أفراد المعارضة.

ويقودنا ذلك إلى ممارسة الإرهاب عبر شبكة الإنترنت الذى يستعرضه الكتاب فى فصله الرابع عشر. ويعتبر من الوجوه الحديثة للإرهاب . من المعروف والملاحظ عالميا ومنذ أحداث الحادى عشر من سبتمبر الاعتماد المتزايد لمنظمات الإرهاب العالمية على الشبكة العنكبوتية الدولية، سواء للتواصل بين خلاياها المتعددة والمنتشرة عبر دول العالم المختلفة، أو بغرض تحقيق التنسيق المطلوب فيما بين أعضائها لتنفيذ العمليات، أو بهدف الدعاية واستقطاب عناصر شابة لتجنيدها فى صفوفها أو لأغراض التمويل.

وغنـى عـن القول، إنه فى عـالم يتميز بتلاحق سريع فى تقدم وسـائل الاتصـال الحديثة، أصبـح لزاما على الحكومـات أن تتخذ إجراءات وقائية لحماية البنى التحتية الحيوية التى تعتمـد عـلى التكنولوجيا الحديثة فى تشـغيل وإدارة عملياتها. يسرد لنـا هذا الفصل من الكتاب، حادثة اختراق نظام إلكترونى لشبكة تتحكـم فى مضخات للصرف الصحى بأسـتراليا. كانت الأولى فى التاريخ التى يتمكن فيها شـخص بمفـرده من الاعتداء على بنية الدولة التحتية بسهولة. وقد تمكن هذا المهندس، وهو مهندس وخبير حاسوب آلى، من الدخول على الموقع واختراق أجهزة التحكم ما يقرب من ٤٦ مرة. حدث ذلك عام ٢٠٠٦. وقـد «تسـببت تلك الحادثة فى موت الحياة المائيـة وتحويل مياة الخليج إلى اللون الأسود، بالإضافة إلى الرائحة النتنة، غير المحتملة التى سادت المنطقة لفترة غير قصيرة» (محققة من وكالة حماية البيئة بكوينزلاند - بأستراليا).

وفى آخـر فصلين يقدم المتخصصون تصورهم لمحاولة فك الاشـتباك مع الإرهاب، والوصـول إلى إسـتراتيجيات عمليـة لمكافحته واسـتئصاله من جـذوره. ويؤكدون أن مـا تـم الوصول إليه حتـى الآن فى هذا الشـأن لا يعدو أن يكون خطـوات مبدئية. وأن عمليتـى التورط فى الإرهاب أو فك الاشـتباك معه عمليتان غايـة فى التعقيد وتحكمهما عوامل متشـابكة ومتغـيرة فى الوقت ذاته. ويقدم لنا فتحالى مغـدم، وهو خبير معروف فى المجـال، تصورا مثيرا للاهتمام. يتمثل فى فكرة الدرج أو سـلم الإرهاب. فيتخيل أن وصول الشـخص إلى التورط فى عالم الإرهاب يتطلـب الصعود التدريجى على درجات السـلم التـى قد تفضى به إلى الطابـق الأخير من المبنى، والذى يمثـل التورط الفعلى من خـلال الانخراط فى أنشـطة العنف الإرهابى. ويقترح وضع برامج لفك الاشـتباك مع راديكالية الإرهابى عند كل مستوى (طابق) من مستويات الإرهاب. ويؤكد لنا وجود حالة نفسـية معينة تسـيطر على الإرهابى عند كل مستوى من هذه المستويات، وأنه لابد مـن وضع إسـتراتيجية تقابل كل حالة من هذه الحالات. وذلـك بهدف نقل الأفراد إلى أسفل الدرج حتى يتم اصطحابهم بسلام إلى خارج المبنى.

جيهان الحكيم

مقدمة

يهـدف هـذا العمـل إلى إعطاء صورة شـاملة ومتكاملـة بقدر الإمكان عـن الوجوه المتعـددة للإرهـاب. فيسـعى إلى الكشـف عـن شـخصية الإرهابى، ومعنـى الإرهاب فى مجتمعنـا المعـاصر. يتعاون فى هذا العمـل نخبة مرموقة من خبراء دوليين يسـاهمون، مـن خلال فروع معرفية متعددة، فى الكشـف عن الوجـوه متباينة الاختلاف للإرهاب المعاصر، ومحاولة سبر أغوار شخصية الإرهابى فى عصرنا الحديث.

يركـز هـذا الكتاب عـلى الإرهـاب الذى يجد جـذوره بشـكل أساسـى فى التطرف الإسـلامى، إلا أنه يتعـرض كذلك للعلاقة بـين الإرهاب المتطـرف والجريمة المنظمة. فيتعـرض لجرائـم الاختطاف مقابل الفدية ولا ينسـى الإرهاب فى شـكله المعاصر، من خلال الشبكة الدولية الإلكترونية (الإنترنت) ودورها المتزايد فى حياتنا المعاصرة.

تسـعى الأنشـطة الإرهابيـة، بشـكل جوهـرى، إلى التأثير عـلى الرأى العـام بهدف إحداث تغيير سياسـى فى المقام الأول. ومن هنا كانت الحاجة الماسـة إلى دراسـة مردود النشـاط الإرهابى على الجماهير من ناحية والقادة السياسـيين مـن ناحية أخرى، وكيف ينظرون لتلك الأنشـطة الإرهابية ولنتائجها بعيدة المدى. ولاشك أن تلك الرؤى تبعد كثيرا عن الأهداف الأساسـية أو الطموحات الشـخصية التى يسعى هؤلاء الإرهابيون إلى تحقيقهـا، من خلال إزهاق الأرواح باسـم قضية يتبنونهـا. ومن هنا كانت أهمية تتبع العلاقـة بـين الأنشـطة الإرهابيـة وتأثيرها عـلى الجماهير.وذلـك بغرض وضـع برامج واضحة وفعالة لمواجهتها. ومحاولة تقليص العوامل المسئولة عن التطرف بأمل الحد من

انضمام الشباب إلى تلك الجماعات والإيمان بعقيدتها ثم السير فى خطاها، غير مقدرين مغبة الانجراف إلى هذا المصير المشؤوم.

جدير بالذكر أنه فى مطلع عام ٢٠٠٦، أنتجت كلمة «الإرهاب» ٧٨٦٧ كتابا على موقع أمازون بالمملكة المتحدة. وفى صيف ٢٠٠٨ كان العدد على نفس الموقع قد وصل إلى ١١٤٤٤، ثم قفز لسبب ما إلى ٥٥٦٩٢ ومنه إلى ٨٠٣٣٧ وذلك على موقع Amazon.com، وأغلب هذه الكتب تم إصداره بالفعل خلال السنوات القليلة الأخيرة.

هذه الطفرة الأكاديمية تكشف النقاب عن تنامى فضول جماهيرى واضح فى كل ما يتعلق بظاهرة الإرهاب، وقد تبعه بدوره تزايد واضح فى الإصدارات لتغطية هذا النهم الجماهيرى المشهود إلا أن هذا السيل من الكتب اعتمد مضمونه فى الأساس على إصدارات تاريخية ومعلومات كانت فى الأصل متاحة للجماهير. ولذلك، فقد سيطر على أغلبها، النزعة الدعائية والأسلوب المعهود حين تتناول الكتابة، الجماعات الإرهابية إلى جانب مراعاة الاعتبارات الجيوبوليتيكية.

وحقيقة الأمر، ففيما عدا بعض الاستثناءات البسيطة، لم تتم الاستفادة بعد من نقاط الاتفاق المشتركة بين الفروع المعرفية المختلفة حول إرهابيى اليوم وكيفية رؤيتهم للعالم من حولهم. وذلك بغض النظر عن الأساطير التى يحاول بها الإرهابيون إثارة الفزع بين الجماهير، وخدمة أهدافهم الدعائية.

كما أنه من الممكن أن تعزز جهود التنسيق بين الجهات المسئولة بهدف دراسة عوامل تأثير الإرهاب على الرأى العام بما يعوق أو يساعد البرامج التى تضعها الحكومات لمكافحته. هذه نقطة محورية فى عالم أصبح الإرهاب يشكل فيه تهديدا متزايدا..إلا أن الأمانة تقتضى، مع ذلك، ضرورة الاعتراف ببعض المحاولات التى تمت خلال السنوات الأخيرة، على يد بعض الباحثين الذين نشهد بجرأتهم. إذ كانوا روادا فى محاولة الاقتراب من رؤى هؤلاء الإرهابيين، الذين ارتكبوا أعمال عنف لخدمة أهداف أيديولوجية واضحة. وقد تزامن ذلك مع دراسات جادة حاولت اختبار مدى

صحة افتراض وجود أيديولوجيات ومذاهب دينية محددة، وراء نشر وتشـجيع العنف والإرهاب. أم أنه مجرد زعم، تم استغلاله من قبل جماعات أخرى متطرفة أو أعداء من الغرب بغرض تحقيق أهداف شخصية أو سياسية.

إن هـذا العمـل «الوجـوه المتعددة للإرهـاب» يعزز اتفاق العديـد من المتخصصين والخبراء عبر فروع معرفية مختلفة، على الطبيعة المتنوعة للإرهاب.

و مـن هنـا كانت أهمية إسـتراتيجيات مكافحـة الإرهـاب، وضرورة تضمينها أولا خطابا جماهيريا فعالا يشـجب الإرهاب والعنف، ثانيا محاولة احتواء الشـباب وتوجيه أفكاره وجهة صحية وإيجابية، لتجنب استقطابه إلى صفوف الإرهاب. أو الانخراط فى أنشطته المدمرة.

وأخيرا، أريد أن أعبر عن امتنانى وتقديرى لماريا إيوانو لمساعدتها لى فى تنظيم المؤتمر الذى كان السبب الحقيقى فى أن يرى هذا العمل النور.

البروفسر ديفيد كانتر

سبتمبر ٢٠٠٨

الفصل الأول

الإرهاب: طبيعة متعددة الوجوه

مدخل١

بقلم : ديفيد كانتر

نبـذة: نبدأ الحديث عن الإرهاب أولا، باسـتعراض لجوانبه المتعددة. فالإرهاب ذو طبيعة متنوعة مما ينعكس على أنشـطته الواسـعة عبر الأماكن والأزمنة. ومن هنا كانت صعوبة الاعتماد على تفسير بعينه أو اللجوء إلى نظرية محددة، أو فرع معرفى واحد، لفهم شامل لكل جوانبه.

وجديـر بالذكر أن الدراسـات التى تناولت ظاهرة الإرهـاب لم تعن، إلا فى أقلها، بمحاولـة فهـم النواحى النفسـية والاجتماعية التـى دفعت مرتكبى تلـك الجرائم من الإرهابيـين إلى الإقـدام عليهـا. ولا شـك أن ذلـك يرجـع فى المقـام الأول إلى صعوبة يواجههـا الباحثـون فى إجـراء مقابـلات مبـاشرة مـع هـؤلاء الأفـراد. ولا يخفـى أن هـذه الخطـوة حيوية لمحاولة فهـم المراحل التى يمر بهـا الإرهابـى والدوافع المختلفة التـى تفـضى بـه إلى ارتكاب تلك الأفعـال. أو ما قد يـؤدى من ناحية أخـرى، إلى نبذ الإرهابـى لتلك الأنشـطة فى نهايـة الأمر. فى بعض الأحيان. إن فهـم طبيعة الإرهاب وتعدد وجوهه ضرورة محورية، إذا كان هدفنا الأساسـى هو تقليص انتشـاره، ووقاية مجتمعاتنا من ويلاته.

طبيعة الإرهاب متعددة الجوانب

ارتبطت أعمال العنف على مر التاريخ، ومنذ أقدم الأزمنة، بالأهداف السياسية. حيث كانت هناك دائما جماعات تحاول التأثير على الرأى العام وزعزعة استقرار الحكومات. وذلك من خلال الاعتداءات المتكررة على أفراد الشعب أو بعض رموزه السياسية. وعادة ما كان يصاحب ذلك تخريب مادى يطول المؤسسات الحكومية، خاصة ما يحمل منها رمزا سياسيا أو أيديولوجيا. ومن أعمال العنف ذات الدوافع السياسية التى شهدها التاريخ، نذكر على سبيل المثال لا الحصر، أحداث الطوائف اليهودية المتعصبة ضد السيطرة الرومانية فى القرن الأول وأنشطة جماعة الحشاشين، وكانت فصيلاً انشق عن الإسلام الشيعى. وكذلك الفينيين من شرق إنجلترا فى القرن التاسع عشر، والذين تحدوا الحكم الإنجليزى بأيرلندا. ولا ننسى جماعة الفوضويين التى ظهرت قرابة مطلع القرن العشرين. وقد ساهمت فى إشعال فتيل الحرب العظمى. ومن خلال كتاباتهم أسسوا مفهوم «دعاية الفعل» «Propaganda of the deed».

كان لابد أن يواكب ظهور الدولة كقوة جديدة على أرض الواقع، نشأة قوى فى مواجهتها، تحاول إسقاطها، معتمدة فى ذلك على شتى وسائل العنف. وهكذا ما كاد ينقضى القرن العشرين، حتى أفاق العالم على وجود ما يربو على مائة وخمسين منظمة إرهابية حول العالم. وقد أحصت وزارة الخارجية الأمريكية حديثا ما يفوق الخمسين منها، ولايزال يمارس نشاطه[1]

وجدير بالذكر أن التفاوت فى زمن استمرار المجموعات الإرهابية، وأعدادها المتزايدة، يكشف عن تنوع واختلاف فى طبيعتها. ومن هنا كان خطأ الافتراض الشائع حاليا، أن الدين الإسلامى هو وحده المسئول عن ممارسة الأنشطة الإرهابية ذات الأهداف أو الدوافع السياسية و/ أو الأيديولوجية. بل لم يأت، قبل أحداث ٩/ ١١ / ٢٠٠١، بالكتب التى تناولت ظاهرة الإرهاب وأنشطته، أى ذكر للإسلام أو الجهاد الإسلامى بأى شكل. بل إن أبسط الكتابات التى تناولت هذا الموضوع، أكدت

(١) يعتمد هذا الفصل بكثافة على كتابات (كانتر ٢٠٠٦) الخاصة بالحالة النفسية لمرتكبى العمليات الانتحارية.

أن الجميع عرضة لممارسة تلك الأنشطة، وذلك بغض النظر عن اتجاهات دينية محددة، أو أجناس بعينها، أو رجال أو نساء. وكذلك لا يعتبر نظام سياسي بالتحديد، مسئولا عن انشار الإرهاب.فقد ينتشر فى النظم الديمقراطية أو الاستبدادية على حد السواء؛ لذا فإن التحدى الأساسى أمامنا هو معرفة مركز الإرهاب أو نقطة بداية محددة له. فهل هذا ممكن بالفعل؟ أم أن الإرهاب يعد ظاهرة غير محددة الشكل أو الملامح، بحيث يمكن إخضاعها للبحث والدراسة التى قد تفيدنا من الناحية العملية؟

تعريف

إن ما يمكن أن نعتبره من قبيل الأنشطة الإرهابية جد متشعب وواسع. ومن هنا كانت صعوبة تبنى تعريف محدد لما يمكن أن نطلق عليه نشاطا إرهابيا. ولانعتبر هذه المهمة هينة، خاصة وأن الإرهاب يعتبر من القضايا التى يكثر تداولها من خلال الجدل العام أكثر منها قضية لا يتم تناولها إلا من خلال الدراسات الأكاديمية.. لذا فقد قررنا أن نلجأ إلى تعريف محدد، نرى أنه من أكثرها وضوحا، خاصة وأنه يجيب عن جانب كبير من التساؤلات المثارة حول الإرهاب. يعتمد تعريف ريتشاردسون (٢٠٠٦) على وجود سبعة خصائص تميز أى عمل إرهابى. (الجدول ١ , ١).

و الفكرة الأساسية لهذا التعريف، أن أعمال العنف، تكون بمثابة الإستراتيجية السياسية، التى تقوم بتنفيذها مجموعات، لا تشكل فى حد ذاتها دولة مستقلة.ومن هذا المنظور، فإن الإستراتيجية التى يتبعها هؤلاء الأفراد فى أداء مهامهم، لابد أن تترجم فى الواقع، بأنشطة تحمل رمزا دعائيا قويا. وينطبق هذا الوصف على المجموعة الصغيرة «N ١٧» باليونان، والتى نتناولها بالتفصيل فى الفصل السادس ..وتلعب صلة القرابة دورا كبيرا فى التقريب بين أفراد هذه المجموعة، بالإضافة إلى قوة الإيمان بالعقيدة الماركسية .ولكن يبدو أن درجة التقارب بين أفراد هذ المجموعة تبدو أقوى من الهدف السياسى بالنسبة لجميع أعضاء المجموعة.

(الجدول ١ , ١) خصائص أساسية فى الإرهاب (طبقا لريتشاردسون ٢٠٠٦)

١ -	أن يكون ذا دوافع سياسية.
٢ -	وجود العنف أو التهديد باستخدامه.
٣ -	يسعى إلى إبلاغ رسالة.
٤ -	أهمية الرمز بالنسبة للنشاط الإرهابي أو الضحية.
٥ -	أن يقوم بتنفيذ النشاط جماعات موازية للدولة.
٦ -	اختلاف الضحية عن الجمهور.
٧ -	الاستهداف المقصود للمدنيين.

و من الملاحظ أن تعريف ريتشاردسون يستبعد حالات الاختطاف مقابل الفدية، وهو ما يتحرى عنه فيليبس فى الفصل الحادى عشر. ويبدو أن السبب فى ذلك هو غياب الهدف السياسى فى حالة حوادث الاختطاف. إلا أن قوة الارتباط بينهما لا يمكن تجاهلها فى بعض الأحيان، كما سيتضح من الفصول القادمة. وبالمثل، فإن راسل لم يقدم فى الفصل الثانى عشر، القائد الشيشانى المستبد رامزان قديروف على أنه قائد إرهابى، وذلك لأنه يرأس دولة وليس عضوا بمجموعة إرهابية. وذلك على الرغم من أن ظهوره أولا، كان من خلال هجمات إرهابية على روسيا. وأن قيادته لشعب الشيشان، كان يشوبها كثير من العنف والاستبداد. وكما يؤكد لنا جوبتا ومن اشتركوا معه فى كتابة الفصل السابع، فإنه من السذاجة بمكان، أن نحاول الفصل بين الدول التى تروج الإرهاب وبين الأنشطة الإجرامية التى تدعمها ماديا، إذا أردنا الوقوف على أسبابها أو مراحل التطور التى تمر بها.

وعلى ذلك فإننا، رغم موافقتنا على أن تعريف ريتشاردسون يتضمن المعايير الأساسية المتوفرة فى الأنشطةالإرهابية، نسعى، وبنفس القدر من الاهتمام، إلى الكشف عن الوجوه الأخرى للإرهاب. وذلك رغبة منا فى فهم الصورة كاملة من خلال استكمال الأجزاء الغائبة من هذا اللغز، وفك طلاسمه واحدا تلو الآخر.

إن الصورة النمطية للإرهابيين كمجموعة من الأفراد يجمعها الولاء لمبدأ محدد ولديها أهداف سياسية واضحة، تسعى إلى تحقيقها من خلال أنشطة، تتسم بالعنف. هذه الصورة ترضينا جميعا لأنها تتطابق، إلى حد بعيد، مع صورة الإرهابى فى أذهاننا. إلا أن الصورة النمطية قد لا تكون واقعية. فطبيعة ما تعتبره المجموعات الإرهابية «عدوا» قد لايكون بهذا الوضوح فى حقيقة الأمر. يفسر لنا ذلك بورجسون وفاليرى فى الفصل العاشر. حيث يؤكدان أن بعض مجموعات الأمم الآرية المسيحية الأكثر تشددا، قد أبدت استعدادا كبيرا للتعاون والتنسيق مع الجماعات الإسلامية المتطرفة، وذلك بهدف محاربة العدو المشترك بينهما، وهو الدولة اليهودية.

صعوبات خاصة بدراسة الإرهابيين

لاشك أن هناك العديد من الصعوبات التى تعترض طريق من يحاول كشف النقاب عن شخصية مرتكبى تلك الأنشطة الإرهابية أو إجراء مقابلات معهم. فالوحيدون الذين يمكن إجراء مقابلات معهم، إذا أتيحت الفرصة لذلك، هم من تم القبض عليهم بسبب فشل متكرر فى القيام بعملياتهم. ولا يخفى أن مثل هذه العينة لا تمثل خير تمثيل الإرهابيين بوجه عام، خاصة الأكثر حماسة وإصرارا منهم، والذين يحالفهم الحظ فى تحقيق أهدافهم والوصول إلى مآربهم. وحتى إذا تمكنت أجهزة الأمن من إجراء مقابلات مع هؤلاء الإرهابيين، فإن ما قد يصرحون به، يكون على الأرجح غير قابل للنشر. كما أن ما قد يدلون به للباحثين يشوبه غالبا كثيرا من التحريف أو التشويه، نتيجة لإحباطهم فى تحقيق الهدف. أو نتيجة لمعاناتهم فى الحجز. (مرارى، ١٩٩٠، سوابلمان، ٢٠٠٤). وتؤكد سبكهارد (٢٠٠٦) من واقع أحاديث أجرتها مع عائلات انتحاريى الشيشان أو مساعديهم، أنه من الأهمية بمكان، أن نحاول فهم الناحية الاجتماعية والنفسية لهؤلاء الأفراد والأسباب التى أوصلتهم إلى تلك الحالة من الغضب والإحباط، ، مما دفعهم إلى ارتكاب تلك الجرائم الإرهابية. وذلك مع الأخذ فى الاعتبار، تصريحاتهم المنحازة أو المبالغ فيها فى كثير من الأحيان.

و من المهم أيضا، أن نشير أن مقابلة الإرهابيين أو من يساعدهم، مسألة محفوفة بالمخاطر. وهو غالبا إجراء يتطلب كثيرًا من الوقت والإعداد. وهو ما أشار إليه هورجن (٢٠٠٥) ببعض التفاصيل. وهنا كان تفهمنا لموقف الباحثين الذين يرفضون إجراء تلك المقابلات ويلجئون بدلا منها إلى مصادر ثانية أو ثالثة. وهو أحد أسباب نقص المعلومات الدقيقة، وعدم صحتها، مما يتسبب فى تضليل الرأى العام سياسيا بشكل كبير. وهذا ما يذكره كل من دينيس وستول بمزيد من التفسير فى الفصل الثالث عشر.

ونفس الشيء يمكن قوله عن التصريحات التى يقوم الإرهابيون بتسجيلها أو بكتابتها. قبل إقدامهم على القيام بالعمليات الانتحارية، وذلك بغرض إذاعتها بعد استشهادهم. مرارى (١٩٩٠) وتعد هذه التصريحات جزءًا لا يتجزء من الإعداد لتنفيذ العملية الانتحارية. حيث يعد رجوع الإرهابى عن رأيه بعد ذلك، إحراجا شديدا يعرضه لأزمة ثقة، تضعف كثيرا من مصداقيته أمام زملائه من المجاهدين.

و قد تناول كانتر فى الفصل الثالث من هذا الكتاب، أهمية لغة الخطاب فى تلك التصريحات. وذكر أن الإرهابى، غالبا، ما يقتبس تصريحات غيره من القادة الإرهابيين المعروفين. وخير مثال على ذلك شريط التسجيل الذى انتشر تداوله فيما بعد لمحمد صديق خان (٢٠٠٥) وهو أحد إرهابى انفجارات لندن فى ٧/ ٧. فقد كان واضحا أنه استشهد بخطابات أسامة بن لادن وأتباعه. ومن هنا كانت صعوبة الاعتماد على تلك التصريحات فى قياس مدى تأثيرها النفسى أو الشخصى على الأفراد الذين يدلون بها. بالإضافة إلى حرص الإرهابيين على أن تعكس تلك التصريحات الدوافع القوية لارتكاب هذا الهجوم الانتحارى . وأن تحمل أهمية رمزية وقوة تأثير على العالم. وهذا ما يبرر ضرورة خلو مضمونها من أية إشارة إلى إحباطات شخصية أو تجربة فردية، بما قد ينتج عنه عكس المطلوب تماما.

وتجدر الإشارة إلى أنه يجب توخى الحذر ونحن بصدد إجراء التصنيف لمختلف المجموعات أو الشخصيات الإرهابية من الناحية النفسية، بحيث لا يجب أن نعمم

على الجميع ما توصلنا إليه من نتائج. ومن السـهل الوقوع فى هذا الخطأ نتيجة محدودية المصادر التى يمكن الوصول إليها. كأن نعمم ما حصلنا عليه من معلومات عن مجموعة مثل الجيش الجمهورى الأيرلندى أو مجموعة من الإرهابيين الفلسطينيين مثلا على الآخرين..ومما يسهل الوقوع فى هذا الخطأ تلاحق وتدفق الأحداث الاجتماعية على المسرح العالمى،.بما يؤكد استبعاد القدرة على تعميم الخصائص النفسية لمجموعة بعينها من الانتحاريين على مجموعات أخرى خاصة مع اختلاف الزمان والمكان.

وعلى الرغم من الصعوبات والعراقيل التى تعترض طريقنا حتى نضع أيدينا على معلومات وتفاصيل نحتاجها فى الكشف عن الأسباب والعوامل التى تجعل من الشخص السوى إرهابيا، فإن التزايد التدريجى للدراسات التى تتناول هذه الظاهرة وتطورها، يعطينا مزيدا من الأمل فى أن تكتمل الصورة لدينا قريبا. خاصة مع إضافة ما لدينا بالفعل من معلومات تتعلق بأعمال العنف أو الانتحار. فنتمكن من معرفة ما الذى يقود الشخص السوى إلى هذا الطريق من ناحية، وما هى أسرار نبذ الأنشطة الإرهابية فى بعض الأحيان من ناحية أخرى.

فى تفسير الإرهاب

هل الحرمان له علاقة مباشرة بالإرهاب؟

فى استعراضه للأسباب والعوامل النفسية، التى قد تفضى إلى طريق التورط فى الإرهاب، يؤكد مغدم (٢٠٠٥)، أنه لا يمكن اعتبار «عوامل مادية كالفقر أو الجهل أو نقص التعليم هى المسئولة عن الإرهاب» (ص ١٦٢) إذ لا يمكن التعويل عليها فى تفسير الانخراط فى الأنشطة الإرهابية. ويعتمد فى ذلك على ما كتبه كوجان (٢٠٠٢) عن مجموعة الجيش الجمهورى الأيرلندى التى لا تنطبق عليها وجهة النظر القائلة، «إنهم ليسوا سوى مجموعة من الهمج، تعانى من البطالة» . (ص ١٦٢) وكذلك عزز وزير سنغافورة لشئون البلاد عام ٢٠٠٣ هذا الرأى، مؤكدا أن من تم القبض عليهم من إرهابيى القاعدة والذين نفذوا اعتداءات ١١/ ٩ بنيويورك وواشنطن، لا ينتمون إلى

خلفيات معدمة، أومستويات تعليمية دنيا أو كانوا ممن يعيشون أساسا فى معسكرات للاجئين. بل أعطوا على العكس، انطباعا بأنهم يتمتعون بمستوى جيد من التعليم. (بودانسكى، ٢٠٠١). ومن هنا تتضح ضحالة التحليل الذى يبرر الأنشطة الإرهابية بأنها ثورة طبقة من البروليتارية التى لا حظ لها فى الحياة الكريمة. بهدف تحسين مستوى المعيشة. كما أن مثل هذه المقولة لايستند إلى أية أدلة تجريبية.

وحقيقة الأمر، فإن أى معادلة للإرهاب تفسر وجوده على أنه رد فعل لحالة من القمع التى يعانى منها الشعب المظلوم ضد حاكم مستبد، لابد من إخضاعها لمزيد من البحث والتدقيق. وكذلك ومن ناحية أخرى، فإن الفكرة السائدة بأنه إذا وفر الحاكم لأفراد شعبه حدا أدنى من الرفاهية المادية فإنهم لن ينقلبوا عليه أو يطيحوا به، لا يمكن التعويل عليها كذلك. إذ تحتاج لنظرة أكثر عمقا. وهذا ما عبر عنه جورج أورويل (١٩٣٣) بشكل طريف حين كتب يقول:

يبدو أن سلعا مثل السمك والبطاطس والجوارب الحريرية، وعلب السردين الرخيص، وقطع الشكولاتة ذات الستة سنتات، إلى جانب السينما والمذياع، وكذلك الشاى الجيد وأيضا كرة القدم، تشترك فى قاسم مشترك، وهو مساهمتها فى تجنب اندلاع ثورات. (الطريق إلى ويجان بيير the road to wigan Pier، الفصل الخامس).

إذا فإنه من قبيل المغالاة فى تبسيط الأمور، أن نفترض أن الحرمان والقمع، عوارض تفرز بالضرورة إرهابا. أو أن نعتبر أن حصول المواطن على حد أدنى من الرفاهية، يجنب الانخراط فى هذا الدرب المظلم، وارتكاب أنشطة العنف الإرهابى.و الخلاصة إذا، أن الحرمان وحده، وبمختلف درجاته لايصلح وحده تبريرا كافيا لظاهرة الإرهاب.

أما إذا تطرقنا إلى تفكير أقل تبسيطا للأمور وأكثر واقعية، فافترضنا أن المواطن يحصل على مايلزمه من سلع مادية تؤمن له حياة إنسانية كريمة. ولكنه يعانى فى الوقت ذاته، من غياب الديمقراطية والحرية فى ظل نظام قمعى أو ديكتاتورى. وأن ذلك هو

الدافع الذى قد يشعل حماسه إلى ارتكاب أنشطة العنف الإرهابى، فإن هذه الفرضية أيضا لاتملك أى سند واقعى يثبت مصداقيتها أو حتمية حدوثها. ويؤكد ذلك يونجز (٢٠٠٦) من واقع تحليله الذى يتناول مدى تأثير القمع السياسى على انتشار الإرهاب. حيث إنه وجد أن هناك تأثيرا ضعيفا بين ممارسة الدولة لبعض أشكال القمع السياسى وظهور «التطرف».و قد قام بمقارنة بين بلاد فى الشرق الأوسط والهند والصين بغيرها من البلاد التى تعانى من مظاهر التمرد أو الثورات، فكشف أن الأنظمة القمعية تحمى شعوبها من الممارسات الإرهابية من خلال إحكام الرقابة والسيطرة وهو امتياز لا يتمتع به المواطن فى ظل الأنظمة الديمقراطية التى توفر مزيدًا من الحريات للمواطنين وتقل فيها وسائل الرقابة.

وحتى نفهم أسباب الأنشطة الإرهابية وأعمال العنف فى المجتمعات الأكثر حرية وأقل تعرضا للقمع، لابد أن نتطرق لمفهوم واسع الانتشار، نال حظه من الدراسة، وهو «الحرمان النسبى» يؤكد لنا واكر وسميث (٢٠٠٢) بعد استعراض دراسات تمت على مدى خمسين عاما. أن الأفراد يقيمون تجاربهم الشخصية على أساس مقارنة أحوالهم بغيرهم ممن حولهم من أفراد.وبالتالى يحكمون على معاناتهم من الحرمان بشكل نسبى. هذا الحكم النسبى على الأمور، قد تم الاعتماد عليه فى تفسير كثير من المتناقضات فى مجتمعاتنا. ومنه قبول كثير من النساء العمل بأجور أقل كثيرا من نظرائهم من الرجال. وكان التفسير أنهن يقمن بمقارنة أحوالهن بغيرهن من النساء. (كروسبى، ١٩٨٢). وكذلك التأثير الضعيف لانهيار نظام الأبارتايد العنصرى فى جنوب أفريقيا على تحسن العلاقات بين السود والبيض فى هذا المجتمع.حيث تبين أن المجموعات العنصرية لاتزال تقيم الأمور بحسب المجموعة التى تنتمى إليها.

وقد تم بحث مفهوم الحرمان النسبى أيضا للتفرقة بين التجربة الشخصية والتجربة التى يعيشها الأفراد مع المجموعة الاجتماعية. (سميث وليش، ٢٠٠٤). وهذه الدراسات لاتزال فى حقيقة الأمر فى طور التجربة والاختبار. ولا يعتد بعد بنتائجها حيث إنه من الصعوبة بمكان، الكشف عن حقائق تقييم تجربة الفرد للمجموعة التى ينتمى إليها. وتشير تلك الدراسات، أنه حينما يربط الفرد بشكل مكثف بين هويته

وهوية الجماعة، إلى درجة أن تذوب الفواصل بينهما بشكل يقترب من الانصهار الكامل فى هوية واحدة، فإن إحساس المجموعة بالحرمان أو الظلم يصبح هو نفسه إحساس الفرد بها.

ومن هنا كان تتبع ورصد الظروف والمراحل النفسية التى يمر بها الفرد لمعرفة مدى تأثره بتجربته الشخصية أو تجربة المجموعة التى ينتمى إليها، أهم من الاعتماد على مفاهيم موضوعية أو ظروف مادية يتعرض لها الفرد كجزء من المجتمع الذى يعيش فيه.

الانتحاريون والمرض النفسى

إن محاولة فهم التفسير النفسى لأسباب التفجيرات الانتحارية، ، تحدوه كثير من الصعوبات. يرجع ذلك أولا لتناقض هذه الظاهرة تماما مع المنطق المتعارف عليه للطبيعة البشرية التى تحاول دوما الحفاظ على نفسها. إلا فى حالة واحدة، وهى انفصال الفرد عن الواقع. ومن هنا ظهر افتراض أن هؤلاء الانتحاريين، قد يكونون مصابين بنوع من أنواع المرض النفسى أو الاختلال العقلى. ورغم ذلك، فإن وقائع الأحداث، تشير إلى غير ذلك تماما. فمن قاموا بتفجيرات لندن يوم ٢٥ يوليو، على سبيل المثال، لا يمكن اعتبارهم بأى حال من المرضى النفسيين، أو من المغيبين عن الواقع، بفعل المخدرات أو أن يكون التعصب قد أعماهم فضلوا الطريق.. و هذا ما يمكن قوله أيضا على مختطفى طائرة نيويورك الذين أثبتوا رباطة جأش وحنكة، تنأى بهم عن أى شكوك محتملة فى درجة وعيهم، أو صحة عقولهم أو إصابتهم بأى خلل أو اضطراب نفسى. ويتفق ذلك تماما مع كتابات كل من سيلك (٢٠٠٣) ومغدم (٢٠٠٥) اللذين يؤكدان، عدم وجود أى دليل يثبت أن مرتكبى الأنشطة الإرهابية يعانون بشكل واضح من الأمراض النفسية أو من الخلل العقلى. وكذلك من الدلائل على صحة ما سبق، أن الخمسة فلسطينين الذين أجرى سوابلمان حديثا معهم، وكانوا قد فشلوا فى تنفيذ مهمتهم الانتحارية، أظهروا عقلانية واضحة، فى مناقشة شتى الموضوعات

مـع محدثيهـم. وكذلـك إذا تأملنا من ناحية أخرى، انتشـار حـالات الاضطراب العقلى أو المرض النفسـى لدى فئـة أخرى من المجرمين، القاتل بالجملة على سـبيل المثال، نجد أنها لاتنتشر بشـكل ملفت. بـل إنه من النادر لجوء الدفاع لحجـة «الجنون» لتبرئة القاتل. (هيكـى، ٢٠٠٥) والشـيء نفسـه يمكـن قولـه عن حـالات القتل المسرف، عندما يتم قتـل عدد كبير مـن الأفراد فى مذبحة واحدة، كما حدث فى مدرسـة كولومبين، حيث تم إطلاق وابل من الرصاص على الطلبة عام ١٩٩٩ . أو حادثة ها نجرفورد عام ١٩٨٧ أو أودانبلين عام ١٩٩٦ . فجدير بالذكر، أن تلك الحوادث لم يرتكبها أفراد من مختلى العقل أو مصابون بأى داء نفسى. (كانتر، ١٩٩٥) مما يفسر ندرة استخدام ذريعة الجنون كمبرر للقتل فى الدفاع عن هؤلاء المجرمين.و هؤلاء قد تشير تعليقات معارفهم، بما يؤكد غرابة تصرفاتهم أو عدم تأقلمهم مع من حولهم. إلا أن ما لدينا من دلائل، حتى الآن، يشير إلى أن المرضى النفسيين، يسعون من الأرجح إلى إلحاق الضرر بأنفسهم قبل غيرهم.

بـل إن لدينـا دلائـل تؤكد أن من يقـوم بتجنيد هـؤلاء الأفراد للقيـام بتلك الجرائم الإرهابية البشـعة يتحرى عنهم بدقة قبل أن يقع اختياره على قلة قليلة منهم. بما يرجح استبعاد من يشك فى سلامة عقله، أو إصابته بأى اضطراب سلوكى أو نفسى. وهذا ما يؤكـده مـيرارى (١٩٩٠) الذى يزعم أن قليلين يقع عليهـم الاختيار للقيام بالعمليات الانتحارية.

وهذا المنطق يمكن تطبيقه على العمليات العسـكرية التى لايمكن الاعتماد فيها على شـخص غـير موثوق فى قدراتـه العقلية أو حالته النفسـية، لتحقيق الأهـداف المرجوة. إذ قـد يتسـبب ذلك فى تعريض العملية بأثرها للفشـل والمخاطرة بالكشـف عن خطط وأسرار عسكرية أو إستراتيجية.

عملية غسل الأدمغة

وهنـاك تفسـير آخـر لتحول الأفـراد مـن مواطنـين أسـوياء وعقـلاء إلى إرهابيين يمارسـون أعمال العنف. وهذا التفسـير يتعلق بعمليات غسل الأدمغة التى قد يتعرض

لهـا الأفراد بهدف زرع أفـكار جديدة أو معتقدات غريبة بدلا من السـائدة لديهم. هذا التفسـير يجعل شخصيات مثل الشـيخ ياسين، زعيم حماس أو أسامة بن لادن يتمتعون بنفـس تأثـير شـخصيات خيالية ظهرت فى قصـة للكاتب جـورج دى مورييه. على أن هناك دراسـات تسـتبعد وجود قوى بمثل هذا التأثير فى الحياة الواقعية. (هيب وكرش ٢٠٠٦ لاستعراض هذه القضايا).

و مـن ناحيـة أخرى، فإن افتراض وجود مثل هذا التأثـير للقادة الإرهابيين يفترض سيادة نظام هرمى طبقى، من المتوقع وجوده فى بنيان عسكرى صارم. ويصعب تصوره فى حالة الجماعات غير الشرعية، خاصة فى حالة انتشارهم على مساحة جغرافية واسعة. فالمحافظـة على مثـل هذا النظام كما هو الحال بالنسـبة للجيـوش التقليدية قلما يحدث فى الواقع (كانتر وأليسـون، ٢٠٠٠). بل إن الشـبكة التى تعمل تلك الجماعات من خلالها أشـبه «بحيـوان ذى عدة رؤوس» كما ذكـر أترين (٢٠٠٤). ويصور لنـا مولنز (الفصل الثامـن)، كيفية تطور تلك الشـبكات المعقـدة فى بعض الأحيـان، إلى صفقات مربحة، كـما يحدث فى عمليات الاختطاف مقابل الفدية. وتعتبر شـائعة الحدوث حاليا. وهو ما يذكره فيليبس بمزيد من التفاصيل فى الفصل الحادى عشر).

وفى دراسـة تفصيلية كتبها ساجمان عن شبكة تنظيم القاعدة، تناول فيها مدى تعقيد هذه الشبكة وقدرتها الذاتية على مواصلة تجديد نفسها بشكل مستمر، ومنتظم.

ويحـدث ذلك لكثير من التنظيمات، خاصة غـير الشرعية، التى تواجه دوما تحديات تتعلـق بالمحافظة على الهوية وفاعليـة الاتصالات فيما بينها. وهو ما يعتبر حيويا لتحقيق الكفـاءة المطلوبة بالنسـبة للتنظيمات الشرعية الناجحة. (كـما ذكر كانتر، ٢٠٠٠). ومن هنـا كان لابد لتلـك التنظيمات غير الشرعيـة كالقاعدة من الاعتماد على وسـائل أخرى تمكنها من العمل بفاعلية وكفاءة. وتشير الدلائل فى هذا الخصوص، أن هذه التنظيمات تعتمد فى الوجود والاستمرار على دعم ومساندة مجموعات صغيرة مستقلة، قد لا تملك السـيطرة المباشرة عليهـا. ولابد أن تكون تلـك المجموعات واضحة الهوية، وراسـخة

الإيمان، ولديها ما يلزم من الدوافع الذاتية. إذ إنها لا تعتمد بالأساس على سيطرة قائد كاريزمى الشخصية لتوجيهها أو تحريكها.

وحقيقة الأمر، فإن تلك السمة التى تميز تلك الجماعات، أى القدرة على التجديد الذاتى والاعتماد على النفس فى إدارة العمليات الإرهابية، يمكن تتبعه منذ كتابات مايكل باكونان فى القرن التاسع عشر عن الثوار المتمردين ضد أنظمة الحكم، كما ظهر فى (سجلات الثوار ٢٠٠٦). فقد تنبأت كتاباته بقرب مولد الثورة من رحم تلك المجموعات السرية التى نجحت فى التنسيق فيما بينها لقلب نظام الحكم السائد. وقد اضطلع المفكرون آنذاك بمهمة التعبير عن سخط الجماهير العريضة وعن آمال الشعب وتطلعاته، مما ساهم أخيرا فى اندلاع الثورة.

دور الأيديولوجية الدينية

ساد الاعتقاد بأنه شىء من اثنين، إما مرشد روحى مسئول عن غسيل الأدمغة والعقول ودفع الإرهابيين إلى القيام بتلك الأنشطة الإرهابية، وإما إيمان راسخ بمعتقدات ومذاهب دينية، تدفع معتنقيها إلى ارتكاب تلك الأنشطة الإجرامية كارثية النتائج على المجتمع بأثره. لقد ساد الاعتقاد فى دوائر غربية عديدة، خاصة بعد الهجمات التى تعرضت لها لندن والولايات المتحدة الأمريكية والتفجيرات الانتحارية فى فلسطين، على يد إرهابيين إسلاميين، أن الإسلام دين يحرض على العنف ويشجع على العمليات الانتحارية. وقد أكد كل من كانتر وسارنجى فى الفصل الثالث، أنه وعلى الرغم من اتجاه كثير من الآراء إلى تفسير بعض آيات القرآن على أنها تحرض على العنف ضد غير المسلمين، فإن روح الإسلام فى جوهره، تتميز بالتسامح بشكل واضح لا جدال فيه.

إن وجهة النظر التى تزعم أن الانتحاريين ينتمون بالضرورة إلى الإسلام لا تؤيدها وقائع التاريخ. فإن بناء معبد اليهود على أنقاض المسجد الأقصى بعد هدمه على رؤوس الفلسطينيين وقائع تم ذكرها فى قصة سمسون فى التوراة. أما فى العصور الحديثة فقد أكد

جوناراتنــا (٢٠٠٣) أن الانتحــار من خــلال تفجير الذات لايقتصر عـلى الإرهابيين من المســلمين وحدهم، فجماعة حزب العمل الكردستانى قد ارتكبت العديد من التفجيرات الانتحاريــة، فى تركيــا، وهــى مجموعة تعادى الأديان بشــكل عام، وتســتمد تعاليمها من المبــادئ الماركســية اللينينيــة، وذات اتجاهات قومية واضحــة ولكنها غــير دينية. كما أن ما أطلــق عليــه جوناراتنــا (٢٠٠٣) «القوميــة العرقية»، هو الدافع الأساســى وراء ممارســة مجموعــة نمور التاميل، التفجير الانتحارى بســيرلانكا والهنــد، ودون أن يكون للمعتقــد أو المذهب الدينى شأن فى ذلك.

على أن أشهر من استخدم كقنابل بشرية فى الحرب العالمية الثانية كان اليابانيون. ولم يكن الســبب هــو الدين أو قمع الدولــة. ورغم ذلك فقد عقدت جرائــد أوروبية كثيرة مقارنــة بينهم وبين انتحاريى عصرنا الحديث. وقد أطلقوا على منفذيها لفظ «كاميكاز»، وهو لفظ يابانى، يعنى حرفيا روح الله.

إن اســتخدام تلك الوســيلة فى الحرب العالمية الثانية تدعو لدراسة أسبابها والعوامل التــى أفضــت إليها. فقد كشــف لامونت بــراون (١٩٩٧) فى كتابــه «انتحاريو اليابان- الساموراى»(*) أن العسكريين اليابانيين، كانوا ضد هذه الفكرة فى البداية. خاصة وأنهم وجــدوا فيهــا إهدارا للطيارين المدربــين وللطائرات فى نفس الوقــت. إلا أنه قرابة نهاية الحــرب لم يجدوا أفضل منها وســيلة، تحول دون إنزال الأســطول الأمريكى لجنوده على الأراضى اليابانية. وهكذا تم تأســيس فرقة صاعقة من هؤلاء الطيارين. وقد كانوا أولا يختــارون من أكفأ الطيارين وأكثرهــم تدريبا. وقد كان أغلبهم ينتمى إلى عائلات تتمتع بدرجة عالية من الوطنية. وكانوا يشــعرون بالفخر وهم يؤدون مهامهم لخدمة الوطن، ويحافظون على تقاليد عائلاتهم. ولكن مع تقدم الحرب وتطورها، تم الاســتعانة ببعض الشباب ممن ليسوا على درجة لائقة من التدريب، لتنفيذ تلك الهجمات، بالإضافة إلى أن أغلبهم كان من أصول بسيطة، إذ كانوا من الطبقة العاملة.

(*) الساموراى، هى طبقة المحاربين اليابانيين من الطبقة الأرستقراطية (المترجمة).

ويحكى أن أوائل هؤلاء الانتحاريين من الطيارين، كتبوا ببطولاتهم أسطورة إخلاص سجلها التاريخ، وتشهد على تفان غير مسبوق فى خدمة الإمبراطور، الذى كان بمثابة الإله بالنسبة لليابانيين. بل كان الموت أثناء تأدية خدمة له، يعد أعظم شرف يحظى به الجندى أثناء الحرب. وقد أصبحت زهرة ثمرة الكرز رمزا لهؤلاء الانتحاريين. إذ ساد الاعتقاد ا أنهم سوف يبعثون من جديد فى صورة هذه الزهرة. وذلك مصور فى معبد ياسوكينى الوطنى بطوكيو. أما من لحق بهم فيما بعد، فقد كان دافعهم الأساسى هو تحقيق النصر حتى تفخر بهم العائلة. وقد اعتبروا عودتهم أحياء خزيًا وعارًا ليس فقط لهم بل لعائلاتهم أيضا.

ومن خلال ما خلفوه وراءهم من أسماء أطلقوها على فرقهم، يتبين لنا أنهم كانوا يعدون أنفسهم «أجنحة سماوية» تحلق فى السماء، فتكبد الأعداء خسائر فادحة. وجدير بالذكر، أنه بعد تغلب الجنود الأمريكيين على الصدمة الأولى لتلك الهجمات الانتحارية، لم تكن لتؤثر فى تقدمهم فى حربهم ضد اليابانيين. ولكن ما يمكن قوله من ناحية أخرى، هو أن استعداد الجنود اليابانيين للمواصلة حتى آخر نفس لهم فى هذه الحرب وما أظهروه من تفان وروح التضحية فى سبيل الوطن، ربما كان هو الحاسم لقرار الأمريكيين بضرورة إسقاط القنبلة النووية على اليابان.

وهناك ولاشك أوجه مقارنة بين انتحاريي اليوم والأمس. وأولها الاقتناع بقيمة الموت فى سبيل ما يؤمنون به، وبأهمية المكافأة التى تنتظرهم فى العالم الآخر. وجدير بالذكر أنه فى حالة الطيارين اليابانيين، فإن اقتناعهم بضرورة الاعتماد على هذه الوسيلة، يبرره عدم توازن القوة بينهم وبين أعدائهم. إذ كان عليهم مواجهة قوى عسكرية لاقبل لهم بها، تفوقهم فى الجنود والعتاد.

ومن ناحية أخرى، فإن القبض على منفذى انفجارات لندن فى الحادى والعشرين من يوليو، وهم أحياء بدون أى مقاومة عنيفة من جانبهم، يشهد بأنهم قد فضلوا الحياة على شرف الاستشهاد، فى سبيل ما يؤمنون به. وهو ما يشهد على اختلاف الوضع عن الموقف اليابانى.

إن موقف هؤلاء الطيارين الانتحاريين باليابان، يجعلنا نراجع بحرص مفهوم «حماسة الدين» كدافع للاستشهاد. فهناك ولاشك تشابه بين الثقافة اليابانية، وتعرف بالشينتو، وبين ما يدعو له القرآن. من ناحية أن الشينتو كانت ترى فى التضحية بالحياة فى سبيل الإمبراطور شرفا عظيما. وكذلك فإن آيات قرآنية كثيرة تدعو إلى الجهاد فى سبيل الله «وأن من يحارب فى سبيل الله، وسواء انتصر أو استشهد فسوف يكافئه الله» (٤:٧٢ ترجمة بنجين ل، .ج داود (٢٠٠٣)، ص ٦٨) فشرف الموت فى سبيل من يؤمن به المرء وبالمكافأة فى الحياة الأخرى واحدة فى الثقافتين. إلا أنهما يمثلان نظامين مختلفين للإيمان.

ولكن جدير بالذكر أن الإيمان بالإمبراطور قد ضعف بشكل ملحوظ بعد الحرب. بشكل لايتناسب مع كونه إلها بالنسبة لشعبه. وهو ما يصعب أن يحدث للمسلمين المؤمنين إيمانا ثابتا بالله ورسوله.

وهو ما يعنى بدوره، أننا لا يجب أن ندين أى معتقد بشكل مطلق؛ لأننا ندين الأفراد الذين يؤمنون به. فهناك الملايين من الأفراد الذين يساندون الإسلام الأصولى ويؤمنون به، ولكنهم لا يرون مع ذلك ضرورة قيامهم بعمليات انتحارية.. فلا يمكن لوم الدين إذا على تصرفات معتنقيه من البشر. أو تحميله أخطاءهم. ولاشك أنه يجب أن نفهم حقيقة العملية الإدراكية والنفسية أو العاطفية التى يمر بها الفرد، والتى تكون الدافع وراء ارتكابه لهذه العمليات الانتحارية.

الإرهاب: كعملية ذات مراحل

فى كتاباته الأولى تبنى هورجان (٢٠٠٥) وجهة نظر مهمة مفادها أن الإرهاب لايقتصر على الفعل الإرهابى فقط، بل تسبقه عملية تحول، يخضع لها الفرد. ويتفق معه فى ذلك مغدم (٢٠٠٥) إذ يشبه عملية التحول التى تحدث للفرد بالصعود على درج مبنى مكون من عدة طوابق. وكل طابق يمثل مرحلة معينة فى عملية الإرهاب. حتى يصل إلى مرحلة الإرهاب الفعلى، حيث يبدأ فى التورط فى أعمال العنف التى تكون بدافع سياسى أو لتحقيق هدف أيديولوجى.

ويكون الإطار العام هنا، هو الاعتراف باختلاف وتميز هوية المجموعة، التى ينتمى إليها العضوعن غيرها من المجموعات، وأنها تتعرض للتهديد من قبل مجموعات أخرى. ثانيا أن هناك أسبابًا ثقافية وتاريخية للمظالم التى يعانى منها جميع أعضاء المجموعة. فى الفصل الخامس يعرض لنا روس قوة تأثير هذه المظالم من خلال استعراضه لثلاثة مجموعات إرهابية شديدة التباين فيما بينها. وذلك فى أنحاء مختلفة من العالم. وهو يركز على دور هذه المظالم فى التضامن بين أفراد المجموعة الواحدة. إذ يستلهمون منها جميعا قوتهم وحماسهم فى مواجهة من يعتبرونهم عدوًا مشتركًا. هناك نقطة مهمة يركز عليها روس فى هذا الخصوص، وهى أن القمع أو الحرمان ليس هوالمسؤول فى حد ذاته، عن قيام الإرهابيين بارتكاب أعمال العنف بل قوة هذه المظالم، وقدرتها على شحن وشحذ الحماسة لارتكاب هذه الممارسات. وعادة ما تتركز هذه الشحنة من الحماس، أولا فى قلة من الأفراد الذين يقودون أعمال العنف، ثم يلى هذه المرحلة، مرحلة أخرى تتميز بالتوهج العاطفى وانتقاله إلى بقية أفراد المجموعة، فينضمون إلى دائرة العنف المدمرة.

يوضح لنا فيرجسون فى الفصل الثانى، أنه بالنسبة لكثير من الإرهابيين، فإن النتائج والتبعات النفسية للاندماج فى دائرة العنف هى التى تضمن استمرار عجلة العنف وبالتالى مواصلة الهجمات الإرهابية. حيث يتحول العالم فى نظر الإرهابى إلى ساحة كبيرة لممارسة النشاط الإرهابى وإشعال العنف، وإراقة مزيد من الدماء.

مما يعنى بدوره، أن تحقق حالة السلام فى بعض المناطق كما حدث فى أيرلندا الشمالية، لايعنى بالضرورة انحسار دائرة العنف وتراجعها إلى الأبد. إذ إنه بالنسبة لبعض الأفراد يكفى ظهور بعض العوامل المفاجئة، إلى جانب استمرار المظالم فى إشعال الشرارة من جديد والعودة إلى دائرة العنف اللولبى. ومن هنا تبرز خطورة امتداد تلك الدائرة اللعينة إلى جيل جديد.

ومع ذلك فهناك حالات أخرى، لايتعرض الأفراد فيها لمظالم بشكل مباشر، ورغم ذلك ينتهى بهم الأمر، إلى طريق الإرهاب. يكشف لنا ويليمز النقاب عن مثل هذه

الحالات فى دراسة الحالة فى الفصل الرابع من هذا الكتاب. حيث يقدم لنا حالة فاهيم خالد لودهى، وهو مهندس معمارى باكستانى الأصل، يعمل فى أستراليا، ليست له أية تجربة شخصية سابقة مع الإرهاب. وقد كان اتصاله بأشخاص فى وطنه باكستان، وراء تورطه فى تلك الأعمال. و هناك حالات كثيرة تعزز هذا المثال لأفراد كثر فى بريطانيا أو إسبانيا أو الولايات المتحدة لأشخاص يتحولون إلى إرهابيين من خلال انصياعهم وراء أهداف مجموعات اجتماعية مختلفة والانصهار فى هويتهم والإيمان بقضيتهم وبدء تبنى حالة الضيق والغضب التى تسيطر عليهم وتدفعهم دفعا إلى ارتكاب أعمال العنف التى يجدون فيها متنفسا لإحباطاتهم المختلفة.

هذا الاندماج الوثيق لهوية الأفراد فى هوية مجموعة معينة، يمكن أن يأخذ عدة أشكال. بعضها قد لا يكون متوقعا. وهو على أي حال غير مقتصر على جماعات الجهاد الإسلامى. يصف بورجسون وفاليرى، فى الفصل العاشر، جماعة لم يأت ذكرها فى أغلب الكتابات التى تناولت الإرهاب. رغم أنها كانت مسئولة بشكل مباشر أو غير مباشر عن ارتكاب كثير من الفظائع وأشهرها الانفجار الذى حدث بمدينة أوكلاهوما على يد تيموثى ماكفيه. وقد تمكنت أجهزة الاستخبارات الفدرالية الأمريكية من الكشف عن أنشطتها والتعرف على الشبكة الإرهابية التى تعمل من خلالها. وكانت تعتبر مصدر تهديد فى جميع أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية.

وهناك أوجه شبه كثيرة تجمع بين العديد من المجموعات التى قد لاتربطها ببعضها فى واقع الأمر أية روابط قوية، .وكلها تعارض أو ترفض مظاهر كثيرة سائدة فى الدولة التى تعيش على أرضها. على أن الرابط القوى الذى يمكن أن يوحد فيما بينها، هو بالتأكيد العدو المشترك. ففى حالة المجموعات الآرية، تشترك جميعها فى شعور واحد تجاه اليهود أو الأقليات العرقية. التى تعتبرها ضعفا ووهنا يحط من قدر الأمم المسيحية ويعكر من نقاء جنسها الآرى المتفوق.

وكما يوضح لنا بورجسون وفاليرى فإن كره هذه المجموعات الحاد لليهود بوجه خاص وللأقليات العرقية بوجه عام، قد جعل بعض قادتها، على أتم استعداد للتعاون

والتنسيق مع تنظيم القاعدة الإرهابى، الذى يعتبره الكثيرون عدوا مبينا لمجموعة عسكرية مسيحية مثل الأمم الآرية. فالعبرة إذا بشدة العداوة ودرجة الكراهية. وهذا يكشف لنا عن أهمية الناحية الاجتماعية والنفسية بالنسبة لتلك المجموعات التى توجه كرهها الأساسى على عدو محدد. وتكون على استعداد للتعاون ما عدو آخر لمجرد القضاء عليه. وهو ما قد يفرغ أنشطتها الإرهابية من وضوح الهدف. فتصبح أهدافها منحصرة فى القدرة على البقاء ككيان مستقل، وقادر على المواصلة والاستمرار.

هذه المرونة فى تبرير أعمالها، فى مقابل تسهيل بقائها، تعنى قرب المجموعات الإرهابية من مجموعات الجريمة المنظمة. وقد وضح لنا فيشنيفتسكى، فى تقريره الممتاز عن عصابات الشباب من الشيشان فى الفصل التاسع، أن الجريمة المنظمة قد تكون أولى الخطوات على طريق الإرهاب بالنسبة لبعض الأفراد. و يتفق هذا بدوره مع ما كتبه جوبتا وزملاؤه فى الفصل السابع، حيث كشف لنا، أن التفرقة بين الإرهاب والجريمة المنظمة قد لا تكون بالشىء الهين على الإطلاق. ومع ذلك فمن الأهمية بمكان أن نحدد تلك الفروق حتى وإن كانت غير ظاهرة للعيان. وذلك حتى يتم التعامل على أسس يجانبها الصواب، مع التحديات الاجتماعية المختلفة التى يفرضها كل منهما على المجتمع الذى نعيش فيه.

ومن أوجه التشابه بين الأنشطة الإرهابية والجريمة المنظمة، تورط كليهما فى بعض الأحيان فى عمليات تمس بنيان الدولة، وتدعمها السلطات الوطنية فى البلاد. سواء كان ذلك بشكل ظاهر أو فى السر. وفى هذا السياق، فإن العملية الانتحارية التى كان يرأسها القائد الشيشانى شاميل بازايف لاحتجاز الرهائن، والمعروفة باسم بودنفسكو دوبروفكا وبسلان، وكانت موجهة ضد سيطرة الروس على منطقة الشيشان، لا يمكن اعتبارها إرهابا طبقا لتعريف ريتشردسون (٢٠٠٦). وذلك رغم توافر كل الإجراءات التى تعتبرها إرهابا فى عرف معظم العمليات الإرهابية. من المفيد الإشارة فى هذا الخصوص أن خلع شاميل بازايف، وإحلال قديروف مكانه، وهو من الثوار المتمردين، قد غير جذريا فى طبيعة العلاقة بين الشيشان وروسيا.

ويبدو أن قديروف قد توصل إلى المعادلة المناسبة فى ا لتعامل مع الروس، من خلال القدرة على الجمع بين ما أسماه روسل فى الفصل الثانى عشر «احتياجات» الشعب و«أطماع» الروس، الذين لايمكن الاستغناء عنهم فى إدارة شئون البلاد. .وفى سبيل تحقيق أهدافه، نجح فى أن ينأى بشعبه عن تعاليم الفكر الوهابى المتشدد التى كان بازايف يدعمها من قبله، واتجه إلى التعاليم الصوفية، وهى أكثر سماحة، وأقل عدوانية، وكانت سائدة بالفعل من قبل فى هذه المنطقة من العالم. .هكذا تمكن قديروف من استثمار معاناة ومظالم شعب الشيشان فى تحقيق الاستقرار، محققا المعادلة الصعبة، وهى إرضاء جميع الأطراف.

ولكن من ناحية أخرى، فقد أفضت سيطرة قديروف وحكمه المطلق، إلى استتباب حكم فاسد شمولى امتدت جذوره فى الأرض ونمت فالتفت حول القانون وقضت عليه.

السيكولوجية الاجتماعية للإرهاب

إن الإجراءات التنظيمية والاقتصادية التى تعتمد عليها المجموعات الإرهابية، والتى تشكل جزءًا لا يتجزأ من كيانها واستمرارها، تدخلها فى بعض الأحيان فى حيز الجرائم المنظمة. هذه المنظومة، المتشابكة، غالبا لاتذكر كثيرا فى كتابات المهتمين بالمجموعات الإرهابية التى تمارس أنشطة إرهابية بشكل منفرد.. فى بعض الأحيان تأخذ الجرائم شكلا مستوطنا فترتبط بمكان محدد يشكل مسرحا لأنشطتها. وقد يكون لذلك أسباب إيديولوجية معينة، أو قد يتعلق الأمر بالمطامع الإجرامية. ثم يحدث تطور لبنيان هذه المجموعات فيأخذها إلى طور جديد، يحول أنشطتها الإجرامية إلى ما يشبه صفقات رجال الأعمال.

يحدث هذا خاصة بالنسبة للأنشطة الإرهابية التى تأخذ فيها عمليات الاختطاف شكلا منتظما. فتصبح جزءًا لا يتجزأ من هذه الأنشطة. فى الفصل الحادى عشر يؤكد لنا فيليبس أن اعتماد الأنشطة الإرهابية على هذه العمليات بشكل مكثف ينتج عنه الاعتماد على عناصر وإجراءات تعتبر من خصائص العمل التجارى. ومنها عمليات «البيع» أو

«التخزين» وإن كانت لها أبعاد مختلفة فى هذا الإطار، إذ تعكس هذه المفردات فى حالة الاختطاف معانى تقشعر لها الأبدان.

والخطورة فى ذلك أنه ما إن تتضح أركان هذا النموذج التجارى، فيصبح مكتمل الجوانب، حتى يكتسب قوة دفع ذاتية. تطغى على الأهداف الجوهرية للمجموعة أو نواياها السياسية.

إن ما حدث فى الشيشان ويمثل إرهابا مدعوما من الدولة، ثم التورط فى عمليات وأنشطة تتبع الجريمة المنظمة، وما يسفر عنه من صفقات أو اتفاقات كما فى حالة الاختطاف مقابل الفدية، كل ذلك يولد عملية اجتماعية شديدة التعقيد. هذه العملية تمثل قيمة اجتماعية كبيرة ونحن بصدد دراسة ظاهرة الإرهاب.

شهدت السنوات الأخيرة محاولات إنتاج نموذج شبكات الاتصالات التى يتفاعل من خلالها الإرهابيين. إلا أن التجربة لم تكن ذات نفع عملى. حيث كان النموذج نظريا أكثر منه عمليا. خاصة وأنه تعامل مع شبكات الاتصال على أساس أنها ثابتة، غير متطورة مع الوقت.

ولقد أثبت مولينز فى الفصل الثامن، من خلال دراسته للتطور الذى مر به «مخطط الألفية» لتفجير مطار لوس أنجليس عام ٢٠٠٠ واعتداءات ١١/ ٩، أن هذه الشبكات كيانات ديناميكية، تتغير وتتطور من نواح مختلفة . ورغم ذلك فقد كان من المثير للاهتمام، ملاحظة، أن الخطط التى باءت بالفشل كانت تلك التى اعتمدت على هيكل أقل استقرارا. فخطة تفجير برجى التجارة ووزارة الدفاع الأمريكية، والتى أسفرت عن تدمير كارثى، قد اعتمدت على هيكل أكثر استقرارا.

كتابة التقارير عن الإرهاب

إن الطبيعة المعقدة والمتشابكة للإرهاب وامتداده إلى مجالات كثيرة من الأنشطة غير الشرعية مع تمسكه فى نفس الوقت بالترويج لأيديولوجياته وأهدافه السياسية التى قد

تلتبس على البعض أحيانا.، يجعل من الصعب على وسائل الإعلام المختلفة أن تقدم تقارير واضحة ومتماسكة بشأنه.لذا كان من الطبيعى أن يعتمد الإعلاميون فى كتابة تقاريرهم عن الإرهاب على البيانات الرسمية. التى تكون مبالغة فى تبسيطها للأمور وقد تكون غير موضوعية أو منحازة سياسيا. فى الفصل الثالث عشر، وهو أكثر فصول هذا الكتاب تقنية، يقدم لنا دينيس وستول بحثا دقيقا، لإمكانية خضوع التقارير الخاصة بالإرهاب لتحليل دقيق لمضمونها. وقد كان من ضمن النتائج، الاختلاف الواضح بين التقارير التى تصدر بالمملكة المتحدة، وتلك التى تصدر بالولايات المتحدة. كما كشف النقاب أيضا عن أهمية مصادر التقارير فى التأثير على مدى مصداقيتها.

ولاشك أن كتابة التقارير والتعليق عليها تلعبان دورا أساسيا فى التأثير على الجماهير، وهو الهدف الأساسى من قيام الإرهابيين بتلك الأنشطة. إذ إن الدعاية والترويج لقضيتهم من أهم العناصر التى يعتمدون عليها فى نشر أفكارهم والقدرة على استقطاب مزيد من الأفراد إلى صفوفهم. وجدير بالذكر أن الاختلافات التى يشار إليها فى الفصل الثالث عشر، تبرز أهمية تجاوز الباحث لتقارير وسائل الإعلام، إلى بحث أعمق فى أغوار الأحداث لكشف النقاب عن الوجوه المتعددة للإرهاب.

المستقبل

إن طبيعة الإرهاب ذات الوجوه المتعددة والاستعداد المستمر للتطور، تكلان مؤشرًا لإمكانية دوام هذا التهديد.ومن هنا كانت أهمية ما يؤكده شارب باركر فى الفصل الرابع عشر عن أهمية تناول موضوع اقتحام الإرهابيين لمجال الشبكة الإلكترونية الدولية وإمكانياتها المتعددة. من المعروف أن الإرهابيين على دراية جيدة باستخدامات هذه الشبكة، سواء فى وضع الخطط أو تجنيد عناصرهم أو التنسيق فيما بينهم. وطبقا لباركر، فلابد أن نتذكر أنه كما مهدت عمليات الكاميكاز (الطيارين الانتحاريين) اليابانيين أثناء الحرب العالمية الثانية لهجمات ١١ / ٩ على برجى التجارة، فإن ما نشهده اليوم على الشبكة الدولية من تهديدات، لاشك يؤرقنا. حيث إن الشبكة الدولية قد تتحول قريبا، إلى ساحة حرب حقيقية يستخدمها المتمردون والإرهابيون.

ولايخفى أن الانتشار الراهن للجرائم التى تعتمد أساسا على هذه الشبكة، يفتح المجال على مصراعيه أمام المجموعات الإرهابية التى تتربص للفرص السانحة. و من مصادر القلق بصفة خاصة، ما ألمح إليه باركر، من أن العولمة أتاحت انفتاح الجميع على مجريات الأمور فى العالم بما فيها أحدث الجرائم وأدق خططها. ومن هنا كانت أهمية رد فعل عالمى يسعى بوعى ومسئولية إلى مواجهة هذا التحدى ونتائجه الوخيمة على حياتنا.

مواجهة المؤشرات النفسية للإرهاب

إن أساس تقويض الحالة النفسية التى تقود الأفراد إلى طريق الإرهاب، يكمن فى تدمير هذا التقسيم الصارم فى عالم الإرهابى، بين مجموعته وبقية العالم. وقد أشار العديد من المعلقين ومن السياسيين والتربويين إلى أهمية تلك الهوية الاجتماعية لدى الإرهابى. وإلى ضرورة العمل على إضعاف تلك الثنائية تمهيدا للقضاء عليها. وهناك العديد من الدلائل التى تشير إلى قوة هذه الثنائية وتأصلها فى الفكر الإرهابى؛ لذا فبدون تعاون وتنسيق بين الخبراء والمتخصصين فإن احتمالات تفاقمها وتعزيزها تتزايد.

إن ما تعجز بعض الشخصيات العامة، عن تقديره، هو أن تلك الجماعات قادرة مع تأصل تلك الثنائية على تحين الفرص للقيام بأعمال عنف غير مبررة، كاستغلال بعض التصرفات الاستفزازية. ويذكرنا ذلك بالرسومات الكاريكاتيرية للرسول عليه السلام بالدنمارك، والتى أثارت حنق المسلمين وكانت دافعا ومحفزا على ارتكاب أعمال عنف وإراقة دماء حول العالم.

فما حدث نتيجة هذه الرسومات يتعلق بالرمز الذى تشير إليه، وليس بالرسومات فى حد ذاتها. والقصة تمثل «الغرب» الذى يكره المسلمين ويسب «الإسلام» ويسخر من رموزه. ثم من ناحية أخرى، أهمية انتقام المسلمين لكرامتهم ودفاعاهم عن دينهم فى مواجهة الغرب.

إننا كبشر نقوم بعملية التصنيف بشكل غير مدروس بل وساذج فى كثير من الأحيان وهذه العملية طبيعية لدينا جميعا. ولكنها تحمل مع ذلك، الكثير من مظاهر الخطورة وأسباب القلق.

يسـود الأجواء، حاليا، جدل يتميز بالضحالة والسطحية، حول موضوع «العرق». وقـد أوضـح ماركس (٢٠٠٢) بشـكل لا يحتمل التأويل، وكذلك غـيره من الباحثين، أنه من الناحية البيولوجية فلا أسـاس للاختلاف بين الأجناس أو الجماعات «العرقية». وأن مـا يمكـن قولـه على وجه العمـوم، إنه كلما زاد اختلاط شـعبين مـن الأمم، زادت احتمالات أن يتقاسـما العديد من الجينات المشـتركة. ورغم تميز شعوب العالم فيما يخص بعض الملامح، كاللون أو الجلد أو شكل الأنف، هذه الفروق تعتبر بسيطة وغير فارقة. أمـا أسـاس الاختلاف بين الشـعوب فمصدره اختـلاف فى المواقـف والثقافات وليس الاختلافات البيولوجية.

وجديـر بالذكر أن محاولات التفرقـة والتمييز بين الأفراد بنـاء على خصائص فردية كالدين أو بلد المولد أو «العرق» أو الجنس أو حتى على أساس فريق كرة القدم المحبب لديهم، يعمل على تعزيز وتأصيل ما يعرف بعوارض سامسون (كانتر، ٢٠٠٦). إن على التربيـة والمربـين دورًا كبـيرًا فى محاولة تخليص العقول من خرافـات تلك القصص التى انتـشرت على مـر التاريخ، والتى تؤصل العرقية والاختلافات بين الأفراد والشـعوب. وهذه ضرورة يجب أن يضعها المسئولون ضمن أولويات وسائل مكافحة الإرهاب

فك الاشتباك مع الإرهاب

إذا مـن الطبيعى إذا أردنا أن يتخلى الأفراد عن الإرهاب، أن يدرك كل المتخصصين فى هذا المجال، حقائق عملية التحول إلى تلك الشخصية غير السوية. وتفاصيل العملية الاجتماعية المعقدة التى يمر بها الإرهابى حتى يصل إلى تلك المحطة. وقد أشـار كل من هورجـان فى الفصـل الخامس عشر، ثـم مغدم فى آخر فصل، إلى صعوبة فك الاشـتباك مع حالة الإرهاب خاصة بالنسـبة للأفراد الذين عاشـوا هذه الحالة طيلة حياتهم وتبنوا ثقافتهـا بالكامل. وقد حاول كل منهما بطريقته أن يلقى الضوء على نقطة مهمة، مفادها أن عمليـة فك الاشـتباك ترتبط بالسـبب الـذى وضع الفـرد على طريـق الإرهاب من الأسـاس. فقد تكون رابطة العائلة أو صلة القرابة كما يكشـف لنا كاسـيمارى فى دراسة الحالـة الخاصة بمجموعـة N١٧الإرهابية بالفصل السـادس . أو قد يكون السـبب فى

الانضمام إلى الإرهابيين مرتبطًا بالأيديولوجية، كما يذكر ويليم فى الفصل الرابع. ويضيف مغدم، فى تصوره لما أسماه بسلم الإرهاب، أن الإرهابيين إذا صعدوا حتى أعلى درجات السلم ، فلن يكون من السهل إقناعهم بنزول درجاته ثانيا.

ولا شك أنه من الأيسر والأوقع عمليا أن نحاول أن نجنبهم مخاطر السير فى طريق الإرهاب من الأساس. وذلك من خلال تحريك عوامل نفسية وأخرى سياسية وثقافية من شأنها أن تقود إلى التغيير المنشود . إذ لابد من التعامل مع ظاهرة الإرهاب على أنها وحش متعدد الرؤوس، حتى نتغلب عليها بالفعل. فهى فى نهاية الأمر مشكلة متعددة الجوانب ومعقدة التركيب.

وحقيقة الأمر فلا يوجد أى فرع معرفى حتى يومنا هذا قد استطاع تقديم تفسيروافي لمسألة ظهور جماعات ترتكب أعمال عنف ضد النظام الحاكم .وكما تكشف فصول هذا الكتاب فإن الأسباب النفسية المسئولة عن ارتكاب هذه الفظائع على يد الإرهاب متداخلة مع عمليات اجتماعية أخرى، غاية فى التعقيد. والخلاصة، أن السبيل الوحيد للقضاء على أسباب الإرهاب، هو التعامل معه على أساس كونه ظاهرة مركبة ومتعدد الوجوه والجوانب.

المراجع

Anarchist Archives (2006). *Bakunin's collected works*. Retrieved March 2006, from http://dwardmac.pitzer.edu/Anarchist_Archives/bakunin/BakuninCW.html

Atran, S. (2004). Mishandling suicide terrorism. *The Washington Quarterly, 27*, 67–90.

Bodansky, Y. (2001). *Bin Laden: The man who declared war on America*. New York: Random House.

Canter, D. (1995). *Criminal shadows*. London: HarperCollins.

Canter, D. (2000). Destructive organisational psychology. In D. Canter, & L. Alison (Eds), *The social psychology of crime* (pp. 321–334). Aldershot: Ashgate.

Canter, D. (2006). The Samson Syndrome: Is there a kamikaze psychology? *21st Century Society, 1*, 107–127.

Coogan, T. P. (2002). *The IRA*. New York: Palgrave.

Crosby, F. (1982). *Relative deprivation and working women*. New York: Oxford University Press.

Duckitt, J., & Mphuting, T. (1998). Group identification and intergroup attitudes: A longitudinal analysis in South Africa. *Journal of Personality and Social Psychology, 74*, 80–85.

Gunaratna, R. (2003). *Suicide terrorism: A global threat*. Jane's Information Group, 20 October 2000. Retrieved June 10, 2009, from www.janes.com/security/international_security/news/usscole/jir001020_1_n.shtml

Heap, M., & Kirsch, I. (Eds) (2006). *Hypnosis: Theory, research and application*. Aldershot: Ashgate.

Hickey, E. (2005). *Serial murderers and their victims*. Belmont: Wadsworth.

Horgan, J. (2005). *The psychology of terrorism*. London: Routledge.

Khan, M. H. (2005). *Videotape of Mohammad Sidique Khan*. Retrieved May 15, 2009, from http://news.bbc.co.uk/1/hi/uk/4678837.stm

Lamont-Brown, R. (1997). *Kamikaze: Japan's suicide Samurai*. London: Cassell.

Marks, J. (2002). *What it means to be 98% chimpanzee*. Berkeley, CA: University of California Press.

Merari, A. (1990). *Special oversight panel on terrorism hearing on terrorism and threats to U.S. interests in the Middle East*. Retrieved May 15, 2009, from http://commdocs.house.gov/committees/security/has195240.000/has195240_0f.htm

Moghaddam, F. M. (2005). The staircase to terrorism: A psychological exploration. *American Psychologist, 60*, 161–169.

Orwell, G. (1933). *The road to Wigan Pier*. Retrieved January 6, 2006, from www.george-orwell.org/The_Road_to_Wigan_Pier/4.html

Richardson, L. (2006). *What terrorists want: Understanding the terrorist threat*. London: John Murray.

Sageman, M. (2004). *Understanding terror networks*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press.

Silke, A. (2003). The psychology of suicidal terrorism. In A. Silke (Ed.), *Terrorists, victims and society* (pp. 93–108). Chichester: John Wiley & Sons Ltd.

Smith, H. J., & Leach, C. W. (2004). Group membership and everyday social comparison experiences. *European Journal of Social Psychology, 34*, 297–308.
Soibelman, M. (2004). Palestinian suicide bombers. *Journal of Investigative Psychology and Offender Profiling, 1*, 175–190.
Speckhard, A. (2006). Defusing human bombs: understanding suicide terrorism. In J. Victoroff, & S. Mednick (Eds), *Psychology and terrorism*. Amsterdam: IOS Press.
Walker, I., & Smith, H. J. (Eds) (2002). *Relative deprivation: Specification, development, and integration*. Cambridge: Cambridge University Press.
Youngs, R. (2006). *Democracy and security in the Middle East*. Internal report submitted for publication. Madrid: Fundación para las Relaciones Internacionales y el Diálogo Exterior, from http://www.fride.org/publication/58/democracy-and-security-in-the-middle-east assessed August 21 2009.

الفصل الثانى

من السذاجة إلى الاحتراف:

نشأة المجموعات المسلحة بأيرلندا الشمالية[1]

بقلم: نيل فيرجسون ومارك بورجس

نبذة: أثبت العديد من الدراسات، أن التورط فى أعمال عنف مسلحة تبدأ، فى أغلب الأحيان، بالاشتراك فى أعمال عنف عادية. كما توضح الدراسات أيضا، أنه وحتى بعد الوصول إلى اتفاق سلام بين الأطراف المتنازعة، فإن المشاكل الاجتماعية لا تنتهى. إذ إن منفذى تلك الأنشطة قد يقعون أنفسهم ضحايا لأعمالهم. إذ قد يتحول بعضهم إلى مرضى نفسيين. يركز هذا الفصل على أهمية مواجهة هذه المشاكل، خاصة وأنها تأخذ شكلا مستترا، ثم لا تلبث أن تطفو على السطح مرة أخرى حين تشتعل جذوتها من جديد. لقد تم الاستفادة من تجربة أيرلندا الشمالية فى هذا المجال، وهو ما تعكسه آراء ووجهات نظر قادة عسكريين وسياسيين، تلجأ الحكومات إلى خبراتهم، كلما تطلبت الظروف احتواء الإرهاب أو مواجهته من خلال ردود أفعال مناسبة. وذلك عبر دول العالم، وبغض النظر عن نوع هذا الإرهاب أو أصوله.

---

(١) المراسلات الخاصة بهذا الفصل يجب أن ترسل إلى نيل فيرجسون بمركز ديزمزند توتو لدراسات الحرب والسلام. بجامعة ليفربول هوب. هوب بارك المملكة المتحدة. تليفون: +٤٤ (٠) ١٥١٢٩١-٣٧٥٤.
فاكس: +٤٤ (٠) ١٥١٢٩-٣٧٧٣ Email: fergusn@hope.ac.uk.

من الملاحظ أن العالم لم يعد مكانا آمنا بالنسبة لدول كثيرة بعد تفجيرات برجي التجارة بنيويورك فى أحداث ١١/ ٩/ ٢٠٠١. وما نتج عنه من تحالف دول كثيرة مع الولايات المتحدة فى «حربها ضد الإرهاب». تعتبر المملكة المتحدة من أكثر الدول التى تضررت بشكل خاص نتيجة لذلك. وقد تسبب تدمير برجى التجارة العالمية فى قتل أكثر من ٢٨٠٠ فرد، ينتمون إلى ٨٥ دولة. وفقدت إنجلترا ٦٧ مواطنا. كما أن كثيرا من الضحايا فى هذا الحادث كانت تربطهم علاقات قرابة بعائلات تقطن إنجلترا. ومن المشاهد أنه منذ ٢٠٠١ أصبحت مدينة لندن، على وجه الخصوص، مرتعا خصبا يمارس فيه الإرهاب نشاطاته الإجرامية لاسيما المتطرفين الإسلاميين.

و من أكثر تلك الهجمات شراسة ودموية، تلك التفجيرات التى استهدفت شبكة النقل العام بمدينة لندن وأسفرت عن مقتل ٥٢ شخصا. وكان ذلك فى السابع من شهر يوليو ٢٠٠٥. ونتج عنها حالة من الرعب والفزع، اجتاحت الدوائر الإعلامية والسياسية وطالت المواطن الإنجليزى العادى. وكان مصدر هذا الفزع، إرهاب الجهاد الإسلامى. خاصة المرتبط منه بالفكر الأصولى فى مسألة الاستشهاد. وساد هاجس استعداد تلك الجماعات للتضحية بأفرادها، واستخدامهم كقنابل بشرية لتحقيق أهدافها، ونشر حملة الرعب فى كل أرجاء البلاد.

هذه المسألة استحوذت على اهتمام وسائل الإعلام بشكل كبير منذ عام ٢٠٠١.

وحقيقة الأمر فإن هاجس الرعب من تلك العمليات الاستشهادية وربطها بجماعات الجهاد الإسلامى وحدها يعتبر ظاهرة مبالغًا فيها بعض الشىء. حيث إن العمليات الانتحارية واستخدام الأفراد كقنابل بشرية، قد تم اللجوء إليه من قبل على يد مجموعات مختلفة على مر التاريخ. مثل جماعة التحرير الهندوسيه تاميل إيلام، والماركسيين، وكذلك جبهة التحرير الفلسطينية. وحتى إذا عدنا بالتاريخ إلى الأزمنة القديمة، فسنجد أن كتاب العهد القديم قد سجل قصة سمسون، وهو الرجل الضرير الذى ضحى بنفسه حين أسقط أعمدة المعبد فانهار على من فيه، متسببا فى قتل ٣٠٠٠ فرد.

كتب هادسون (١٩٩٩) عن الاستشهاد، أنه من أفضل الوسائل التكتيكية فى خطط الجماعات الإرهابية. حيث إن اسشهاد منفذ العملية تعنى إعفاء الجماعة من تبعات شعوره بالندم أو الذنب فى المستقبل. وهو ما يعنى بدوره تجنب انتقال عدوى الشعور بالذنب أو تأنيب الضمير إلى بقية أفراد المجموعة. أما سبكهارد (٢٠٠٦) فيعدد مزايا الاستشهاد من وجهة نظر الجماعات الإرهابية، كما يلى:

أ- يعد وسيلة غير مكلفة.
ب- مضمونة الفعالية.
ج-من أشد الأسلحة فتكا.
د- أكثر الوسائل إثارة للرعب.
هـ -استحالة منع حدوثها.
و- يصعب اقتفاء آثارها.

ذ- إذا كان لدى الجماعة عدد كاف من الاستشهاديين، ضمنت مواصلة جهادها من خلال سلاح «ذكى» ومضمون النتائج. إذا من المهم أن نسجل هنا، أنه إذا كانت العمليات الاستشهادية سلاحا عسكريا إستراتيجيا، فهى بالتأكيد ليست بالسلاح الجديد.

وحقيقة الأمر فإن المدن الإنجليزية قد شهدت العديد من التفجيرات بالقنابل، خاصة مدينة لندن. فالجيش الأيرلندى الجمهورى الحقيقى (PIRA) قد تسبب فى تفجيرين عن طريق السيارات الملغمة فى مدينة لندن. الأول كان فى منطقة إيلنج، والثاني وقع أمام مبنى تلفزيون BBC. وآخرها سيارة أخرى لم تنفجر بالكامل بمركز مدينة برمنجهام. عام ٢٠٠١. ولا نذكر تلك التفجيرات على سبيل الحصر، بل كانت ضمن سلسلة من التفجيرات التى شهدتها مدن المملكة المتحدة، أغلبها تم على يد الجيش الجمهورى الأيرلندى المؤقت IRA. منذ أن قرر مد حربه فى بداية السبعينيات. إن استخدام الأفراد كقنابل بشرية وانتشار عمليات التفجير الانتحارى امتدت أيضا لتشمل منطقة شمال أيرلندا. حيث كان استخدامها دارجا ومألوفا، كسلاح لتحقيق أهداف سياسية.

فى عـام ١٩٨٩ - ١٩٩٠ اسـتخدم الجيـش الجمهـورى الأيرلندى فى حربه المسـلحة ضد بريطانيا.، إسـتراتيجية ماكرة عرفت «بالتفجير عن طريق الغير». حيث كانت تلك المجموعـة تقتحـم المنـازل وتحتجز العائـلات كرهائن، وتهـدد الأب بالقتل مـا لم يمتثل لمطالبهـا، ، بينـما ترغمه، على قيادة شـاحنة ملغمة والاتجاه بهـا إلى مركز شرطة أو جيش. ومـا إن يصل إلى الهدف، حتى تقوم بتفجير الشـاحنة عن بعد. وهكذا اسـتخدمت هذه المجموعـات رهائنهـا، كقنبلة بشرية تقـوم بتحقيق الهدف بالنيابة عنها. كما اسـتخدمت نفـس المجموعـة العمليـات الانتحاريـة ومبـدأ الاستشـهاد فى تنفيـذ مآربها السياسـية والضغـط على الحكومـات الإنجليزية. ومن أشـهر مظاهرهـا ما عرف «بالموجـة الثانية للإضراب عن الطعام» عام ١٩٨١. التى قام بها السـجناء السياسـيون، للمطالبة بمزيد من الحقوق وتحسين الأحوال داخل السجون.. فكانوا يضربون عن الطعام حتى الموت.

وبالعودة إلى العقود الأخيرة يتضح أن العمليات الإرهابية والرعب الذى يصاحبها، ليـس بالظاهرة الحديثة. فقد عاشـت المملكة المتحدة أحداثـا كثيرة من خلال الحملات الإرهابيـة الممتدة منذ أواخر السـتينيات. حيث كانت منطقة أيرلندا الشـمالية هى مركز تلك الأنشطة.

تكونت دولة أيرلندا الشـمالية بمقتضى الاتفاقية الأنجلو - أيرلندية فى السـادس من ديسمبر ١٩٢١.

وقسـمت أيرلندا بمقتضاهـا إلى أمتين. ومنذ ذلك الحين وشـعب أيرلندا الشـمالية، يعانى من عنف الحملات السياسية، التى لم تهدأ على مدى عدة عقود من الزمن. على أن أطول تلك الحملات، بدأت فى الفترة الأخيرة من الستينيات وامتدت على فترات، حتى إعلان وقف إطلاق النار وبدء مفاوضات السلام فى نهاية التسعينيات.

وقد أسـفرت فترة المتاعب (كما اصطلح على تسـميتها على سبيل التجمل) عن مقتل ٣٧٠٠ فـرد وأكثـر مـن ٤٠٠٠٠ مصاب. منهـم ٥٣٪ قتـلى مدنيـون و٦٨٪ مصابون مدنيـون. (سـميث ١٩٩٨ سـميث وهاملتـون، ٢٠٠٤). وقد نسـب أغلبيـة القتلى إلى

الجماعـات المسـلحة (٨٧٪ من مجمـوع القتلى، ٥٩٪ على يد الجمهوريـين، ٢٨٪ على يد أتباعهـم) ومـا يقرب مـن (١١٪ من المجموع) قد نسـبت إلى قوات الأمن. (سـميث، ١٩٩٨).

وتجـدر الإشـارة إلى أن كلمـة paramilitary groups بأيرلنـدا الشـمالية لاتعنـى الجيـوش غـير النظاميـة التـى تتعاون مـع الجيش الرسـمى للبـلاد، كـما ورد بالتعريف التقليدى للمصطلح، بل تعتبر جماعات مسلحة من المتمردين، الذين يعتبرهم أعداءهم مـن الإرهابيـين. مثـل الجيـش الأيرلندى الجمهـورى IRA أو قـوات ألسـتر المتطوعة UVF. حظـت «المتاعـب» التـى اجتاحـت منطقة شـمال أيرلنـدا حتى توقيعهـا اتفاقية السـلام عـام ١٩٩٨ بقدر كبـير من اهتـمام العالم، كما حظـت أيضا الجماعات المسـلحة وأنشـطتها الإجرامية باهتمام كبار الباحثين والدارسـين الذين تفرغوا لبحثها وتحليلها، وقدموا دراسـات مسـتفيضة عنها، أفادت المتخصصين، وما زالوا يستفيدون منها حتى يومنا هذا، فى استجلاء كثير من الغموض الذى يحيط بالمجموعات الإرهابية فى عصرنا الحديث. (ماك جينتى، مالدون وفيرجسـون ٢٠٠٧، وايت، ١٩٩٠). ومنذ تفجيرات ١١/ ٩، تحولت الأنظار عن أيرلندا الشمالية وجماعاتها المسلحة إلى نوع آخر من الإرهاب مرتبط بالجهاد الإسـلامى والجماعات الأصولية المتطرفة. ونمت الحاجة الملحة إلى مزيد مـن المعلومات عـن ذلك الخطر الجديد الذى يهدد العالم. يبرز هورجان مدى أهمية هذه الحاجـة (٢٠٠٥) حينـما يؤكـد أن أكثر من ٨٠٠ كتـاب كان قد تم نـشره، عن أحداث ١١/ ٩ قبـل مـرور أول عام على وقوعهـا. ويعتبر هذا العدد الكثيـف من الإصدارات ذات مغـذى، خاصـة وأن هـذا المجـال لم يحظ قبل الأحـداث الأخيرة بأكثـر من بضعة كتـب لايتجاوز عـدده أصابع اليد الواحدة فى نهاية السـتينيات (رابوبـر، ١٩٨٨). وقد كان مصدر الاهتمام بهذا النوع من الإرهاب الجديد، هو فلسـفة الفكر المتطرف وقدرته على تحويل شـباب عاديين إلى متطرفين على اسـتعداد للتضحية بالذات فى سـبيل تحقيق أهداف سياسـية. ولكن ومن وجهة نظر هورجان (٢٠٠٥)، فإن هذا الطوفان الجارف من الإصدارات، ما بين كتب، ومجلات ومقالات، نشرت بكثير من الصحف، لم تسهم فى زيـادة معلوماتنـا أو معرفتنا عن هذه الجماعات فى الواقـع. حيث إن هذه التحليلات

تفتقر إلى المعلومات الدقيقة. ويؤكد سيلك (٢٠٠١) على سبيل المثال، أن حوالى ٨٠٪ من الدراسات التى تناولت الإرهاب اعتمدت على تكرار معلومات قديمة. واقتصرت المعلومات الدقيقة التى جاءت عن طريق المقابلات على مجرد ١٣٪ فقط.

إن ندرة الباحثين الفاعلين فى هذا المجال هو السبب فى عدم مصداقية ما يقدم من أبحاث فى مجال دراسات الإرهاب. ولا شك أن الأخطار المحدقة بالمقابلات سواء من الناحية الجسدية أو النفسية تبرر تقاعس الباحثين عن تقديم أبحاث مفيدة فى هذا المجال. ومع ذلك فقد برزت بعض المناطق التى تشكل، إلى حد كبير، بيئة أقل خطورة مثل شمال أيرلندا التى أفاقت أخيرا من حملات العنف المتواصلة، التى اجتاحتها سنوات طويلة. وتعتبر مناطق أقل خطورة من العراق أو أفغانستان أو الشيشان. كما تعتبر أيرلندا الشمالية أكثر ملاءمة أيضا من حيث موقعها كجزء من أوروبا يتحدث الإنجليزية، والمجتمع قد اعتاد التعامل مع الباحثين فى مجال الإرهاب. (ماك جينتى أت أل، ٢٠٠٧)

وجدير بالذكر أن محاولة الاستفادة من تجارب الإرهاب «القديم» فى شتى بقاع العالم، قد واجه انتقادًا ومقاومة كبيرة من قبل كثير من الخبراء فى هذا المجال. وساد اتجاه بينهم يرفض التحاليل المبنية على هذا الشكل من الإرهاب، أو يتجاهله. (هورجان فى الصحافة). وهناك فريق آخر من الباحثين مثل هورجان وبنيامين وسيمون (٢٠٠٢) وكرنشو (٢٠٠٥) ممن يتبنون رأيا معارضا، لهذا الاتجاه، مؤكدين أن عدم دراسة وتحليل الإرهاب الذى سبق أحداث ١١ / ٩، يقلل من إمكانيات المقارنة بين الإرهاب القديم والحديث؛ وبالتالى الوقوف على ملامح التشابه فيما بينهما. مما قد يفضى إلى اكتشاف الأسباب الحقيقية وراء انخراط الشباب فى مثل هذه الأنشطة. وعلى سبيل المثال فإن الأبحاث التى تمت بناء على الإرهاب «القديم» أثبتت أن الوطنية كانت هى الدافع الأول لحملات العنف حول العالم وليست الأيديولوجية الإسلامية. إذ يزعم باب (٢٠٠٥) أن أغلب الحملات الانتحارية التى يقودها الإرهابيون تهدف إلى إلزام الدول الديمقراطية على سحب قواتها العسكرية التى تحتل البلاد. ينطبق ذلك على

لبنان والشيشـان. وحتى إذا نظرنا إلى الموقف الحالى بالعراق، فإن الأزمة السائدة تدفعنا إلى ضرورة البحـث والتحليل الدقيق للحركات الوطنية الانفصالية المرتبطة باسـتمرار الأنشـطة الإرهابيـة فى هـذه المنطقـة. ووجودها جنبـا إلى جنب مع جماعـات الإرهاب الإسلامى المسلح.

إن الرغبـة فى تقديـم أبحاث ذات مصداقية عالية، بالإضافة إلى إتاحة شـمال أيرلندا الفرصـة لنا لإجراء مزيد من البحث والدراسـة والاسـتفادة من تجربتهـا مع الجماعات المسـلحة. إلى جانـب ما نملك من تجـارب خاصة بالإرهاب فى بعـض بؤر الأزمات فى العالم، يدفعنا إلى مزيد من التحليل والدراسة للعوامل والمبررات التى تدفع الشباب إلى الانضمام إلى تلك الجيوش غير النظامية المسـلحة (برجز فيرجسون وهوليود، ٢٠٠٧). وإلى أى مـدى يـرى المحاربـون القدامى فى هذه المنطقـة من العـالم، أن هناك احتمالات مواصلة الحملات الإرهابية مرة أخرى فى شمال أيرلندا بعد توقيع اتفاق السلام (برجز وفيرجسـون وهوليود، ٢٠٠٧). يعتمد هذا الفصل على الأبحاث التى تكشف النقاب عـن رحلة تحـول أفراد عاديـين إلى متمرديـن. وآثار هـذه الرحلة عـلى حياتهم. وكيف يقيمون تجربتهم وما شابها من عنف فى تحقيق الأهداف السياسية.

الطريق إلى التمرد

إن الأبحـاث التـى ركزت على أسـباب تورط الأفراد فى العمل المسـلح أو مبرارات الانضـمام إلى الجماعات المسـلحة، قد اعتمـد ت فى أغلبها، على ذلك التصنيف الشـائع عن الإرهابيين، أنهم أفراد غير أسـوياء ويعانون فى أغلب الأحيان من أمراض نفسـية، وأنهم عموما أشـخاص مثيرون للرثاء. إذ كانت النظرة التقليدية أنهم فى الأسـاس من مختـلى العقل. وهم يقترفون تلك الجرائم من هذا المنطلق.(هورجان، ٢٠٠٣، سيلك، ١٩٩٨). ورغـم أن هـذه الصـورة النمطيـة عن الإرهابـى المجنون والمختـل عقليا، لا تزال شـائعة ومكررة فى الإعلام بشـكل كبير، فإن الرأى العام أصبح أقل اقتناعا بها. إذ أصبح يرى فيها مغالاة فى تبسـيط الأمور واختزالا للواقع. (بورجس أت أل.، ٢٠٠٥

أ، ٢٠٠٥ ب، هورجان ٢٠٠٣، لويس وتايلور، ٢٠٠٢، أوبرشال، ٢٠٠٤، سيلك، ١٩٩٨، فكيتوروف، ٢٠٠٥).

إن مراجعة حديثة وشاملة للأبحاث، تثبت أن فهم أسباب العنف المسلح يتطلب منا تحليلا أكثر تكاملا وشمولا. (فيكتوروف، ٢٠٠٥). تحليلا يأخذ فى الاعتبار العوامل الداخلية، كما يتضمن أيضا العوامل الخارجية أو الاجتماعية للأفراد إلى جانب مراعاته لديناميكية مشكلة الإرهاب..و على الرغم من القصور المنهجى للأبحاث الخاصة بالإرهاب، فإنه يمكن الإقرار من خلال الدراسات السابقة الخاصة بالإرهابيين المنتمين إلى جماعات مختلفة عبر بلاد العالم، أن هناك قائمة عوامل يتفق عليها الجميع ويرجحون مسئوليتها عن تحول الأفراد العاديين إلى إرهابيين. ومن واقع تجاربنا السابقة فى هذا المجال، يمكن أن نجزم بفاعلية هذه القائمة. وتتضمن ما يلى من عوامل:

(أ) وجود حالة من المعاناة أو المظالم، تشعر بها مجموعة من الشعب. (انظر بورجز أت أل.، ٢٠٠٥ ب، ومن المصدر الأول مباشرة انظر، كرينشو ٢٠٠٣). ومن التقارير المثيرة للدهشة تلك التى كتب عنها فرجسون وبرجز وهوليود، (فى الصحافة) والتى تؤكد من واقع مقابلات أجريت مع بعض أفراد من المنتمين السابقين إلى تلك الجماعات المسلحة فى أيرلندا الشمالية، أن «حالة المظالم» المزعومة، قد تكون مجرد أساطير وشائعات سادت فى وقت «المتاعب» وكانت فى الأغلب، بعيدة عن الواقع العملى. وأنه قد تم استغلالها للتضليل..

(ب) السن والنوع. تدل الوقائع أن الجرائم الإرهابية يرتكبها شباب من الذكور، تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشرة والخامسة والعشرين. (سيلك، ٢٠٠٣ ب). والأبحاث تثبت أن الجهاديين عادة يقومون بتجنيد وتدريب شباب من الذكور العذاب فى نهاية مرحلة المراهقة أو بداية العشرينيات. (هورجان، ٢٠٠٣). ويبدو أن السن والنوع هما العاملان الوحيدان من الناحية البيولوجية، اللذان يمكن التعويل عليهما، فى بحثنا عن عوامل وأسباب الانضمام إلى الجماعات المسلحة.(سيلك، ٢٠٠٣ب). إلا

أن هـذه الحقيقة من ناحية أخرى، لا تسـاعدنا كثيرا فى رسـم ملامـح محددة للإرهابيين المطلوب القبض عليهم. وبالتالى فهى ليست حاسمة فى عملية مكافحة الإرهاب.

(ج) الروابـط العائلية، أو روابط الصداقـة قد تلعب دورا مهماً فى انضمام الأفراد إلى جماعات مسلحة. فارتباط العائلة بمساندة جماعة مسلحة، يشجع أفرادها على الانضمام إليها. (بورجس أت أل.، ٢٠٠٥ب كروفورد٢٠٠٣). بل إن سـيجمان (٢٠٠٤) يؤكد أن هـذا العامـل من أساسـيات تجنيد أعضاء جدد، قـد تكون من خارج بـؤر الأزمات أو الصراعـات لمجرد ارتباط العائلة التاريخـى بالمجموعة. وأن هذا العامل من العوامل الأساسية التى تلعب دورها فى انضمام الشباب إلى الجماعات المسلحة، ولا يمكن اعتباره اختلالا فى السلوك. ويعزز كل من بريت وسبيشت هذه الحقيقة (٢٠٠٤). مؤكدين أن الشـواهد تدعم تكرار هذه الظاهرة بشكل منتظم بين الشباب المسلمين الذين ينضمون لجماعات الجهاد.

(د) المكانـة التـى قـد يحظـى بها الفـرد فى مجتمعـه جراء انضمامـه إلى مجموعـة تتمتع بمسـاندة المجتمـع واحترامـه. ممـا يخلـع عليـه وضعـا اجتماعيا مميـزا يكسـبه مزيدا من الاحـترام. ويلعب ذلـك دوره فى درجة الإقبال على عضويـة المجموعة (برجز أت، أل ٢٠٠٧، سـبرينجزاك ودانى، ٢٠٠٣). وهذا رغم ما تضيفه حياة الإرهابى من ضغوط وأعباء نفسية واجتماعية ثقيلة تلقى على كاهل العضو. إذ غالبا ما تفرض عليه أن يعيش فى عزلـة، أو يواجه مخاطر القتل أو السـجن. (برجز أت أل، ٢٠٠٥ب، فرجسـون أت أل) إلا أن التقديـر والاحـترام الـذى يحظى به، قـد يهون من وطأة تلـك المخاطر. وإلى جانب التقدير الاجتماعى، قد يحصل الأعضاء الجدد أيضا على مكافآت مادية أو جنسية مقابل تنفيذهم المهام التى تسند إليهم. (سيلك، ٢٠٠٣، هورجان ٢٠٠٥).

(ط) إن الانضـمام إلى عضويـة تلـك الجماعـات غالبـا مـا يكـون تدريجيـا، فالأفراد قـد يشـتركون أولا فى مجرد تراشـق بالأحجار أو يقومـون بالكتابة عـلى الحوائط بعض الشـعارات. قبل أن تتصاعد أنشـطتهم إلى درجة تدمير الممتلـكات أوالتورط فى إصابة

أو قتـل الأعـداء. (أوبيرشـل، ٢٠٠٤). وقـد أكد ذلك أفـراد كانوا أعضاء سـابقين فى جماعات مسـلحة. حيث أقروا أن البداية كانت أولا من خلال الاشـتراك فى أنشطة غير مرتبطة مباشرة بالأزمة أو الصراع.كالا نضمام إلى عصابات أو التورط فى أعمال السـطو والإغـارة، قبل الانضمام إلى المجموعات المسـلحة كمجندين فى صفوفها.(فرجسـون، فيرجز وهوليود، ٢٠٠٧) والقيام بمهام الاغتيالات أو التفجيرات.

(ف) كـما أكد الباحثـون أن دافع الانتقام أكثر الدوافع تحفيـزا للتحرك بهدف تقويم الأخطاء. هذا ما أثبتته نتائج كثير من الأبحاث. ويمكن التعويل عليه كسـبب أساسـى من أسـباب الانضـمام إلى جماعات العنف السياسـى (بورجـز أت أل ٢٠٠٥ أ، ٢٠٠٥ [٢٠٠٧، كرينشـو، ٢٠٠٣، سـيلك ٢٠٠٣ب سـبيكهارد، ٢٠٠٦). ويذخـر تاريـخ الجماعات المسلحة بالفعل بكثير من الحوادث التى يحركها دافع الانتقام أو الثأر لمجتمع معـين أو لأصدقـاء يقعون ضحايا لظلم «الآخرين» مما يدفـع ويحفز للتحرك من خلال الانضمام إلى مجموعة مسلحة.

(ق) إن الانضـمام إلى جماعة مسـلحة يتطلـب من كل فـرد فى المجموعة الاندماج الكامـل داخلهـا، بحيـث يمكن لكل فـرد أن يحل محـل الآخر، بشـكل مطلق وبغير شروط. إن هذا التطابق الكامل مع بقية أفراد الجماعة، هو الذى يساعد على تبن كامل لفكرهـا وأيديولوجيتهـا وكل مـا تؤمن به من قيـم ومبادئ. وتقدم لنـا نظرية الهوية الاجتماعيـة، تفاصيـل عن عمليـة الاندماج وما ينتـج عنها من التزام قـوى بأهداف الجماعـة (س أ ت، تاجفـل، ١٩٧٨، تاجفـل وتورنر، ١٩٧٩).كـما أثبتت الأبحاث الواردة من أيرلندا الشمالية أن البروتستانت أو الكاثوليك المؤمنين بالاندماج الكامل فى هوية المجموعة، يتميز شعورهم وسلوكهم تجاه كل ما يخص الجماعة بالولاء الكامل والقوة. ويكونون أكثر اسـتعدادا للقيام بأعمال العنف من أجلها.(كايرنز، كينورثى، كامبل وهيوستون، ٢٠٠٦، فيرجسـون ٢٠٠٩، تاوش، هيوستون كينورثى، كايرنز وكريست ٢٠٠٧).

(ك) معايشـة الفـرد لوقـوع ظلـم أو عنف ضـد أفراد عائلتـه أو أصدقائـه أو عضو مـن أعضاء الجماعة التى ينتمى إليها. وذلك سـواء كان الفـرد قد عايش هذه الأحداث بالفعـل، أم شـاهدها على شاشـات التلفاز، كما حدث مع أحد أعضـاء UVF الذين تم لقاؤهم. (انظر برجس أت أل ٢٠٠٥، ب) حيث يتعرض الفرد من جراء ذلك لصدمة أو مـا يعرف بحالـة التوتر التى تعقب الصدمة PTSD .ويؤكد سـبيكهارد أن مثل هذه الصدمـات قـد تتسـبب فى حالة من الانفصـال (ينتج عنها شـعور الفـرد بانفصاله عن جسـده أو أفكاره أو إدراكـه و/ أو انفعالاته). فيتحول تركيز الفـرد بالكامل إلى عملية الانتقام أو الدفاع عن الجماعة بغض النظر عما قد يسفر عن ذلك من تضحية بالذات، أو التعرض لشـتى المخاطر.وقد خلص فيرجسـون أت أل إلى نتيجة أن الجماعات المسلحة بأيرلنـدا الشـمالية قـد أظهـرت عـوارض الإصابة بحالـة التوتـر التى تعقـب الصدمة وارتكبـوا حوادث نتيجة لإصاباتهم بها. ومن هذه العوارض حالة من التجرد النفسـى الكامـل عن الذات. (ماكنير ٢٠٠٢، ٢٠٠٥)[1]هذا الشـعور من الانفصالية والصدمة أو الشعور بالظلم والإجحاف، يلعب دورا أساسيا فى تحفيز هؤلاء الشباب إلى الانضمام إلى الجماعـات المسـلحة كمحاولة منهـم للتعامل مع ما يعتريهم من شـعور بأنهم ضحية لمجتمع ظالم، وما يسيطر عليهم نتيجة لذلك من صدمة وإحباط.

(س) كـما كشـف البحـث أيضـا أنـه بالإضافـة إلى الاندمـاج الذاتـى الكامـل مـع المجموعـة، فـإن الارتبـاط المعنوى بنماذج مثالية مـن الأفراد التى تقوم بتنفيذ الأنشـطة المسلحة وصولا لأهداف سياسية، يلعب دورا مهماً فى استمرارية الأفراد فى هذا الطريق والتزامهم به.

ويعزز ذلك برجس أت أل (٢٠٠٥ ب) إذ اكتشـف أن بعض الأفراد من الجماعات المسـلحة بأيرلندا الشـمالية، قد سـلكوا هذا الطريـق؛ لأنهم قرروا أن يحـذوا حذو أفراد

(١) من غير الواضح ما إذا كانت تجربتهم الأولى مع العنف هى التى تسببت فى هذه الصدمة وعوارضها، أم أن الصدمة كانت وليدة تجاربهم بعد أن أصبحوا أعضاء بجماعات مسلحة تمارس العنف وترتكب الحوادث بانتظام.

محددين، اعتبروهم مثلا عليا لهم أو أبطالا، يشهد لهم بدعم الكفاح المسلح. كما اتضح أيضا بعد مقابلات أجريت مع أعضاء من جماعة حماس (٢٠٠٣) أن كثيرا منهم قد وضع نصب أعينه صور كفاح لرموز إسلامية أو ثورية، من التى قد تبنت العنف المسلح لتحقيق غايات وأهداف سياسية. مثل شى جيفارا، الذى يعتبر بطلا ثوريا.

(ش) وأخيرا فمن الواضح أنه لكى يصبح الفرد عضوا فى جماعة مسلحة، لابد من وجود ذلك التنظيم أولا الذى يعطى له فرصة الانضمام إليه والترحيب بعضويته. (سيلك، ٢٠٠٣ب) وهناك أيضا احتمال أن يكون الفرد بنفسه هذا التنظيم المسلح، كما فعل أحد الأفراد الذين تم إجراء مقابلة معه. (فيرجسون أت أل، ٢٠٠٧) أو أن يتصرف بصفة فردية دون الارتباط بأية جماعة.

وتدعم أبحاثنا هذه القائمة من العوامل والأسباب التى تشكل دوافع لارتكاب الأنشطة الإرهابية. وتضيف إليها بعض العوامل الأخرى. وقد قام برجس أت أل (٢٠٠٥ أ، ٢٠٠٥ ب) بإجراء حوارات مع ثمانية أعضاء من . IRA، UVF واكتشف أن كل من التقى بهم قد بدأوا فى ارتكاب أنشطة العنف بعد وقوع حادث محدد. اعتبروه فاصلا أو حاسما. هذا الحادث قد يكونون هم أنفسهم قد تعرضوا له، أو تعرض له فرد من عائلتهم أو فرد من المجتمع فشعروا بتعاطف كامل تجاهه. وعلى سبيل المثال فإن أحد الأعضاء السابقين لجماعة UVF قد قرر أن يسلك طريق الإرهاب بعد أن سمع أن شابا يحمل اسمه وفى مثل عمره ومن خلفية مماثلة له، قد لقى مصرعه فى انفجارات يوم الجمعة الدموى على أيدى جماعة IRA المسلحة بعد أن قامت بتفجير اثنتين وعشرين قنبلة فى ذلك اليوم المشهود من عام ١٩٧٢ ويفسر بكلماته ما حدث له فى ذلك اليوم:

> «فكرت أن الأيام التى كنت أجلس فيها ولا أتحرك قد ولت بلا رجعة»، وقررت أن أنضم إلى صفوف جماعة UVF. و سوف تسمع الكثير من القصص المشابهة لأفراد قرروا فى لحظة معينة من حياتهم أن يتخطوا ذلك الحاجز، وأن يعبروا إلى الجانب الآخر فينضموا إلى الجمهوريين أو غيرهم من الوطنيين. (برجس أت أل. ٢٠٠٥ ب، ص٢٦).

و على الجانب الآخر قررت سيدة شابة أن تنضم إلى صفوف IRA بعد أن شاهدت مجموعة من قوات الشرطة والأمن تتعرض لإحدى التظاهرات بالعنف. وتحكى تجربتها قائلة:

«شاهدت العديد من النساء والأطفال يتعرضون للضرب والعنف رغم أنهم كانوا يسيرون فى تظاهرة سلمية. بدأت أفكر أن هذا شىء سيئ للغاية... وقررت الانضمام عام ١٩٦٩، حينما تفاقم الموقف وسادت الفوضى، رأيت العديد من الأصدقاء يصابون أو يموتون فى سبيل ما يؤمنون به. وكان ذلك ما حفزنى، حقيقة الأمر، لقد كان الحزن والخوف أكثر منه الغضب. فقلت، حسنا، سوف أتبنى هذه القضية، وأحاول أن أساهم فى التغيير» (برجس أت أل، ٢٠٠٥، ص ٤٦).

إن تجربة العنف فى الشوارع تشعل فتيل الغضب، وتساعد على تزايد الانضمام إلى صفوف الجماعات المسلحة. وهو ما حدث بالنسبة لشباب أيرلندا الشمالية. ففى لقاء مع أحد الحقوقيين السلميين، جاء فى تعليقه:

أن الاشتباكات العنيفة تحفز الشباب. وقد تكون وراء انطلاق اللحظة الحاسمة فى حياتهم. تلك التى يودعون فيها حياتهم الآمنة البسيطة، وينضمون إلى صفوف الجماعات المسلحة. وهو ما شهدت عليه زيادة نسبة الانضمام إلى صفوف جماعة IRA (الجيش الجمهورى الأيرلندى).

وطبقا له:

«كان من الطبيعى أن ينضم الشباب إلى صفوف IRA بعد أحداث يوم الأحد الدموى. ولاشك أنه قد انضم بالفعل عشرة أو عشرون شابا على الأقل بعد هذه الأحداث إلى تلك الجماعة، خاصة بعد أن شاهدوا زملاءهم يقتلون أمام أعينهم». (برجس أت أل. ٢٠٠٥ أ ص ٤٦).

إن هـذه الكلـمات تبرهـن عـلى أن العنـف يولـد مزيـدا مـن العنـف، والتعامل مع التظاهـرات والتجمعـات من خلال القمع العسـكرى، ينتج عنه تلـك الدائرة اللولبية المدمـرة التى يطلق عليها كرينشـو (ص٩٥، ٢٠٠٣) «عوارض الفعل ورد الفعل» التى تشـعل مزيدا مـن الأزمات وتؤجج النزاعات. وجدير بالذكـر أنه فى كل تلك الحالات لم يكـن أفـراد بعينهم هم الهدف. بـل كان حافزهم الأساسـى هو تعاطفهـم مع معاناة زملائهم ممن وقع عليهم الظلم.

ومـع ذلـك فطبقـا لبرجس أت أل. (٢٠٠٥ أ، ٢٠٠٥ ب). قـد لا يلجـأ الأفـراد إلى طريـق العنـف بالـضرورة نتيجـة لتعرضهـم لتلك الأحـداث أو تعـرض ذويهم أو أصدقائهـم لهـا. بل إن كثيرا منهم قد يسـلك طريق العمل السـلمى أو يختـار العصيان المدنى أو لا يفعل شيئا على الإطلاق. كما أن أغلب من أجريت معهم اللقاءات يؤكدون أنهـم قد مروا بلحظات تفكير وتأمـل فى أعقاب تلك الأحداث الخطيرة التى ألمت بهم. وأنهم يحاولون من بعدها، استجماع شتات أفكارهم ليقرروا كيف يكون الرد عليها. إن مرحلة التأمل التى يمر بها الأفراد تشكل أهمية خاصة، لاسيما لمن يدعى من الإرهابيين أن طريق العنف كان هو السبيل الوحيد أمامهم، فى ظل الظروف الاجتماعية والسياسية السائدة. (كرشنو، ٢٠٠٣). كما أن الشواهد من حولنا تؤكد أن كثيرا من الأفراد الذين ينتمـون إلى مجتمعات تواجه الظلم والقمع لا يتحولـون بالضرورة إلى إرهابيين لمقاومة هـذا الظلـم. بـل إن الأحداث تثبت أن فئة ضئيلـة منهم فقط هى التـى تلجأ إلى اختيار طريق العنف المسـلح. وذلك بغض النظر عن الظلـم والقمع الذى يتعرض له المجتمع بأثره. (كرينشو، ٢٠٠٣، سيلك، ٢٠٠٣ب). هذا الاختيار إذا يكون نتاج قرار واع من قبـل الفرد يتخذه بكامل إرادته ولايكون مجبرا عليه. و لاشـك أن ما تم تجميعه من أدلة ومعلومات تسـاعدنا فى التوصل إلى أسـباب وعوامل انضمام الأفراد وغالبا الشباب إلى الجماعات المسـلحة، تكشـف عن تعقيدات وتداخلات كثيرة بـين العديد من العوامل. بعضهـا يمكـن اعتباره داخليا يعتمد إلى درجة كبيرة عـلى عملية اتخاذ القرار التى تلعب فيها الخصائص الديموجرافية دورا كبيرا، ومنها السـن والنوع وحالة العمل أو البطالة

وكذلك المستوى التعليمى، والتاريخ الأسرى والاجتماعى. ثم هناك عامل آخر لا نشك فى أهميته، وهو ما يمكن أن نطلق عليه ديناميكية العنف فى المجتمع، حيث إن كثيرا ممن أجريت معهم الحوارات نوهوا بأهميته فى تأجيج شعلة العنف والدخول فى تلك الدائرة اللولبية المدمرة من العنف والعنف المضاد. فلاشك أن تلك المجتمعات تكون أكثر عرضة عن غيرها لظهور شباب من المتمردين على استعداد للانضمام لجماعات مسلحة، بينما سوف يحاول آخرون مد يد المساعدة عند الحاجة إليها. مما يشير إلى أن الإرهاب يكون على الأرجح نتاجًا لمجتمعات تتعرض للقمع والظلم أو للحروب. ومن المثير للاهتمام، حقيقة الأمر، أن ما توصلنا نحن إليه من نتائج، مضافا إليه نتائج الدراسات السابقة، الخاصة بأسباب انضمام الشباب إلى المجموعات الإرهابية، يعتبر مطابقا لأسباب انضمام المراهقين للجماعات المسلحة الشرعية وغير الشرعية عبر العالم.

فقد أجرى بريت وسبشت (٢٠٠٤)، مقابلات مع ثلاثة وخمسين مراهقا من الذكور والإناث ينتمون إلى تسع بؤر للنزاعات. إلى جانب ضباط شبان من الجيش الإنجليزى. وجاءت العوامل التى أدت إلى انضمامهم إلى الجماعات المسلحة (و التى تتراوح بين مجموعة LITTE إلى المجاهدين)، متشابهة بشكل جوهرى للعوامل السابق ذكرها. ومنها على سبيل المثال أهمية اللحظة الحاسمة فى اتخاذ القرار بضرورة انتهاج الطريق المسلح.

إلا أن هناك نقطة أساسية : إذا كانت كل هذه الأسباب تمهد الطريق إلى العنف المسلح لتحقيق التغيير السياسى المطلوب، فإنها لا تعزز، بالضرورة، مواصلة نفس النهج حينما يسعى الأفراد إلى تحقيق مزيد من التغيير السياسى.

احتمالات مواصلة العنف فى أيرلندا الشمالية

أجرى برجس أت أل (٢٠٠٧) مقابلات مع ثلاثة من أعضاء حاليين وسابقين بمنظمة IRA واثنين من النشطاء الحقوقيين. وقد تناول معهم فى تلك اللقاءات إمكانية نجاح اتفاقية السلام التى أبرمت مؤخرا بأيرلندا الشمالية، وكذلك إمكانيات الفشل والعودة مرة أخرى إلى دائرة الصراعات والعنف العرقى - السياسى. و كان

مـن اللافت، أن تتفـق إجابة معظمهم، على أن العنف كان الطريق الصحيح لاسـتتاب السـلام مرة أخرى فى ربوع أيرلندا الشـمالية. كما أنه السـبب فى اسـتعادة حقوق الأقلية الكاثوليكيـة بالبـلاد. ولاشـك أن هـذه القناعة تشـكل تحديـا لعملية السـلام بأيرلندا الشمالية وتهديدا صريحا لإمكانية انتقال المجتمع إلى ثقافة التعايش السلمى. فقد أجمعت الآراء على مكاسب عدة حققتها سياسة الرد بالعنف، منها التشغيل والإسكان والتعليم والقوة والمركز السياسى.

ورغم أن توقيع اتفاق السـلام بأيرلندا الشـمالية عام ١٩٩٨، قد أفرز تغييرات قوية ومؤثـرة، فمـن المهم أن نسـجل أن المشـاركين فى توقيعه، لم يؤمنوا قـط أن هذا المجتمع سـوف يتحول إلى مجتمع سـلمى بالمعنى الدقيـق للكلمة. بل كانت قناعتهـم أن النار لم يخمـد وطيسـها إلا مؤقتـا، وأنها لن تلبث أن تشـتعل مـن جديد مـا إن تتوافر الظروف المواتيـة. فقـد كان الجميع يستشـعر مجتمعا أشـبه بالمجتمـع العنصرى بجنـوب أفريقيا (الأبرتايـد). وأن الفصل العنصرى الحاد بين الكاثوليك والبروتسـتانت قد اشـتد أكثر مـن أى فترة سـابقة. وأن هذا هـو سر بقاء النزاع حيا وقابلاً للاشـتعال فى أى لحظة من الزمن. (انظر شيرلو، ٢٠٠٣).

كـما كانت الأطراف المشـتركة فى توقيع الاتفـاق، على قناعة، بـأن المواطنين بأيرلندا الشمالية، يفضلون، فى العموم، وجود نوع من النزاع بين الطرفين، إذ إن ذلك يساعدهم فى تحديد هويتهم. وفى فهم العالم من حولهم.

ويلخص أحد الأعضاء السابقين لجماعة مسلحة ذلك فيما يلى:

> «هناك إدمان حقيقى لاسـتمرار النزاع هنا ... فالجميع فى حاجة إليه،
> إذ يحقق لهم الشعور بالأمن والأمان» (برجس أت أل، ٢٠٠٥ أص٧٤).

ومن الآراء أيضا أن انتشـار ثقافة المخـدرات بالمجتمع، مضافا إليها حالة اللامبالاة السياسة التى تسود المجتمع، يقفان حجر عثرة فى طريق قدرة المجتمع على إعادة تنظيم نفسه لمواجهة تحديات المستقبل.(انظر هيجنز، برسى وماك كريستل، ٢٠٠٤).

> **لأسـباب معروفـة لديهـم، فـإن الشـخص الـذى يكـون تحـت تأثـير المخـدرات، لن يكـون فى مقدوره رفع السـلاح كى يدافع عن نفسـه، فما بالنا بقدرته على الهجوم.(برجس أت أل، ٧٠٠٢، ص ٩٧).**

ولا شـك أن هـذه الآراء تكشـف أن الفصل بـين الطرفين التى نجح الاتفـاق فى تحقيقها، قد تمنع اشـتعال فتيل المعارك بينهما فى المدى القصير. إلا أنها تبقى على النزاع فى حالة اسـتعداد للاندلاع فى أية لحظة على المدى الطويل. (انظر فرجسون وكايرنز ١٩٩٦١، شيرلو ٢٠٠٣).

والأحـداث كلهـا تدل على ذلـك، ومنها الاضطرابات واسـعة الانتشـار بشـوارع بلفاست فى سبتمبر ٢٠٠٥، إلى جانب اكتشاف متفجرات بلغت قيمتها مئات الجنيهات فى أغسطس ٢٠٠٧. وقد تكرر ذلك فى شهرى فبراير ومايو ٢٠٠٩. فضلا عن إطلاق النـار عـلى جنديين وضابـط شرطة فى مـارس ٢٠٠٩. وأخيرا الهجـوم بالصواريخ على دورية للشرطة فى أغسطس ٢٠٠٨ وقد تم إحباطه.

وكل ذلك خير دليل على هشاشـة اتفاق السـلام، الذى تم توقيعه عام ١٩٩٨. وأن أحداثا بسـيطة يمكنها إشـعال فتيل النزاع مـن جديد. وأخيرا أن توقيع اتفاق للسـلام قـد لا يؤدى بالـضرورة إلى الوفاء بوعود السـلام. ومع ذلك فإن أحـداث العنف التى اندلعـت بعد الاتفـاق والاضطرابات التى وقعت لم تبلغ حد الصراع الذى كان سـائدا من قبله. وربما كان ذلك بسـبب حالة اللامبالاة السـائدة فى المجتمع، والتى قد جددت الأمل فى استمرار فترة السلام النسبى.

ثمن التضحية: الإرهاب والصدمة والعنف

كـما ذكرنـا سـابقا، فقـد صرح كل الأعضاء السـابقين للجماعـات المسـلحة بأيرلندا الشـمالية، خاصـة التابعـين منهـم للجيش الجمهـورى الأيرلنـدى، بأن الأحـداث التى تعرضوا لها من هجوم وعنف وقسـوة مورسـت ضدهم من قبل الدولة أو قوات الأمن، إلى جانـب التفتيـش المنتـظـم لمنـازلهـم، قد سـاهم فى قرارهـم بالانضـمام إلى المنظمات المسلحة.

وطبقا لسبكهارد (٢٠٠٦)، فقد تسببت تلك الأحداث فى نشأة حالة من الصدمة والانفصالية عن الذات، كانت وراء انضمامهم إلى تلك الجماعات. وغالبا بعد انضمامهم، انخرطوا فى أعمال العنف والقتل أو تدريب آخرين على القتل. أى أنهم دلفوا إلى دائرة من العنف والإجرام وأعمال كانت تمثل بالنسبة لهم من قبل أعمالا لا أخلاقية. ومن واقع اللقاءات التى تم إجراؤها مع الجانبين، الجمهوريين أو خصومهم، فقد اتضح أن انخراطهم فى تلك الأنشطة بهدف تحقيق غاياتهم السياسية، قد تسبب فى شعور دفين لديهم بالذنب والاشمئزاز من أنفسهم. ويؤكد بعضهم الندم على ذلك، وأنهم بالفعل قد تحولوا إلى وحوش من جراء تلك الأعمال التى جردتهم من إنسانيتهم وأطلقت العنان «للجانب المظلم» بداخلهم.

وعلى سبيل المثال يقول أحد الأعضاء السابقين لتلك الجماعات المسلحة:

> **أعتبر نفسى من هؤلاء الذين لا يزالون يعيشون فى الماضى، بكل ما يحفل به من فظائع. لقد كدت أن أفقد عقلى نتيجة لما قمت به من أعمال، أندم عليها الآن أشد الندم. لاشك فى ذلك؛ لذا سوف يتعين على أن أعيش ما تبقى لى من عمر، أفكر فيما اقترفته فى حق الآخرين وما تسببت فيه من آلام لهم. وحقيقة الأمر، فإنى جد آسف ونادم على ذلك؛ لذا أدعو الشباب أن يحيوا حياتهم ويقدروها ويعيشوا سعداء، يحب بعضهم بعضًا غير مبالين باختلاف الأديان.**

وعلى الجانب الآخر، فقد تحدث البعض عن ممارسة القتل دون أدنى شعور بالذنب أو الندم، بل بانفصالية وبلامبالاة كاملة، مجردة من أى شعور بالإنسانية. فقد كان همهم الأول اللحظة المناسبة لإصابة الهدف وقتل مزيد من أصحاب «البذات النظامية». وجاء فى حديث أحدهم:

> **لم أعبأ قط بالأديان أو بالأجناس، فيكفينى أنهم أعداء، وعقبة عثرة أمام تحقيق أهدافى ومعتقداتى. فلا فارق عندى إذا كان الفرد بروتستانتيًا**

أو كاثوليكيًا، صينيا أو أوروبيا. فالفيصل أنه العدو. يمكنني إذا أن أقتل أي شخص على الإطلاق.

لقد سبق القول إن حالة الانفصال المعنوي عن الذات، تعتبر من عوارض الإصابة بالصدمة أو ما يعرف بـ(PITS) والتي يتعرض لها غالبا المحاربون (ماكنير ٢٠٠٢ ، ٢٠٠٥) ويظهر ذلك بوضوح من حديث هذا العضو السابق بمنظمة مسلحة، حيث يظهر شعوره بالتوتر والذنب الذي يعقب تنفيذ القتل لتحقيق الأهداف السياسية:

إني أحاول أن أضع كل ذلك في طي النسيان. وكثيرا ما يسألني الناس عن الماضي، وما إذا كنت أفكر فيه، فتكون إجابتي بالنفي.

لقد قررت أن أنسى واخترت أن أتجنب التفكير بقدر الإمكان. قد أكون جالسا أمام التلفاز وتأتي صور من الماضي، منذ ثلاثين عاما مثلا، ولكني ألتزم الصمت، ثم تأتي مواضيع أخرى أو أنشغل بحديث آخر وهكذا. وزوجتي تعلم كل ذلك.

وتكشف دراسة قام بها جوسمان عام ١٩٩٦ وتناول فيها، موضوعا محظورا. هو موضوع قتل الإنسان لأخيه، أن الإنسان السوى لديه مقاومة طبيعية شديدة لقتل أخيه الإنسان. وهو ما تحاول التربية العسكرية أن تتغلب عليه منذ قرون من الزمن. وهذا ما يفسر أنه حينما يضطر الشخص غير المدرب عسكريا إلى الدخول في اشتباك مسلح وقتل إنسان آخر، يتعرض غالبا لأضرار نفسية هائلة. غالبا ما تعبر عن نفسها من خلال الإصابة بعوارض التوتر الذي يعقب الصدمة (PTSD)؛ لذا تعتبر حالة الصدمة، عاملا مصاحبا لعمليات التطرف، وفي نفس الوقت نتيجة من نتائج التورط في أعمال العنف المسلح.ثم غالبا ما تمتد لتساهم في اشتعال حالة من العنف الجديد في المستقبل.

الخلاصة:

تشير هذه الدراسات إلى أن التعرض الشخصي لتجربة العنف أو تعرض فرد من أفراد العائلة أو صديق مقرب أو حتى مجتمع أكبر لهذه التجربة ومعايشتها، قد يدفع

الفـرد إلى طريق الإرهاب أو الانضمام إلى جماعات مسـلحة، كرد فعل انتقامى وكنتيجة لتعاطف شـديد مـع ضحايا العنف، مما يـؤدى بدوره إلى الاصطدام بعوامل شـخصية أو اجتماعيـة لـدى الفـرد، هـى التى تدفعـه إلى الانخراط فى هـذا الطريـق. والعنف قد يكون موجها لجماعة مسـلحة أو غير مسـلحة أو إلى الدولة بشكل عام. كما تكشف هذه الدراسـات، أنه حتى بعد مفاوضات السـلام التى قد توحى بانتهاء الأزمة فإن مشاكل الهوية قد تؤجج الأزمة من جديد. فتشـتعل المعارك مجددا. ناهيك عن الأضرار النفسية التـى قد تبـدأ فى الظهور فيما بعد ويكـون ضحاياها، هم من انخرطـوا فى أعمال العنف المتواصل من الجانبين.

ونحـن نـرى أن هذه المشـاكل لابد مـن مواجهتها على وجه السرعة قبل أن يشـتعل العنـف من جديد.و لابد للمعنيين بالأمر من أكاديميين، وسياسـيين وقادة عسـكريين أن يسـتفيدوا مـن تلـك الـدروس المسـتفادة من منطقـة أيرلنـدا الشـمالية أو غيرها من المناطـق التى تعرضـت لنفس الأزمات. عند اتخاذ قـرارات مواجهة الهجمات الإرهابية أو احتوائها، أينما تظهرعبر جميع دول العالم على حد السواء.

المراجع

Benjamin, D., & Simon, S. (2002). *The age of sacred terror.* New York: Random House.

Brett, R., & Specht, I. (2004). *Young soldiers: Why they choose to fight.* London: Lynne Rienner.

Burgess, M., Ferguson, N., & Hollywood, I. (2005a). Violence begets violence: Drawing ordinary civilians into the cycle of military intervention and violent resistance. *Australasian Journal of Human Security, 1*, 41–52.

Burgess, M., Ferguson, N., & Hollywood, I. (2005b). A social psychology of defiance: From discontent to action. In M. Sönser-Breen (Ed.), *Minding evil: Explorations of human iniquity* (pp. 19–38). Amsterdam/New York: Rodolpi.

Burgess, M., Ferguson, N., & Hollywood, I. (2007). Rebels' perspectives of the legacy of past violence and of the current peace in post-agreement Northern Ireland: An interpretative phenomenological analysis. *Political Psychology, 28*, 69–88.

Cairns, E., Kenworthy, J., Campbell, A., & Hewstone, M. (2006). The role of in-group identification, religious group membership and intergroup conflict in moderating in-group and out-group affect. *British Journal of Social Psychology, 45*, 701–716.

Crawford, C. (2003). *Inside the UDA: Volunteers and violence.* London: Pluto Press.

Crenshaw, M. (2003). The causes of terrorism. In C. W. Kegley, Jr. (Ed.), *The new global terrorism: Characteristics, causes, controls* (pp. 92–138). Upper Saddle River, NJ: Prentice Hall.

Crenshaw, M. (2005, July). *'Old' vs. 'new' terrorism: Have motivations changed?* Nevitt Stanford Award Lecture at the International Society of Political Psychology, 28th Annual Scientific Meeting, Toronto, Canada.

Ferguson, N. (2009). The impact of political violence on moral reasoning: Socio-political reasoning in Northern Ireland. In S. Scuzzarello, C. Kinnvall, & K. Renwick Monroe (Eds), *On behalf of others: The morality of care in a global world* (pp. 233–254). Oxford: Oxford University Press.

Ferguson, N., Burgess, M., & Hollywood, I. (2007). *Research interviews with Northern Irish paramilitaries.* Unpublished transcripts.

Ferguson, N., Burgess, M., & Hollywood, I. (in press). Who are the victims? Victimhood experiences in post-agreement Northern Ireland.

Ferguson, N., & Cairns, E. (1996). Political violence and moral maturity in Northern Ireland. *Political Psychology, 17*, 713–725.

Grossman, D. (1996). *On killing: The psychological cost of learning to kill in war and society*. New York: Back Bay Books.

Higgins, K., Percey, A., & McCrystal, P. (2004). Secular trends in substance use: The conflict and young people in Northern Ireland. *Journal of Social Issues, 60*, 485–506.

Horgan, J. (2003). The search for the terrorist personality. In A. Silke (Ed.), *Psychological perspectives on terrorism and its consequences* (pp. 3–27). Chichester, England: John Wiley & Sons Ltd.

Horgan, J. (2005). *The psychology of terrorism*. London: Routledge.

Horgan, J. (in press). Beyond imagination, exaggeration and distortion: Towards a psychological perspective on terrorism and counterterrorism. In A. Strathern, & P. J. Stewart (Eds), *Terrorism and terror: Imagination and practice*. Duke University Press.

Hudson, R. A. (1999). *The sociology and psychology of terrorism. Who becomes a terrorist and why?* Washington: Federal Research Division.

Louis, W., & Taylor, D. (2002). Understanding the September 11 terrorist attack on America: The role of intergroup theories of normative influence. *Analyses of Social Issues and Public Policy, 2*, 87–100.

Mac Ginty, R., Muldoon, O., & Ferguson, N. (2007). No war, no peace: Northern Ireland after the Agreement. *Political Psychology, 28*, 1–12.

MacNair, R. M. (2002). *Perpetration-induced traumatic stress: The psychological consequences of killing*. Westport, CT: Praeger.

MacNair, R. M. (2005).Violence begets violence: The consequences of violence become causation. In M. Fitzduff, & C. E. Stout (Eds), *The psychology of resolving global conflicts: From war to peace: Vol. 2. Group and social factors* (pp. 191–210). West Port, CT: Praeger.

Oberschall, A. (2004). Explaining terrorism: The contribution of collective action theory. *Sociological Theory, 22*, 26–37.

Pape, R. (2005). *Dying to win: The strategic logic of suicide terrorism*. New York: Random House.

Post, J. M., Sprinzak, E., & Denny, L. M. (2003). The terrorists in their own words: Interviews with 35 incarcerated Middle Eastern terrorists. *Terrorism and Political Violence, 15*, 171–184.

Rapoport, D. C. (1988). Introduction. In D. C. Rapoport (Ed.), *Inside terrorist organisations* (pp. 1–10). London: Frank Cass.

Sageman, M. (2004). *Understanding terror networks*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press.

Shirlow, P. (2003). 'Who fears to speak': Fear, mobility and ethno-sectarianism in the two 'Ardoynes'. *The Global Review of Ethnopolitics, 3*, 76–91.

Silke, A. (1998). Cheshire-cat logic: The recurring theme of terrorist abnormality in psychological research. *Psychology, Crime and Law, 4*, 51–69.

Silke, A. (2001). The Devil you know: Continuing problems with research on terrorism. *Terrorism and Political Violence, 13*, 1–14.

Silke, A. (2003a). Preface. In A. Silke (Ed.), *Terrorists, victims and society: Psychological perspectives on terrorism and its consequences* (pp. xiii–xxi). Chichester: John Wiley & Sons Ltd.

Silke, A. (2003b). Becoming a terrorist. In A. Silke (Ed.), *Terrorists, victims and society: Psychological perspectives on terrorism and its consequences* (pp. 29–53). Chichester: John Wiley & Sons Ltd.

Smyth, M. (1998). Remembering in Northern Ireland: Victims, perpetrators and hierarchies of pain and responsibility. In B. Hamber (Ed.), *Past imperfect: Dealing with the past in Northern Ireland and societies in transition* (p. 31). Derry/Londonderry: University of Ulster & INCORE.

Smyth, M., & Hamilton, J. (2004). The human cost of the Troubles. In O. Hargie, & D. Dickson, *Researching the Troubles: Social science perspectives on the Northern Ireland conflict* (pp.15–36). Edinburgh: Mainstream Publishing Ltd.

Speckhard, A. (2006). Defusing human bombs: Understanding suicide terrorism. In J. Victoroff (Ed.), *Tangled roots: Social and psychological factors in the genesis of terrorism* (pp. 277–291). Amsterdam: IOS Press.

Tajfel, H. (1978). *Differentiation between social groups: Studies in the social psychology of intergroup relations*. London: Academic Press.

Tajfel, H., & Turner, J. C. (1979). An integrative theory of intergroup conflict. In W. G. Austin, & S. Worchel (Eds), *The social psychology of intergroup relations* (pp. 33–47). Monterey, CA: Brooks/Cole.

Tausch, N., Hewstone, M., Kenworthy, J., Cairns, E., & Christ, O. (2007). Cross-community contact, perceived status differences, and intergroup attitudes in Northern Ireland: The mediating roles of individual-level versus group-level threats and the moderating role of social identification. *Political Psychology, 28*, 53–68.

Victoroff, J. (2005). The mind of the terrorist: A review and critique of psychological approaches. *Journal of Conflict Resolution, 49*, 3–42.

Whyte, J. (1990). *Interpreting Northern Ireland*. Oxford: Clarendon Press.

الفصل الثالث

الخطاب الدينى للجهاد المسلح

بقلم: سودهانشو سارنجى وديفيد كانتر

نبذة: يستمد الإسلام الراديكالى، أو «الجهاد المسلح» قوته من مجموعة من التفسيرات المحددة لنصوص القرآن. ولا شـك أن محاولة فهم أساس هذه التفسيرات، يساعدنا فى التعرف على الفروق الأساسية بين الإسلام المتشدد والمعتدل. أو بين الجهاديين المسلحين والمعتدلين.

لذا فقد تمت مراجعة أهم التفسيرات التى يعتمد عليها الجهاديون لمعرفة المعايير التى تشكل أساس خطابهم الدينى. وتتلخص فيما يلى:

(أ) رفض الآراء التفسيرية لأئمة الإسلام. والتركيز على التفسير الحرفى للقرآن الكريم بهدف إحياء زمن السلفيين الذى يعتبر فى نظرهم العصر الذهبى للإسلام.

(ب) تطبيق حكم الله على الأرض، من خلال قانون الشريعة الإسلامية.

(ج) رفـض ومقاطعـة تامـة، لا رجعـة فيها، مـع كل أنظمـة الحكم التى هـى من صنع الإنسان. السابق منها والحالى.

(د) دعوة غير المسـلمين إلى الخيار بين اعتناق الإسلام أو قبول وضع أدنى من المواطنة. وفى حالة عدم الموافقة، فإن القتل يعتبر مباحا فى حكم الدين.

(هـ) لا تتمتع النساء بنفس مكانة الرجال، وهن فى الأساس يشكلن غواية للرجال، لذا لابد من فصلهن عن الرجال والحد من التعامل بين الجنسين، إلا فى أضيق الحدود. منعا للفتنة ومحافظة على النسيج الأخلاقى للمجتمع.

(و) إقامة الحكم الإسلامى يقع على عاتق رعاة متنورين، يشنون حربا أو جهادا ضد حكامهم المحليين الكافرين وضد أعدائهم من الأجانب الخارجين على حكم الله.

وجدير بالذكر أن الخطاب الدينى للجهاديين الذى يدعو إلى قلب أنظمة العالم من خلال حرب شاملة وعنيفة وإقامة الدولة الإسلامية بناء على تعاليم وأحكام الشريعة الإسلامية، لا يجد حقيقة الأمر ما يؤيده من نصوص فى التشريع الإسلامى. بل إن الأغلبية العظمى من المسلمين المعتدلين ترفض مثل هذا الخطاب الدينى العنيف سواء من ناحية أهدافه أو أساليبه.

المقدمة:

يطلب الإسلام من أتباعه المسلمين الإيمان بخمسة أعمدة أساسية، تعرف (بأركان الإسلام) وتشكل أساس الإيمان.

١ - الشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله.

٢ - إقامة الصلاة خمس مرات فى اليوم.

٣ - إيتاء الزكاة.

٤ - صوم شهر رمضان المكرم من كل عام.

٥ - الحج إلى مكة مرة فى العمر لمن استطاع إليه سبيلا.

ورغم أن المسلمين جميعا يؤمنون بتلك الأركان الخمسة، التى تعتبر دعائم الإسلام الأساسية. كما يؤمنون بقداسة القرآن الكريم، الذى يوحد بين قلوبهم جميعا. ويؤمنون

بإله واحد هو الله، كما يؤدون الصلاة، .فإن الاختلاف على تفسير سور وآيات القرآن وبعض المواقف تجاه الدين على درجة كبيرة من التشعب فيما بين المسلمين، وذلك على مر تاريخهم. فالاختلافات لا تنحصر فى التيارين المعروفين بالسنة والشيعة فقط، بل قد يصل الأمر فى بعض الأحيان إلى اختلافات فيما بين المسلمين تصل إلى حد اتهام بعضهم البعض بالخروج عن الإسلام أو بالكفر. مما يستوجب توقيع العقاب أو الجزاء. وقد يفضى ذلك إلى إراقة الدماء فيما بينهم.

ولم يكتف الجهاديون بإعلان أن إيمانهم هو الأقوى وإسلامهم هو الصواب. فلو حدث ذلك لكان من الممكن لبقية المسلمين وغيرهم من أصحاب الأديان الأخرى، أن يختلفوا معهم فى الرأى، أو يتجاهلوهم . إلا أنهم صعدوا من خطاب الجهاد الدينى إلى حد الحرب ضد كل من يعارضهم. مما أثار موجة من القلق وزعزع استقرار وأمن العالم.

ونتج عن ذلك سوء فهم لمصطلح الجهاد فى الإسلام. أولا: ظن البعض أنه يمثل أيديولوجية حديثة، واعتقد البعض الآخر أنه نشأ بمفهومه الراديكالى فى إطار حرب أفغانستان (١٩٧٨-٨٩). وواقع الأمر أن نشأة الأصولية الإسلامية ترجع إلى وقت أئمة العصور الوسطى مثل تقى الدين أحمد بن تيمية (١٢٦٣-١٣٢٨م). وفى القرن الثامن عشر محمد بن عبد الوهاب. (١٧٠٣-١٧٩١). وفى العصر الحديث، مثل هذا الاتجاه الإمام حسن البنا (١٩٠٦ -١٩٤٩) وكذلك مولانا أبو العلاء مودودى (١٩٠٣-١٩٧٩). ومحمد إلياس (١٨٨٥-١٩٤٤). وسيد قطب (١٩٠٦-.١٩٦٦). وكثيرون غيرهم. وقد تأثر زعيما القاعدة أسامة بن لادن وأيمن الظواهرى، بهذا الاتجاه الأصولى المتطرف. ولم يكونا بأى حال من مؤسسيه.

ثانيا: يظن الكثيرون، أن الإسلام دين متجانس، ذو اتجاه واحد، يحرض على العنف ومعتنقيه لايتميزون بالسماحة وقبول الأديان الأخرى أو احترامها. ومن هنا وجدت فكرة هانتنجتون عن«صدام الحضارات» آذانا مصغية لدى كثيرين من شعوب العالم.

وقد وصف هانتنجتون الصراع، بأنه يمثل مواجهة بين خصمين يرمز كل منهما إلى حضارة وثقافة شديدتى التباين والاختلاف. ولاشك أن فى ذلك الوصف إهدارا كبيرا لقيمة الدين الإسلامى الذى يعتبر ثانى أكبر الأديان وأوسعها انتشارا بعد المسيحية على مستوى العالم. إذ يشكل المؤمنون به واحدًا ونصف بليون فرد. و يتميز الإسلام بتعدد مذاهبه واتجاهاته.

وقد يكون من أسباب الالتباس والتخبط فى فهم جوهر الإسلام نفور معظم المسلمين من انتقاد دينهم أو مناقشة تعاليمه، خشية من عقاب الله إذا قالوا أوفعلوا ما يغضبه. ويحظى القرآن وما جاء فيه من رسائل باحترام وقدسية عظيمة بين كل مسلمى العالم باختلاف مشاربهم واتجاهاتهم.. ومن هنا كانت خشية البعض من الدفاع عن من يعتبرون من أعداء الإسلام . ويحاول المعتدلون بكل ما أتوا من قوة، أن يدافعوا عن الإسلام وتبرئته من سوء تفسير قلة متطرفة مثل «الجهاديين». حيث يتهمونهم بتشويه القرآن وتحريفه بما يتفق مع أهوائهم. ويعتقدون أنه من غير العدل أن يشوه مثل هذا الدين العظيم على يد قلة مضللة.

و لاشك أن نظرة متأنية للإسلام وتعاليمه تكشف حقيقة كونه دينا يحتمل عدة تأويلات. وبالتالى فقد يكون تفسير الجهاديين للقرآن واحدًا من تلك التفسيرات أو التأويلات.وإن لم يكن بالضرورة أكثرها انتشارا أو رواجا بين المسلمين.

وهناك آية مهمة فى القرآن الكريم(*) II:٢٥٦ تقول «لا إكراه فى الدين». وتعد كاشفة عن مبدأ قبول اختلاف الأفراد فى تفسير القرآن. فقبول تفسير محدد أو رفضه، متروك لضمائر المؤمنين وطبقا لما يرونه من قبيل مشيئة الله. وهنا كان التباين والاختلاف بين المسلمين أمرا طبيعيا طبقا لاتجاهات مختلفة فى تفسير الدين. مما يكشف عن تعدد وجوه الإسلام، بصورة تفوق ما هو معروف بشأنه. ومع وجود هذا التنوع الكبير فى الاتجاهات فإن أغلبية العلماء الإسلاميين، من كل بلاد العالم، لا يؤمنون بالتفسير الأصولى ولابتطبيق فكر «الجهاد» فى الإسلام.

(*) كل ما تم اقتباسه من القرآن الكريم، اعتمد على ترجمة N.J داوود - بنجوين (٢٠٠٣).

ثالثا: من الأخطاء الشائعة اعتبار «القاعدة» مرادفا للجهاد المسلح. فالقاعدة لم تكن المنظمـة الأولى أو الوحيـدة التى رفعت راية الإسـلام المسـلح فى العـالم.. فالتركيز على القاعـدة يتجاهل حركات الجهاد الإسـلامى التى وجدت خـارج المجتمعات الغربية، عبر القرن الماضى.

و على سـبيل المثال جماعات الجهاد التى انتشرت فى مصر واسـتمرت أكثر من سـتين عاما. وقد تكونت من كوادر قديمة لجماعات كانت موجودة فى مصر من قبل. مثل جماعة الجهـاد الإسـلامى المصرية (الجهاد الإسـلامية) والجماعـة المصرية الإسـلامية (الجماعة الإسلامية). وكل هذه الجماعات، انضمت إلى المجاهدين العرب فى كل من بلاد المغرب العربى وجنوب ووسـط آسـيا والشرق الأقصى. وقد انبثق منها جميعا تنظيم القاعدة فى نهاية الثمانينيات. (جونارتنا، ٢٠٠٢، سـاجمان، ٢٠٠٤). بالإضافة إلى جماعات جهادية أخرى وجدت ومارسـت نشـاطها فى بلاد عديدة منها الجزائر وإندونيسـيا والشيشـان وباكسـتان والهند وتشترك جميعها فى أيديولوجية واحدة، وتعتبر جميعها على درجة عالية من الخطورة وربما يفوق ضحاياها منظمة القاعدة.

ورغـم أن تنظيـم القاعـدة قد اسـتولى على اهتمام العالم، مهمشـا، حـركات الجهاد الأخرى، فإن معظم تلك الجماعات انضم إلى القاعدة مكونًا «جبهة القاعدة الإسـلامية الدولية للجهاد ضد اليهود والصليبيين وآخرين». وذلك بناء على فتوى أصدرها زعيم القاعـدة فى ٢٣ فبرايـر ١٩٩٨ ووقعها كل من أسـامة بن لادن وأيمـن الظواهرى وأبو يـاسر طـه وأمير حمـزة وفازلور رحمـن (بـن لادن، ٢٠٠٥). وتكون هـذه الجبهة تنظيما يضم جهاديى كشمير وإندونيسـيا والجزائر والمغرب والمملكة العربية السعودية ومصر وفسلطين. وتعتبر شبكة تعمل على مستوى بلاد العالم أكثر منها منظمة لها هيكل واضح.

ورابـع المفاهيم المغلوطة عن الإسـلام: يتعلق باعتبار الحـركات الجهادية، حركات إقليميـة مرتبطـة بحـدود دولة معينـة أو بهوية وطنية محـددة. ففكرة الجهاد الإسـلامى تتعـارض مـع الحـدود الجغرافيـة أو الهويـة الوطنيـة. وتلـك هـى أسـاس فكـرة الأمة

الإسـلامية. فالجهاديـون فى المملكة المتحدة يتفقون فى الخطاب والأجندة السياسـية مع الجهاديين فى مصر أو كشـمير أو الشيشـان. وقد قال سـيد قطب فى ذلك «ليس للمسلم هوية وطنية غير إيمانه» (٢٠٠٧) ص ١١٨.

وترمـز فكرة الأمة فى اللغة العربية إلى المجتمع المسـلم، بغـض النظر عن الانتماءات القبليـة أو الجغرافيـة وهى ليسـت مرتبطـة بالهوية القوميـة أو بالمفهوم الغربـى للنظرية السياسية. أو بالدولة الأمة فى الفكر الحديث.

الفقهاء والنشطاء:

وعـلى خـلاف قوانين الكنيسـة، «فـإن الشريعة الإسـلامية أو القانون الإسـلامى لم يصدر عن سـلطة عليا» وذلك طبقا لشـاخت (ص٢-١٩٩١).و هو من الرواد فى هذا التخصص. ولا يوجد ما يشبه نظام الكنيسة أو الرهبنة فى الإسلام. فالشريعة الإسلامية قد سـبقت نشـأة الدولة الإسـلامية. والجامع يعد مؤسسـة خاصة ليس من اختصاص الدولة. ومن هنا، فإن تفسـير الدين لايخضع لأية سـلطة عليـا، تملك هذا الحق. أو على الأقل من الناحية النظرية.و من هنا، يؤكد شـاخت، «أن الشريعة الإسـلامية، لم تكن فى أيـة مرحلة من مراحل تطورها متجانسـة أو متسـقة» .ويتم تفسـير الديـن على يد علماء الدين الذين يلقبون بعدة ألقاب، مثل عالم (علماء) أو فقيه أو ملا أو شيخ أو إمام. وهم يصـدرون فتـاوى تخص ما يجب عملـه (الواجب) وما يعد ممنوعـا (حرامًا) وما يوصى باتباعـه (مطلوب) ومـا يعد (مكروهـا) إلى جانب ما يعتـبر مقبولا(مباحًا). ولايخضع هؤلاء العلماء لأية مشـورة من جانب الدولة؛ لذا فعملية إصدار الفتاوى تخضع لضمير كل منهم كمسـلم مؤمن عليه أن يراعى مشـيئة الله، فيما يصدر من فتاوى.ويؤكد خالد أبو الفضل، وهو عالم رائد من علماء الدين الإسلامى، أن تلك الفتاوى، وإن كانت تمثل قوة إقناع، فإنها لا تعتبر ملزمة.

وجدير بالذكر، أنه على الرغم من أن الشريعة الإسـلامية تعتبر مقدسـة، فإنها تعتبر عملية تفسـير وترشـيد لأحكام الدين على يد الأفراد. ويؤكد شاخت (ص٤-١٩٩١)

«أنهـا ذات طابع خصوصي وفردى» . ومن المعـروف أن مدارس الفقه قد تكونت أثناء حكم الأمويين فى بداية القرن الثانى من ظهور الإسلام، فى مراكز الإسلام مثل العراق والمدينة وكل منها كان يمثل «فلسـفة مختلفة للحياة» (شـاخت ١٩٩١). وتكونت هذه الفلسـفات المتعـددة مـن تباين الآراء الخاصة بالأمـور الحياتية المهمة. كـما اختلفت من ناحيـة تركيزها على نقاط محددة من التشريع أو ما يعرف بأصول الفقه. وعلى الرغم من أن كثـيرا من تلك المـدارس قد اندثر الآن، فإن أهم المذاهب أو مدارس الفقه فى السـنة الإسـلامية قـد بقى. وهـى المذهب الحنفى والمالكى والشـافعى والحنبـلى. بينما المذهب الجعفرى والزيدى يقودان الشـيعة والمذهب الإسماعيلى لايزال يعيش بين الإسماعيليين بالهند (كولسون، ١٩٩٤، شاخت، ١٩٩١، وزيادة، ١٩٩٥).

ويتلقى المفتى تعليمه وتدريبه من خلال المصادر الرئيسية الثلاثة للشريعة الإسلامية. أولا تعاليـم القـرآن الكريم، والتى يؤمـن جميع المؤمنين بأنها تمثل كلـمات الله، كما أنزلها الوحـى على الرسـول محمد. والمصـدر الثانى هو السـنة، وتعتبر نقـلا حرفيا لأحاديث الرسول وصحابته الأربعة، وتتناول ما قالوه أو امتنعوا عن قوله أو ما فعلوا أو لم يفعلوا فى حياتهـم. ثم الأحاديث التى تناقلها الأفراد عنهم. والتى تعتبر المصدر الثالث لقانون الإسلام أو الشريعة الإسلامية.

إلى جانب ضرورة دراسـة المصـادر الثلاثة للشريعة، فإن عـلى المفتى أن يتدرب على مبادئ التشريع الأساسية كمبدأ المساواة والمصلحة العامة، والتقاليد السائدة. وكان من الطبيعـى ونتيجـة خضوع الشريعة الإسـلامية لآراء كثيرة ومدارس متعـددة. أن تتميز بالتعددية. وأن تحترم جميعها، بين المسـلمين. فكان المذهب الحنفى، مثلا، اتجاهًا ليبراليًا فى أحكامه، لذا سمى أتباعه «بأهل الرأى». على عكس مذاهب أخرى اعتمدت بشكل أكبر على الأحاديث النبوية، فلقب أتباعها «بأهل الأحاديث».

ومن هنا فإن الشريعة الإسـلامية تتشـكل إذا من المصادر الثلاثة السـابق ذكرها إلى جانـب المدارس المتعددة فى الفكر الإسـلامى، مضافا إليها القانـون الإجرائى، الخاص

بدراسة الأدلة والمبادئ العامة التى تحكم الإسلام. وطبقا لفضل (٢٠٠٦) فبعد دراسة تستغرق عدة سنوات فى مدرسة للتشريع الإسلامى، يتلقى علماء الدين إجَازة أو شهادة من لجنة تتشكل من مفتيين سابقين قبل أن يسمح لهم بممارسة مهامهم فى تفسير القرآن وإصدار الفتاوى. وهذا يكشف عن توخى الدقة فى اختيارهم. وهم عادة ما يحظون باحترام الناس وتبجيلهم.

هذا التقليد الذى اعتمد على قبول عدة تفسيرات فى التشريع الإسلامى، قد قوبل بمعارضة شديدة من قبل المفتى الحنبلى ابن تيمية. الذى اعتبر هذا الاتجاه بدعة فى الإسلام. عاش ابن تيمية فى عهد سقوط الدولة العباسية على يد المغول عام ١٢٥٨ . وقد أرجع انهيار الخلافة إلى انتشار الفساد فى المجتمع الإسلامى، نتيجة سيادة التفسيرات المتعددة للدين والتيار المجدد. ورأى أن الحل الأمثل يتمثل فى العودة مرة أخرى إلى التعاليم الأولى للإسلام واتباع ما أنزله الله فى القرآن إلى جانب السنة النبوية اتباعا حرفيا. أراد ابن تيمية استعادة ما أسماه بالعصر الذهبى للإسلام. حين كان الرسول وصحابته يحكمون المسلمين فى المدينة طبقا للأصول الأولى للدين. ويعتبر ابن تيمية رائدا فى العودة إلى السلف فى الإسلام (أى الفترة التى حكم فيها الرسول وصحابته المدينة). وكان هذا الاتجاه نحو السلفية، هو نواة تكوين الجهاد الأصولى أو السلفى فى عصرنا الحديث.

وقد سار على نهج ابن تيمية فى العصر الحديث، نشطاء جهاديون، أمثال حسن البنا وسيد قطب. الذين شككوا فى صحة آراء الفقهاء الأكثر حداثة، الذين - فى رأيهم، قد اعتمدوا على مصادر أجنبية فى التفسير . «مثل فلسفة اليونانيين ومنطقهم، أو الأساطير الفارسية القديمة والكتابات اليهودية القديمة وأديان وثقافات أخرى أجنبية» (قطب ٢٠٠٧ ص١٧) أما الرسول والصحابة فقد نهلوا من المعين النقى للإسلام: القرآن والأحاديث النبوية. وطبقا لفرج (١٩٨٦)، أحد أشهر المفكرين الجهاديين :

> **إن كلمـة الله من خـلال كتابه المقدس، القـرآن الكريم، هـى المصدر الوحيد للثقـة، وكـذا تعاليم الرسـول (صلـوات الله عليه وسـلم) وصحابتـه، هى المنار الأساسى للمسلمين. إن أسوأ شىء هو البدعة، وكل بدعة ضلال، وخروج عن أصول الإسلام.(ص١٦٠)**

وقد تجنب النشـطاء الجهاديون، اللجوء إلى الفقهاء لطلب المشورة، بل اعتمدوا على أنفسهم بحجة أن المسلمين جميعا يعتمدون فى المشورة على القرآن الكريم والسنة النبوية. (ومع ذلك فإنهم أكثروا من الاستشـهاد بآراء من يحلو لهم من فقهاء لدعم مزاعمهم). ويمثل هذا الاتجاه خير تمثيل، أسـامة بن لادن وأتباعه. وكان أسـامة بن لادن قد تخرج مـن كليـة الاقتصاد والإدارة بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، بينما تلقى نائبه ومسـاعده أيمـن الظواهـرى تعليمه فى كلية الطب بجامعة القاهـرة. وكلاهما لم يدرس أو يتلق أى تعليـم رسـمى لأصول الشريعة الإسـلامية. وبالتالى فإن كليهـما لم يحصل على إجازة أو شهادة تسمح له بإصدارفتاوى فى الدين.

وقـد بالغ الجهاديون فى تجنب الدور الإرشـادى والتنويرى للفقهاء فى التفسـير. كما تجنبوا الأحاديث الموثوق فى صحتها، وتمسـكوا بأخرى بعيدة عن روح الإسـلام وغير مؤكدة المصدر. وكان ذلك فى الأسـاس بغرض تبرير «أهدافهم السياسية فى الإسلام». (كابـل ٢٠٠٦). كما أن هؤلاء النشـطاء لم يلتزموا بفلسـفة التشريـع وأصوله فيما يخص القوانين الإجرائية المتعلقة بالمبادئ مثل المسـاواة والمصلحة العامة. وقد لجئوا إلى اختيار ما يناسـبهم من أحاديث دون أى اعتبار لمبادئ التشريع الإسـلامى وذلك بغرض دعم أيديولوجيـة العنـف والانتقـام. ويزعـم فضـل (٢٠٠٦) أن مـا قاموا بـه يعتبر «سرقة عظمـى» لروح الإسـلام الذى جرد على أيديهم، مـن تعاليمه الأساسـية التى تدعو إلى مبادئ السلام والأخوة وتروج لتعاليم التسامح.

وقد عارض قطب (٢٠٠٧) الاجتهاد فى تفسير نصوص القرآن، زاعما أن كلمات الله تحمل معنى عمليا واضحا. فهى بمثابة برنامج عملى للجهاد. وعلى المسلم أن يضع تلك

التعاليم موضع التنفيذ، حرفيا، ودون مجادلة. وقد اتهم الأجيال التى تلت الصحابة بأنها قد استخدمت تلك التعاليم فى مناقشات جدلية بغرض التسلية والترفيه. (ص١٩). وباختصار فإن قطب ومن اتبعه من نشطاء دعوا إلى اتباع فلسفة عملية فى الإسلام. هذه الفلسفة تقترب مما دعا إليه الفيلسوف الإيطالى الشيوعى أنطونيو جرامسى. (١٩٩٥). وجدير بالذكر أنه حتى قبل قطب فإن مولانا مودودى (١٩٠٣-١٩٧٩)، مؤسس الجماعة الإسلامية ببلاد الهند وكذلك حسن البنا (١٩٠٦-١٩٤٩) مؤسس جماعة الإخوان المسلمين فى مصر، قد دعيا لاستخدام العنف ودافعا عنه باسم الإسلام لتحقيق أهداف سياسية. (أدمز ١٩٨٣، كابل ٢٠٠٦).

وطبقا لنتلر (١٩٩٥)، فإن الدولة السعودية التى تأسست على أكتاف الحركة الوهابية، قد تأثرت كثيرا بأفكار الإمام الحنبلى ابن تيمية، خاصة فيما يتعلق بتفسير نصوص القرآن تفسيرا حرفيا وكذلك السنة النبوية. واعتبارها المدينة نموذجا للدولة الإسلامية أو السلف.

اعتمدت إذا المملكة العربية السعودية على المذهب الحنبلى فى التشريع. وتلجأ نخبتها السياسية والدينية لإمكانياتها المادية فى الترويج لأفكارها حول العالم.

فحين حارب أسامة بن لادن والمجاهدون الوجود السوفيتى بأفغانستان، كان ذلك برعاية الدولة السعودية ومساندتها، سياسيا ودينيا وعلى أعلى المستويات. ويذكر أن المملكة العربية السعودية إلى جانب دولة الإمارات العربية وباكستان كانت من أول ثلاث دول تبارك نظام طالبان فى أفغانستان وتعترف به وتتبادل معه علاقات دبلوماسية كاملة.

وتعتبر الحركة الوهابية نواة الجهاد الإسلامى. فقد تأسست على أيديها مدارس الدين والجوامع إلى جانب شتى الأنشطة الأكاديمية بهدف نشر المذهب الحنبلى عبر مختلف دول العالم.

وقد بدأت الخلافات تدب داخل المملكة العربية السعودية منذ أن وافق مجلس كبار الفقهاء عام ١٩٨٩ على إصدار فتوى تدعم وجهة نظر الحكام السعوديين بشأن السماح

للقوات الأمريكية بإنشاء قواعد حربية لها على الأراضى السعودية. وذلك فى أعقاب عملية عاصفة الصحراء (١٩٩٠-١٩٩١). وهى الفتوى التى تسببت فى الخلاف الذى نشب بين البيت الحاكم فى المملكة السعودية وبن لادن الذى رد بفتوى أخرى تم إصدارها برعاية لجنة المشورة والإصلاح ومقرها لندن، معلنا الجهاد ضد الرموز الدينية والسياسية بالمملكة العربية السعودية. (بن لادن، ٢٠٠٥).

وتتعدد التيارات الإسلامية التى ينتمى إليها الجهاد المسلح. حيث لا تنبثق جميعها من الحركة الوهابية. فالطالبان مثلا، قد تأسست فى مدرسة دار العلوم ديوباند Darul Uloom Dioband. والتى تعد أكبر معهد لإعداد رجال الدين ومقرها الهند وباكستان.و أغلب كوادر الطالبان قد تخرجت من مدارس متفرعة من مدرسة ديوباند بشمال غرب باكستان. وهم يؤمنون بمذهب متطرف للإسلام، تدرس تعاليمه بهذه المدارس. كما يتلقون تدريباتهم على الجهاد فى معسكرات لإعداد المجاهدين الأفغان. (رشيد ٢٠٠٢).و من المعروف أن الملا عمر الهارب ومولانا مسعود أظهر، زعيم جماعة جيش محمد الجهادية بكشمير، ومقرها باكستان، قد تعلما بمدرسة بينورى بكراتشى. وتعتبر أكبر من مدرسة ديوباند بباكستان. وطبقا لمتكلف (١٩٩٥)، فإن مدرسة ديوباند، تدرس الحديث والمذهب الحنيفى فى الإسلام مع الالتزام بتعاليم الصوفية، للوصول إلى الصفاء الروحى المطلوب. ونحن نتفق مع وجهة نظر رشيد (٢٠٠٢) فى اعتبار التيار الذى تبناه الطالبان من الديوباند، يمثل تيارا متطرفا لهذه المدرسة فى الإسلام.

وغالبا ما ينتمى مفكرو أو أصحاب أيديولوجية الجهاد الإسلامى إلى النخبة الدينية أو السياسية فى المجتمع. ومعظمهم قد تلقى تعليما جيدا، ويتميزون عادة بالجرأة والكاريزمية. المودودى مثلا كان صحفيا مؤثرا ومحررا بجريدة الجامعة. أما حسن البنا فقد تخرج من كلية دار العلوم بالقاهرة مثل سيد قطب من بعده. وأصبح فيما بعد أستاذا يحظى باحترام الجميع. أما سيد قطب، فقد كان مسؤولا كبيرا فى وزارة التعليم بمصر. أما الدكتور عبد الله عزام، ويعتبر مؤسس القاعدة، فقد حصل على إجازة الدكتوراه فى التشريع الإسلامى من جامعة الأزهر. كما عمل أستاذا قبل أن ينضم إلى

الجهاد بأفغانستان لمحاربة الاتحاد السوفيتى. أما أسامة بن لادن فقد نشأ فى أسرة من أكثر عائلات الشرق الأوسط ثراء. ودرس علوم الإدارة والاقتصاد بجامعة الملك عبد العزيز بجدة. وكذلك أيمن الظواهرى انضم إلى كلية الطب بالقاهرة وتخرج فيها طبيبا.

ومن المعروف أن الجهاديين ينتمون إلى عدة مدارس وإن كانوا جميعا يتفقون على ضرورة اتباع القرآن والسنة بشكل حرفى.

إقامة حكم الله وتدمير أنظمة الإنسان:

تقوم الشريعة الإسلامية على مبدأ التوحيد والشهادة أن «لا إله إلا الله». وهو ما يعنى أيضا أن الحكم والسيادة لله وحده (لا حكم ولا سيادة إلا لله).و هو ما يعرف بمبدأ الحاكمية.

ذكر قطب (٢٠٠٧) وهو أحد أهم أئمة الإسلام ومن أكثرهم تأثيرا:

> **إن الأرض وما عليها ملك لله وحده. وعلى الإنسان تطهير الأرض من خلال نشر كلمة الله ومبدأ «أن لا إله إلا هو». ما الإنسان إلا عبد لله وحده. ولا سيادة ولا قانون إلا من عند الله. وبالتالى فلا يملك العبد أى سيادة على غيره إلا بما أمر الله. (ص ٦٢)**

إن قانون الإسلام المقدس وهو الشريعة قد جاءت متضمنة لمشيئة الله؛ لذا فلابد أن يخضع لها عباد الله جميعا بشكل كامل وبصورة خالصة. وقد أكد أئمة كثيرون من ابن تيمية وحتى أيمن الظواهرى، على أن المجتمع الإسلامى قد حاد عن طريق الله ببعده عن الشريعة الإسلامية، وتمسكه ببدع من صنع الإنسان، مستقاة من القوانين والأنظمة الغربية. وأن هذا هو سبب تحول المجتمع الإسلامى إلى مجتمع الجاهلية. فقد أرجع بن تيمية سقوط الخلافة العباسية إلى غياب حكم القرآن. أما الظواهرى فقد أرجع انهزام المسلمين فى حربهم ضد إسرائيل عام ١٩٦٧ أو ما عرف بحرب الستة أيام، إلى ضعف «الأمة الإسلامية»، نتيجة لفشلها فى إقامة أحكام الشريعة وبناء مجتمع إسلامي موحد. ويؤكدون عدم جدوى قوانين الإنسان ما دامت الشريعة الإسلامية هى قانون

الله، الذى يجب أن يخضع له المسلمون جميعا. ولا يصح أن يتولى صياغة القوانين العملية التى أمر بها الله، إلا مجموعة من المؤمنين تؤمن بتعاليمه وتنفيذ مشيئته (نشأة مجتمع من رجال الدين). وإلا كان ذلك من قبيل الشرك بالله.

كما يعتبرون، أن طاعة رئيس الوزراء أو رئيس الجمهورية بحجة أنه قد تولى منصبه من خلال انتخاب ممثلى الشعب له، يعتبر شركًا بالله وتصرفًا مخالفًا لتعاليم الدين الإسلامى. والقانون لا يكتسب شرعية، بحجة أن ممثلى الشعب، الذين قد تم انتخابهم من الأغلبية، قد وافقوا عليه.

ويفسر جافيد إقبال (١٩٨٣) من وجهة نظره رأى الإسلام فى الديمقراطية قائلا: «إن المسلمين فى ظل الدولة الديمقراطية لا يخضعون لسيادة مطلقة، ولا لسيادة قانون، بل لسيادة الإسلام وحده، من خلال الشريعة» (ص ٢٥٣). فلا الأغلبية ولا الأقلية من حقها أن تضع القوانين. فقد جاءت كلمات الله واضحة بشكل لا لبس فيه أو غموض. والشرعية يقررها الله وحده وليس العباد.

ومن الواضح من كتابات مودودى وقطب، أن أئمة الإسلام لم يوافقوا على أنظمة الدولة أو الديمقراطيات على الطراز الغربى. بل كان هدفهم إرساء دعائم الأمة الإسلامية التى تقوم على أساس الشريعة ويحكمها رجال الدين. وذلك على أساس مساواة الجميع أمام الله.

وبما أن إقامة حكم الله تواجه مقاومة شديدة من أعداء الإسلام، لذلك فالهدف طبقا للظواهرى (٢٠٠٦، ص١٣٥) يجب أن يكون «الإطاحة بالحكومات الحالية وإقامة الدولة الإسلامية» ثم إعلان الحرب على «التحالف اليهودى الأمريكى».

هذا التمييز المزدوج لأعداء الله، يعتبر جزءا أساسيا ومتأصلا من الخطاب الإسلامى للجهاديين. كما يظهر من كتابات فرج (١٩٨٦) والظواهرى (٢٠٠٦) وآخرين. وقد قام مارك سيجمان (٢٠٠٤) وآخرون بتحليل تلك الكتابات. فالعدو الأول هو «العدو البعيد» والمقصود به العدو الأجنبى، مثل «الصليبيين والصهاينة وغيرهم». ويعتبرون

كفارا، ومشركين. وهم محتلون لأراضي المسلمين ويعملون على إخضاع المسلمين لحكمهم أو إقامة أنظمة تابعة لهم من حكام مرتدين عن الإسلام. وتعتبر الولايات المتحدة الأمريكية فى خطابهم، رأس الأفعى للعدو الأول. ثانيا الحكام المحليين المرتدين أو «شبه الأعداء» الذين فشلوا أو منعوا عن قصد إقامة دولة إسلامية تحكمها الشريعة. ويعتبرون أعوان الصليبين الكفار، أواليهود والآخرين من أمثالهم. وهم يقيمون أنظمة قامعة للمسلمين تعمل على نشر قيم المجتمعات الغربية.

وقد كان العدو الأول أو «البعيد» هو هدف المجاهدين الأوائل. حيث كان همهم محاربة الاستعمار، أما الجهاديون المحدثون مثل فرج فقد كان لهم رأى آخر (١٩٨٦):

إن أساس وجود العدو المستعمر على الأراضى الإسلامية هم هؤلاء الحكام. ولا جدوى من أن نبدأ بمحاولة وضع حد للمستعمر أولا. بل لن يكون ذلك سوى مضيعة للوقت والمجهود. إننا لابد أن نلتفت لأحولنا الداخلية : لابد من إقامة حكم الله تعالى...

ولاشك أنه لتحقيق هذا الهدف لابد من أن تكون معركة الجهاد الأولى هى استئصال هؤلاء المرتدين من الحكام وإقامة نظام إسلامى متكامل. وتلك هى البداية الصحيحة. (ص١٩٣).

وتعتبر دراسة قام بها فرج (١٩٨٦) بعنوان «الفريضة الغائبة» عرضا كلاسيكيا يمثل تحولا فى تركيز حركة الجهاد الإسلامى، ينصب على مسألة التكفير. ويعنى التكفير حرفيا «اتهام شخص ما بالارتداد عن الإسلام». وقد وجه لحكام كثر، بحجة أنهم قد فشلوا فى إقامة «الحاكمية» أو سيادة الله. كما ذكر إبراهيم كروان (١٩٩٥) ومارك سيجمان (٢٠٠٤) وجيلز كيبل (٢٠٠٦) وغيرهم. وتعتبر خطوة التكفير تكرارا لموقف قطب (٢٠٠٧) من اعتبار المجتمع الإسلامى المعاصر مجتمعا غير إسلامى، وكذلك لموقف مودودى (١٩٩٨) الذى نادى باعتبار الحاكمية هى النظام الشرعى الوحيد. وقد زعم فرج أن الحكام المحليين يستحقون القتل؛ لأنهم كفروا وارتدوا عن الإسلام.

ووصلت المناداة برفض الأنظمة التى صنعها الإنسان، ومحاولة إقامة حكم إسلامي أينما سنحت الفرصة كنقطة انطلاق لنشر الإسلام فى شتى ربوع المعمورة، الهجرة بعيدا عن المجتمعات التى تعادى الإسلام والتى تتصف بالجاهلية. وذلك على حد تفسير أيسبوزتو (٢٠٠٢). وقد حدث ذلك بالفعل لكثير من الجهاديين، أمثال بن لادن والظواهرى وغيرهم من الذين اضطروا إلى مغادرة أوطانهم إلى بلاد أخرى لإقامة حكم إسلامي.

طبقا للظواهرى، فإن الدعائم الأولى لبرنامج الجهاد، تبدأ بهدف أساسى وهو إقامة قاعدة إسلامية فى قلب العالم الإسلامى. (الظواهرى ٢٠٠٦) ويقول مفسرا:

يتحقق النصر فقط من خلال الاستيلاء على الأراضي على يد الجيش. ولن يتحقق للمجاهدين الإسلاميين النصر ضد التحالف العالمى إلا من خلال إقامة قاعدة أساسية، صلبة فى قلب العالم الإسلامى. (ص ٤١٢).

ويظهر ذلك واضحا وجليا من خلال خطاب كتبه الظواهرى يوم ١١ أكتوبر ٢٠٠٥ إلى الزرقاوى زعيم القاعدة السابق بالعراق يؤسس فيه لخطوات برنامج المقاومة العراقية:

أول خطوة: طرد الأمريكيين من العراق.

ثانى خطوة: إقامة سلطة أو إمارة إسلامية، ودعمها للتحول إلى مستوى الخلافة فيما بعد.

ثالث خطوة: مد موجة الجهاد لتشمل الدول العلمانية المجاورة للعراق.

رابع خطوة: وقد ذكرت من قبل: وتتعلق بالاشتباك مع إسرائيل، حيث إن أساس نشأتها كان يهدف إلى منع نشأة أى كيان إسلامى. (ص٢٥٥-٢٥٦).

وقد اقترب الجهاديون من تحقيق أهدافهم حينما تحقق لهم ما يتطلعون إليه فى كل من أفغانستان والشيشان. ويتمسك الجهاديون ببرنامج واحد سواء تعلق الأمر، بتحرك

محلى كما هو الحال بالنسبة للشيشان وكشمير والجزائر، أو انتقل الصراع إلى القلب، أى إلى فلسطين والجزيرة العربية: فلابد أولا من السيطرة على الأرض وإقامة الحكم الإسلامى والشريعة. ثم محاولة تصدير الجهاد إلى باقية أنحاء العالم. والاستمرار فى محاولة تحقيق تلك المبادئ إلى أن يتم إرساء حكم الله وشريعته فى كل أنحاء العالم. فالأمر مستمر بالنسبة لهم «حتى يوم الدين» ومهما طال الأمر. (الظواهرى ٢٠٠٦).

هزيمة منطق العقلانية:

إن الاجتهاد فى تفسير نصوص القرآن الكريم والسنة، من المبادئ المعترف بها فى الإسلام. ويعنى الاجتهاد الاعتماد على آراء فقهاء الدين فى تفسير مختلف جوانبه. ولذلك فالالتزام بحرفية النصوص، كما ينادى به الأصوليون يحد ويحجم من الأحكام المستقلة التى تعتمد على إعمال العقل، كما أمر الله الإنسان فى كتابه الحكيم، من أجل تدبيره لمختلف شئون دنياه. (فضل، ٢٠٠٦). وطبقا للنظرة المتشددة للشريعة الإسلامية:

> **فإن الله لم يترك شيئا لتفكير الإنسان العقلانى. إذ قد توصل عز وجل، إلى أحكام تامة ومطلقة بشأن أمور البشر جميعا، وما على العباد سوى الطاعة........**
>
> **ويؤكد فضل أن هذه المقولة تتعارض مع مبدأ حساب الله للإنسان على أعماله فى الدنيا، إذا هو لم يترك له أى حيز من الاختيار، ولا ينتظر منه سوى الطاعة العمياء. ولأصبح المسلمون جميعا مجرد مخلوقات آلية وليس أكثر. (ص ٨٥١-٩٥١)**

ومن معوقات التطور، هو عدم اعتراف الفكر الإسلامى الأصولى المتشدد بالمجتمعات الغربية الحديثة، التى تجسد فى حقيقة الأمر، إبداع الإنسان وبراعته. حيث إن المجتمع الإسلامى من وجهة نظر المتشددين، يجب أن يطابق مجتمع السلف، البعيد عن كل مظاهر العصرية بكل مؤسساتها أو قوانينها التى هى من صنع الإنسان. فالقانون هو قانون الله ومن ثم يجب الالتزام بحرفيته. ولايخفى أن الحكومات الدينية

التى نشـأت وتكونت على أسـاس نظام الشـورى، لم تقم على أسـس واضحة ومفصلة للحكم ومبادئه؛ لذا فهى لا تعدو أن تكون نوعا من الديكتاتورية التى تحاول أن تكون عادلـة. وهى تقـوم على أسـاس المنفعة العامـة، لا الربح. وتعمل من خـلال توصيات مجلس يتكون من علماء الدين.

ثم إن مبدأ ضرورة التخلص من كل الأنظمة التى صنعها الإنسان وإقامة نظم دينية للحكـم مكانهـا، لا يعتـبر هدفا قابـلا للتنفيذ عمليـا. ويمكن أن نتصـور حجم الدمار والفوضى الذى يمكن أن يسود البلاد إذا ما تحقق ذلك.

وأشـد ما يؤلم المعتدلين من المسـلمين، صورة الإسـلام أمام العـالم، كدين يقوم على أسـس ضد القيم العالمية التى تسـود العـالم الحديث من ديمقراطيـة أو دفاع عن حقوق الإنسان.

ويؤكـد فضـل (٢٠٠٦) أن الإسـلام الحقيقـى، عـلى العكـس من ذلك فهـو مؤيد للديموقراطية ومعترف بحقوق الإنسان، ويمثل ثقافة تقوم على أساس التسامح وقبول الآخر.

وحتـى يتحقـق هـذا التصالح مـع الإسـلام، ومن أجل صـورة أفضل لـه فى عيون الآخرين، فلابد من تفسير الإسلام فى إطار تاريخى أكثر شمولا، يضع فى اعتباره المبادئ التـى قامـت عليها الشريعة الإسـلامية من مسـاواة ومراعـاة للمصلحـة العامة لجميع الأفراد (تحقيق مصالح العباد).

ومن وجهة نظر المعتدلين، فلا يوجد أى سـبب لتخلى المسـلمين عن مبادئ الترشيد العقلانـى، ومنهـا مبدأ الاجتهاد فى تفسـير الشريعة الإسـلامية. الذى يشـكل أسـاس ثراء التشريع الإسـلامى واتسـاعه ليشمل عدة تفسـيرات. بدلا من التمسك باتجاهات متشـددة فى الإسـلام تعمل على تفسير النصوص تفسـيرا حرفيا وتنبذ القيم التى قامت على أساسها المجتمعات الحديثة من ديمقراطية ومراعاة لحقوق الإنسان.

ثقافة الغرب والجاهلية:

ترمز فترة الجاهلية إلى فترة حالكة من تاريخ البشرية، سبقت الإسلام وسادها الجهل بأوامر الله والسلوك الصالح والمعرفة. وعلى هذا الأساس فهى تعتبر عكس الفترة التى عاصرت بزوغ الإسلام، وما واكبها من معرفة بأوامر الله والسلوك الصالح. فمن المعروف أن الإسلام كان له تأثير نوعى على المؤمنين به الذين تحولوا من حالة الجاهلية إلى نور الإسلام بما يحمل من حكمة ومعرفة وهداية. (نيوباى ٢٠٠٦، ص١١٢).

وحقيقة الأمر فإن المسلمين جميعا هم عاشوا فترة الجاهلية قبل أن ينزل الله القرآن الكريم على سيدنا محمد. ولكن يبدو أن الأمر يختلف من وجهة نظر قطب، ، ففترة الجاهلية طبقا له، تمتد لتشمل ليس فقط الفترة التى سبقت نزول القرآن وانتشار الإسلام، بل أيضا العالم المعاصر. إذ يرى أن الجاهلية كما تضم غير المسلمين، فهى تضم المجتمعات الإسلامية المعاصرة أيضا. وهو يؤكد ضرورة مقاطعة مجتمعات الجاهلية وقبول قانون الله بلا جدال، والتوحيد بالله وعدم الشرك به والخضوع الكامل لأوامره. وهو يؤمن أن مصدر الإيمان بالله وممارسة ما أمرنا به، هو القرآن الكريم فى صورته الأولى بدون أى مؤثرات من الشرق أو الغرب.

كما يرفض قطب أى شكل آخر مستجد للإسلام كأن يكون هناك، على سبيل المثال، ما يمكن أن يطلق عليه «إسلاما ديمقراطيا» أو «إسلاما اشتراكيا» أو قبول الأنظمة السياسية أو الاقتصادية المعاصرة بعد إدخال بعض التعديلات عليها. وفى رأيه أن أى بعد ولو بقدر ضئيل، عن الصورة الأولى للإسلام سوف «يعكر نبعه الصافى ويكدر صورته المثلى» .

إن المجتمع الإسلامى الأمثل يتطلب ثورة راديكالية شاملة على كل مظاهر ومعتقدات الحضارة الحديثة. وبغير هذه الثورة فإن المجتمع سوف يظل يعيش حياة الجاهلية، حتى لو تمسك بفرائض الإسلام من صلاة يومية وصيام شهر رمضان وإيتاء الزكاة وأدى أفراده فريضة الحج. قطب (٢٠٠٧).وطبقا له:

> إن الإسلام لا يقبل أن يتعايش مع أى مظهر من مظاهر الجاهلية أو شكل من أشكالها. والإسلام واضح ولا يقبل أنصاف الحلول.فإما يسود مجتمع الجاهلية الذى تسيطر عليه أهواء الأفراد ورغباتهم، أو يسود مجتمع إسلامي صحيح. يأتمر بأوامر الله وتحكمه شريعته. (ص١٣٠)

ويؤكد قطب «أن أهم واجب للإسلام هو إزاحة حكم الجاهلية وسيطرتها على المجتمعات فيأخذ منها زمام الحكم» (ص١٣). وهو يعارض الآراء التى تزعم تفوق المجتمعات الأوروبية على المجتمع الإسلامى، إذ لا يرى فيها سوى مجتمعات «جاهلية».وفى ذلك يقول:

> إن المجتمعات الرأسمالية، تسودها الاحتكارات وهى مجتمعات تتعامل بالربا وغيره من أساليب غير عادلة. كما ينتقد الحرية الفردية فى تلك المجتمعات، ويرى أنها تخلو من التعاطف الإنسانى والمسئولية تجاه الأقارب إلا فيما يفرضه القانون فرضا؛ لذا فهو يصف تلك المجتمعات بالمادية التى تفتقد إلى دفء الروح. كما أنه ينتقد أيضا ما أسماه بالسلوك الحيوانى لدى هذه المجتمعات الذى يبيح «اختلاط الرجل والمرأة» تحت مسميات مختلفة مثل «تحرر المرأة» الذى لايعدو أن يكون مظهرا من مظاهر السوقية، التى تتعارض مع متطلبات الحياة العملية.. وهو يرى أن الإسلام على العكس من ذلك دين منطقى تسوده مظاهر الإنسانية وجمال الروح وسموها الذى يكاد يلامس الآفاق. ويسعى الإنسان المسلم دوما إلى الوصول إليها. (ص ١٣٩).

وتختلف آراء قطب، حينما يتعلق الأمر بعلوم الغرب أو المنح الغربية. فهو يؤمن بحاجة المجتمع الإسلامى إلى تعلم العلوم المجردة مثل الفيزياء والهندسة والطب والرياضيات وعلم الأحياء والتى حقق فيها الغرب تقدما ملحوظا. إلا أنه يناشد المسلمين البعد عن العلوم الأخرى، التى تعتبر فى نظره علوما ليبرالية مثل العلوم السياسية أو علم

الفلسفة. إذ إنها فى رأيه تنطوى على آراء غير متفقة مع روح الإسلام وتعاليمه. وهى فى عرفه علوم آثمة وضارة. كما يجب على المسلمين الابتعاد عن العلوم والنظريات التى لا تخضع للتجربة العلمية والاختبار؛ وبالتالى لا يمكن أن نجزم بصوابها. مثل نظرية داروين للتطور أو نظرية فرويد التى تعتمد على أسلوب التحليل النفسى. كما يدعو المسلمين إلى اللجوء إلى الإسلام وحده فى كل ما يتعلق بأمور الإيمان والدين والقيم. وهو يزعم أن القرآن قد حث على ذلك، من خلال بعض آياته التى جاءت متضمنة لهذا المعنى، إذ ذكرت أن الكفار سوف يحاولون دوما أن يخرجوا المسلمين عن طريق الصواب والهداية، من خلال تآمرهم على دينهم الجديد.

ويزعم قطب (٢٠٠٧) وغيره من النشطاء أن الغرب اعتاد محاربة الكنيسة للعلوم، ومن هنا جاءت معاداته للدين الإسلامى أيضا. إلا أن الأمر يختلف بالنسبة للإسلام حيث إن هناك وفاقا لا خلافا بين علوم الإسلام والإيمان. كما يحاول الإسلاميون أن يبرهنوا أن هناك مؤامرة غربية متعمدة ضدهم تحاول أن تحكم خيوطها حول المجتمعات الإسلامية من خلال خطة محكمة للغزو الثقافى، المتمثل فى أشكال مستجدة من الفنون الحديثة وأنماط مستحدثة غريبة عن المجتمع الإسلامى وطرق معيشته فى زمن نقائه الأول. وذلك فى محاولة لتقويض أركان المسلمين فيضعف المسلمون، وتذهب قوتهم وبأسهم الذى اشتهروا به فى ظل حياة السلف الصالح؛ لذا لابد من أن ينأى المجتمع الإسلامى بنفسه بعيدا عن المؤثرات الخبيثة للغزو الثقافى.

وكما يحدث بالنسبة لكل الأديان الأصولية، فإن الإسلاميين يؤمنون بأن عليهم أن يعزلوا المسلمين عن كل مظاهر العولمة الحديثة من خلال تحريم مشاهدة مختلف قنوات التلفاز أو استخدام الشبكة الدولية الإلكترونية (الإنترنت) أو الانفتاح على أشكال الفنون الحديثة. بما يحقق لهم «عزلا ثقافيا» محكما عن الثقافة المعاصرة وشتى مظاهرها. وهم لا يختلفون فى ذلك عن جماعة اليهود الأرثوذكس المتعصبة أو جماعة الآمش فى بنسلفانيا.

وطبقـا لفضل (٢٠٠٦)، فإن إصرار الأصوليين على عـدم قبول كل ما هو حديث، يعتبر وسيلتهم فى التعبير عن اختلافهم وتمسكهم بهويتهم. فهم لا يستخدمون معجون الأسـنان مثلا، بزعم أن الرسـول محمـدًا لم يكن يسـتخدمه. فقضية الارتباط بالسـلف مهمـة جـدا فى الفكـر الأصـولى المتزمت. وهـم يتخيلـون إمكانية الحيـاة فى ظل مجتمع السـلف الأمثـل. «وكلما نأوا بأنفسـهم عـن الحياة العصريـة أصبح مجتمع السـلف هو النمـوذج الأمثـل فى نظرهم. مما يفاقم من كرههم لكل ما هو حديث أو عصرى» فضل (٢٠٠٦- ص١٧٤).

التعامل مع غير المؤمنين

ينص الجزء الثانى من شـهادة أن «لا إله إلا الله»، أن «محمدًا عبده ورسوله». ويؤمن المسـلمون أن الله قـد أرسـل ١٢٤٠٠٠ رسـول(*) لهدايـة الناس، وأن محمـدًا هو خاتم الأنبيـاء ومكمل الدين الحق لـكل البشرية. ويؤمنون أيضا، أن الإسـلام هو الحل وهو طريـق الخـلاص لجميع الناس. وهـم فى ذلك لا يختلفـون عن المؤمنين بـأى دين آخر؛ لذا كان المسـلمون على قناعة بأن المؤمنين بالرسـل من نسل سيدنا إبراهيم عليه السلام، مثل موسـى وداوود وعيسـى لابد أن يعتنقوا آخر الأديان ويؤمنوا بخاتم الأنبياء. وأن الإسـلام هو أفضل الأديان لأنه مكملها. والشريعة تمثل أحكام الله وفيما عداها لا يتفق مع مشـيئته. بل إن الإسـلاميين يرون أن ذلك هو السـبيل الوحيد لإنقاذ غير المسـلمين والمسلمين الذين لا يمارسون فرائض دينهم على وجه الحق، من لعنة الله وغضبه.

ويقسـم نشـطاء من أمثال قطب وفرج العالم إلى معسـكرين: المؤمنين وغير المؤمنين أو الكفار. مما يحول العالم إلى ميدان كبير لمعركة مسـتمرة ومتواصلة بين الطرفين. وهذا المفهـوم يشـكل، حقيقـة الأمر، نـواة الفكر الجهادى ولغـة خطابه. وهم يطلقون اسـم «دار الإسـلام» عـلى الدول التـى تطبق الشريعـة على مواطنيهـا.و فيما عـدا ذلك يعتبر «دار حرب» أو «دار الكفر» . فتطبيق الشريعة إذا هو أسـاس هذه التسمية. وبالتالى فإن الدولة المسلمة التى لا تطبق الشريعة لا يمكن اعتبارها «دار إسلام».

(*) المسـلمون يؤمنـون أن الله أرسـل رسـلاً منهـم مـن نعلمهـم ومنهـم مـن لا نعلمهـم دون تحديـد للعدد. (المترجم).

وفى عرفهم هناك علاقتان فقط تربطان بين المسلم و«دار الحرب»، إما الحرب أو الاتفاق الذى يكون فى شكل تعاقد مؤقت ينتهى بانتهاء المدة أو بخرق الاتفاق. مما يعيدنا إلى حالة الحرب مرة أخرى بين الطرفين. ويعتبر غير المسلم الذى يرفض اعتناق الإسلام، من أهل الذمة. ولا يسمح له أن يتقلد مناصب رفيعة داخل الحكومة أو الجيش. كما يعتبر المكان الذى يمارس فيه عبادته، أقل درجة من الجامع. ويقوم بدفع الجزية. وهى نوع من الضرائب التى يدفعها غير المسلمين فى ظل الحكم الإسلامى. ولكنهم لا يدفعون الزكاة التى تعد إلزامية للمسلمين. وإذا رفض أهل الذمة هذه الشروط ورفضوا، فى الوقت ذاته، اعتناق الإسلام، فهم يصبحون عندئذ فى حالة حرب مع الدولة الإسلامية.

ويحاول المعتدلون أمثال فضل (٢٠٠٦)، أن يبرهنوا أن القرآن لا يقسم العالم إلى «دار إسلام» و«دار حرب». فيقولون، إن التفرقة الوحيدة التى ذكرها القرآن كانت بين حياة الدنيا والآخرة. كما يستشهد المعتدلون فى هذا الخصوص، بآيات من القرآن الكريم، تظهر احترام الإسلام لأصحاب الأديان الأخرى من يهودية أو مسيحية. حيث يطلق عليهم القرآن، أهل الكتاب. وكثيرا ما يشار إلى تلك الآيات باسم آيات السلام. ومنها:

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ (سورة العنكبوت. الآية ٤٦).

وفى حالة اختلاف المسلمين مع من يؤمنون بأديان أخرى، فعليهم أن يبرهنوا لهم أن خلافهم غير شخصى بل هو اختلاف فى الآراء ولا يفسد للود قضية. وأنهم لا يحملون لهم فى النفوس أية عداوة أو ضغينة. بل يتمنون لهم السلام. (سورة الزخرف : الآية ٨٩ - سورة القصص : الآية ٥٥- سورة الفرقان: الآية ٦٣)

كما يؤكد فضل (٢٠٠٦)، وغيره من المعتدلين، أن القرآن يشمل أيضا أهل الكتاب من مسيحيين ويهود برحمته. ويحذر فى كثير من آياته المسلمين من التكبر على غير المسلمين. وأن الله، هو الذى يتولى حسابهم على أعمالهم وليس البشر. وقد جاء فى القرآن:

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ، وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة آل عمران: الآية ١٢٨).

وكان رد فعل الجهاديين على اعتدال وسماحة سور السلام، أن ردوا عليها بآيات من (سورة التوبة: الآية ٥).

﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾.

ويستشهد الجهاديون بتلك الآية كثيرا لتبرير قتل غير المسلمين على أساس أنها البرهان على استباحته. ولكنهم يتجاهلون الجزء المكمل لنفس الآية ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

ولاشك أنه على مر الأزمنة، قد وجدت أديان تدعو أتباعها إلى محاولة إقناع أتباع الأديان الأخرى، بالدخول فى الدين الجديد. إلا أنه فى العصور الحديثة لم يكن يحدث ذلك بحد السيف. والإسلام دين سماحة وتشهد على ذلك آيات عديدة من القرآن. ومنها:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾. (سورة المائدة: الآية ٦٩).

وهناك الكثير من الآيات القرآنية الأخرى، التى تدعو فى مواقع متعددة من السور إلى احترام الأديان الأخرى والتسامح مع أتباعها وإلى حسن معاملة الغير. على سبيل المثال (سورة البقرة: الآية ٦٢- سورة الحج: الآية ٣٤- سورة آل عمران: الآية ١٩٩). إلا أن الجهاديين يتنكرون لمثل هذه الآيات ويتجاهلونها بحجة أنها لم تعد صالحة فى وقتنا الحالى، أو أن الله يسمح بالتغاضى عنها وقت الجهاد. وطبقا لفضل (٢٠٠٦)، فإن الجهاديين يتجنبون الآيات التى تتعارض مع أسلوبهم حتى يتهربوا من مسئولياتهم تجاه ما يرتكبون من جرائم فى حق الإسلام.

إن القرآن جاء متضمنا لآيات تدعو إلى القتال إلى جانب آيات أخرى تدعو إلى السلام والتسامح. . وتغليب إحداهما على الأخرى، مسألة تتعلق، فى نهاية الأمر، بتفسيرعدة مدارس فى الفكر الإسلامى.

مركز المرأة

لا شك أن نظام الطالبان بأفغانستان كان يمثل أسوأ نظام لمجتمع أبوى شهده العالم، على مر الأزمنة والعصور. مارس هذا النظام التفرقة القمعية ضد المرأة بدعوة العودة إلى دين السلف وحكم الشريعة وأئمة الإسلام.ويعتبر هذا النظام المتوغل فى تطرفه ضد المرأة، أقرب إلى وجهة النظر الوهابية المغالية فى التشدد تجاهها. وإن كان الطالبان قد بالغوا فى التزمت حتى سبقوا الوهابيين أنفسهم. ويمكن تلخيص وجهة النظر المتطرفة ضد المرأة فيما يلى:

أولا: إن الله قد فضل الرجال عن النساء وأسند لكل جنس مهمته فى الحياة. وأن أى اعتراض أو خروج على مبدأ عدم المساواة بين الجنسين يعتبر تمردًا على مشيئة الله. وما على المرأة إلا الطاعة والقبول بمشيئته عز وجل.

ثانيا: يضمن الإسلام للمرأة العدل والكرامة، رغم عدم مساواتها بالرجل.

ثالثا: المرأة بطبيعتها تمثل غواية للرجل؛ لذا لابد من حماية الرجال من تلك الغواية التى قد تتحول إلى فتنة تصيب نسيج المجتمع الأخلاقى فى الصميم. وتبعد المؤمن الصالح عن طريق الهدى.وحتى يتسنى لنا ذلك لابد أن نسيطر على الرغبة الجنسية المتبادلة بين الرجل والمرأة، من خلال فرض القيود على المرأة وعلى اختلاط الجنسين. والمرأة تحمى نفسها بارتداء الحجاب الذى يتميز بالحشمة حتى لا تتعرض لتحرش جنسى أو اعتداء من قبل الرجال.

وكلما التزمت المرأة بالحشمة فى زيها والتواضع فى ملبسها، نأت بنفسها عن نظرات الرجال الطامعة فيها. فالمرأة لا تتجمل إلا لزوجها. وترتبط هذه الأفكار عن صون

المرأة بأهمية الأسرة كنواة أساسية للمجتمع. وأن الدور الأساسى للمرأة الذى خلقت من أجله هو أن تكون اما صالحة تتولى تربية ورعاية أطفالها. فهى المهمة الأساسية التى أسندها الله إليها؛ لذا عليها أن تتفانى فى إخلاصها لدورها فى الحياة. بينما تقع على الزوج مسئولية العمل خارج المنزل وحماية أسرته.

يزعم الجهاديون أن المجتمعات الإسلامية أسمى المجتمعات لحفاظها على المرأة واحترام دورها الأساسى فى تكوين الأسرة الصالحة، التى تشكل نواة المجتمع. وطبقا لقطب (٢٠٠٧).

> ... إن المجتمعات التى تكون فيها العلاقة بين الرجل والمرأة أساسها، الانجذاب الجنسى، والتى تتخلى فيها المرأة عن مسؤوليتها الأساسية كأم وزوجة، فتهدر طاقاتها وتتجاهل استعدادها الطبيعى الذى وهبها الله إياه. وهو تربية أطفالها وتكوين أسرة صالحة.وتفضل عنه، العمل خارج المنزل. وسواء كانت هذه رغبتها أو أنها تتصرف تحت وطأة من ضغوط اجتماعية، فتصبح مضيفة فى فندق أو على طائرة أو موظفة فى شركة. فسوف يتحول المجتمع نتيجة لذلك، إلى مجتمع متخلف، يعيش مرة أخرى حياة الجاهلية. (ص٩٨)

وهذه النظرة المحافظة والمتشددة فى التعامل مع المرأة تنبع أساسا من تعاليم عبد الوهاب (١٧٠٣-١٧٩١) ومن تلاه من أجيال من الفقهاء الوهابيين، الذين تمعنوا فى الحط من قدر المرأة والإقلال من شأنها وقصر دورها على مجرد القيام بأمور البيت وخدمة الزوج. كما يعكس تحكم المجتمع الذكورى وسيطرته على المرأة بزعم حمايتها من الآخرين. ومن مظاهره فرض ارتداء الحجاب أو الخمار. وكل هذه الممارسات كانت تعد من أساسيات الحفاظ على تماسك المجتمع وأخلاقياته.

ومن ناحية أخرى، فإن رأى المعتدلين أمثال فضل (٢٠٠٦) أنه من أجل فهم نظرة الإسلام للمرأة ودورها فى المجتمع، لابد من وضع الإسلام فى إطار تاريخى والتوعية بدوره فى حركة الإصلاح. وبالتالى فليست هناك قيود تمنع استمرار مسيرته الإصلاحية. وهذا يتماشى مع مبادئه الأساسية باعتباره دينا إنسانيا، يسمو بالأخلاقيات ويقدر

الجمال. ويستدلون على وجهة نظرهم، من خلال تأكيدهم أن من أول الممنوعات التى نادى الرسول بتحريمها كانت قتل الأطفال. كما يؤكدون أن المرأة كانت تحصل على مزيد من الحقوق، من خلال رفع شكواها إلى الرسول أثناء قيادته للأمة الإسلامية، حيث عرف بنصرته للمرأة ولحقوقها.

لقد حقق الإسلام ثورة على العادات والتقاليد التى كانت سائدة أثناء العصور الوسطى، عندما كان يسمح للرجل بالاحتفاظ (بالحريم) أو الارتباط بأى عدد من النساء. فقام الإسلام بتحديد عدد الزوجات بأربعة نساء فقط.

و أعلن الإسلام أن تجارة الرقيق من النساء محرمة. وشجع الزواج وبناء الأسرة لتقنين العلاقات الجنسية وتحقيق الأمان المادى للمرأة. وأصبح على المرأة أن تنتظر شهرين بعد انفصالها عن زوجها قبل الزواج مرة أخرى (وهو ما يعرف بأشهر العدة) هذه الإجراءات الإصلاحية، كان الغرض منها تأمين المرأة ضد التعسف والقمع الذكورى. وبهدف أن تعيش المرأة حياة كريمة على هدى من تعاليم الدين وبما أمره الله. وقد استجاب النبى محمد إلى شكوى المرأة ورفع عنها القمع التزاما منه بما جاء فى آيات الله البينات، التى أكدت على المساواة بين الرجل والمرأة. ومن الآيات التى وردت فى القرآن الكريم فى هذا الخصوص نذكر :(سورة آل عمران: الآية ١٩٥، سورة النساء: الآية: ١٢٤، سورة النحل: الآية ٩٧، سورة الأحزاب: الآية ٣٥، سورة غافر: الآية ٤٠، سورة الحجرات: الآية:١٣ وغيرها). ومن سورة الأحزاب نذكر الآية ٣٥:

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾

كما يؤكد المعتدلون أن مزاعم المتشددين، التى تصر على أن الدولة الإسلامية يجب أن تلزم المرأة بارتداء الحجاب مراعاة لاعتبارات الحشمة، ليس لها أساس من الصحة.

حيث إن الحجاب ليس فرضا من فروض الإسلام. وإنما ارتداؤه يخضع لاختيار المرأة الحر، وهو فى النهاية قرارها وحدها تتخذه بصفة شخصية. «فلا إكراه فى الدين»، بل إن التسامح من مبادئ الإسلام الأساسية. كما أن استخدام القوة لعزل النساء والحيلولة دون تعليمهن أو منعهن من ممارسة أنشطة منتجة أو مفيدة تشكل «إكراها» وبالتالى تعتبر محرمة إسلاميا.

إلا أننا من ناحية أخرى، لا يمكن أن نجزم أن نظرة المعتدلين للمرأة تطابق نظرة المجتمعات الغربية لها. فلا يزال المسلمون المعتدلون، يفضلون حشمة المرأة وتقديسها للحياة العائلية. ولكنهم فى الوقت ذاته، ضد حجب التعليم عن المرأة أو منع خروج النساء للعمل فى شتى ميادين الحياة. وهم يذكرون دوما عائشة، إحدى زوجات الرسول، باعتبارها نموذجا يحتذى به للمرأة المسلمة. حيث كانت تحارب فى صفوف المسلمين، بل يقال إنها قد قادت الجيوش فى بعض المعارك. كما لعبت دورا مؤثرا فى تفسير القرآن بعد وفاة الرسول. أما فيما يتعلق بتعدد الزوجات فى الإسلام، وعلى الرغم من أنه اعتبر محللا فى ضوء ظروف سادت فى العصور الوسطى. وشريطة أن يعدل الزوج بين زوجاته، فإنه لا يعتبر فرضا أو واجبا فى الإسلام. ومن المعروف أن تونس قد جرمته وأعلنت عدم شرعيته باعتباره لا يتماشى مع عدالة الإسلام. أما تركيا فقد منعته باعتبار أنه لم يعد يصلح للمجتمعات العلمانية العصرية. وكثير من الدول والمجتمعات الإسلامية الأخرى قد حاولت منعه باللجوء إلى عدة تفسيرات. إلا أنهم قد فشلوا حتى الآن فى إعلان عدم شرعيته بصورة رسمية مثل تونس وتركيا.

الجهاد والإرهاب

من المبادئ الأساسية فى فكر الجهاد الإسلامى، كما سبقت الإشارة إليه، إحياء حياة السلف، وإقامة حكم الشريعة الإسلامية، هكذا تنتهى من وجهة نظرهم، حياة الجاهلية. كما أن إقامة حكم الله وشريعته تتطلب قلب أنظمة حكم الأفراد. ويتم ذلك من خلال جيش الطلائع الذى يتولى المسئولية. ويبدأ الأمر بدعوة الناس حتى

يتحولوا من حياة الجاهلية إلى حياة السلف الصالح وحكم الله. إلا أن طريق الدعوة السلمى، قد لا يفضى بالضرورة إلى النتائج المرجوة، خاصة وأنه يواجه بمقاومة من قبل الحكام المحليين والنظام العالمى. ويستدل الجهاديون على ذلك من موقف العالم الرافض لانتصارات حماس فى انتخابات عام ٢٠٠٦ أو انتصار الجماعة الإسلامية بالجزائر فى انتخابات ١٩٩٢؛ لذا فإنه كى تتحقق العودة الحقيقية لحياة السلف، لابد من الإلغاء الفعلى لكل أشكال المعارضة والمتمثلة فى: أ- الحكام المحليين المرتدين والذين يمارسون القمع ضد جيوش الطلائع الإسلامية. ب-الكفار الأجانب، المساندين لأنظمة الحكم المحلية من خلال التفويض أو الاحتلال السافر. ج- الصليبيين أو الصهاينة الذين أعلنوا الحرب على الأمة الإسلامية. ومن هنا كان لزاما على جيش الطلائع الإسلامى أن يدافع عن الأمة الإسلامية، فيشن حربا مسلحة ضد هذه القوى الغاشمة باسم «الجهاد» وطبقا لما ورد فى القرآن الكريم.

إن أساس حركة الجهاد كانت دائما «الدفاع عن الأراضى الإسلامية» ضد المستعمرين الكفار.

وهو أيضا أساس الفتوى التى أصدرها الدكتور عبدالله عزام (٢٠٠٨) ضد الروس بعد احتلالهم أفغانستان عام ١٩٧٩. وكانت بعنوان «الدفاع عن الأراضى الإسلامية: الفريضة الأولى بعد الإيمان».و يعد الدكتور عزام «الأمير أو الأب الروحى لحركة الجهاد الكونية» (أسبوزيتو، ٢٠٠٢، ص٧).و هو عالم إسلامى أردنى من أصل فلسطينى ويعتبر مؤسس القاعدة ومن مؤسسى حركة حماس الفلسطينية. وطبقا له «يعبر الإيمان عن حالة داخلية، وأخرى خارجية تدل على قوة هذا الإيمان» (نيوباى ٢٠٠٦، ص١٠٠). وقد نالت هذه الفتوى استحسان عبد العزيز بن باز الذى كان فى ذلك الوقت المفتى الأكبر لمجلس العلماء بالمملكة العربية السعودية. إذا فالجهاد طبقا لهذا المنظور، يعتبر واجبا دينيا أساسيا، مفروضا على المسلمين. بل هو بهذا المعنى يكاد يكون الفريضة السادسة للإسلام. وقد بدأ عزام (٢٠٠٨) فتوته باستشهاد لابن تيمية: «إن الواجب الأول للمسلمين بعد الإيمان هو طرد الأعداء المعتدين، الذين يهاجمون دينهم ويدمرون شئون حياتهم» ص١.

وقد استخدمت الجماعات الإسلامية فى مصر أمثال الجهاد الإسلامى المصرى والجماعة المصرية الإسلامية، فتوى ابن تيمية فى محاربة الحكام المحليين الذين وصفتهم بالمرتدين وقامت بتكفيرهم. فقد استشهد فرج، على سبيل المثال، فى كتابه «الفريضة الضائعة» فى عدة مواقع بفتوى ابن تيمية لإعلان الحرب ضد النظام المصرى السائد وقتذاك. حيث شبههم بالمغول أو المستعمرين الذين ذكرهم ابن تيمية. وفى ذلك كتب فرج (١٩٨٦):

> إن الحكام المحليين فى عالمنا المعاصر، فى حالة ارتداد عن الإسلام. فهم يأكلون على موائد الإستعمار بجميع أشكاله: الصليبيين، والشيوعيين، والصهاينة. ولا ينتمون إلى الإسلام إلا بأسمائهم. وذلك رغم أنهم لا يزالون يصلون ويصومون. ويزعمون أنهم مسلمون ... إنه من أحكام الله الثابتة أن عقاب المرتد أشد من عقاب الكافر. فالمرتد يجب قتله فى كل الظروف. «المغول ومن شابههم». أى حكامنا المحليين فى هذا العصر. ومن يشك فى ذلك يعد جاهلا بأحكام الإسلام. ص١٦٩.

وقد تأثر بن لادن وأتباعه من القاعدة بفكر فقهاء مصريين من أمثال قطب وفرج. وظهر ذلك واضحا فى الفتوى التى أصدرها ابن لادن فى ٢٣ أغسطس ١٩٩٦ بعنوان «ضرورة طرد المشركين من شبه الجزيرة العربية» وقد تضمنت الفتوى الحكام المحليين بزعم ارتدادهم وتكفيرهم. وثانيا اتهامهم بالتآمر مع المحتل الغاصب وتسهيل احتلاله للأراضى الإسلامية. بما يستوجب الجهاد ضدهم. وقد قدم ابن لادن المبررات التالية ضدهم (٢٠٠٥):

> ١ - وقف العمل بأحكام الله واستبدال أحكام من صنع الإنسان بها. والدخول فى مواجهات دموية مع علماء مسلمين صالحين عرف عنهم تقواهم وإيمانهم. والله يغفر لمن يشاء.
>
> ٢ - فشل الحكام فى حماية الأراضى الإسلامية والسماح للمستعمرين من الأمريكيين، الصليبيين باحتلالها لمدة سنوات طويلة. وهم السبب الأساسى فيما وقعت فيه بلادنا من ورطة. ص٢٨.

إن فكرة الجهاد ضد أعداء الله أو الكفار تعتمد على تقسيم العالم إلى منطقتين دائمتى الصراع: دار الإسلام ودار الحرب. (كما سبقت الإشارة إليه) وتقسيم الشعوب إلى شعوب مؤمنة وأخرى غير مؤمنة. وقد أكد لنا فضل أن هذه الثنائية غير واردة فى القرآن أو السنة النبوية. ولكنها نتاج فكر فقهاء إسلاميين تقليديين ينتمون للعصور الوسطى. ويرجع أصل هذا التقسيم إلى أن بلادًا كثيرة من أوروبا والشرق الأوسط أو آسيا كانت دائمة الصراع فيما بينها، ولا تلتزم بما توقع عليه من اتفاقيات سلام، ونتيجة لذلك، كانت البلاد الضعيفة تتعرض كثيرا العمليات نهب منتظم. وقد ابتدع الفقهاء فيما بعد، أسماء أخرى مثل دار الصلح أوالعهد أو دار العدل.. وهى أماكن لغير المتحاربين أو لمن هم على الحياد. إلا أن هذا التقسيم الذى كان له ما يبرره فى العصور الوسطى، أصبح أساسا لإعلان الجهاد على غير المؤمنين فى عصرنا الحديث.

ولاشك أن اعتماد الجهاديين على آيات الجهاد لتبرير قتل غير المؤمنيين على أساس أنهم قوم كافرون، تتعارض مع غيرها من آيات السلام التى وردت أيضا فى القرآن وتدعو إلى التسامح والسلام. فمن المعروف أن الإسلام يدين قتل النفس البشرية بغير حق. بل يعتبر أن قتل إنسان واحد بمثابة قتل الإنسانية كلها. كما يتفق مع تعاليم التوراة التى تعتبر إنقاذ حياة شخص كإنقاذ الإنسانية أيضا. (سورة المائدة: الآية ٣٢). ويقول القرآن الكريم: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾.(سورة الأعراف: الآية ١٩٩)

ويؤكد فضل (٢٠٠٦) أن الجهاديين يجهلون كثيرا من أمور الإسلام وتعاليمه. فنشر الفوضى والدمار ونشر الفساد فى الأرض، من الكبائر فى الإسلام؛ لأنها تعتبر تدميرا «لجمال الخليقة» (ص ٢٣٧). وحتى بمنطق الجهاديين فإن غير المسلمين يجب أن يمنحوا حرية اختيار دينهم أو أن يكونوا أهل ذمة، قبل أن نعلن الجهاد ضدهم.

وتعتبر إسرائيل هى الهدف الأساسى للجهاديين، حيث تمثل دولة إسرائيل نموذجا لأعداء الله الذين يحتلون أرضًا إسلامية. وهى فى نظرهم نتاج مؤامرة استعمارية لاحتلال فلسطين وخاصة مدينة القدس والمسجد الأقصى. وقد فسر حسن البنا، وهو

مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، هزيمة العالم العربى على يد إسرائيل فى حرب ١٩٤٨ بأنها نتيجة طبيعية لما أصاب الأمة الإسلامية من عوامل الضعف والوهن. وأنه أمر كان متوقعا لأمة تركت تعاليم الإسلام الأولى على يد الرسول محمد والصحابة. وقد كانت هزيمة قوات التحالف العربى المتكون من مصر وسوريا والأردن والعراق على يد إسرائيل، فيما عرف بحرب الستة أيام عام ١٩٦٧، هى السبب فى التحول الذى طرأ على الجدل الخاص بحركة الجهاديين. فقد زعم أصحاب فكرة القومية العربية، قبل هذه الحرب الأخيرة أنهم على «استعداد لخوض حرب مع إسرائيل وإلقائها وحلفائها فى البحر» (الظواهرى، ٢٠٠٦:٦٤). وقد استبعد الجهاديون إمكانية إقامة أى اتفاق للسلام مع إسرائيل. وجاء على لسان عزام «الجهاد والسلاح هو الطريق : لا مفاوضات ولامؤتمرات ولا حوارات». (مقتبسة من إسبوزيتو، ٢٠٠٢:٧).

وقد قامت الحكومة المصرية بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر بالقبض على آلاف من الإخوان المسلمين، كما قامت بإعدام الكوادر منهم كسيد قطب على سبيل المثال. وذلك بغرض قمع النشطاء الإسلاميين. وبعد هزيمة عام ١٩٦٧ التى سميت بالنكسة، والتى قد أصابت ناصر نفسه فى الصميم، حيث فقد شعبيته أمام جماهيره العريضة، طالب الجهاديون، أمثال الظواهرى (٢٠٠٦) «بقتل عبد الناصر، حتى تموت معه مبادئه». ص٥١ . وبعد أن خلف الرئيس السادات عبد الناصر، حاول فك حالة الاحتقان السائدة بين الإخوان المسلمين والسلطة، فأطلق سراح الكثير من النشطاء الإسلاميين. مما عزز من صورته «كرئيس مؤمن»، وأصبح يلقب بهذا الاسم. ولكن السادات فى مرحلة تالية وقع اتفاقية سلام مع إسرائيل بوساطة أمريكية (اتفاق كامب ديفيد للسلام عام ١٩٧٩). وتبع ذلك عدة محاولات من جانب النشطاء الإسلاميين للاستيلاء على الحكم وإقامة دولة إسلامية فى مصر. وقد راح السادات ضحية لإحدى هذه المحاولات، حيث اغتيل على يد الإخوان المسلمين فى ٦ أكتوبر ١٩٨١ . ومنذ ذلك الحين والدولة المصرية لم تدخر وسعا فى محاربة الإسلاميين وتعقبهم ومداهمة أوكارهم،

بصفة منتظمة. حتى أن الجماعة المصرية للجهاد الإسلامى قد أعلنت تصالحها مع النظام المصرى وأصبحت الآن فى حالة سلام مع الدولة.

إلا أن الجهاديين لا زالوا يبررون استمرار حركة الجهاد، باستمرار احتلال الكيان الصهيونى للأراضى العربية. وقد كانت حجة الجهاديين فى عدائهم للغرب منذ البداية، هو أنه كان وراء نشأة الكيان الصهيونى فى فلسطين. كما أنه لا زال يدعم إسرائيل ويساندها حتى الآن.. إلا أن هذا التركيز على الغرب، قد تحول عنه، إلى الاتحاد السوفيتى حينما قام باحتلال أفغانستان وهى دولة إسلامية. فتوجه على إثر ذلك جهاديون من شتى أنحاء العالم إلى باكستان وانضموا إلى الحرب فى أفغانستان أو الجهاد للدفاع عن الأراضى الإسلامية. وتحقق للجهاديين النصر على القوات السوفيتية وهى تمثل قوة عظمى، إذ تمتلك أضخم قوات برية. كما انسحبت القوات الأمريكية على عجل من الصومال عام ١٩٩٣. وأعلن الجهاديون أن الله فى جانبهم؛ لأنه ينصرهم على أعدائهم. ومنذ ذلك الحين تحول العالم إلى مسرح للجهاد ضد أعداء الله والنظام العالمى الجديد «الذى تقوده الولايات المتحدة والحكومة اليهودية الكونية» (الظواهرى، ٢٠٠٦:١٢٥). وبدأ الجهاديون فى التكثيف من عملياتهم فى إسرائيل وكشمير والمغرب والسودان والشيشان وإندونيسيا.

وفى عام ١٩٩٨ أصدر بن لادن وأتباعه فتوى مهمة (بن لادن، ٢٠٠٥). ترجع أهميتها وخطورتها إلى اتساع مجال الجهاد، وذلك من خلال نشأة جبهة إسلامية عالمية للجهاد ضد اليهود والصليبيين. كما أعلنت لأول مرة حربا شاملة بلا حدود، وليس فقط دفاعا عن الأراضى الإسلامية فى حالة الاعتداء عليها. وتبدأ الفتوى بآيات الجهاد ثم تتطرق إلى حدود قصوى من الشراسة والعنف:

> **إن قتل الأمريكيين وحلفائهم، من مدنيين أو عسكريين، يعتبر واجبا ملزما لكل مسلم فى كل بلاد المسلمين. وذلك من أجل تحرير المسجد الأقصى والمسجد المقدس من قبضتهم. وحتى تترك جيوشهم الأراضى الإسلامية، وهى مهزومة**

ومنكسرة وغير قادرة على تهديد المسلمين. وهذا هو حكم الله. (بن لادن، ٢٠٠٥ ص٦١).

أصبح إذا قتل المدنيين غير المحاربين من نساء وشيوخ وأطفال، جزءا من الجهاد. ويبرر الظواهرى ذلك، بأن المدنيين قد قاموا بإرادتهم بانتخاب حكوماتهم؛ وبالتالى فهم مسؤولون عن أخطائها. بالإضافة إلى أن المواطنين هم الذين يقومون بدفع الضرائب التى تمول ما يسمى «بالحرب ضد الإرهاب»، كما تمول أيضا، احتلال أراضى المسلمين التى ترتب عليها قمع المسلمين من رجال ونساء وأطفال. ويواصل الظواهرى الأسباب الأخرى لتحليل قتل المدنيين، (٢٠٠٦) فيؤكد:

«ضرورة تكبيد العدو أفدح الخسائر. و أن الغرب لا يفهم إلا هذا الأسلوب. وأننا لانبالى بما يكلفنا ذلك من وقت أو جهد». ص٢٢٣.

انتقل إذا الخطاب الجهادى ولغته من مفهوم الجهاد من أجل الدفاع عن النفس أو تحرير الأراضى الإسلامية من الكفار أو المرتدين. إلى حرب شاملة بلا أدنى حدود أو قيود وبلا هوادة. «لقتل الأمريكيين وحلفائهم من مدنيين أو عسكريين والثأر للمسلمين الذين قتلوا على أيديهم». وأعلن أن هذا الجهاد واجب دينى.

وجدير بالذكر، أن الدعوة للجهاد تتضمن أيضا مهام استشهادية (عادة تعرف بالعمليات الانتحارية). وهى تعبر عن رغبة المسلم فى التضحية بنفسه فى سبيل الله وشرعه. كما أن الشهادة فى سبيل الله تمنح المسلم مزايا وحقوقًا كثيرة فى الإسلام. ومنطق الجهاديين هنا، أن الموت قادم فى جميع الأحوال. إلا أن نيل شرف الشهادة يؤهل المسلم للفوز بالجنة. وطبقا للإسلام فإن الشهداء لا يموتون، «بل أحياء عند ربهم يرزقون». ومن الآيات التى يذكرها الجهاديون كثيرا فى هذا الشأن :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة آل عمران: الآية ١٦٩-١٧١)

والعديد من السور القرآنية يصف حياة الشهداء فى الجنة والمنزلة التى يتمتعون بها عند الله ومنها، سورة الرحمن: الآية ٥٤ - ٥٦. وسورة الواقعة: الآية ١٢-٣٩. ويبرر الجهاديون أنشطتهم القتالية أولا بالدفاع عن الإسلام. وأن الاستشهاد بمثابة الواجب تجاه الدين، والذى يؤهلهم للمنزلة الرفيعة لدى خالقهم وللجنة الموعودة. ولا يتفق المعتدلون الإسلاميون مع مقولة العلمانيين، بأنه لا وجود لحياة الآخرة أو فكرة الحساب. وإنما أساس اختلافهم مع الجهاديين أنهم غير مؤهلين لإصدار فتاوى الجهاد. وأن الإسلام برىء من حركة الجهاد الكونى التى يرفعون لواءها باسمه. ثم إن الله هو الذى يقرر من يستحق الجنة وليس الجهاديون. و لاشك أن هناك وسائل أخرى يتقرب بها العبد إلى ربه غير القتال والاستشهاد. وطبقا لفضل (٢٠٠٦)، فإن القرآن يشير فى بعض آياته إلى القتال، ولكن يجب أن يكون مبررا. ولا يشجع الإسلام الحروب أو يفضلها عن السلام، بأى حال. وكثير من الآيات تحث على السلام ونبذ الحروب والكراهية بين الناس. والتسامح لحقن الدماء بدلا من إراقتها. تقول سورة الأنفال: الآية ٦١:

﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

وحقيقة الأمر فإن فضل (٢٠٠٦) يؤكد أن الشريعة الإسلامية تجرم الاعتداء على المدنيين بغرض إشاعة الرعب أو الفوضى بين الناس. كما يجرم حوادث الاختطاف أو التعذيب وتعتبرها من جرائم «الحرب ضد المجتمع». وهى محرمة فى الإسلام. ويزعم فضل «أن الإرهاب فى العصر الحديث هو مثال لإشاعة الفساد فى الأرض» ص٢٣٧.

تطورات حديثة:

ولا تزال أهداف الجهاديين الأساسية، إقامة الدولة الإسلامية فى قلب العالم الإسلامى وإحياء نظام الخلافة ومجتمع السلف الأمثل. إلا أن نقطة تركيزهم الآن أصبحت تنصب أكثر على العدو «البعيد»، قبل العدو «القريب» ويذكر الظواهرى (٢٠٠٦) مبررات هذه السياسة فيما يلى:

«إن التحالف الصليبى بقيادة الولايات المتحدة لن يسمح لأية قوة إسلامية أن تصل إلى الحكم فى الدول العربية... إن محاربة العدو الداخلى (فى إطار الدول العربية) لم يحن وقتها بعد».(ص ٢٠١)

إن الجهاد حاليا قد أعلن الحرب المفتوحة الشاملة ضد الولايات المتحدة وحلفائها، إسرائيل وروسيا والهند وضد المنظمات الدولية مثل الأمم المتحدة والمؤسسات الغربية متعددة الجنسيات والأنظمة الدولية للاتصالات وتبادل المعلومات، ووكالات الأنباء العالمية والقنوات الفضائية ومنظمات الإغاثة الدولية (الظواهرى ص٢١٠-٢٠٠٦).

إلى جانب أن الجهاد لا يفرق بين المحاربين وغير المحاربين، برغم اعتراض أغلبية علماء الإسلام، على هذا السلوك الهمجى الذى لا يمكن أن يعبر عن تعاليم الإسلام. خاصة وأن الإسلام لا يحلل تلك الأنشطة الإرهابية التى ترتكب باسمه ضد الإنسانية بلا حدود أو قيود.

ولا يخفى أن من الأسباب الرئيسية لتركيز حركة الجهاد على «العدو البعيد»، هو قيادة الولايات المتحدة وحلفائها «لحرب معلنة ضد الإرهاب» وكذلك إدراكها أيضا، للمعارضة على المستوى الداخلي لحركة الجهاد الكونى. وقد كان هناك عداء واضح بين أسامة بن لادن والمجلس الأعلى للعلماء بالمملكة العربية السعودية برئاسة ابن باز، المفتى الأكبر سابقا. فقد أصبح المجلس محل اتهام بن لادن منذ إصداره بيانا يوم ٢٩ ديسمبر ١٩٩٤. اتهم فيه الباز بأنه «يسمح بالممارسات القمعية فى المملكة» وأضاف موجها له البيان: «إن ما حدث كان بمعلمك ونتيجة متوقعة للسماح بسن لوائح تعزز هذه الممارسات» (بن لادن ٥:٢٠٠٥). ومن المعروف أن الحرب لا تزال مشتعلة بين النظام السعودى والنخبة الدينية الوهابية فى جانب وبين ابن لادن فى جانب آخر.

أما فى مصر، فقد أعلنت الجماعة الإسلامية المصرية هدنة من جانبها لأنشطة العنف التى كانت تمارسها ضد النظام المصرى باسم الدين عام ١٩٩٧. (الظواهرى ٢٠٠٦- سيجامان ٢٠٠٤) وكانت الجماعة قد بدأت حملتها العنيفة فى السبعينيات على أساس

التكفير. وكان قائدها حينئذ هو أبو ياسر رفاعى أحمد طه، وهو من الموقعين على فتوى تكوين الجبهة الإسلامية العالمية (ابن لادن ص ٦٩-٢٠٠٥). وكانت السلطات المصرية قد ألقت القبض على ما يربو على ٢٠٠٠٠ ناشط من الجماعة فى سنوات التسعينيات، بعد قيامهم بأعمال تخريب وعنف على نطاق واسع. وقد عارضت السلطات المصرية أولا إجراء أى حوار مع أعضاء الجماعة، التى كانت قد كسرت شوكتها بعد القبض على قائدها وهجرة العديد من أتباعها خارج البلاد. إلا أن حوارا سلميا بقيادة الأزهر الشريف قد آتى بثماره فى تحقيق الصلح بين الجماعة والسلطة المصرية. وقد أصدرت الجماعة بين عامى ٢٠٠١ و٢٠٠٢ مجموعة من أربعة كتب، تحت اسم «تعديل المفاهيم» أرست فيها دعائم فكر جديد ينبذ العنف وينادى بتبنى أسلوب مستحدث لحركة الجماعات الإسلامية. (سلوى ٢٠٠٦). وكان من المتوقع، فى ظل الظروف السائدة، أن يقف الظواهرى (٢٠٠٦)، وهو أحد أقطاب الجهاد المصرى السابقين، موقف المعارض من تلك المبادرة السلمية، وهذا ما حدث بالفعل.

بعد عام ٢٠٠١، انضمت باكستان إلى تحالف «الحرب ضد الإرهاب» بقيادة الولايات المتحدة.

وقد كانت باكستان منذ سنوات طويلة، فى قبضة تحالف عسكرى. وكانت تساند الجهاد الإسلامى فى أفغانستان وكشمير. ولما انضمت إلى قوات التحالف، شن الجهاديون معارك انتقامية ضدها، حيث استهدفت ثلاث محاولات اغتيال الجنرال مشرف. ولكنها باءت جميعا بالفشل. وبدأت حملة عنيفة ضد قوات الأمن بباكستان. خاصة فى منطقة القبائل الواقعة شمال غربى البلاد. والتى كانت حينذاك تحت سيطرة الطالبان. واتحدت فى هذه الأثناء الأحزاب المعتدلة واتفقت فيما بينها على استعادة الديمقراطية ولو بشكل جزئى وعلى محاربة الإرهاب.

ومن تداعيات الموقف فى ذلك الوقت استشهاد رئيسة وزراء باكستان، بنازير بوتو. وأعقب ذلك، دخول الأحزاب السياسية الدينية معركة الانتخابات العامة بباكستان عام ٢٠٠٨.

وفى ٢٥ فبراير عام ٢٠٠٨، عقدت دار العلوم ديوبند، وهى أكبر مدرسة إسلامية لتدريب فقهاء الدين فى العالم، مؤتمرا، حضره ٦٠٠٠ إمام. وفى نهاية المؤتمر، أصدر الفقهاء فتوى أكدت أن الإرهاب ليس إسلاميا. وجاء فيه:

> **إن الإسلام هو دين الرحمة لكل الإنسانية. بل هو منبع السلام الأبدى والأمن والسكينة. و قد أثبت الإسلام اهتماما عظيماً للإنسانية، حين اعتبر أن قتل النفس البشرية كقتل الناس جميعا. والإسلام لا يميز بين البشر على أساس الجنس أو الدين. وتدعو تعاليم الإسلام إلى معاملة الجميع على أساس من المساواة والرحمة والتسامح والعدالة. إن الإسلام ليدين كل أشكال الظلم والعنف والإرهاب. ومن أعظم كبائره وذنوبه، القتل وإشاعة الفوضى وإعاثة الفساد فى الأرض. (بيان مؤتمر الهند المناهض للإرهاب. ص١).**

وحقيقة الأمر، فإن الإسلام المتشدد لم ينل أبدا استحسان الجماهير. والمسلمون بصفة عامة لا يلتزمون بالتعاليم المتشددة التى يتبناها الأصوليون. حيث يجدونها مبالغة فى تشددها. ويعتبرون أن الإسلام فى الأساس، دين يسر لا عسر، كما هو معروف عنه. وكثير من المسلمين يميلون إلى الطرق الصوفية فى الإسلام. ومن المظاهر الأخرى لتشدد الأصوليين، تحريم الغناء والرقص بأنواعه. واعتبار مشاهدة التلفاز من المحرمات، إلا إذا تناولت برامج الدين. كذلك يعتبرون قراءة القصص أو الذهاب إلى المسارح أو دور السينما غير إسلامى.، لأنها من قبيل الأكاذيب. وكذلك يرون أن الوقوف احتراما لأى شخص، مهما بلغت مكانته بدعة وكفرًا، فالمسلم لا يجب أن يبجل أحدا سوى الله. والتصفيق أيضا غير محلل؛ لأنه يعتبر مديحًا وثناء لغير الله. حتى الاحتفال بأعياد الميلاد بما فيها المولد النبوى بدعة غير مقبولة.

وجدير بالذكر أن النخبة الدينية أو علماء الدين بمن فيهم القائمون على علوم الدين من الأكاديميين. وكذلك الحكام السياسيون أونخب الجيش، فى مصر أو باكستان أو المملكة العربية السعودية، قد أعلنوا بالإجماع معارضتهم لتعاليم الجهاديين والأصوليين

ولمنهجهم المتشدد فى الدين. وحتى الوهابيين والأزهريين وكذلك خريجى المدرسة الديوبندية للإسلام بباكستان، قد أعلنوا رفضهم للممارسات العنيفة التى ينتهجها الجهاديون، وذلك رغم أنهم من المحافظين. كما أنهم يعارضون تفسيرهم للقرآن. من المعروف أن هناك عدة تفسيرات للإسلام. وقد اختار أصحاب الجهاد الكونى تفسيرا معينا مرتبطا بظروف سياسية وتاريخية معينة وتبنوه منهجا وارتضوه أسلوبا فى زمن لم يعد يصلح فيه للتطبيق. والسؤال الآن لماذا يصر بعض الأفراد على اتباع هذا الأسلوب العنيف فى حين أن أمامهم بدائل أخرى لإثبات إيمانهم بالله وهويتهم الإسلامية؟

ملاحظات ختامية:

هناك تناقض جلي بين ما يفسره الأصوليون من القرآن ويتبنونه كمنهج لسياستهم، وبين ما نصت عليه آيات القرآن وماعرف عن جوهر الإسلام عموما. يزعم الجهاديون أنهم يفسرون القرآن وتعاليم الله من خلال قراءة مباشرة دون فلسفة تعتمد على وجهة نظر أو تتأثر بثقافة.

ولكنهم فى الوقت نفسه، يختارون من القرآن آيات الجهاد ليبرروا بها اعتداءاتهم الهمجية وأنشطتهم الإرهابية ضد من يعتبرونهم أعداء الله من محاربين أو مدنيين على حد السواء. ويتجاهلون آيات القرآن الأخرى التى تدعو إلى التسامح ونبذ العنف والكراهية والمعروفة باسم آيات السلام. بل إن القرآن يدعو إلى العدل والمساواة بين الناس جميعا بغض النظر عن الجنس أو الدين. وفى عرف الجهاديين، فإن القرآن يعتبر النساء وغير المؤمنين بصفة عامة، أدنى درجة من المؤمنين. بينما يتجاهلون تعاليم الشرع والشريعة الإسلامية التى تمجد مبادئ المساواة والعدل واحترام حقوق الإنسان. ويبدو فى نهاية الأمر، أنهم، يختارون من القرآن ما يتماشى مع أهدافهم السياسية والجغرافية ليس أكثر.

ومما سبق، يتضح أن الجهاديين يعيشون فترة العصور الوسطى من جديد، أو الفترة التى سبقت ظهور اليهودية. حينما كانت الأجواء السائدة أجواء يخيم عليها العنف

والقتال. مثل حقبة محاكم التحقيق التعسـفية فى إسـبانيا على سبيل المثال. فلغة الخطاب الجهـادى وأسـلوب الحياة الذى يتبنـاه الجهاديون، يعود بنا إلى هـذا الوقت من الزمان. ويختلـف ذلـك الوضـع مع الحالـة الأوروبيـة التى مرت بظـروف العصور الوسـطى، ولكنها اجتازتها إلى واقع يتماشى مع متطلبات النظام العالمى الجديد.

ومـن المشـاهد والموثق أيضا أنـه خلال الربع الأخـير من القرن السـابق، قد حدث تنـام ملحـوظ للحـركات الأصولية لعـدة أديـان. وأن ذلك قـد تزامن مـع أفول نجم الأيديولوجيـات الملحـدة، كالشـيوعية عـلى سـبيل المثال.و مـن الأمثلة المهمـة لتنامى الأصولية، انتشـار المجموعات المسـيحية التى تؤمن بأن الله هـو خالق الكون. وكذلك أيضا انتشارالمجتمعات الأرثوذوكسية بإسرائيل. إلا أن ما يميز حركة الجهاد الإسلامى بـين هـذه الحـركات الأصولية، ، هـو انتهاجها لأسـلوب العنف بهدف إحـداث تغيير شـامل للـدول الإسـلامية يحولهـا إلى نظـام يحكمه رجـال الدين، أشـبه بنظـام الخلافة الإسـلامية وقت السـلف. حيـث يزعم الجهاديـون أن ضعف الـدول العربية الملاحظ اليوم فى مواجهة تفوق الغرب العسكرى، نابع من نبذ النظام الإسلامى القديم وتعاليم ومبـادئ السـلف الصالـح. وحقيقـة الأمر فـإن ما نشـاهده اليوم يفند هـذه الحجة كل التفنيـد. فالدول العربية التى شـبت عن الطوق وبدأت تسـلك طريق التقدم، هى التى نبذت العنف أسلوبا وتحدت لغة الجهاد.

ولاشك أن الأفراد قد يتأثرون بالدين فى شتى أمور الحياة اليومية. وهناك مجتمعات عصريـة أكثـر تدينا مـن غيرها. ونحـن نزعم أن المجتمعات الإسـلامية أكثـر تدينا من المجتمعـات الغربيـة فى العصر الحديث. ومع ذلك فالتديـن والدفاع عن الدين، يختلف تماما عن تأييد الفكر الجهادى. فالمسلم، كما ذكرنا أعلاه أمامه عدة بدائل يثبت بها إيمانه بالله وهويته الإسلامية.

سـؤالنا الأساسى إذا: لماذا يؤيد شباب المسـلمين فتاوى الجهاد الإجرامية بينما يقدم لهم الإسـلام طرقـا أخرى متعددة للإيـمان؟ فهل الإجابـة عن هذا السـؤال تأخذنا إلى المجال الشـخصى (على سـبيل المثال، تأثير العادات القبلية المرتبطة بالثأر) التى قد تدفع

الشـباب إلى قبول تلك التعاليم المتشـددة؟ يبدو أننا لابد ونحن بصدد بحث كيفية فك الاشـتباك مـع الإرهاب، أن نتطرق إلى النواحى النفسـية والخطابية وتأثيرها فى كشـف النقاب عن جوانب جديدة فى هذا العالم الغامض. لعلنا نجد فيها ما نبحث عنه.

المراجع

Adams, C. J. (1983). Mawdudi and the Islamic State. In J. L. Esposito (Ed.), *Voices of resurgent Islam*. New York: Oxford University Press.

Al-Zawahiri, A. (2006). *His own words* (Trans. Laura Mansfield). USA: TLG Publications.

Azzam, A. (2008). *Defence of the Muslim land: The first obligation after Iman*. Retrieved April 21, 2008 from www.religioscope.com/info/doc/jihad/azzam_defence_1_table.htm

Bin Laden, O. (2005). *Messages to the world: The statements of Osama bin Laden*, edited and introduced by Bruce Lawrence. London: Verso.

Coulson, N. J. (1994). *A history of Islamic law*. Edinburgh: Edinburgh University Press.

Esposito, J. L. (2002). *Unholy war: Terror in the name of Islam*. Oxford: Oxford University Press.

Fadl, K. A. (2006). *The great theft: Wrestling Islam from the extremists*. New Delhi: HarperCollins Publishers India.

Faraj, A. A. (1986). *The neglected duty*. New York: Macmillan Publishing Company.

Gramsci, A. (1995). *Further selections from the prison notebooks*. London: Lawrence & Wishart.

Gunaratna, R. (2002). *Inside Al-Qaeda: Global network of terror*. London: C. Hurst & Co. (Publishers) Ltd.

Huntington, S. P. (1998). *The clash of civilizations and the remaking of the world order*. London: Touchstone Books.

Iqbal, J. (1983). Democracy and the Modern Islamic State. In J. L. Esposito (Ed.), *Voices of resurgent Islam*. Oxford: Oxford University Press.

Karawan, I. A. (1995). Takfir. In J. L. Esposito (Ed.), *The Oxford encyclopaedia of the modern Islamic world* (Vol. 4, pp. 178–179). New York: Oxford University Press.

Kepel, G. (2006). *The trail of political Islam*. London: I. B. Tauris & Co. Ltd.

Mawdudi, S. A. (1998). *Jihad in Islam*. Pakistan: Islamic Publication (Pvt.) Limited.

Metcalf, B. D. (1995). Deobandis. In J. L. Esposito (Ed.), *The Oxford encyclopaedia of the modern Islamic world* (Vol. 1, pp. 362–363). New York: Oxford University Press.

Nettler, R. L. (1995). Ibn Taymiyah, Taqi al-din Ahmed. In J. L. Esposito (Ed.), *The Oxford encyclopaedia of the modern Islamic world* (Vol. 2, pp. 165–166). New York: Oxford University Press.

Newby, G. D. (2006). *Concise encyclopaedia of Islam*. Oxford: Oxford University Press.

Qutb, S. (2007). *Milestones*. New Delhi: Islamic Book Service.

Rashid, A. (2002). *Taliban: Islam, oil and the new great game in Central Asia*. London: I. B. Tauris & Co. Ltd.

Sageman, M. (2004). *Understanding terror networks*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press.

Salwa, E. (2006). *The militant Islamic group in Egypt (1974–2004)*. Cairo: Maktabat al-Shuruq al-Duwaliyya.

Schacht, J. (1991). *An introduction to Islamic law*. Oxford: Oxford University Press.

Ziadeh, F. J. (1995). Sunni School of Law. In J. L. Esposito (Ed.), *The Oxford encyclopaedia of the modern Islamic world* (Vol. 2, pp. 456–462). New York: Oxford University Press.

الفصل الرابع

دراسة حالة: لغز الإرهابى فاهيم خالد لودهى
من وجهة نظر غربية

بقلم : كليف وليمز

نبـذة: لا يـزال الإرهابيـون الأفـراد يشـكلون مصـدرا للقلـق والتحـدى لمحققـى المخابـرات، خاصة فى فترة ما قبل تنفيذ الجرائـم. فالخيوط الرفيعة التى تقود إلى أولئك الإرهابيـين لاتتكشـف إلا من خلال تعقـب وتتبع لعلاقة هؤلاء الأفـراد بالآخرين أو عـن طريق رصد لأنماط سـلوكية محددة. فقد يسـاعد لجوؤهم إلى شراء مواد تسـتخدم فى أنشـطة إرهابيـة فى الكشـف عنهم. يقـوم هذا المقال بعرض ودراسـة لحالـة المواطن الأسـترالى فاهيم خالد لودهى. بهدف رصد مؤشرات معينة فى شـخصيته وأنماط محددة من سـلوكه قد تكون ذا نفع إرشادى يقودنا لأمثاله من الإرهابيين. ومن المقلق فى حالة لودهـى أن سـلطات مكافحة الإرهاب، لم تتمكن من التعـرف عليه كإرهابى متطرف، يشكل تهديدا حقيقا لأستراليا إلا بعد عدة سنوات من تورطه الفعلى فى الإرهاب.

المقدمة:

كان المهاجر الباكسـتانى فاهيم خالد لودهى، قد حكم عليه بالسـجن لمدة عشرين عاما فى أغسطس ٢٠٠٦ لتورطه فى الاشتراك فى ثلاث عمليات إرهابية. وقبل القبض عليه عام ٢٠٠٤، لم يكن لدى لودهى أية ملفات إجرامية تدينه فى باكستان أو أستراليا.

وأثناء الإجراءات التمهيدية للمحاكمة، أعرب الكثيرون عن دهشتهم لاتجاه لودهى إلى مثل هذه الأنشطة الإرهابية، خاصة وأنه قد خاطر بمستقبله الواعد فى أستراليا، والذى كان زملاؤه يحسدونه عليه. (وجدير بالذكر أن الانفجارات التى وقعت مؤخرا فى لندن وكذلك فى مطار جلاسجو قد تورط فيها مهاجرون ومهنيون زائرون، ممن توفرت لهم ظروف معيشية ميسرة. أو كان فى انتظارهم مستقبل واعد).

ويمثل لودهى حالة تختلف، عن مجمل المهاجرين الذين قدموا إلى أستراليا خلال الثلاثين عاما الأخيرة. ومعظمهم جاء من دول مثل باكستان أو فيتنام أو لبنان أو جنوب أفريقيا أو منطقة البلقان أو زمبابوى، بحثا عن الأمن والاستقرار. وأغلبهم كان قد فر من موطنه الأصلى، نتيجة لانتشار الاضطرابات أو الممارسات القمعية.

وجدير بالذكر أن مسألة الإرهاب والتطرف قد بدأت تظهر فى أستراليا بعد سنوات التسعينيات على يد أبناء المهاجرين المسلمين الذين تلقوا تعليمهم الدينى على يد شيوخ متطرفين. أو عادوا إلى مواطنهم فى بلاد كلبنان أو باكستان وتأثروا بالفكر المتطرف السائد فى ذلك الوقت.. وكانت هناك أيضا مشكلة تعرض لها البعض من الجيل الأول المهاجر، خاصة ممن تلقى تعليما متواضعا، وفشل فى الحصول على وظائف مرموقة فاضطر إلى قبول المتاح من أعمال دنيا فى موطنه الجديد.

يحاول هذا المقال من خلال حالة المهاجر لودهى، أن يكشف عن بعض المؤشرات المبكرة لظهور التهديد الأمنى على يد عناصر من المهاجرين المهنيين من ذوى الأصول الإسلامية.

نشأة لودهى وخلفيته الثقافية

ولد فاهيم خالد لودهى، والذى يعرف أيضا بأبى حمزة، بين عامى ١٩٦٩-١٩٧٠ بمنطقة سيالكوت بإقليم البنجاب فى باكستان. وهو ينحدر من عائلة طيبة. ميسرة الحال. والداه فى العقد السابع من العمر. ولا زالا يعيشان بسيالكوت. وقد أحيل والده الآن إلى المعاش. وعمل أولا موظفا بمطار باكستان، ثم محاميا قانونيا بلاهور. ولدى لودهى ثلاث أخوات وأخوان. ويبلغ أحدهما التاسعة والثلاثين، ويعيش ويعمل مدرسا فى

سيدنى بأستراليا، .وكذلك له عم يعمل كهربائيا بمنطقة سيدنى. وقد أكمل لودهى تعليمه الثانوي بباكستان والتحق بجامعة لاهور لدراسة الهندسة المعمارية لمدة خمس سنوات. وقد تخرج فى الجامعة وهو فى الرابعة والعشرين من العمر.و بعد فترة قصيرة عمل خلالها فى شركة، كموظف بعقد، بدأ عمله الخاص بلاهور واستمر فيه حتى ١٩٩٧. و بعد زيارة قصيرة لسيدنى، قرر الهجرة إلى أستراليا. وكان ذلك عام ١٩٩٨. وقد حصل لودهى فيما بعد على الجنسية الأسترالية. وما إن وصل إلى أستراليا حتى بدأ خطة دراسية للحصول على درجات علمية تؤهله للعمل مهندسًا معماريًا. وقد سجل نفسه فى مجلس المعماريين بنيوساوث ويلز، كما التحق بجامعة سيدنى، ودرس خلال ثمانية عشر شهرا عددا إضافيا من المواد مكنته من الحصول على درجة البكالوريوس فى فن العمارة من جامعة سيدنى. تزوج لودهى عام ١٩٩٩ فى باكستان. وقد تم الزواج بالاتفاق بين الطرفين. ولم تنضم زوجته إليه فى أستراليا إلا فى عام ٢٠٠٠. وهى طبيبة بباكستان. ومنذ وصولها إلى أستراليا بدأت فى دراسات لممارسة مهنة الطب بنيوساوث ويلز. ولم يرزقا بأبناء من هذا الزواج. واستمر لودهى أيضا فى الدراسة المتخصصة بجامعة أولتيمو الفنية. وقام بدراسات فى الإدارة. وعندما قبض عليه فى أبريل ٢٠٠٤، كان بصدد استكمال درجة الماجستير فى إدارة البناء من جامعة نيو ساوث ويلز. عمل لودهى فى مكتب مهندسين معماريين يعرف باسم تومسون أدسيت وشركاه. كما التحق بالعمل لدى بيشوب هتشكوك وإرفين وهى شركة هندسة معمارية بمدينة الإسكندرية بسيدنى. وقد كان يعمل هناك حينما تم القبض عليه.

وقد استمرت زوجته على ولائها ومساندتها له، بعد اتهامه وإلقاء القبض عليه. وقامت بزيارته كثيرا وهو فى السجن وكذلك زاره أخوه وعمه عدة مرات.

الصلة بالآخرين:

ويلى بريجيت

كان أساس قضية لودهى، هى التآمر مع مواطن فرنسى يدعى ويلى بريجيت. وكان بريجيت قد وجهت له فى فرنسا فى ١٥ مارس ٢٠٠٧، تهمة «الانضمام إلى مجموعة

لتنظيم نشاط إرهابى»، وقد حكم عليه بالسجن تسع سنوات. واتهمه المدعى العام بالتخطيط للهجوم على مبنى أبحاث لوكاس النووية بالإضافة إلى قواعد عسكرية تقع خارج مدينة سيدنى. وكان بريجيت قد وصل إلى أستراليا فى السادس عشر من مايو ٢٠٠٣، ولكن تم ترحيله بعد خمسة أشهر فقط، على إثر انتهاكه لفترة الإقامة المحددة له فى أستراليا.

ولم يكن لودهى وبريجيت قد التقيا قبل وصول لودهى إلى أستراليا. وقد دون فى يومياته أوصاف بريجيت. إلى جانب رقم الطائرة ومعاد وصولها فكتب: «رجل فرنسى، ذو شعر أسود، ولحية، يرتدى نظارة» وكان لودهى فى انتظاره لحظة خروجه من بوابة الوصول بالمطار. وطبقا لوثائق المحاكمة، فقد كانت الخطة، أن ينتحلا أسماء مختلفة، للحصول على ١٠ أنواع من المواد الكيماوية لصناعة المتفجرات، إلى جانب القيام بجمع معلومات دقيقة عن بعض البنى التحتية الحيوية، مثل المنشآت العسكرية أو محطات الطاقة بالإضافة إلى الحصول على معلومات وخطط عسكرية مفيدة. وطبقا للوثائق التى قدمت رسميا إلى المحكمة، فإن البوليس يزعم أن لودهى - العقل المدبر لهذا الهجوم - قد كذب على منظمة المخابرات الأمنية الأسترالية. ١٩ مرة، قبل الاعتراف بما قام به من أنشطة. ويبدو أن لودهى قد أخبر المخابرات الأسترالية أنه قد التقى بريجيت بالمطار، ثم تكررت لقاءاتهما حوالى عشر مرات. وطبقا لأقوال لودهى فقد كان يملك مفتاحا لشقة بريجيت، وأنهما كانا يدرسان الخرائط معا. وأكد لودهى أنه اقترح عليه الزواج من سيدة أسترالية تدعى ميلانى بروان. كما قال للمخابرات إن اسم بريجيت الحركى «جبريل»، كما ادعى لودهى للمخابرات أيضا أنه قد نجح فى الوصول إلى صور لمنشآت عسكرية على شبكة الإنترنت. ولكنه قد تخلص منها فيما بعد. واستخدم اسما مختلفا لشراء خريطة تصور الشبكة الكهربائية كما اشترى محمولا. وأنه كان على اتصال هاتفى وكذلك من خلال الرسائل الإلكترونية مع ساجد مير. (وساجد مير هو الشخص الوسيط بين المسلمين الذين يعيشون فى الدول الغربية والمجموعة الباكستانية الإرهابية الأشقار الطيبة). كما أخبر لودهى المخابرات الأسترالية عن مقابلة تمت بين

بريجيت وعبد الرقيب حسن، الذى كان يعمل فى ذلك الوقت فى محل جزارة لبيع اللحم الحلال فى لاكمبا بسيدنى. وقد كان لودهى على اتصال فى باكستان بطالب فى كلية الطب فى سيدنى يدعى إظهار الحق. وكان قد اتهم من قبل فى عدة أنشطة إرهابية متفرقة. وقد قال الحق للبوليس: إن لودهى أكد له «أن الجهاد شىء جيد». وقد تم إخلاء سبيل الحق، حيث لم يؤخذ بمضمون تسجيلات المقابلة. أما بريجيت فقد أعطى له ساجد الباكستانى اسما جديدا ومحمولا خاصا. وكان قد التقى بساجد من قبل، عندما كان يتلقى تدريبه على طرق الجهاد فى باكستان، على أمل محاربة الأمريكيين فى أفغانستان. وحينما تم ترحيله إلى فرنسا، نجح بريجيت فى التعرف على لودهى من بين عدة صور عرضت عليه من قبل السلطات الفرنسية.

وعلى مدى خمسة أشهر فى أعقاب مايو ٢٠٠٣، يبدو أن الرجلين قد التقيا بانتظام، بهدف التخطيط لهجوم إرهابى على موقع شبكة الطاقة الأسترالية. كما زعم المدعى العام. كذلك قام لودهى خلال هذه الفترة، بفتح رصيد جديد لهاتف المحمول الخاص به لتسهيل الاتصال ببريجيت. وطبقا للمدعى العام، فإن جلسات التحقيق مع بريجيت على يد السلطات الفرنسية قد كشفت أن هدف ذهابه إلى أستراليا كان أساسا، بهدف التخطيط للقيام بهجوم بالقنابل. كما أن المدعى العام قد زعم أن لودهى، كان قد تلقى تدريبا مع الجماعة الإرهابية المحظورة، الأشقار الطيبة بباكستان، وأنه كان العميل المحلى لبريجيت بأستراليا. إلا أنه لم يتم استدعاء بريجيت كشاهد. كما أنه لم يؤكد بصفة فردية على تلك الادعاءات. بل إن القاضى الذى حكم فى قضية لودهى قد قيل له إن بريجيت «غير متاح». وعلى ذلك فلم يتوقع أن يكون شاهدا متعاونا.

إبراهيم أحمد الحمدى وعارف نهارالدين:

وافق القاضى على الأدلة التى قدمها الإرهابيون المحتجزون بسجون الولايات المتحدة وسنجابور، والتى شاهدها من خلال فيلم الفيديو. إلا أن أول الشاهدين، ويدعى أحمد الحمدى، قد أكد من خلال جلسات التحقيق معه، أن سلطات الولايات

المتحدة، لم تعد تستعين بشهادته فى قضايا أخرى؛ لأنها لا تزال تعتبره غير مؤهل للشهادة. وقد أدلى الحمدى بأقواله من سجن بكنتاكى، معترفا بأنه كذب حينما وصف ظروف الحياة فى معسكر الأشقار الطيبة بباكستان. ويقضى الحمدى، وهو يمنى الأصل، حكما صدر ضده بالسجن خمسة عشر عاما لحيازته الأسلحة وخرقه لمدة الإقامة المسموح بها. وكان قد تم اعتقاله فى فبراير ٢٠٠٣، واتهم بالتآمر لارتكاب نشاط إرهابي بالشيشان. وقد أسقط مكتب التحقيقات الفيدرالى التهم الموجهة إليه بعد أن تقدم بالتماس، على أن يدلى بمعلومات تكشف عن الأنشطة الإرهابية التى ارتكبها مساعدوه السابقون. وفى محاولة للحيلولة دون منع الشاهد الثانى للفيديو، ويدعى عارف نهار الدين من الإدلاء بشهادته، تقدم محامى الحكومة، ويدعى هاوى، بطلب الحصول على شهادة بالمحافظة على السرية. وقد تمت الموافقة عليها، فى شكل شهادة خطية متضمنة القسم. ثم عرضت على محامى الدفاع بعد مرورها على الرقابة. كما تمكن هاوى من الحصول على «حصانة للمصلحة العامة» تحمى نهار الدين من الكشف عن تفاصيل التحقيقات التى خضع لها فى سنجابور- حيث قضى سنتين فى السجن دون أن توجه له أية تهمة. كما حصل على أمر بوقف أى استجواب علنى للشاهد. وقد قدم هاوى شهادتين «مفتوحتين» من ميك كيلتى، مندوب البوليس الفيدرالى ودنيس ريتشاردسون، المدير العام لجهاز المخابرات الأسترالية. وقد جاء بهما أن الاعترافات فى التحقيق لن تؤدى إلى الوفاء بالوعود، فى حالة تسرب تفاصيلها إلى محامى الدفاع التابع للودهى. إلا أن محامى لودهى أكد للمحكمة أن الحفاظ على سرية الاستجواب سوف يتحقق بفضل المعاملة الطيبة التى سيتلقاها المتهم مثل كل المحتجزين الأمريكيين.

إظهار الحق

تم اتهام لودهى من قبل بأنه كان وراء تجنيد إظهار الحق عام ٢٠٠٣- وقد كان طالبًا بكلية الطب فى الواحدة والعشرين آنذاك. فى صفوف جماعة الأشقار الطيبة. وأنه قد أهمل الاستعلام عن هوية الجماعة واتجاهاتها الإرهابية. إلا أن هذا الاتهام قد أسقط فيما بعد.

وطبقـا لأقـوال البوليس، فـإن لودهى قـد أقنع الحق تدريجيـا، بالذهاب إلى باكسـتان والتدرب فى معسكرات الجماعة فى لاهور. كما أنه قد دعاه لزيارة بيت العائلة. وأن علاقتهما قد تواصلت فى أستراليا أيضا. وقد طلب منه لودهى أن يكتب شفرة لأرقام محموله.

وتكشـف الوثائـق أن لودهى قـد أدلى باعترافاته أثناء التحقيقات التـى أجراها معه جهـاز المخابرات الأسـترالية. وذلك فى شـهرى أكتوبر ونوفمـبر ٢٠٠٣، وبعد ترحيل ويلى بريجيت.

ساجد مير

وقـد نشرت صحيفة سـيدنى مورننج هيرالد أول دليل عـلى الصلة التى ربطت بين لودهـى وبريجيـت وسـاجد، بعـد أن تقدمت بطلب مـن المحكمة المركزيـة المحلية. كما اتضـح أنه حينما داهم البوليس الأسـترالى شـقة بريجيت، عـام ٢٠٠٣، تمكن من وضع يـده على صور لعدة مواقع مهمة بالولايات المتحـدة الأمريكية، بجانب خريطة توضح مواقع مفاعلات نووية بأستراليا. بالإضافة إلى مناجم لليورانيوم وقواعد عسكرية. إلى جانب مقالات بالصحف عن خدمات الخطوط الجوية الأسـترالية الخاصة بأفغانستان. وأخيرا وصل يثبت أن ساجدا قد أرسل لبريجيت مبلغ ألفين يورو.

ومـن الواضـح أن بريجيـت قـد اعـترف للمحققـين الفرنسـيين، أنـه قد اشـترك فى التخطيط للقيام بهجوم إرهابى فى أسـتراليا. وأنه قد تعرف على سـاجد فى معسـكرات الأشـقار الطيبة بباكسـتان. ويبدو أن ساجدا، الذى لم تتمكن السلطات بعد من القبض عليه، كان هو المسئول عن تجنيد الجهاديين الأجانب فى المعسكر.

شهادة يونج كى كون:

قام الشـاهد يونج كى كون بالإدلاء بشـهادته فى قضية لودهى على شريط فيديو من الولايات المتحدة، تم عرضه أثناء جلسة لودهى بالمحكمة المركزية بسيدنى. وقال كون، الـذى كان يقـضى فترة الحكم الصـادر ضده ومدتـه ١١ عاما، لاتهامه بارتكاب نشـاط إرهابى. قال للمحكمة إنه قد تقابل مع بريجيت بمعسـكرات الأشـقار الطيبة التدريبية بباكستان فى أواخر عام ٢٠٠١. إلا أنه أكد أنه لم يقابل لودهى من قبل.

كما اتضح أنه قد طار إلى باكستان بعد فترة وجيزة من اعتداءات ١١ سبتمبر، «كى يتدرب على أساليب القتال فى المعارك». وخلال تحقيقات المدعى العام معه، اعترف «أنه كان على استعداد لأن يفعل أى شىء فى سبيل مساعدة المقاتلين المسلمين». وقد سافر إلى قاعدة الأشقار الطيبة بلاهور، وذلك قبل أن يلتقى ببريجيت بجبال باكستان. وذكر أن اسمه المستعار كان صلاح الدين. كما أكد له «أنه كان يسكن فرنسا، وأن كل إخوانه المسلمين قد تركوها». وأنه كان يقاسم بريجيت الحجرة بعد فترة من تعارفهما. وأضاف أن بريجيت قد أكد له أنه يتطلع للجهاد، وكذلك «أن هناك شيخا واحدا، هو أسامة بن لادن». كما ذكر أنه تعرف إلى شخص آخر بأستراليا ولا يعرف سوى اسمه المستعار: أبو أسد، والذى كان يعتزم العودة إلى بلده.و من حديثه:

> **أنه لكى يسمح له بالذهاب إلى معسكرات الأشقار الطيبة، كان لابد من الحصول أولا على جواب تزكية من شيخ بأستراليا... وأن عمه قد ذهب إلى هناك ثم عاد مرة أخرى. كما تذكر أنه رأى جماعة أبى أسد تتدرب على فنون الجهاد وبعض المناورات القتالية. وكان التدريب الأساسى ومدته خمسة وأربعون يوما يتضمن استخدام AK -٤٧sKM١٦s وهى أسلحة وبنادق خفيفة، إلى جانب القنابل اليدوية بالدفع الصاروخى أو RPG.**

وقال «كنا نتدرب على فك البنادق ثم إعادة تجميعها من جديد. وعلى التصويب الصحيح».كما كان على المتدربين، أيضا أن يتعلموا فنون الاستطلاع والتمويه، وإستراتيجيات الهروب. وكذلك الحديث بالشفرة، والتدرب العملى على إصابة الهدف. وأضاف كون: «كنا نصعد إلى أعالى الجبال ونتجسس على المعسكرات الأخرى التابعة للأشقار الطيبة، وفى بعض الأحيان كنا نخترق حدودهم دون أن يشعروا بنا. ثم نقدم تقاريرنا حين العودة».

وقد حاول محامى الدفاع فيليب بولتون ومستشار بالمحكمة، التشكيك فى نزاهة أقوال كون. وتأكيد أنه قد كذب على السلطات الفيدرالية أثناء التحقيق معه بشأن تحركاته فى مارس ٢٠٠٣. وقد اعترف الشاهد بالفعل بالكذب، وفيما بعد قدم التماسا

بتخفيف الحكم فى مقابل إدلائه بمعلومات مفيدة للمحققين. وحين تم استجوابه أولا من خلال AFP عن صلته بالإرهاب فى ديسمبر ٢٠٠٣، قال إنه يأمل من خلال تقديم أدلة فى قضية لودهى وقضايا أخرى اشترك فيها أصدقاء له، أن يحصل على حكم مخفف من السلطات.

التحقيقات

تـم فحـص حاسـوب لودهى قبـل إلقاء القبـض عليه بعدة أشـهر، وذلـك فى مقر عمله بشركة الأعمال المعمارية بسـيدنى. واتضح طبقا لذلك أنه قد دخل على موقع تابع للتخطيط الحكومى بهدف الحصول على صور من خلال الأقمار الصناعية لأبنية بالمدينة وللبنى الأساسـية لوسائل النقل. ويعتبر هذا الموقع، ويسمىiplan، متاحا للجميع من أجل تيسـير عمل مخططي المدن والمهندسين المعماريين وغيرهم. وقد زعم المدعى العام، أن لودهى قد تخلص من الصور التى التقطها من الجو، لمنشآت سيدنى العسكرية بما فيها قاعـدة هولثورثـى أيضا، بإلقائها فى صندوق قمامة بحديقـة عامة، على مقربة من منزله. ويبـدو أن أجهزة الرقابة قد تمكنت من عرض صـور لودهى، وهو يحاول التخلص من تلك الصور فى «مكان مهجور للنفايات».

و من ضمن التهم الموجهة إليه، أنه قد أرسـل فاكسـا لشركة كيماويات، بهدف شراء محلـول اليوريا نـترات، ويعد مـن الكيماويات التى يصنـع منها المتفجرات، مسـتخدما للتمويه اسم شركة واسما مزيفا للحصول على رقم محمول. وحينما داهم البوليس منزل لودهـى ومـكان عمله فى شـهر أكتوبر ٢٠٠٣، استـولى على أسـطوانة تتضمن تعليمات إرشـادية عسـكرية تابعة للولايات المتحدة خاصة بالأسـلحة والمتفجـرات، وأكثر من ٦٠٠ ملـف يتعلق بالإسـلام المتطـرف، وبعـض التوجيهات المكتوبة بخـط اليد لشراء جواز سفر مزيف، إلى جانب أشعار تمتدح الشهادة فى سبيل الله.

كما كشـف جهاز المخابرات الأسـترالى النقاب، عن العثور على خمس عشرة صفحة كتبت باللغة الأردية بالدرج العلوى لمكتب لودهى. وقد اتضح من قراءتها، أن لودهى

قـد تقدم بطلب كيماويـات، لتصنيع المتفجرات. كما أن تلك الصفحات، تشـمل أيضا، طريقـة توليـد النـار كيميائيا، وتصنيـع القنابل من البترول، والسـموم، وغاز السـيانيد والحبر السرى وحامض السـلفور والقنابل اليدوية، وجهـاز موقوت للمتفجرات. كما تضمنت أيضا بعض الإجراءات الخاصة بالاسـتخبارات. وقد تم الكشـف عن مواقع الأهداف التى كان لودهى يعتزم تفجيرها، وتشـمل، الشبكة القومية لتوزيع الكهرباء. وثـلاث منشـآت دفاعيـة بسـيد نى، هـى حواجـز فيكتوريا، وقاعـدة سـيدنى البحرية HMAS Pemguin وحواجز هولثورثى.

اتهامات الإدانة والأحكام الصادرة

تم توجيه ثلاثة اتهامات أساسية للودهى:

- فى الثالـث من أكتوبـر ٢٠٠٣، أو فى تاريخ مقارب له، تمكـن لودهى من الحصول على وثائق منها خريطتان تتعلقان بشـبكة توزيع الطاقة الكهربائية بأستراليا. وكان الهـدف مـن ذلـك القيام بنشـاط إرهابى، هـو تفجير جزء مـن الشـبكة الكهربائية الأسترالية. وهذه الاتهامات، أدت إلى إصدار أشد العقوبة ضده، وهى خمسة عشر عاما.
- وفى العاشر من أكتوبر ٢٠٠٣، أو فى تاريخ مقارب له، سـعى المتهم إلى الحصول على معلومات تسـاعده فى القيام بنشـاط إرهابى يتعلق بتوفير مواد لتصنيع المتفجرات أو أجهزة إشـعال الحرائق. والعقوبة ضد هذه الاتهامات هى السـجن مدى الحياة. وهى أقصى عقوبة.
- وفى السـادس والعـشرون مـن أكتوبر ٢٠٠٣، تمكـن المتهم من الحصـول على وثائق تحـوى معلومات خاصة بمواد مثل السـموم، والمتفجرات والقنابل إلى جانب أجهزة تفجيريـة وطـرق تصنيعهـا. وكلها بغـرض القيام بأنشـطة إرهابية. وقـد صدر ضده عقوبة بالسجن لمدة خمسة عشر عاما جراء هذه الاتهامات.

وقد صدر الحكم النهائى على لودهى، بقضاء عشر سنوات عقوبة الاتهام الأول وعشرين عاما للثانى وعشر سنوات للاتهام الثالث. على أن يقضيها بشكل متزامن. وتمت تبرأته من تهمة رابعة موجهة إليه، تتعلق بالتقاطه صورًا من الجو لبعض المنشآت الدفاعية الأسترالية فى الرابع والعشرين من أكتوبر ٢٠٠٣ أو فى تاريخ مقارب له.

الدوافع

وكان تعليق القاضى أنطونى ويلى على دوافع لودهى «أنه كانت لديه نية تنفيذ أجندة سياسية ودينية أو أيديولجية خاصة بالجهاد الإسلامى العنيف، بغرض غرس بذور الرعب فى قلوب المواطنين الأستراليين حتى لا ينعموا بشعور الأمن والاستقرار. بل ليشعروا بالتهديد والخطر فى وطنهم».

الناحية النفسية لشخصية لودهى

جدير بالذكر أن لودهى لم يعترف علانية قط بإدانته، بل أصر على براءته طوال فترة المحاكمة. وقد أخبر الاستشارى النفسى للطب الشرعى، الدكتور تيم واطسون-مانرو، أنه يعتبر نفسه مسلمًا ورعًا. وأن هذا الورع والإيمان والاهتمام بالدين قد جد على حياته وتزامن مع فترة زواجه. وأنه قبل ذلك «لم يكن مهتما بأمور الدين على الإطلاق».

كما أخبر الطبيب النفسى أيضا، أنه شعر بحاجة ملحة إلى إعادة هيكلة حياته والتركيز على الجانب الروحانى. فبدأ اهتمامه بالدين وتردده على الجامع بانتظام. وقد استمر اهتمامه بالدين بعد زيارته المهمة لباكستان بعد عام ٢٠٠٠. وقد أكد الطبيب النفسى واطسون مانرو، أنه لم يجد فى حياة لودهى أى حادث قريب أو بعيد الحدوث، يمكن اعتباره السبب الأساسى وراء اتجاهه إلى العنف. كما أنه، من حديثه معه، لم تتضح أية جوانب لشخصية غير اجتماعية أو حاقدة على المجتمع الذى يعيش فيه. بل إن لودهى قد أقر أنه جاء إلى أستراليا بمحض إرادته وبهدف تحسين مستوى حياته. وأنه لم يشعر قط بأية ميول عدوانية أو باستياء تجاه هذا البلد. كما اتضح أيضا أنه لا يوجد أى مؤشر لإصابته بالاكتئاب أو بأى مرض يتعلق به، فى فترة التقييم النفسى.

وطبقا لمانرو فإن الحكم على مدى خطورة لودهى وتهديده للمجتمع حينما يطلق سراحه، يعتبر أمرا غير يسير، نظرا لإصراره على البراءة رغم الأحكام الصادرة ضده.

وقد ذكر الطبيب النفسى، أن هناك مؤشرات إيجابية بملف لودهى. حيث إنه لم يسبق له المثول أمام القاضى، ولم يتردد على أقسام الشرطة من قبل؛ لذا فسجله يعتبر خاليًا من أية مخالفات. بل يشهد كل من تعامل معه أنه كان يميل إلى الاجتهاد فى العمل والمثابرة، وقد كان كل أفراد أسرته فى أستراليا يساندونه.

و قد شكا لودهى للخبير النفسى من احتجازه فى قسم الخطرين على الأمن والمصنفين «AA» ، وأنه يعانى من ذلك. إلا أن الدلائل أشارت على الرغم من ذلك على تأقلمه الجيد مع هذا الوضع الجديد.

تعليقات القاضى الختامية

وقد أكد القاضى أنطونى ويلى، فى تعليقاته الختامية، قبل النطق بالحكم فى قضية لودهى، أن لودهى قد برهن طوال حياته العملية، على احترامه للعمل وأخلاقياته وأضاف:

إذا سمحتم لى، فسوف أنتقل الآن إلى الناحية الشخصية من حياة المتهم.

أولا، هناك حقيقة، أنه شخص قد قضى جزءًا كبيرًا من حياته بشكل سوى، لا يمكن أن يلام عليه. بل إنه ينتمى إلى أسرة كريمة تسانده بقوة. كما أنه ليست لديه أي سوابق إجرامية على الإطلاق. هذه الملامح والجوانب الإيجابية من حياة المتهم الشخصية، لابد وأن تؤخذ فى الاعتبار، ونحن بصدد إصدار أحكامنا النهائية فى قضيته.

ولكن من ناحية أخرى، فنحن نعجز عن فهم الأسباب التى تجعل شخصا بمثل هذه الأخلاقيات والأصل الطيب، يخطط من أجل القيام بتنفيذ هذه الأنشطة الإجرامية، والتى أدت إلى مثوله اليوم أمام المحكمة.

وقـد أصر المتهم على ادعاء براءته، ولا يزال مـصرا عليها حتى هذه اللحظة. وحقيقـة الأمـر، فأنا ما زلت أجهل الدوافع الحقيقيـة وراء تحوله من رجل يحظى باحترام المجتمع إلى إرهابى خطير، يؤمن بأفكار أصولية متطرفة.

ومـن المحتمل أن اتجاه المتهم إلى الناحية الدينية وقت زواجه قد أفضت به إلى تبنى أفكار المتطرفين الإسلاميين.

وقـد لاتتعـدى هذه الملاحظات مجـرد تكهنات بحقيقة ما حـدث، من وجهة نظـرى. ولكـن حتـى لـو ثبتت صحتهـا، فنحـن لا نـزال نجهل أسـباب تأجج تلـك الأفكار المتطرفة فى ذهنه، إلى الحد الذى يسـمح له بارتـكاب تلك الأفعال الإرهابية الخطيرة.

إن الدين الإسـلامى كما هو معروف عنه، دين مسـالم لا يحض على العنف أو يشـجع على قتل الأبرياء. بل إن الإسـلام الحقيقى لايلجأ إلى الحرب والقتال إلا حينما تستنفد كل الوسائل السلمية الأخرى. إن الجهاد الحقيقى كما ورد فى القرآن الكريـم، هـو جهاد النفس، ضـد رغباتها الأنانية من أجـل الوصول إلى حالة من السلام الداخلى.

ويبـدو أن المتهم قـد ضلل فى فهم معنى الجهاد الحقيقى فى الإسـلام. فأفكاره المتطرفـة لا تعـبر عنـه، بـل عـلى العكـس، تعتبر تشـويها بينـا للإسـلام الحقيقى ولتعاليمه السـمحة. وكما قلت سـابقا، فكل هذه الملاحظات أحاول بها أن أصل إلى الأسـباب الحقيقية وراء السـلوك الإجرامى الخطير لهذا المتهم الذى شـهد له الجميع من قبل، بحسـن السـلوك والأخلاقيات الفاضلة.. إلا أننى لا يمكن أن أزعـم بـأى حال، أننى قد توصلـت، ولو بقدر ضئيل لفهم أسـباب اختياره لهذا الطريق. كما أننى لا يمكن أن أمنحه أى قدر من التسـامح بحجة أنه نادم على ما اقترفه. حيث إنه، حقيقة الأمر، لايشعر بأى ندم على الإطلاق.

إن المتهم كان من حقه أن يدعى براءته طوال فترة المحاكمة وفيما بعدها أيضا. وهذا لايفاقم من التهـم الموجهة إليه أو يشـدد من الأحكام الصادرة ضده. ولكن

هـذا لا يجعلنى من ناحية أخرى قادرا عـلى منحه أى نوع من التخفيف فى الحكم بحجـة النـدم أو الإحسـاس بالذنـب. ومن ناحية أخـرى، فإن فـرض المحكمة لعقوبـات صارمـة عـلى المتهـم، لايضمن بأى حـال، إصلاحـه أو إعـادة تأهيله ليصبح مواطنا صالحا عند خروجه من السجن.

لذا فإنى لا أجد هنا أفضل من تكرار الرأى الذى عبر عنه الدكتور واطسـون مانـرو فى تقريـره، والذى يرجح أن عدم ممارسـة المتهم لأية تصرفات أو أنشـطة عنيفة من قبل إلى جانب تحليه بأخلاقيات حسـنة اجتماعيا والمسـاندة القوية التى منحتهـا إياه أسرته تعد، عوامل إيجابية، تحسـب لصالحـه. وترجح إمكانية نجاح المحكمة فى إعادة تأهيله، وأن يتكفل الزمن بتبديد اتجاهاته الفكرية المتطرفة.

إصدار الحكم

وفى يونيـة ٢٠٠٦ وجهـت هيئة المحلفين بمحكمة new south wales العليا ثلاث تهـم إرهابية للودهى من بين أربعة تهم. وفى الثانى والعشرين من أغسـطس، حكم على لودهـى بالسـجن مـدة عشرين عاما، عـلى أن يقضى منهـا على الأقل خمسـة عشر عاما. وسوف يكون من حق لودهى أن يغادر السجن لحسن سلوكه عام ٢٠١٩، وهو لايزال من الناحية الأمنية، مصنفا سجين «AA» أى من الخطرين.

النتائج

يبدو أن استشـارى الطب الشرعى النفسـى، الذى أشرف على حالة لودهى، وكتب تقريـرا بهـدف تقييمـه، لم يذهب بعيـدا فى تحليله. واكتفـى بالإطار التقليدى للكشـف النفسـى عـلى أى متهـم. وذلـك على الرغـم مـن خلفيتـه الاجتماعية وظروفـه الخاصة مـن ناحيـة التأثير الدينـى المتطرف الذى جد عـلى حياته، وأدى إلى اتجاهه إلى الأنشـطة الإرهابية العنيفة فى بيئته الجديدة بأستراليا.

ومـن الصعـب أن نتصـور أن لودهى قد جـاء إلى أسـتراليا، وهو مبيت لنيـة اغتنام الفرصة المواتية لممارسة هجوم إرهابى على موطنه الجديد.

إن الـذى حدث للودهى تزامن مع زيارته المتكررة لباكستان، كما حدث للكثير من الشباب الباكستانى الذين يقطنـون المجتمعات الغربيـة. (كإرهابي لنـدن وتفجيرات ٧/ ٧). هـؤلاء الشـباب، تعرضوا لعمليات غسـيل أدمغة على يـد الجماعات الإرهابية بباكسـتان، فكانـت «بداية جديدة» بالنسـبة لهم. ونتيجة لذلك كان شـاب مثل لودهى مسـتعدا للتضحية بكل ما بناه من مسـتقبل واعد، وحياة مهنية يحسده عليها الكثيرون، إلى جانب التوتر الذى شاب العلاقات الزوجية وعلاقاته الأسرية فى أستراليا من جراء إقباله على مغامرة غير محسوبة العواقب، سوف تقوده حتما إلى أعتاب السجون.

ولا شـك أننا بحاجـة إلى مزيد من الأبحـاث الخاصة بالإسـلاميين المتطرفين الذين يعيشـون فى المجتمعات الغربية ويعملون بها، خاصة من ينعمون بحياة مهنية مسـتقرة. ويزعمـون أنهم لا يضمرون أى عداء أو يشـعرون بكراهية تجاه المجتمع الذى يعيشـون فيه، كما هو الحال بالنسبة للودهى. و ذلك للوقوف على الأسباب الحقيقية وراء اتجاهاتهم العدوانية الجديدة تجاه أوطانهم الغربية.

ويمكن أن يكون من مجالات الأبحاث الجديدة فى المستقبل، مقارنة المهنيين المتورطين فى تفجيرات يونية ٢٠٠٧ فى لندن وجلاسكو بالمملكة المتحدة بقضية لودهى، حيث إن هناك تشابها كبيرا فيما بينهما، وذلك للبحث عن جوانب أو مؤشرات مشتركة.

المراجع

Kapisthalam, K. (2006). The truth about Lashkar-e-Tiba. Retrieved June 10, 2009, from www. hartwilliam.com/hd8/blog/2006_03_05_A%20Holy-Owned%20 Subsidiary.

New South Wales Supreme Court, R V. Ladhi (2006). NSWSC 691. Hearing dates 19/04/06-19/06/06; 13/07/06;13/07/06; Jugement date 23 August 2006.

O>Brien, N., & SAymons, E-K. (2007). Aussie attack planner revealed. The Australian, 16 March.

Willson, (2005). Lashkar-E-Tobia: New threats posed by an old organization. Terrorism Monitor, 3, 24 February. Retrieved June 10, 2009, from www.jamestown.org/ single/?no_cache=1&tx_ttnews%5Btt_news%=27599

الفصل الخامس

دور الظلم فى نشأة الإرهاب السياسى المعارض

مقارنة بين منظمة الفتح، وفارك، وبيرا[1]

جيفرى إيان روس

نبذة: يستعرض هذا الفصل الأسباب الديناميكية والهيكيلية الخاصة بنشأة هذه المنظمات الإرهابية السياسية المعارضة، الفتح، وفارك وبيرا. وذلك من خلال استعراض الخلفية التاريخية لكل منظمة على حدة، ثم محاولة تطبيق عشرة أسباب هيكيلية مسئولة عن نشأة تلك المنظمات. وقد كشفت النتائج عن قوة تأثير عامل التظلم فى دعم استمرارية تلك المنظمات الإرهابية.

مقدمة

تعرف، خلال خمسة العقود الأخيرة، العديد من الباحثين والسياسيين والمتخصصين والنقاد، على عدة أنواع من الإرهاب. وفى محاولتهم لفهم هذه الظاهرة، استطاعوا أن يبلوروا أفكارا تصلح أن تكون إطارا لتعريف الإرهاب. ثم صاغوا من هذا التعريف نماذج تحليلية مفيدة، كانت بمثابة اللبنة الأساسية فى بناء صرح ضخم لدراسات متعددة فى مجال الإرهاب.

---

(١) شكر خاص لديفيد كانتر، وكلير دليزل وجلين فيدر ودون ل. روث لتعليقهم على هذا الفصل.

فعلى سبيل المثال، أسهم ألكس شميدت فى تطوير تعريف متفق عليه عام ١٩٨٣. وقام بتعديله فيما بعد. ويحظى هذا التعريف بقيمة كبيرة أكاديميا. (شميدت ويونجمان، ١٩٨٨)(روس، ١٩٩٣ وجور، ١٩٨٩).

ومن النماذج المهمة لتصنيف الإرهاب، نموذج ميكولوس (١٩٨١) الذى قام على أساس قياس مدى تدخل الحكومة، ودرجة امتداد أثره إلى أكثر من بلد واحد. ويعتبر نموذج متعدد الفوائد. ومن إنجازات نموذج ميكولوس الأساسية، تعريفه للإرهاب السياسي المعارض. حيث صنف هذا النوع من العنف السياسى إلى عدة أنواع، أولا المحلي، وثانيا الذى يتجاوز نطاق الدولة، وثالثا الدولى. ثم أخيرا الإرهاب الذى تدعمه الدولة. والذى تمارس فيه الحكومات العنف السياسى ضد شعوبها. وطوال الأربعة عقود الماضية، لم يقتصر الأمر على البحث فى المفاهيم المتعددة لظاهرة الإرهاب، بل طور الباحثون مجالات بحثهم لتشمل أسباب الإرهاب أيضا. ومع ذلك، فلم يحاول سوى عدد قليل منهم، أن يطور ما يمكن اعتباره نموذجا سببيا، أو نظرية تتعرض لأسباب الإرهاب السياسى المعارض. بل كان يمكن أن نرصد خلال السنوات الأخيرة معارضة ملحوظة، وصلت فى بعض الأحيان إلى حد رفض الاعتراف بوجود «أسباب جذرية للإرهاب» (نيومان، ٢٠٠٦). إلا أن تلك الدراسات التحليلية، فى نهاية الأمر قد أفرزت قاعدة ضرورية ومفيدة من المعرفة، قامت على أساسها دراسات أخرى. ونذكر من إنجازات الدراسات التحليلية، التعرف على متغيرات سببية مهمة، وتحديد عوامل أخرى محورية خاصة بتطور مراحل الإرهاب المتعددة. (كرنشو، ١٩٨١، جونسون، ١٩٨٢، الفصل الثامن). إلى جانب توصيف العناصر الفردية فى إطار تاريخى (تارج ١٩٧٩). والتطوير الجزئى للنموذج الخاص بالأسباب.(كرنشو، جونسون) والقدرة على التعرف على العوامل المسئولة عن أسباب الصراع، من داخل النظريات العامة. (هاملتون ١٩٧٨). بالإضافة إلى تحديد عمليات مساهمة. (جروس، ١٩٧٢) وإجراء اختبارات للعلاقات بين المتغيرات ثم التصنيف على أساسها.(هاملتون). وبناء نماذج للإرهاب على أساس أسبابها وتعاقب حوادثها. (جروس وهاملتون). ورغم فوائد

تلك الأبحاث والدراسات، فإنها، لا تشكل بأى حال نظرية متكاملة وشاملة أو ما يرقى إلى نموذج واضح لظاهرة الإرهاب. (روس، ١٩٩٣، ١٩٩٩).

الهد ف

ولاشك أن توافر نموذج يفسر الأسباب التى تؤدى إلى حدوث الإرهاب السياسى المعارض، بشكل دقيق سوف يسهم فى زيادة فرص الخبراء فى تقليص حدوث هذا الشكل من أشكال العنف السياسى. أما إذا أردنا فهم ودراسة مسألة تعاقب تلك الأنشطة من العنف السياسى، فلابد من دراسة الناحية الهيكلية، وهى أقل تكلفة من الناحية النفسية، التى تتطلب ضرورة إجراء مقابلات مع (الإرهابيين السابقين، أو المحتجزين بالسجن أو فى أماكن أخرى يصعب الوصول إليها لخطورتها) .

وجدير بالذكر أن لكل شكل من أشكال الإرهاب أسبابه الخاصة. فالإرهاب يعتبر بشكل جوهرى رد فعل لمجموعة من الأسباب غير الظاهرة، تتعلق بالناحية النفسية والهيكلية، التى تتفاعل مع بعضها البعض، وتستمر فى التطور. ويقوم بتنفيذها الإرهابيون الذين يتفاعلون مع المحيط المرتبط بتلك الحوادث (أى الضحايا، والجمهور، والمجتمع، والحكومة). وبالتالى فإن الأهمية النسبية لأى متغير من تلك المتغيرات، يتوقف بشكل أساسى على المضمون الذى يشمل بدوره صفات الإرهابى المنفذ، والنشاط الإرهابى، والهدف، والبلد، والجمهور، وأخيرا الإطار الزمنى. ومع التسليم بوجود تنوع كبير بين الإرهابيين والمنظمات التى ينتمون إليها، وكذلك المحيط الذى يعملون به، فإن الوصول إلى نوع من التعميم لا يعتبر مستحيلا رغم ذلك. شرط أن يتجاوز المحللون إطار دراسات الحالة، ويقومون باختيار الفاعلين بشكل عشوائى. وقد بذل روس جهودا فى هذا الاتجاه أسفرت عن نموذج يمكن اعتباره هيكليا وسببيا للإرهاب السياسى المعارض. إذ تسمح درجة عموميته بإدراج مجموعة متنوعة من الإرهابيين الأفراد إلى جانب الجماعات الإرهابية، وكذلك مجموعة من المضامين التى يتفاعلون فى إطارها.

ويضـم النموذج عشرة عوامل أساسـية، ما بين القديم والمسـتجد، تتعاون فيما بينها لتفسـير ظاهرة تنامى الإرهاب السياسـى المعارض. وقد تم تطبيق هذا النموذج بشكل كامـل أو جزئي، فى حالة الإرهاب المرتبط بالحركة الانفصالية بمنطقة الكيبك (روس، ١٩٩٥) وكذلـك فى تحديـد العلاقـة بـين المعارضـة والإرهـاب فى نزاع / أزمـة منطقة الخليـج. (١٩٩٠-١٩٩١) (روس ١٩٩٥). كـما أنـه قـد تم توسـيع النموذج ليشـمل عناصر نفسية أيضا (روس، ١٩٩٩).

وقـد توصل الباحثـون إلى نتيجة مفادها أن كثيرا من هذه المتغيرات يعد ضروريا، ولكن قد يكون غير كاف. كما أنه لا يشترط، من ناحية أخرى، أن تتوافر كل العوامل التـى تـم ذكرها، كى تقع الحـوادث الإرهابية.. ونذكر فيما يلى تلـك العوامل، بادئين بأقلهـا أهميـة ومنتهين بأهمها عـلى الإطلاق: الحداثة، نوع النظام السياسـى السـائد، درجـة التمدن أو التحـضر، توفر الخدمات الاجتماعية، والثقافيـة، والتاريخية، درجة التنظيـم والتنمية، وجود أشـكال من الاضطرابات داخل المجتمع، المسـاندة، فشـل المنظـمات المناهضـة للإرهـاب، مدى توافـر الأسـلحة والمتفجرات، وأخـيرا وجود أسـباب للتظلم، وهذا العامل الأخير هو المحرك الأساسـى لأى نشاط إرهابى، فهو الـذى يدفع بالأفـراد والجماعات إلى محاولة العثور على شـبكة منظمـة من المتطرفين، تمكنهـم من التنفيس عن غضبهم أو حنقهـم الداخلى ضد النظام. وقد أهمل كثير من الكتاب والمحللين الذين عنوا بمشكلة الإرهاب هذه الحقيقة، التى بدونها، لا يمكن أن نفهم فهما شـاملا، ما يعترى الأفراد والجماعـات من تغيير وتحول يدفعهم لخوض تجربة النشاط الإرهابى.

اختيار الحالة

فى هـذا الفصل نشـهد تطبيـق المتغيرات الهيكلية للنموذج السـببى على ثلاثـة أنواع من الإرهاب السياسـى المعـارض. وقد تم اختيار هذه الأنواع الثلاثة، على أسـاس الاختلاف الجغـرافى، وتقارب الأهداف بالإضافة إلى مدى شـهرتها للرأى العـام وخبراء مكافحة

الإرهـاب والعلـماء على حد السـواء. كما أن المنظمات التى وقع عليهـا الاختيار، لا تزال ناشـطة فى مجال الإرهاب مع اختلاف فى درجة كثافة عملياتها. ويعتبر الأسـلوب الذى نطبقـه أقرب لما يمكـن أن نطلق عليـه، «النموذج الأكثر تشـابها» (ليجفارت، ١٩٧١، ١٩٧٥). وهـذا الأسـلوب يحد من إجـراء المقارنات بـين المجموعات التى تشـترك فى ملامح عامة، حتى يمكن الخروج بتعميم يعتد به نسبيا.

أولا، تمخـض عـن النزاع الإسرائيلى الفلسـطينى عـدد من المنظـمات الإرهابية منها الفتـح، والجبهـة الشـعبية لتحريـر فلسـطين، والجبهـة الديمقراطية لتحرير فلسـطين، والقيـادة العامـة، ومجموعة أبى نضال، وحماس. وجميعها كانت تحارب من أجل إنشـاء وطن مسـتقل للشعب الفلسطينى. وتعد منظمة الفتح، من أول تلك المنظمات من ناحية النشـأة وأكثرها شـهرة وأيضا أكبرها. (أو فتح للاختصار). وقد تأسسـت عام ١٩٥٧ وتزعمها أولا ياسر عرفات. وقد أعلنت مسـئوليتها عن ٢٣٣ حادثا أسـفر عن ١٤٦٢ مصابا و٤٦٣ قتيلا (معلومات TKB تم الوصول إليها فى ٢١ فبراير ٢٠٠٨).

ورغـم أن فتـح قـد أعلنت مـن قبل بصفـة رسـمية اعتزامهـا البعد عـن العمليات الإرهابية، فإنها لا تزال تساند العديد من الجماعات الإرهابية مثل كتائب الأقصى (والتى يطلق عليها، الجناح العسكرى لفتح) وتقوم بالعديد من العمليات الاستشهادية.

ثانيـا، الجيش الجمهـورى الثورى لكولومبيـا (فارك)، وقد تأسسـت عام ١٩٦٤، وهـى أحد أقدم المنظمات الإرهابية بأمريكا الجنوبية. ومن أهدافها، اسـتبدال الحكومة الحاليـة فى كولومبيـا بنظام حكم يقوم على أسـاس المبادئ الماركسـية - اللينينية. ومنذ نشـأتها، تورطـت هذه المجموعـة فى ٦٥٦ حادثا، أسـفر عن ١٣٧٣ مصابـا. بينما لقى ٧٠٣ أشـخاص حتفهم. (طبقا لمعلومـات TKB التى تم الوصول إليها فى فبراير ٢١، ٢٠٠٨).

وفى عام ١٩٨٤ قررت الحكومة التفاوض مع منظمة فارك، بعد تزايد ضحاياها من القتـلى والمصابين خاصة بين قوات البوليس والجيش والمدنيين على حد السـواء. وذلك

على أمل أن تتحول هذه المنظمة إلى حزب سياسى محترم ومسئول. وبينما تجاوب بعض الأعضاء مع مطالب الحكومة، تمسك البعض الآخر بمبادئه وخططه الأولى لمحاربة الحكومة. وكان من نتائج تلك الانفراجة أن بدأ بعض أعضاء الجيش الكولومبى، من المتمردين، حربا غير رسمية ضد أعضاء فارك الشرعيين. مما ترتب عليه استئناف فارك حملتها الإرهابية ضد الحكومة عام ٢٠٠٢. ومن المعروف أن عدد أعضاء تلك المنظمة وصل إلى ١٧٠٠٠٠ عضو. (هولمز، وجوتيريز دى بينيرس وكورتين، ٢٠٠٧).

ثالثا: فى منطقة شمال أيرلندا، حيث تعارض الأقلية الكاثوليكية من القوميين، شرعية الدولة، رفع الجيش الأيرلندى الجمهورى لواء الحرب المسلحة ضد النظام من ١٩٦٩-١٩٩٧. والجيش الجمهورى له تاريخ طويل فى مقاومة الوجود البريطانى فى أيرلندا. ولكن الكفاح الحقيقى لم يبدأ قبل عام ١٩٦٨ بعد بدء حركة الحقوق المدنية، حيث بدأت المنظمة فى مقاومة القوانين القمعية وعنف رجال البوليس والعداء ضد البروتستانت.

وقد قامت مجموعة الجيش الأيرلندى الجمهورى إيرا (بيرا) والتى تأسست، بعد انفصام عروة الجيش الأيرلندى الرسمى (إيرا) بعدة هجمات بمنطقة شمال أيرلندا وبإنجلترا ومناطق أخرى، لتحفيز الإنجليز على هجر شمال أيرلندا.

وقد تمخض عن توقيع مبادرة السلام عام ١٩٩٣، استتباب عملية السلام فى أيرلندا. وشهد العقد الأخير توقيع اتفاقية يوم الجمعة الطيب إلى جانب نزع سلاح الجيش الأيرلندى المؤقت، كما شهد شكلا جديدا من أشكال انتقال السلطة وتقاسمها بين القوميين وممثلى الاتحاديين. ومنذ نشأتها الأولى، وجه إلى IRA اتهامات بارتكاب حوالى ٨٤ حادثا إرهابيا، (طبقا لمعلومات TKB. تم التوصل إليها فى ٢١ فبراير ٢٠٠٨). ورغم تأكيد معلومات TKB أن الأنشطة الإرهابية للجماعة قد أسفرت عن ١٤٠ إصابة و٢٩ حالة وفاة (طبقا لتقرير ٢١ فبراير ٢٠٠٨) وتأكيد ملف النزاع المتاح على شبكة المعلومات الإلكترونية، لنفس المعلومات، وطبقا لمالكولم ساتون (فهرس

حالات الوفاة نتيجة النزاع الأيرلندى ١٩٦٩-١٩٩٣). فقد وصل عدد القتلى فى واقع الأمر إلى ٣٥٢٤ قتيلا، وما يقرب من ٣٠٠٠٠ مصاب (١٩٦٩-٢٠٠٠). وطبقا لساتون ١٩٩٤، فإن IRA تعتبر مسئولة عن نصف أعداد القتلى فقط.

تستعرض دراسة الحالة التى نقدمها فى الجزء التالى، تاريخ تلك المجموعات الثلاث مع التركيز على المتغيرات الهيكلية التى تسببت فى نشأتها.

الفتح

فى يوم ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧، وافقت الأمم المتحدة على القرار رقم ١٨١، الذى تم بمقتضاه، تقسيم فلسطين (وكانت تحت الاحتلال البريطانى منذ سقوط الإمبراطورية العثمانية فى الحرب العالمية الأولى، حوالى عام ١٩١٨) إلى دولتين: دولة يهودية، وأخرى فلسطينية للأغلبية من العرب الذين يعيشون فى المنطقة. ورغم قبول الجانب اليهودى (المسئول عن المفاوضات) لهذه الخطة، فقد رفضها الجانب الفلسطينى والدول العربية المجاورة، التى ساندت فلسطين فى معارضتها لهذا القرار. ومنذ ذلك التاريخ، والعنف مشتعل على أرض فلسطين بين الطرفين. يوم ١٤ مايو ١٩٤٨، سحبت القوات البريطانية جيوشها، وحلت محلها الجيوش الإسرائيلية. التى عملت على توطيد مكانتها منذ وصولها. وبدأت فى تنفيذ سياسة قمعية منهجية ضد الفلسطينيين الذين يعيشون داخل حدود الدولة اليهودية. (شومسكى، ١٩٨٣، موريس، ٢٠٠١). مما أدى إلى انتقال أعداد كبيرة منهم إلى البلاد العربية المجاورة، مثل مصر، ولبنان، وسوريا والأردن.

وفى عام ١٩٥٧، كون ياسر عرفات ومجموعة تتألف مما يقرب من عشرين شخصا ينتمون إلى عدة مجموعات فلسطينية صغيرة، تعمل فى السر، منظمة الفتح بالكويت. (هارت ١٩٨٤، إياد ١٩٨١، ميشال ١٩٨٦). وقد تأثرت هذه المجموعة بنجاح الثورة الجزائرية، التى اعتمدت فى نضالها ضد المستعمر الفرنسى على حرب العصابات. وبمرور الوقت أصبحت فتح، «أكبر وأقدم وأكثر منظمات المقاومة الفلسطينية نفوذا وقوة» (لونج،

١٩٩٠، ص٣٦). وكانت تعرف أيضا باسم حركة التحرير الفلسطينية. وتضم فتح ما بين ١٢ إلى ١٥ ألف مقاتل، إلى جانب العديد من المؤيدين والمساندين. (ليفنجستون وهاليفى، ١٩٩٠، ص ٧٢). وجدير بالذكر، أن فتح تركز على القومية الفلسطينية. فهى لا تنحاز إلى أى فكر أيديولوجى سياسى، أو معتقد دينى بعينه. وذلك رغم كون أغلبية قادتها من المسلمين. (لونج، ١٩٩٠، ص ٣٦). وقد حصلت على مساعدات مادية من «حكومات عربية، ومن اشتراكها فى أنشطة إجرامية، إلى جانب أرباح من مسئولياتها واسعة النطاق وأنشطتها المتعددة» (ليفنجستون وهاليفى ١٩٩٠، ص ٧٢).

وقد كان لفتح، على مدى تاريخها الطويل، مكاتب فى العديد من دول العالم. خاصة فى الشرق الأوسط وأوروبا وآسيا. وفى وقت كتابة هذه السطور، فإن قيادتها الوحيدة المعروفة توجد فى الضفة الغربية. وهذه المنظمة الإرهابية تنقسم إلى عدة وحدات فرعية. إحداها الفرع الغربى «الذى كان يتزعمه أبو نضال حتى أبريل ١٩٨٨. وتعتبر كيانا لإدارة عمليات الكفاح المسلح فى الأراضى المحتلة. وقد كان مقرها الأساسى أولا عمان بالأردن قبل أن تنتقل إلى بغداد «وتتألف من ٤٠٠ عضو. ومنذ وفاة أبى نضال، تولى ياسر عرفات قيادتها بالكامل» (ليفينجستون هاليفى، ١٩٩٠ ص٧٣).

وفى عام ١٩٦٤ وبمساندة من الدول العربية الأخرى، تمكنت مصر من تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية (PLO) وكانت تعتبر حكومة الشعب الفلسطينى. وفى يونيو ١٩٦٧، شنت مصر والدول العربية المجاورة كلبنان والأردن وسوريا هجوما عسكريا ضد إسرائيل. عرف فيما بعد بحرب الستة أيام. وقد تمكنت إسرائيل من إلحاق الهزيمة بالجيوش العربية، بل وتمكنت من الاستيلاء على مزيد من الأراضى العربية، فاستولت على قطاع غزة وشبه جزيرة سيناء ومرتفعات الجولان، إلى جانب القدس الشرقية والضفة الغربية (المعروفة أيضا بالأراضى المحتلة). وقد تمكنت فتح من السيطرة على منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٨ بعد نكسة حرب الستة أيام ومعركة الكرامة بالأردن فى مارس ١٩٦٨، والتى تمكنت خلالها من تحقيق عدة مكاسب عسكرية ضد الجيش الإسرائيلى المحتل.

وفى سنوات الستينيات والسبعينيات، قامت فتح بتدريب إرهابيين من منطقة الشرق الأوسط ومن أوروبا وآسيا وأفريقيا، وذلك من أجل زيادة مواردها المادية وخدمة الأهداف السياسية فى نفس الوقت. وكانت فتح، تنفذ عمليات إرهابية دفاعا عن قضيتها الوطنية وقضايا الآخرين أيضا. وفى ذلك الوقت كان العديد من الدول العربية يمد فتح بالمساعدات المادية مثل المملكة العربية السعودية والكويت ودول أخرى خليجية.

وفى سبتمبر من عام ١٩٧٠، قام الملك حسين، العاهل الأردنى بطرد الكوادر الفلسطينية التى كانت تقطن الأردن، وذلك خشية من ضياع مركزه السياسى. ويعتبر الفلسطينيون والأردنيون متقاربين جدا من ناحية العرق. إلى جانب أن الكثير من الفلسطينين المقيمين فى الأردن كانوا بالفعل مواطنين أردنيين.وقد انتقل أغلبهم إلى جنوب لبنان، حيث أعادت فتح تأسيس قيادة قوية تمكنت من شن هجمات عنيفة على المستوطنات الإسرائيلية فى الشمال.

وعلى مدى سنوات وجودها، قامت فتح بعدة أنشطة إرهابية، سواء بمفردها أو من خلال أحد فروعها، ضد أهداف إسرائيلية. فعلى سبيل المثال، قامت منظمة سبتمبر الأسود (أيلول الأسود) والتى تأسست على أنقاض الفلسطينين المرحلين من الأردن، بعدة عمليات إرهابية، منظمة، أشهرها قتل ١١ رياضيا إسرائيليا، فى دورة ميونخ الأولمبية عام ١٩٧٢، وكذلك اغتيال دبلوماسيين أمريكيين، هما السفير كليو نوال ونائبه كيرتس موور بالخرطوم فى مارس ١٩٧٣ (لونج ص٣٨-١٩٩٠). وبعد فترة قصيرة من قيام حرب يوم كيبور عام ١٩٧٣، والتى انتهت بفشل مصر وسوريا، بمساندة تحالف من دول عربية أخرى، فى استرداد الأراضى المحتلة عام ١٩٦٧ من أيدى الإسرائيليين، فقد العديد من المنظمات الفلسطينية الإرهابية ثقته فى مصر وسوريا كحلفاء مساندين لها، وأعلنت فتح، فى تصريح لها أنها سوف تقلع عن القيام بعمليات إرهابية دولية، خاصة عمليات الاختطاف، حيث إنها لا تخدم قضيتها. كما وجهت اللوم والتوبيخ لفروعها التى قامت بعمليات متفرقة بعد هذا التصريح. (هاليفى

وليفنجستون، ١٩٩٠). وفى مبادرة دالة على بدء انتهاجه طريق الشرعية الدولية، ألقى ياسر عرفات خطابا بالأمم المتحدة، تزامن مع حل منظمة أيلول الأسود (دوبسون، ١٩٧٤).

وفى منتصف السبعينيات، أسس الإسرائيليون، بدعم من قوات الأمم المتحدة، منطقة آمنة فى لبنان على الحدود الشمالية لإسرائيل. وقد استمرت من ١٩٧٥، وحتى عام ١٩٩٠. وبدأت فى هذه الفترة حرب أهلية دموية فى لبنان. وقد نشبت بين فصائل لبنانية مثل المسيحيين الموارنة والمسلمين الشيعة، وحزب الله، والدروز وأعضاء من منظمة التحرير الفلسطينية من جانب آخر.

وفى عام ١٩٧٩، قامت حكومة إسرائيل والحكومة المصرية بتوقيع اتفاقية كامب ديفيد بوساطة الرئيس الأمريكى السابق جيمى كارتر. وفيها اعترفت منظمة التحرير الفلسطينية بأن عليها أن تتعامل مع إسرائيل بشكل مباشر وأن تقبل ببعض التنازلات.

وفى يونيو ١٩٨٢، ونتيجة للهجمات المتكررة من جانب حزب الله والفصائل الفلسطينية على حدود إسرائيل، قامت إسرائيل باحتلال لبنان، منتهكة منطقة الأمان المتفق عليها. وفى غضون أيام قليلة، كانت الدبابات الإسرائيلية فى طريقها إلى بيروت. وأثناء الاحتلال، تمكن، الفيلق، وهو حزب لبنانى سياسى يتكون من ميليشيات من الموارنة المسيحيين، الذين يعملون لحساب الجيش الإسرائيلى، من اقتحام مخيمات اللاجئين بصبرا وشتيلا، ببيروت بحجة القضاء على المسلحين الفلسطينيين. إلا أن ما حدث حقيقة الأمر، كان مذبحة مروعة، تراوح عدد ضحاياها بين ٤٦٠ و ٨٠٠ قتيل. من بينهم ٣٥ طفلا وامرأة.

وفى مايو ١٩٨٣، لعبت الولايات المتحدة الأمريكية دور الوسيط لفض الأزمة. وتمخض عن ذلك رحيل الفلسطينيين والإسرائيليين من لبنان. حيث حلت مكانهم، قوات حفظ السلام متعددة الجنسيات التى تعمل تحت مظلة الأمم المتحدة. وتتكون من الفرنسيين والأمريكيين والإيطاليين من أجل المحافظة على الأمن والاستقرار. وقد أعيد

توطين المقاتلين الفلسطينيين فى بلاد متعددة كالجزائر والعراق وتونس واليمن، وغيرها من بلاد منطقة الشرق الأوسط. (ميشال، ١٩٨٦). و«انتقل ياسر عرفات ومنظمة التحرير الفلسطنية إلى تونس» (لاكور، ص ١٠٢-٢٠٠٣).ورغم بعد المنظمة عن الهجمات الإسرائيلية بانتقالها إلى تونس، فإنها فى الوقت ذاته، قد نأت بنفسها عن نبض الشارع الفلسطينى وهمومه. مما مهد الطريق لأول انتفاضة فى تاريخ الشعب الفلسطينى. وكانت تعد حركة نابعة من الشعب ومعبرة عن حنقه واستيائه من العيش تحت وطأة الاحتلال الإسرائيلى.

وقد اشترك العديد من النشطاء الفلسطينيين الذين يعيشون فى الأراضى المحتلة فى تلك الانتفاضة، بدءا من عام ١٩٨٧. (شيف وياآرى ١٩٨٩). وكان الشباب يهاجمون فيها الجنود الإسرائيليين فى قطاع غزة والضفة الغربية، بالتراشق بالحجارة.وقد سجلت وسائل الإعلام، مشاهد للجيش الإسرائيلى، يهاجم فيها بشراسة هؤلاء الشباب الذين لا يملكون سوى الحجارة ليردوا بها على هجوم الجيش الإسرائيلى الذى تسبب فى العديد من حوادث القتل أو الإصابة. وسط هذه الأجواء المشتعلة، خرجت حماس إلى الوجود. وهى فى الأصل، جماعة إسلامية أصولية (تعتبر جناحا لجماعة الإخوان المسلمين). وحينما تأسست أولا عام ١٩٧٢، لم يكن دورها يتعدى (توفير الخدمات الاجتماعية والخيرية للمحتاجين من الشعب الفلسطينى). إلا أنها بدأت التورط فى أعمال إرهابية منذ عام ١٩٧٧. (ميشيل وسيلا، ٢٠٠٢). ومنذ ذلك الوقت تقوم حماس والجهاد (وهى منظمة أخرى أصولية إرهابية، يرجع اسمها إلى الجهاد الإسلامى أو «الحرب المقدسة»). بشن هجمات استشهادية ضد الجيش الإسرائيلى والمدنيين الإسرائيليين فى كل أنحاء الأراضى المحتلة وفى قلب إسرائيل أيضا. وجدير بالذكر، أن هاتين المنظمتين تعتبران جزءًا من جماعة الإخوان المسلمين، وتريدان تأسيس دولة إسلامية فى هذه المنطقة ولا تعترفان بحق بإسرائيل كدولة ذات سيادة.

(http//news.bbc.co.uk/١/hi/world/middle_east/978626.stm)

وتشكل الجماعتان تهديدا ليس فقط لإسرائيل، بل ولمنظمة التحرير الفلسطينية نفسها بالإضافة إلى العديد من البلدان الغربية، وذلك لتبنيهما منهجا أكثر عنفا وعدم مرونتهما فى إجراء المفاوضات.

وفى عام ١٩٩٣، وقعت كل من منظمة التحرير والحكومة الإسرائيلية، على اتفاقية أوسلو. بهدف إحراز بعض التقدم على مسار السلام بين الطرفين. بما من شأنه أن يفضى إلى تطبيع العلاقات بين الجانب الإسرائيلى وبقية الدول العربية. ومن ضمن التنازلات التى تحققت بموجبها أن تمتنع فتح عن ممارسة الأنشطة الإرهابية، مقابل أن يسمح الجانب الإسرائيلى بإقامة حكم فلسطينى ذاتى محدود فى قطاع غزة والضفة الغربية. وقد حصل إسحاق رابين وياسر عرفات على جائزة نوبل للسلام، لتوصلهما إلى توقيع هذه الاتفاقية، وتطبيق الحكم الذاتى الفلسطينى المحدود. ثم تأسست السلطة الفلسطينية الوطنية (PNA or PA) عام ١٩٩٤ لإدارة قطاع غزة والضفة الغربية بقيادة ياسر عرفات.

وبرغم هذا الاتفاق، فقد زعم أن فتح لا تزال تساند ماديا وسياسيا بعض الفصائل العسكرية، مثل القوة ١٧ ومجموعة الهوارى والتنظيم، وكتائب الأقصى. وفى عام ١٩٩٨، لاح أمل جديد للسلام بالمنطقة. إذ نجح الرئيس الأمريكى السابق بيل كلينتون، فى التوسط بين الجانبين لتوقيع اتفاقية واى ريفر بين عرفات ورئيس الوزراء الإسرائيلى نتنياهو. ومن ضمن نصوصها الأساسية، أن يضع الفلسطينيون حدا للإرهاب فى مقابل إعادة إسرائيل الأراضى المحتلة إلى الفلسطينيين، وأن يعود السجناء الفلسطينيون إلى السلطة الوطنية الفلسطينية. وقد عرفت فيما بعد «باتفاق الأرض مقابل السلام». ولكن نتيجة لتصاعد عوامل التوتر بين الجانبين، اندلعت الانتفاضة الفلسطينية الثانية عام ٢٠٠٠، وقد شهدت العديد من العمليات الانتحارية، خاصة فى الأماكن المزدحمة من المدن الإسرائيلية، كالأسواق أو داخل الحافلات.

وطبقا لنيومان (٢٠٠٣)، «فإن حماس والجهاد يتحملان مسئولية الهجمات ضد المدنيين الإسرائيليين بالضفة الغربية وداخل المدن الإسرائيلية» فى الملاهى الليلية،

والمطاعم ومحطات الحافلات، والمجمعات الشرائية.(ص١٥٥). وقد تسببت ردود الأفعال الإسرائيلية على هذه الهجمات فى مقتل العديد من الأفراد. ويشير نيومان «أنه طبقا لأغلب الإسرائيليين، فإن عرفات يعتبر متورطا فى هذه الهجمات، لفشله فى وقف الأنشطة الإرهابية لحماس والجهاد. بما يعد موافقة ضمنية على استمرارها... وقد يكون ذلك صحيحا فى بداية انتفاضة الأقصى. إلا أن عرفات قد فقد تدريجيا، السيطرة على الفصائل الفلسطينية المسلحة؛ وبالتالى القدرة على الحيلولة دون وقوع العمليات الانتحارية. كان ذلك هو الوضع وقت وقوع اعتداءات ١١/ ٩. بالولايات المتحدة.»(٢٠٠٣، ص١٥٥). لدرجة أنه فى صيف ٢٠٠١ كانت فتح والسلطة الوطنية الفلسطينية قد فقدت شعبيتها بشكل نهائى وكامل لدى الشعب الفلسطينى. وفى المقابل، برزت شعبية الجماعات الإسلامية الأصولية وغيرها من الجماعات القومية الفلسطينية (نيومان، ص١٥٦-٢٠٠٣).

وفى مارس ٢٠٠٢، احتلت قوات الدفاع الإسرائيلية، الضفة الغربية وحاصرت مدينة رام الله (الضفة الغربية). كما أنها فرضت حصارا أيضا على مقر إقامة ياسر عرفات، الذى تأثر كثيرا بالقصف.وقد تمكنت القوات الإسرائيلية من اغتيال عدة كوادر من مجموعة كتائب الأقصى وحماس، بينما فشلت فى محاولات أخرى للاغتيال. وشهدت الفترة بين عام ٢٠٠٠ و٢٠٠٤، عدة عمليات انتحارية داخل إسرائيل، كانت تمارس بشكل منتظم. إلا أنه منذ بداية ٢٠٠٥، حدث تقلص واضح فى ممارسة تلك العمليات. وقد تم إحباط بعضها، ثم أصبحت تمارس بشكل غير منتظم.

وفى ١١ نوفمبر ٢٠٠٤، تم نقل ياسر عرفات لأحد مستشفيات فرنسا للعلاج من وعكة معوية ألمت به، إلا أن القدر لم يمهله أكثر من أسبوعين، حيث دخل فى غيبوبة، ثم وافته المنية.

وقد عبر العديد من زعماء العالم عن أملهم فى تجديد عملية السلام بين الجانب الإسرائيلى والفلسطينى بعد ذلك. ومنذ ذلك الحين حدثت تغيرات عديدة بالمنطقة،

خاصــة فيما يخص القيادات على الجانبين. ففى الســادس مــن يناير ٢٠٠٦، أصيب أريل شــارون بسكتة دماغية شديدة. لم يكن من المتوقع أن يتعافى منها. وقد شغل مكانه إيهود أولمــرت وكان نائبــه. وفى ٢٦ ينايرمن نفس العام، فازت حمــاس فى الانتخابات العامة، للبرلمــان الفلســطينى، حيث حصلــت على ٧٦ مقعــدا فى مقابل ٤٣ مقعــدا لفتح. بينما توزع ١٣ فردا بين الأحزاب الأخرى أو المستقلين.

بعــد وفــاة ياسر عرفــات، تولى قيــادة فتح، فــاروق قدومــى، ويعتبر مــن الكوادر المخضرمة للمنظمة منذ عام ١٩٦٠ . وكان قد تمكن من تنفيذ معظم عملياته من مقره فى المنفــى (خــارج قطاع غــزة والضفة الغربية). كــما كان قد تولى عــدة مناصب قيادية فى منظمــة التحريــر. إلا أنه كان دائــم المعارضة لاتفاقية أوســلو. وكثرت خلافاته مع السلطة الوطنية الفلسطينية.

الجيش الثورى المسلح فى كولومبيا (فارك)

تعمل بكولومبيا ثلاث مجموعات إرهابية تدعى (narco-terrorist) وهى: مجموعة قــوات كولومبيا المتحدة للدفاع عن الــذات(AUC)، وجيش التحرير الوطنى (ELN، ومجموعــة القوات المســلحة بكولومبيــا (FARC) وتعتبر فارك أكبرهــا جميعا وأفضلها تدريبــا وأكثرهــا ممارســة لأعــمال العنف وأشــدها فتــكا بأعدائها. وهى منظمة يســارية متطرفة، ذات اتجاهات شيوعية. ويتراوح عدد أعضائها بين ١٢ و١٨ ألف عضو بشكل رســمى (سيمونســن وســبيندلوف، ٢٠٠٤، ٣٤١، www.facep.org) وقد تأسست هــذه المجموعة عام ١٩٦٤، بقيادة مانويل مارولاندا (و المعروف رســميا باســم بيدرو أنطونيو مارين تيروفيجو) وهو فى الســبعين من عمره، إلى جانب ستة أشخاص آخرين بمن فيهم القائد العســكرى يورج بريسينو، ومونو جوجوى. وتعتبر النشأة الأولى لهذه المنظمــة غير واضحة، إلا أنها بدأت تلفت أنظار الجماهير إليها، منذ عام ١٩٦٦، وذلك «باعتبارها الجناح العسكرى للحزب الشــيوعى الكولومبى» (سمونسن وسبيندلوف، ٢٠٠٤، ص٣٤١).

ومن أسباب الشعبية التى تتمتع بها فارك، مساعدتها للفقراء، خاصة الفلاحين وأهل البلد الأصليين، الذين يقطنون الأماكن النائية والمناطق الريفية. (ستافورد وبالاسيوس، ٢٠٠٢).

ويمكن أن نعتبر فارك منظمة تعتمد على حرب العصابات لتحقيق أهدافها، إلا أن قتلها للأبرياء من المدنيين، يضعها فى مصاف المنظمات الإرهابية. وقد تجمعت لها إمكانيات مادية كبيرة من جراء تجارة المخدرات (مثل الكوكايين والأفيون والماريجوانا) حيث كانت تقوم بزراعة هذه النباتات أو تعمل على تأمين أسباب الأمن لمهربيها (إيرينفيلد، ١٩٩٢). وتعتبر الإطاحة بالحكومة الكولومبية، هدف فارك الرئيسى، يليه بعد ذلك استتباب العدل، والتخفيف من حدة البطالة، واستصلاح الأراضى الزراعية، ووضع حد للخصخصة، وإعادة توزيع الثروات. وفارك تعادى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تعتبرها دولة مستعمرة لتدخلها فى شئون كولومبيا الداخلية.

ومن المفارقات، أن فارك تطالب بالسماح بشرعية المخدرات. حيث تؤكد أن ذلك الإجراء سوف يقلص من حجم العنف السائد وغيره من الآثار السلبية لتلك المواد غير الشرعية.

وجدير بالذكر أن لفارك اتصالات وعلاقات واسعة مع عصابات الجريمة فى كل من الإيكوادور وبنما وفينيزويلا، والتى تعمل فى مجال تهريب المخدرات.

ومن المعروف أن فارك لاتتورع عن القيام بأنشطة الخطف والابتزاز وسرقة البنوك وتهريب المخدرات، كوسيلة لتمويل المنظمة. أما فيما يتعلق بالأنشطة الإرهابية فقد تورطت فى اغتيالات وانفجارات وكذلك اختطاف طائرة. وتستهدف فارك دائرة واسعة النطاق من الشخصيات قد تشمل رجال البوليس، والجيش، والسياسيين والمدنيين أيضا. وقد أدت اعتداءات فارك المتكررة على الأهداف الحكومية إلى نشأة فرق الموت والمنظمات شبه العسكرية التى تقوم بأعمال إضافية لمهامها تتضمن القتل أو الاختطاف، إلى جانب القيام بأعمال التعذيب لأعضاء الجماعة الفعليين أو المشتبه فيهم

أو من يشك فى تعاطفهم مع المنظمة الإرهابية. وجدير بالذكر أن فارك تمارس أنشطتها الإرهابية من داخل حدود كولومبيا. ونادرا ما تقوم بأية أنشطة خارج حدودها.

وفى نهاية الثمانينيات، أسست فارك الاتحاد الوطنى، وهو حزب سياسى. إلا أن فرق الموت ذات الاتجاه اليمينى، التى يمولها تجار المخدرات وبعض من أعضاء الجيش الكولومبى قتلت ما يقرب من ثلاثة آلاف عضو. بل ومرشح الرئاسة، لعام ١٩٩٠، بيرناردو جراميللو أوسا أيضا. (http//news.bbc.co.uk/1/hi/world / lamericas /1746777.stm)

وفى عام ١٩٩٨، قدم الرئيس الكولومبى أندريس باسترانا، بعض التنازلات، حينما منح فارك ٤٢٠٠٠ كيلومتر من الأراضى الآمنة. كانت تشكل فى الأصل قاعدة لأنشطتها. لبدء مفاوضات سلام معها. إلا أن المفاوضات كانت تتقدم ببطء. بينما كانت فارك تكدس موارد من خلال (نشاط إنتاج الكوكا إلى جانب تجارة السلاح، والتهريب... إلخ).

وفى هذه الأثناء قامت المنظمة بخطف واغتيال عدة سياسيين، منهم إنجريد بتنكورت، وكان مرشحا للرياسة ومحبوبا من الجماهير. وفى عام ٢٠٠١ واصل باسترانا مرة أخرى محاولته استئناف مفاوضات السلام مع منظمة فارك.« إلا أن المفاوضات تعثرت مرة أخرى، مما حدا بحكومته إلى التهديد بوقف مكاسب الصفقة الأولى المبرمة مع فارك. والتى حصلت بموجبها على منطقة منزوعةالسلاح» (سمسون وسبندلوف ٢٠٠٤، ص٣٤١) وفى فبراير ٢٠٠٤، حسمت الحكومة أمرها، وقامت بوقف المفاوضات مع فارك، وسحبت منها امتيازات الصفقة الأولى. كما أعطت الضوء الأخضر لبدء اعتقال زعمائها. وأصدرت أوامرها للجيش الذى شن هجوما على معاقل فارك مستخدما الطائرات والمروحيات، فيما عرف بـ «عملية القط الأسود».

وقد اشتدت حملات البوليس والجيش ومداهماته ضد فارك بين الأعوام ٢٠٠٢ و٢٠٠٤. بأوامر من الرئيس ألفارو يوريب فيليز. وطبقا لمعلومات من أسوسيتد برس،

«فقد نجحت القوات الكولومبية، فى القبض على الزعماء الإقليميين للمنظمة وقتلت بعضهم ومنهم النجرو أكاسيو (اسمه الحركى) والذى كان يشرف على أغلب عمليات تجارة الكوكايين للمنظمة، ومارتن سومبرا (اسمه الحركى) والذى كان يقوم بحراسة الرهائن، ومنهم ثلاثة مقاولين أمريكيين. ومارتن كاباليرو (اسم حركي). وفى عام ٢٠٠٨، صدر حكم على زعيم المنظمة ريكاردو بلميرا والمعروف باسم سيمون ترينيداد بستين عاما من السجن. (ميوز، ٢٠٠٨).

وفى شهر فبراير ٢٠٠٨، هاجم الجيش الكولومبى أعضاء من منظمة فارك داخل حدود الإكوادور. وأثناء الغارة قتل راوول رايس ويعتبر الرجل الثانى فى قيادة المنظمة بالإضافة إلى ١٧ من أعضاء المنظمة. وعلى مدى سنوات وجودها التى تتعدى الأربعين عاما، كونت فارك أعداء خارج نطاق حكومة كولومبيا الوطنية، مثل منظمة جيش التحرير الوطنى ELN وتعتبر المنظمة الصغرى من بين منظمتين ماركسيتين من المنظمات الإرهابية بكولومبيا.

ولا تحظى فارك بمساندة دولية إلا فى حدود ضئيلة للغاية؛ لذا تعتمد فى توفير مواردها المالية، على أنشطتها غير الشرعية، بشكل كامل. (www.ict.org.il/inter_ ter/org.(cfm;http/www.farcep.org/pagina_ingles

الجيش الجمهورى الأيرلندى المؤقت (PIRA)

يرجع كفاح منظمة الجيش الأيرلندى الجمهورى إلى قرون من الزمن (بيل، ١٩٩٧، توليس، ١٩٩٧) وحتى نفهم طبيعة هذا النزاع، لابد من الرجوع إلى الخلفية التاريخية إلى جانب الدور السياسى والاقتصادى لأيرلندا. فقد مر هذا الصراع بعدة مراحل، واشتدت جذوته فى بعضها، بينما خفتت فى فترات أخرى. وكانت رغبة الأيرلنديين الكاثوليك فى الانفصال عن الحكم البريطانى تبدو نابعة من أسباب دينية فى بعض الأحيان، أو من تظلمات اقتصادية وسياسية فى أحيان أخرى (كخضوع الكاثوليك للبروتستانت والحكم البريطانى) وما ترتب عليه من ظلم. ومن هنا تعامل بعض

المحللين مع أزمة أيرلندا على أساس كونها عرقية أكثر منها دينية. (بروس، ١٩٩٣، ١٩٩٥).

وهناك مع ذلك بعض المؤشرات التي يمكن أن نستدل بها على حقائق الأمور. تأسست جمهورية أيرلندا (وكانت تعرف آنذاك بالدولة الأيرلندية الحرة) عام ١٩٢١، فى أعقاب تمرد شعبى قادته شخصيات معروفة من أمثال مايكل كولينز وضمت هذه الدولة ٢٦ إقليما من بين ٣٢،حيث تم تجزئة الأقاليم الشمالية وبقيت تحت الحكم البريطاني. وسميت بأيرلندا الشمالية. (وأطلق عليها الاتحاديون والقوميون، ألستر). ويرجح ألستر أنها فى الأصل مقاطعة تتكون من تسعة أقاليم بما فيها، إقليم موناجان/ وكافان، ودونيجال. أما الأقاليم الأخرى التى تكون أيرلندا الشمالية، فهى: فيرماناج، وأرماج، وتيرون، وديرى، وأنتريم، ودون.

وبصفة عامة فإن الجمهوريين / القوميين يسمون أيرلندا الشمالية «الستة أقاليم» أو «الشمال» أو «شمال أيرلندا» أما نظراؤهم من الاتحاديين فيطلقون عليها «أيرلندا الشمالية» أو «ألستر». (وجدير بالذكر أن الجمهوريين، لا يعترفون بشرعية الدولة، لذا فهم لايسمونها أيرلندا الشمالية).

ومنذ نشأتها عام ١٩٢٠، عانت الأقلية الكاثوليكية التى تقطن أراضى أيرلندا الشمالية من ظروف معيشية متردية، مثل أزمة توافر السكن، ونسبة البطالة المرتفعة إلى جانب الحرمان من الحقوق الدستورية. (وايت، ٢٠٠٣، ص٨٦). ومنذ عام ١٩٦٨، لقى ما يقرب من ٣٦٠٠ شخص مصرعهم فى هذا النزاع. وقد ضمت قائمة الضحايا، أفرادا من الجيش البريطانى إلى جانب ضباط شرطة (خاصة القائمين منهم على خدمة الملك فى ألستر) بالإضافة إلى مواطنين أبرياء. (ساتون، ١٩٩٤).

وخلال الستينيات، تأثر الكاثوليك والبروتستانت، بحركة الحقوق المدنية بالولايات المتحدة الأمريكية، فهبوا يطالبون الحكومة بتحسين ظروفهم المعيشية، خاصة الإسكان وفرص التعليم. إلا أن الإجراءات القمعية التى مارستها حكومة أيرلندا الشمالية فاقمت

مـن الصراع. «فالكاثوليك لم يمنحوا حق التظاهـر، وعند كل محاولة لهم، كانت عناصر مـن الحكومة تتعـرض لهم، وذلك على مرأى ومسـمع مـن قوات حفظ الأمـن والقوة الاحتياطية، المعروفة باسم قوة «ب» الخاصة، ومعظمهم يتألفون من البروتستانت. لذا آثروا عدم التدخل. في نفس الوقت لم تبذل أية جهود لوقف التظاهرات البروتسـتانتية؛ وقـد كان الكاثوليك على قناعة من تحالف قوات الأمن الملكية والقوات الاحتياطية مع الاتحاديين المناهضين للكاثوليك في الشمال» (وايت، ٢٠٠٣ ص٨٧). واستمر السجال المستعر بين الكاثوليك (القوميين) والبروتستانت (تالبوت، ٢٠٠٣ ص٣٣٥)

وفي أغسـطس عـام ١٩٦٩، اندلعـت الاضطرابـات في بلفاسـت ولنـدن/ ديرى، (ديـرى، كـما يطلـق عليها القوميـون ولندن ديـرى كما يطلـق عليها البروتسـتانت) ولم تتمكن قوات الشرطة من السـيطرة على هـذه الاضطرابات، مما دفع الحكومة البريطانية إلى زيـادة عدد الضباط المتمركزين حول مناطق الاضطرابات. وانضمت قوات الجيش إلى الجانـب البروتسـتانتي بحجـة أن ما يحدث يعتـبر حربا اسـتعمارية. مما ألهب الصراع وساعد على تعبئة الجماهير (هوكنج، ١٩٨٨).

كما انضمت قوات من الجيش البريطاني إلى قوات الأمن الخاصة دون أدنى اعتراض. وحـاصرت الأحيـاء الكاثوليكيـة، محطمة الأبـواب، وملقيـة بالقنابل المسـيلة للدموع وأخـرى ذات الأدخنـة الكثيفـة. وذلك بغـرض القضاء عـلى الإرهابيـين والمتعاطفين معهـم. وكان الكاثوليـك يريـدون ألا يتدخل الجيش، إلا أن الكثير من البروتسـتانت، شـعروا أن لديهـم حصانة تحميهـم في صراعهم ضدهم مما قوى من شـوكتهم. (وايت، ٢٠٠٣، ص٨٨). وكانت هذه الصراعات الأهلية، هي السـبب في إعادة تنظيم الجيش الجمهـوري الأيرلنـدي لصفوفـه ومواصلة أنشـطته الإرهابيـة. وفي ديسـمبر ١٩٦٩، انقسـم إلى «الجيـش الرسـمي» و«المؤقت». مما فاقـم من الارتباك، حيـث إن كليهما كان لديه أجنحة عسكرية وسياسية. (سيلك، ١٩٩٩). ومن الأحداث التي زادت من حنق الأيرلنديـين الكاثوليـك وعبأتهم ضد الوجـود البريطاني في أيرلندا الشـمالية، ما عرف باسـم يوم الأحد الدموي، حيث قتل جنود بريطانيون من سـلاح المظلات ١٣ مواطنا مدنيا أعزل، بينما أصيب ما يقرب من ١٤ آخرين وذلك أثناء مسيرة سلمية بلندن.

وفى صيـف ١٩٧٢، أعلنت منظمة PIRA «الرسـمية» وقف إطلاق النار. وقررت توظيـف طاقتها وجهودها فى مسـاندة حزب سـياسي جديد، يدعى سـين فين ،كان قد تأسـس للمطالبـة باسـتقلال أيرلندا الشـمالية عن بريطانيـا العظمى. ومنـذ ذلك الحين أصبحـت PIRA ترمـز إلى المنظمـة المنبثقـة مـن «المؤقتة» «(سيمونسـن وسـبيندلاف، ٢٠٠٤ ص٧٨).

وفى عـام ١٩٧٣، وافقت الحكومة على قانون الطوارئ لأيرلندا الشـمالية، وبموجبه اكتسب الجيش نفوذا كبيرا ومزيدا من الصلاحيات. فكان يحق له اقتحام المنازل للبحث عن الإرهابيين المشتبه فيهم فى أى وقت من النهار أو الليل دون إذن تفتيش رسمى. وقد ردت PIRA بقصـف مناطـق كثيرة فى عمـق المدن البريطانية مثـل برايتون وجيلدفورد ولندن أيضا فى نفس السنة.

ومنـذ ذلك الوقت والعنـف يتصاعد فيما يشـبه الموجات المنتظمـة: فى عام ١٩٧٢، و١٩٧٤ وفى بدايات الثمانينيات وفى نهايتها، وفى بداية التسـعينيات. (تالبوت، ٢٠٠٣، ص٣٣٥).

وطبقا لتالبوت فقد فتح البروتسـتانت نيران العنف الطائفى، مهاجمين قوات الأمن الملكيـة والجيـش. كما قامـوا باغتيال بعض الزعـماء الجمهوريين. وفى الفـترة الأولى من الحرب الطائفية، اسـتهدفت PIRA بشـكل أساسـى نواب الدولة البريطانية إلى جانب قـوات الأمـن الملكيـة والجيـش والاتحاديـين والساسـة البريطانيـين وأعضـاء الأسرة المالكـة البريطانيـة. «إلا أنـه منذ بدايـات التسـعينيات، تحول الصراع بـين الجمهوريين والبروتسـتانت إلى حرب ميليشـيات، أساسـها الثأر والانتقـام» (تالبوت، ص٣٣٥-٢٠٠٣).

وكانت PIRA قد حصلت على مسـاعدات مالية وأسلحة ومعلومات استخباراتية مـن دول كليبيـا، وإسـبانيا والاتحاد السـوفيتى سـابقا، إلى جانـب دول الكتلة الشرقية الشيوعية سابقا .كما حصلت على تمويل مالى من منظماتها فى الولايات المتحدة الأمريكية. (آدمز.١٩٨٦) ، وأيضا من مصادرها القديمة غير الشرعية كالابتزاز وسرقات البنوك.

مما مكنها من تأمين مكانة فى أوروبا. وفى عام ٢٠٠٢ كشف النقاب عن تدريبها لأعضاء من منظمة فارك الإرهابية على تقنية تصنيع القنابل.

وعلى مدى العقد والنصف الماضيين، تحققت عدة خطوات إيجابية فى تاريخ هذا النزاع الطويل(دينجلى ١٩٩٩) ففى عام ١٩٨٥ وقعت المملكة المتحدة وجمهورية أيرلندا اتفاقية سلام فيها يخص إدارة أيرلندا الشمالية .عرف باسم اتفاق السلام الأنجلو أيرلندى «ويهدف الاتفاق بصفة أساسية إلى وضع حد للممارسات الإرهابية ، من خلال تأسيس حكومة فى مناطق الصراع».

(وايت، ٢٠٠٣ ص ٩٠) وفى عام ١٩٩٨ وقعت (PIRA) على اتفاق سلام مع بريطانيا العظمى عرف باتفاق يوم الجمعة الطيب.(بلفاست). وفى العام التالى قام البرلمان الجديد على أساس مبدأ المشاركة فى حكم أيرلندا الشمالية. وفيما عدا قيام لندن بسحب تفويضها للسلطة من البرلمان فى مناسبتين منذ نشأته، فقد استمر يعمل حتى عام ٢٠٠٧. وجدير بالذكر أن وقف التفويض الثانى قد تم بناء على اتهام (PIRA) باستمرار التورط فى تهريب الأسلحة، وكذلك اتهامات بالتجسس على معارضيها السياسيين. وفى عام ٢٠٠٢، بدأت PIRA فى وقف استخدام الأسلحة. وبناء عليه تم منح مارتن ماكجينس، من PIRA وجيرى أدامز من سين فين، مقعدين فى البرلمان البريطانى. إلا أنهما رفضا المقعدين، حيث إن موافقتهما كانت تعنى حلف اليمين والتوقيع عليه أمام الملكة، وهو ما رفضوه بشدة. ثم بدأت الأمور تتدهور تباعا، حيث تم اتهام PIRA فى ديسمبر ٢٠٠٤ بسرقة ٥٠ مليون دولار من بنك فى بلفاست، وفى يناير ٢٠٠٥، تورطت PIRA فى طعن رجل كاثوليكى، أثناء شجار فى إحدى حانات بلفاست، حيث توفى متأثرا بجراحه.

وفى ٢٠٠٥، وبعد فترة قصيرة من الانفجارات الانتحارية التى وقعت بأنفاق لندن، على يد أصوليين إسلاميين. أعلنت PIRA رسميا لأول مرة ، وسط تشكك البروتستانت الأيرلنديين عن عزمها، التخلى عن ثلاثة عقود من الكفاح المسلح ونبذ

العنـف مـن أجل الاتحاد مـع جمهورية أيرلنـدا . والعمل على تحقيـق أهدافها من خلال الوسائل السلمية (فرانكل ٢٠٠٥).

المقارنة:

ولاشـك أن عقد مقارنة بين المنظمات الثلاثة، ليس بالشـىء الهـين؛ نظرا لاختلافها مـن الناحيـة الأيديولوجية، ومن ناحيـة قدرات وإمكانيات كل منهـا، فضلا عن البعد الجغرافى، إلى جانب الظروف السياسـية المختلفة. فعلى سـبيل المثـال، بينما تعتبر PIRA والفتـح منظمتـين قوميتين انفصاليتين، فإن فـارك، من ناحية أخـرى، تعد منظمة ذات اتجاهات ماركسية لينينية. ومع ذلك فيمكننا الوصول إلى بعض الأفكار المثيرة للاهتمام مـن خـلال عقد تلـك المقارنة، ومعرفـة إلى أى مدى تلعب الأسـباب الهيكليـة التى تم الإشارة إليها من قبل دورا فى نشأة كل منها.

الظروف المتاحة:

١ -درجـة الحداثة: (من المعروف أن توافرها يسـهل الوصول إلى الأهداف الصعبة. وإلى الأسـلحة المدمـرة، والتكنولوجيـا الحديثة، ووسـائل الإعلام، ووسـائل التجنيد، والجمهور، والصراع مع المجتمعات التقليدية، وتقدم شبكات وسائل الانتقال).

ولا شـك أن الـدول التـى كانـت تلـك المنظـمات تعمـل مـن خلالها لم تكـن تملك نفـس درجة الحداثـة والتقدم. وإن كان تحديـد درجة حداثة كل منها ليس أمرا يسـيرا. (هانتينجتـون، ١٩٦٨). ومـا يمكن أن نجـزم به هنا، هو أن تلك المنظمات لم تسـتخدم الأسـلحة الكيمائيـة، أو البكتيرية أو الإشـعاعية أو النووية. ولكنهـا رغم ذلك حاولت اسـتخدام التقنية الحديثة سواء من ناحية الأسلحة أو وسائل الاتصال.ومعظم هجماتها قـد وقعت فى المدن المحلية. ويتميز زعماؤها جميعا بالحنكة والاحتراف المهنى، وأغلبهم حاصل على درجة متقدمة من التعليم.

٢- نـوع النظـام السياسـى (يعمل الإرهـاب بكفاءة عاليـة فى ظـل الديمقراطيات المتقدمة) وجدير بالذكر، أن أغلب الفلسـطينيين، (بما فيهم فتح) يعيشـون ظاهريا فقط

فى ظـل نظـام برلمانى ديمقراطى. أما فلسـطينيو الضفة الغربية فهم يعيشـون تحت وطأة الأحـكام العرفيـة التـى يفرضها عليهـم الإسرائيليون. وفلسـطينيو الشـتات، يعيشـون متفرقين فى شـتى بلاد العالم تحكمهم أنظمة سياسـية متباينة. أما منظمة PIRA ، فتعيش فى ظـل ديمقراطية برلمانية بريطانية وإن كان بشـكل غير متكافئ. (فلاتزال هناك بعض الآثـار الرمزيـة المتبقية من الحكم الملكي). ومنذ بدايـة ٢٠٠٥ تخضع لقانون صارم ضد الإرهاب (مثل قانون منع الإرهاب لسنة ١٩٧٤ و١٩٨٩).

أمـا النظام السياسـى بكولومبيـا، فيعيش حالة من التغيير (سـتافورد وبالاسـيوس ٢٠٠٢). ورغـم توقيعهـا على دسـتور جديد عـام ١٩٩١، يتيح مزيدًا من المشـاركة فى الحيـاة السياسـية، فلا يـزال نظام المحسـوبية يسـود كولومبيـا. وإن كانت تعتـبر نظاما جمهوريا يخضع رئيسها لانتخابات مباشرة.

٣-درجة الحضرية (توفر المدن (مناطق حضرية) تسهيلات وخدمات للإرهابيين لا توفرها المناطق الريفية غير المتحضرة).

تعمـل هذه المنظمات فى مناطـق تتفاوت فى درجة تحضرهـا. فمنظمة FARC قامت بأغلـب عملياتها فى المناطق الريفية، وبصفة عامـة المناطق النائية منها. كما قامت بتجنيد كثير من مقاتليها من هذه المناطق. ولكنها من أخرى، نفذت كثيرا من عملياتها فى المدن خاصة مدينة مديلين. وطبقا لهولمز، (٢٠٠٧) «فى نهاية القرن العشرين، كانت لفارك ٦٧ جبهـة فى الريف وأربع جبهات فى الحضر» (ص٢٥٠). أما PIRA وفتح، فمن المعروف أن أغلـب أنشـطتهما قد تركـزت فى المدن)، وفى حالة فتح، فقد كانـت تجند مقاتليها من مخيـمات اللاجئيـين التـى انتشرت فى عدة مناطـق من بلدان الشرق الأوسـط إلى جانب الأراضى المحتلـة) . وكانـت المنظـمات الثلاثة تسـتقطب أيضـا أتباعهـا ومناصريها من البلدات الصغيرة والقرى المنتشرة فى ربوع بلادها.

الظروف الملحة:

١ - الظـروف الاجتماعيـة، والثقافية والتاريخيـة (كالمواقف المشـتركة، والمعتقدات، والعادات والتقاليد والأسـاطير، ووجهات النظر، والقيم. وكلها عوامل تسمح بتنمية

الشعور بالقومية، أو بالتعصب، ثم اندلاع العنف والإرهاب وانتشاره فى جزء من المجتمع).

بحكم استمرار كفاح الحركات الإرهابية لفترة طويلة من الزمن، فقد تكون لديها مخزون من التجارب التاريخية والظروف الاجتماعية والعادات الثقافية التى تشكل بالنسبة لها قاعدة ترتكز عليها لمواصلة رحلة الكفاح. فمنظمة PIRA لا يمكن أن تمحو من ذاكرتها تجربة جمهورية أيرلندا فى العنف السياسى وما يمكن أن يتحقق من خلاله. بالإضافة إلى أن بعض أعضائها أصبحوا إرهابيين دوليين (مثل بوبى ساندرز وتجربة المضربين عن الطعام فى الثمانينيات).

أما فارك فقد ولدت من رحم الحرب الأهلية الدموية التى شهدتها كولومبيا أثناء الخمسينيات والتاريخ الصاخب للحزب الشيوعى الكولومبي. بل إن هولمز يؤكد أن بدايات فارك ترجع إلى بدايات العشرينيات والثلاثينيات. حينما اندلع النزاع بين المزارعين الفقراء وأصحاب الأراضى من الإقطاعيين. (ص ٢٥٠). وبالنسبة لمنظمة فتح، فيرجع تاريخها إلى وقت التفويض البريطانى (أى احتلال فلسطين فى بداية القرن العشرين) وما تبعه من إخفاق البلاد العربية الحليفة فى مساعدتها للحصول على استقلالها. كما شهد عليه التاريخ فى هزيمة حرب سيناء عام ١٩٦٧. وقد تمكنت كل هذه المنظمات على مدى تاريخها الطويل من نشر عدة إصدارات إلى جانب إنشاء محطات إذاعية ومواقع على الشبكة الدولية الإلكترونية (الإنترنت). وذلك بغرض الترويج لقضيتها وخدمة أهدافها الدعائية، ونشر معلومات تهم أنصارها وأعضاءها. (وبالرغم من أن PIRA ليس لديها موقع على الإنترنت، فإن سين فين، حزبها السياسى، لديه موقع شامل).

٢-الانفصال داخل المنظمة، وتداعياته (مثال الخلافات الداخلية التى تنشأ بين الفصائل المعتدلة والأكثر تشددا فى المنظمات المناهضة للحكومة).

رغم أن فتح لم يسبق لها الانفصال عن أى منظمة أكبر منها من قبل. فإنها بالتأكيد كانت السبب فى انفصالات كثيرة ليس فقط داخل المنظمة نفسها، بل فى منظمة

التحرير الفلسطينية. ومن جانب آخر فقد أدت مواقف بيرا، إلى (وفى) حدوث تشققات داخل المنظمة. «بحيث إنه مع انتهاء عام ١٩٩٧، وتوقيع اتفاقية يوم الجمعة الطيب، وافق فصيل بيرا على الاتفاق، بينما واصل فريق إيرا مقاومته المسلحة ضد الاحتلال البريطانى لأيرلندا الشمالية». (سيمونسن وسبندلا ف، ٢٠٠٤، ص٧٤-٧٥) ثم كان هناك أيضا، فصيل «إيرا المستمرة» وله علاقة جد معقدة بالحزب السياسى سين فين. ومن هنا كانت صعوبة فهم برامج تلك الفصائل وتتبع أهدافها. أما العلاقة بين «إيرا المستمرة وإيرا الأصلية، فتعتبر فى أضيق الحدود. وطبقا لحزب سين فين السياسى، فهم جميعا جمهوريون، إلا أن فصيلى إيرا المستمرة وإيرا الأصلية مختلفان عن سين فين، فى كون الأخير أكثر التزاما بالسير فى الطريق السياسى، وحده بينما الفصيلان لا يزالان يتمسكان بالمقاومة المسلحة منهجا. أما فارك، فقد كانت نتاج إعادة تنظيم بين الليبراليين والشيوعيين، فى أعقاب الحرب الأهلية التى شبت فى كولومبيا بين عام ١٩٤٨ و١٩٥٨. وقد قامت فارك فيما بعد على التحفيز لنشأة عدة منظمات إرهابية ونموها، إلى جانب مجموعات يسارية أخرى، مثل (أ ل ن) و(إ ب ل).

٣- **وجود أشكال أخرى من الاضطرابات** (مثال، مدى توافر فرص التعليم، إجازة ممارسة الأنشطة الإرهابية، وتصعيد التظلم).

اجتاح كولومبيا، كما كان الحال فى أيرلندا الشمالية، عنف إجرامى، نتيجة البطالة والمشاكل الأخرى الخاصة بالعمل. وطبقا لمركز هنينج لعلاقات العمل، فقد قتل ما يقرب من ٣٨٠٠ رئيس اتحاد وناشط نتيجة لموجات العنف التى سادت البلاد منذ منتصف الثمانينيات. على يد منظمات عسكرية غير شرعية تنتمى لأقصى اليمين. (www.henning-center.berkeley.edu/gateway/colombia.html). كما تعرضت كولومبيا أيضا لموجات من العنف وانتهاكات لحقوق الإنسان على يد منظمات أخرى يمينية. وبالمثل يعانى الفلسطينيون من اضطرابات كثيرة بسبب مشاكل العمل، مثل انخفاض الأجور، حيث يشكلون مصدرا مهما للعمالة الرخيصة بالنسبة لبعض الإسرائيليين من رجال الأعمال الذين يقومون باستئجارهم.

٤- المساندة (من خلال، توفير الموارد المالية، والتدريب، والمعلومات الاستخباراتية، وتوفير الوثائق المزورة، والحصول على المنح، وبيع الأسلحة، والمتفجرات، وتوفير الملاذ والسكن الآمن، والحملات الدعائية، والتبرير الأيديولوجي، والرأى العام، والخدمات القانونية، والمد المستمر بالمجندين).

من المعروف أن فتح كان يساعدها العديد من الأثرياء الفلسطينيين، إلى جانب بعض الدول العربية، ودول الكتلة الشرقية، والاتحاد السوفيتى السابق. أما فارك فقد توافرت لها الإمكانيات المادية من خلال عمليات الاختطاف، والاغتيالات والعمل لحساب تجار المخدرات والدفاع عنهم.وقد شاع مؤخرا أن حكومة هوجو شافيز فى فنزويلا كانت تقدم يد العون لمنظمة فارك. أما بيرا، فيبدو أنها قد حصلت على العديد من المساعدات والتدريبات من ليبيا. كما تورطت فى أنشطة الخطف وسرقة البنوك ومكاتب البريد لتمويل أنشطتها. كما يذكر أن فتح أيضا، كانت قد تورطت فى بعض الأعمال الإجرامية، مثل تهريب المخدرات، وأعمال الابتزاز إلى جانب توفير خدمات الحماية.

٥- فشل منظمات مكافحة الإرهاب

كانت الجهات الأمنية بما فيها الوطنية والاستخباراتية المسئولة عن إحباط أنشطة الإرهابيين أو مراقبتهم. فى كل من كولومبيا وبريطانيا وإسرائيل، تفشل فى بعض الأحيان فى الكشف عن خلاياهم أو إحباط عملياتهم.. ومع كل حالة فشل، كانت تلك الجهات تحاول مرة أخرى التحسين من أساليبها أو تحديث إستراتيجياتها لتعويض الفشل. وعلى الجانب الآخر، فإن المنظمات الإرهابية بدورها، كانت تسعى جاهدة للعثور على ثغرات فى النظام الأمنى، تمكنها من تنفيذ مخططاتها الإجرامية.

٦ - توافر الأسلحة والمتفجرات، ومواد أخرى

فى السنوات الأخيرة تم اتهام فتح، بأنها تقوم بتصنيع قنابلها بنفسها، فى حين يتم سرقة وتهريب أسلحة أخرى من إسرائيل أو مصر. وطبقا (للافى٢٠٠٧)، فقد حصلت فتح على «صواريخ قذائفية ومدافع الهاون، إلى جانب أسلحة رشاشة». ومن المعروف

حاليا، أن حماس تقوم بتصنيع صوارخ الكاتيوشا لقصف إسرائيل. على أنه غير معروف على وجه اليقين، إذا كانت حماس تنقل هذه التقنيات إلى فتح وفصائلها المختلفة. والثابت أن كتائب القسام تقوم بالقصف الصاروخى من غزة إلى أماكن مثل سيداروت. وغالبا تستهدف إسرائيل.

وهناك مصادر موثوق فيها تؤكد التعاون الجارى بين FARCو PIRA وذلك فى مجال تبادل الخبرة فى تصنيع القنابل (روان، ٢٠٠٢) وفيما عدا ذلك، فقد شاع أن هناك عصابات تعمل فى بلاد أمريكا الوسطى، وتساعد فى عمليات تهريب الأسلحة إلى FARC.

أما PIRA فمن الثابت حصولها على الأسلحة من عدة مصادر. بعضها متعاطف مع قضيتها. والبعض الآخر من عصابات تجارة السلاح المتعطشة لتحقيق الأرباح فى الولايات المتحدة أو فى القارة الأوروبية. إلى جانب حكومة معمر القذافى فى ليبيا.

٧- عامل التظلمات

قد يبدو العامل الجغرافى معقدا بعض الشيء أحيانا، كما فى حالة الشعب الفلسطينى الذى يريد تأسيس وطن مستقل ودولة ذات سيادة يحكمها الفلسطينيون، بينما تقع دولة إسرائيل بين الضفة الغربية وقطاع غزة، وتحتل الشعب الفلسطينى منذ تقسيم المنطقة. أما FARC فتريد ثورة شيوعية شاملة فى كولومبيا. ومنظمة PIRA بدورها، تريد أن يغادر الجيش والحكومة البريطانيان، أيرلندا الشمالية. حتى يتسنى للأيرلنديين القوميين تأسيس دولتهم المنفصلة. والحركة الجمهورية (حزب سين فين PIRA) تريد وضع حد للوجود البريطانى على أراضيها. ولكن من خلال العمل السياسى الذى يحقق وحدة أيرلندا وليس من خلال الانفصال. ولا شك أنه على مر تاريخها، تمكنت هذه المنظمات من الحصول على بعض المكاسب من الدول التى تعمل على أراضيها، وإن كان بدرجات متفاوتة. كما يمكن أن تكون قد نالت مساعدات من دول أخرى لمساندتها. ورغم ذلك فإن ما تشعر به من ظلم وقهر كان دافعا مؤججا لاستمرار كفاحها وتعزيز بقائها عبر فترات طويلة من التاريخ.

الخلاصة:

من خلال استعراض تاريخ هذه المنظمات الإرهابية الثلاث والدوافع المختلفة لنشأتها لاحظنا تشابهات واختلافات فيما يخص أسباب النشأة. كما وجدنا أيضا، وإن كان بدرجات متفاوتة، عناصر مشتركة من العوامل العشرة التى ذكرناها سابقا فى كل من هذه المنظمات الثلاث.

ففى حالة فتح، يبدو أن استمرار التظلم الذى تزامن مع استمرار الاضطرابات السياسية بين إسرائيل والأطراف العربية المتجاورة، بالإضافة إلى دائرة العنف المستمرة على الأراضى المحتلة بين الجانبين، خاصة فى فترة الثلاثين عاما الأولى من نشأتها، قد ساعد على بقاء هذه المنظمة واستمرارها، بالإضافة إلى استمرار مساندة جمهور من الناخبين لها باختلاف مشاربهم. أما فى حالة FARC فقد أدى استمرار الأزمة فضلا عن سهولة الحصول على الأسلحة والمتفجرات نتيجة لمساندة عدة جهات لها، إلى تمكنها من مواصلة مشوار كفاحها على الرغم من محاولات الحكومة الكولومبية المتعددة للإطاحة بها. والشىء نفسه يمكن أن يقال على منظمة PIRA الأيرلندية، حيث إن سهولة الحصول على السلاح والمساندة التى حظت بها، قد لعبت دورها فى استمرارها، رغم المقاومة البريطانية لها والانقسامات الداخلية التى كادت تعصف بها.

واختصارا، ما نريد أن نؤكده هنا من خلال هذا التحليل، أن العامل الأساسى والمشترك بين هذه المنظمات الثلاث، هو استمرار شعورها بالظلم والقهر. وهو حقيقة الأمر، يعتبر، أقوى الدوافع التى تعمل على استمرارها ومواصلة كفاحها على الإطلاق. والتظلم قد يكون، من جراء اضطهاد عرقى أو دينى أو ثقافى من بين أسباب أخرى. وكذلك طول فترة الظلم واستمراره دونما أمل فى الوصول إلى حلول فى المستقبل القريب يصعد من حالة العنف كوسيلة للمقاومة. قد شكل إذا هذا العامل، مصدرا قويا لاستمرار نضال تلك المنظمات رغم تبدل القيادة، والأجيال والأنظمة فى البلاد التى تعمل بها. ومن المتوقع أن تستمر هذه المنظمات فى كفاحها المسلح، وربما تفاقم

من عنفها. وما دام الظلم وأسـبابه باقيين دونما تغيير ملموس. فسـوف تواصل أجيال جديدة الكفاح، وسوف يكون هناك ضحايا وخسائر فى الأرواح من الجانبين بالإضافة إلى تدمير الممتلكات، وغيرها من الخسائر المادية الجسيمة.

المراجع

Adams, J. (1986). *The financing of terrorism.* New York: Simon & Schuster.

Bell, J. B. (1997). *The secret army: The IRA* (3rd rev. ed.). New Brunswick, NJ: Transaction Publishers.

Bruce, S. (1993). Fundamentalism, ethnicity, and enclave. In M. E. Marty, & R. S. Appleby (Eds), *Fundamentalisms and the state* (pp. 50–67). Chicago: University of Chicago Press.

Bruce, S. (1995). Paramilitaries, peace, and politics: Ulster loyalists and the 1994 truce. *Studies in Conflict & Terrorism, 18,* 187–202.

Chaliand, G. (1983). *Guerilla strategies: A historical anthology from the Long March to Afghanistan.* Berkeley: University of California Press.

Chomsky, N. (1983). *The fateful triangle: The United States, Israel, and the Palestinians.* Boston: South End Press.

Crenshaw, M. (1981). The causes of terrorism. *Comparative Politics, 13,* 379–99.

Dingley, J. (1999). Peace processes and Northern Ireland: Squaring circles. *Terrorism and Political Violence, 11,* 32–52.

Dobson, C. (1974). *Black September.* New York: Macmillan.

Ehrenfeld, R. (1992). *Narco-terrorism.* New York: Basic Books.

Frankel, G. (2005, July 29). IRA says it will abandon violence. *The Washington Post,* p. A1, A18. Retrieved May 18, 2009, from www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2005/07/28/AR2005072800427.html

Gross, F. (1972). *Violence in politics: Terror and political assassination in Eastern Europe and Russia.* The Hague: Mouton.

Hamilton, L. C. (1978). *Ecology of terrorism: A historical and statistical study.* Unpublished doctoral dissertation, University of Colorado.

Hart, A. (1984). *Arafat: Terrorist or peacemaker?* London: Sidgwick & Jackson.

Hocking, J. J. (1988). Counter–terrorism as counterinsurgency: The British experience. *Social Justice, 15,* 83–97.

Holmes, J. S., Gutierrez de Pineres, S. A., & Curtin, K. M. (2007). A subnational study of insurgency: FARC violence in the 1990s. *Studies in Conflict & Terrorism, 30,* 249–265.

Huntington, S. P. (1968). *Political order in changing societies.* New Haven, CT: Yale University Press.

Iyad, A. with E. Rouleau (1981). *My home, my land.* New York: Times Books.

Johnson, C. (1982). *Revolutionary change.* Stanford, CA: Stanford University Press.

Laqueur, W. (2003). *No end to war: Terrorism in the twenty-first century.* New York: Continuum.
Lavie, M. (2007, June 8). Fatah seeks weapons deal with Israel. *The Independent.* Retrieved February 28, 2008 from www.independent.co.uk/news/world/middle-east/fatah-seeks-weapons-deal-with-israel-452250.html
Lijphart, A. (1971). Comparative politics and the comparative model. *American Political Science Review, 65,* 682–93.
Lijphart, A. (1975). The comparable-cases strategy in comparative research. *Comparative Political Studies, 8,* 158–75.
Livingstone, N. C., & Halevy D. (1990). *Inside the PLO.* New York: Quill/William Morrow.
Long, D. E. (1990). *The anatomy of terrorism.* New York: Free Press.
Marighela, C. (1971). *Handbook (mini-manual) of urban guerrilla warfare.* In C. Marighela (Ed.), *For the liberation of Brazil.* London: Penguin.
Mickolus, E. (1981). *Combating international terrorism: A quantitative analysis.* Unpublished doctoral dissertation, Yale University.
Mishal, S. (1986). *The PLO under Arafat.* New Haven, CT: Yale University Press.
Mishal, S., & Sela, A. (2002). *The Palestinian Hamas: Vision, violence and coexistence.* New York: Colombia University Press.
Morris, B. (2001). *Righteous victims: A history of the Arab-Zionist conflict, 1881–2001.* New York: Vintage.
Muse, T. (2008, March 1). Senior Colombian rebel commander killed. *Associated Press.* Retrieved May 18, 2009, from www.usatoday.com/news/world/2008-03-01-colombia_N.htm
Newman, D. (2003). The consequence or the cause? Impact on the Israeli-Palestine peace process. In M. Buckley, & R. Fawn (Eds), *Global responses to terrorism: 9/11, Afghanistan and beyond* (pp. 153–164). New York: Routledge.
Newman, E. (2006). Exploring the 'root causes' of terrorism. *Studies in Conflict & Terrorism, 29,* 749–772.
Ross, J. I. (1993). The structural causes of oppositional political terrorism: Towards a causal model. *Journal of Peace Research, 30,* 317–329.
Ross, J. I. (1995a). The rise and fall of Québécois separatist terrorism: A qualitative application of factors from two models. *Studies in Conflict & Terrorism, 18,* 285–297.
Ross, J. I. (1995b). The relationship between domestic protest and oppositional political terrorism in connection with the Gulf conflict. *Journal of Contemporary Criminal Justice, 11,* 35–51.
Ross, J. I. (1999). Beyond the conceptualization of terrorism: A psychological-structural model of the causes of this activity. In C. Summers, & E. Markusen (Eds), *Collective violence: Harmful behavior in groups and governments* (pp. 169–194). Lanham, MD: Rowman & Littlefield.
Ross, J. I., & Gurr, T. R. (1989). Why terrorism subsides: A comparative study of Canada and the United States. *Comparative Politics, 21,* 406–426.

Rowan, B. (2002, June 13). Analysis: Colombia and the IRA. *BBC*. Retrieved March 4, 2008, from http://news.bbc.co.uk/1/hi/northern_ireland/2043323.stm
Schiff, Z., & Ya'ari, E. (1989). *Intifada: The inside story of the Palestinian uprising that changed the Middle East equation*. New York: Touchstone.
Schmid, A. P. (1983). *Political terrorism: A research guide to concepts, theories, data bases and literature*. New Brunswick, NJ: Transaction Publishers.
Schmid, A. P., & Jongman, A. J. (1988). *Political terrorism: A new guide to actors, concepts, data bases, theories, and literature* (Rev. ed.). New Brunswick, NJ: Transaction Publishers.

الفصل السادس

دراسة حالة

مجموعة ١٧ نوفمبر: آخر مجموعات أوروبا الثورية الإرهابية

بقلم: جورج كاسيميرس

نبذة: وتنتمى إلى المنظمات الماركسية، وقد أعلنت عن نفسها يوم ١٧ نوفمبر ١٩٧٣. وتعرف باسم N ١٧ وهو آخر يوم من أيام انتفاضة التطبيقيين بأثينا عام ١٩٧٣. وقد قتلت ٢٣ شخصا، فى ١٠٣ هجمات على دبلوماسيى الولايات المتحدة وأثينا، وأوقفت أعمالها فى عام ٢٠٠٢، فى أعقاب انفجار قنبلة قبل موعدها. مما كشف عن تورط أحد أعضائها. وتظهر المحاكمة التى يستعرضها هذا الفصل بعضا من سمات هذه المنظمة.

اعتزال المنظمة N17

فى الساعة العاشرة وخمس وعشرين دقيقة، من يوم السبت ٢٩ يونيو ٢٠٠٢، توقفت أخيرا عن العمل أكثر الجماعات الأوروبية مراوغة، المجموعة الثورية ١٧ أو مجموعة نوفمبر ١٧. فى هذه الساعة من تاريخ ٢٩ يونيو ٢٠٠٢، سمع دوى انفجار شديد بالقرب من مكتب تذاكر مراكب النقل، الدرافيل الطائرة بميناء بيريوس. حيث انفجرت قنبلة كان يحملها رجل، وتسببت فى إصابته شخصيا بإصابات بالغة فى الوجه، واليدين والصدر. ويبدو أن القنبلة التى تم إعدادها بواسطة منبه الساعة، قد انفجرت قبل ميعادها. مما أسفر عن انفجار الديناميت، وقد بلغت قوة شحنتها تسعة فولتات. هرع على إثر الانفجار رجال شرطة الميناء إلى مكان الحادث، ونقلوا المصاب إلى مستشفى تسنيو القريب.

وقد كشـفت التحقيقات الأولى فى الحـادث أن الرجل المصاب، وكان يحمل القنبلة، ربـما يكون عضـوا فى جماعة إرهابيـة صغيرة، مثل الخلايـا الثورية أو المقاومة الشـعبية، والتى كانت نشـيطة نسـبيا فى ذلك الوقت. ولكن بعد ثلاثة أيام، أعلن رئيس البوليس العثـور عـلى حقيبة بالقرب مـن موقع الانفجار، حيـث وجد أيضا المصـاب وبداخلها (مسدس ٣٨ وقنبلتان يدويتان) وكان من نفس النوع الذى قد سرق من ضابط البوليس المقتول ليلة عيد الميلاد عام ١٩٨٤ . مما أثار العديد من الشـكوك. تم التعرف على اسـم المصاب، (حامل القنبلة) وهو سـارفاس كسيروس. وقد تبين فيما بعد أن نفس السلاح كان قد اسـتخدم فى قتل صاحب مركب يدعى كوستا بيراتيكوس وأيضا المدعو كوستا أندروليداكـس. إلى جانب حوادث أخـرى تورطت فيها نفس المجموعة. وقد وضعت هذه الحادثة حدا لنشـاط مجموعة الأشباح، كما كان يطلق عليها البوليس. حيث تمكنت من المراوغة والهروب من العقاب مدة ٢٧ عاما كاملة.

ويعتبر القبض على سـافاس كسـيروس بداية النهاية لتلك المجموعة. إذ إنه قد أدلى باعترافات مثيرة، شكلت حجر الزاوية فى القضية التى رفعتها الدولة ضد المجموعة فيما بعد. فقد كشف كسيروس، وهو رسام للأيقونات، ويعتبر أيضا، من قناصى المجموعة الرئيسـيين، وهو على فراش المستشـفى، عن معلومات خطـيرة ومفصلة عن المجموعة للمحقق المسـئول عن اسـتجوابه. مما مكن الشرطة من مداهمة أعضاء الجماعة والقبض على عدد كبير منهم.

وقد أسـفر ذلك عن تفككها فى أقل من شـهر[1]. وقد ادعى كسـيروس فيما بعد أنه كشف عن هذه المعلومات أثناء تناوله مخدرا، بالإضافة إلى تعرضه للتعذيب، كى تنتزع

(١) قادت المعلومات التى أدلى بها كسـيروس إلى الكشـف عن ترسـانة أسـلحة الجماعة، بثلاث شـقق فى أثينا. وإحدى هذه الشـقق - ويسـتأجرها كسـيروس نفسـه، قد وجد بهـا ٦٠ صاروخا مضـادا للدبابات قد تم سرقتهـا من قاعدة حربية بشـمال اليونـان عام ١٩٨٩ . وآلة كاتبـة لكتابة بيانات الجماعـة، وعلم المجموعة الذى يحمل خمس نجوم، بالإضافة إلى قنابل يدوية، وشعر مستعار، فضلا عن بيانات وصور لشى جيفارا، وكارل ماركـس وبطـل يونانى من المقاومة الشـعبية أثناء الحرب العالمية الثانية يدعـى أريس فيلويتس. إلى جانـب والسـلاح الـذى قتلت به الجماعة آخـر ضحاياها، وهـو ملحق الدفـاع البريطانى فى أثينا، سـتيفن سوندرز. وقد تم قتله فى يونيو ٢٠٠٠ بينما كان يقود سيارته إلى مقر عمله.

منه تلك المعلومات. وفى ديسمبر ٢٠٠٣، وبعد محاكمة مراثونية دامت تسعة أشهر، وتعتبر أطول المحاكمات فى تاريخ اليونان الحديث، أصدرت محكمة كوريدالوس والمتكونة من هيئة تضم ثلاثة قضاة حكمها فى القضية. حيث أدانت ١٥ عضوا من المجموعة، بينما تم تبرئة ساحة أربعة متهمين آخرين لعدم كفاية الأدلة. عقدت المحاكمة فى صالة خصصت لهذا الغرض بأكبر سجن بأثينا وأكثر السجون حراسة. وقد صدقت المحكمة على توصيات المدعى العام بالحكم بفترة ٢١ عاما و٢٥ عاما من السجن على زعيم الجماعة وعقلها المدبر، ألكسندروس جيوتوبولوس. وبثلاثة عشر عاما و٢٥ عاما من السجن على مدير إدارة عملياتها ديمترى كوفودينا. وبالسجن لمدة ٢٥ عاما أيضا على كسيروس. بينما حكم على أخيه بـ (١٠ أعوام). و(٤ أعوام) لفاسيلى تسورتساتسوس. بينما حصل كوستارس على (٤ أعوام). وقد حصل خمسة أعضاء آخرون من الجماعة على أشد الأحكام أى ٢٥ عاما. وكان تيليوس الذى سلم نفسه، هو المتهم الوحيد الذى حصل على حكم مع وقف التنفيذ، نتيجة إصابته بمرض نفسى. وقد ترك حرا، على أن تستأنف محاكمته بعد النقض.

وقد طلب منه أن يتصل بصفة شهرية بقسم البوليس التابع لمنطقة سكنه. ومنع من مغادرة البلد. ولم يحصل سوى أربعة من المتهمين على أحكام مخففة، هم: توماس(١٧ سنة) وديونسيس (٩ سنوات) ونيكوس وبافلس (٨ سنوات).

من هم هؤلاء الإرهابيون، فى حقيقة الأمر؟

لاشك أن حجم المنظمة يلعب دورا مهمًا، فى القدرة على اختراقها ومعرفة خباياها. ففى حالة مجموعة N17، وتعتبر بالمقارنة بمنظمة مثل الألوية الحمراء الإيطالية مثلا، مجموعة متناهية الصغر. صفوفها وهيكلها واضحان لا يحتاجان لأى بحث أو تنقيب؛ لذا فإن الكشف عن خبايا المنظمة وأسباب وجودها واستمرارها وماهية أعضائها، أسئلة يمكن الإجابة عليها من خلال استجواب ثلاثة أو أربعة من أعضائها، على الأكثر. ورغم ذلك، فإن ظروف نشأة هذه الجماعة لا تزال غامضة حقيقة الأمر. وذلك

رغـم الاسـتماع إلى ما يقرب من ٥٠٨ شـهادات، واسـتمرار المحاكمـة لأكثر من ٩٠٠ سـاعة[١]. والسـؤال الآن مـا الـذى حافظ عـلى بقاء تلـك المجموعة واسـتمرارها وقتًا طويـلاً من الزمن؟ ومـن أين جاء أعضاؤهـا؟ ومن هـم حقيقة الأمر؟ وهذه الأسـئلة، فى الواقـع، شـديدة التداخل فيما بينها. إن دراسـة المنظمات الأوروبيـة الأيديولوجية فى العـصر الحديث، تكشـف أن مثل هذه المنظـمات تعتمد فى بقائها وتماسـكها على روابط عاطفيـة وتضامنيـة، بالإضافـة إلى إيـمان قـوى وراسـخ بأيديولوجية المجموعـة، يكاد يماثل الإيمان بالمعتقد الدينى. (انظر على سـبيل المثال: فرانسيشـينى ١٩٨٨ وجميسـون، ١٩٩٠). وفى حالة مجموعة N17، فقد كان ثلاثة من أعضائها إخوانا، واثنان أولاد عم، وكان عضو منهم أبا روحيا لأعضاء آخرين من الجماعة. أى أن روابط الدم (وهى مهمة جـدا فى المجتمع اليونانى) عززت الثقـة والتضامن بين أعضاء هذه المجموعة. مما يفسر اسـتمرارها وصعوبة اختراقها نتيجة لقوة مقاومتها. ولكن من ناحية أخرى، فإن صغر حجـم المجموعة، وقـوة ارتباط أعضائهـا بعضهم ببعض، عجل مـن ناحية أخرى من نهايتهـا. فما إن اهتز الهيكل بسـبب بعض اعترافات لأعضائهـا، حتى انهارت المجموعة بأثرها، «كبيت من الورق». (دنيس بلاشينسكى)[٢].

وقد كتب بلاشينسكى ما يلى، متنبًا فى بداية التسعينيات :

إن نقطـة ضعـف مجموعة N ١٧ يكمن فى غياب أى قاعـدة قوية تتكئ عليها أو مسـاندة من شخصية معروفة. تشـد من أزرها. فهى على عكس منظمات مثل DEV SOL، RAF، لم تستطع أن تلم شملها بعد أن بدأ البوليس سلسلة القبض عـلى أعضائها.بل وبدا الأمر وكأن البوليس قد هزمها «بالضربة القاضية». وهى فى ذلـك تشـبه مجموعـات، AD وCCC. إن مجموعة 71N غالبـا لا تتألف من أكثر من خلية واحدة وتعتمد على نفسها فقط.وقد تبرهن على سرعة اهتزاز ثقتها

---

(١) انظر N17: «القضية لم تعط إجابات كافية فى كاسيميرينى ٣٠ ديسمبر».

(٢) «كما قال لى بلاشينسكى: «لم أر قط جماعة إرهابية تنهار بمثل هذه السهولة».

بنفسـها، فسرعان ما تتفـكك مع بدء مداهمة البوليس لهـا والقبض على عضو أو اثنين من أعضاء الجماعة (ألكسندرو بلاشينسكى، ١٩٩٢).

وقـد تحققت نبوءته بالفعـل، إذ إن هذا ما حدث على وجـه التحديد، يوم ٢٩ يونيو ٢٠٠٢. حينـما خذلـت القنبلة التى كان يحملها كسـيروس فى بيريـوس آمال الجماعة فى الاستمرار.

ألكسندروس جيوتوبولوس

«لم تكن حقيقة الأمر محاكمة عادلة، بل أشـك أنه يمكن اعتبارها محاكمة من الأسـاس. ربما كانت أقرب إلى المسرحية. والجـزء الخاص بمحاكمتى قد فرضه الأمريكيون على المحكمة».

أصدر المدعى العام حكما ضد ألكسـندروس جيوتوبولوس بالسـجن لمدة تصل إلى ٢٤١٢ سـنة. وكانت التهمة المنسوبة إليه أنه «زعيم الجماعة وعقلها المدبر». وقد وصفه المدعى العام «بأنه أسـاس الشر كله، سـواء قبل أو بعد القبض عليه». وقد تمسـك فريق دفاعه بعدم كفاية الأدلة المادية ضده. وأن اتهامه قد بنى على شـهادة المتهمين الآخرين، أعضـاء مجموعة N17 مما يعتبر انتهـاكا للقانون الجنائى باليونان، الذى لا يعتبر شـهادة المتهمين كافية لإدانة المتهم[١].

وقـد درس جيوتوبولـوس بباريـس، وهـو ابن باحث معـروف من تروتسـكايت، وناشـط فى الفترة التى سـبقت الحرب العالمية الثانية. وقد تزامنت دراسـته فى باريس مع حكم زمرة مسـيطرة من الجيش. وساعد عام ١٩٦٩ فى تأسيس المجموعة الراديكالية «مايـو ٢٩» والتـى كانت تنادى بثورة مسـلحة ضد النظـام العسـكرى باليونان. وطبقا لأندريـا سـتايكوس وهو صديـق لجيوتوبولوس وزميـل داخل المجموعة نفسـها، فإن مجموعـة ٢٩ مايـو كانت متأثرة بشـكل واضـح بمجموعة ٢٢ مارس ومؤسسـها كون

(١) فى قضية الدفاع، انظر: الإضافة الخاصة - وقت الحكم المحاكمة الكبرى لمجموعة N17.

بنيديت وتتألـف من سـتة أعضاء.. وقـد تكونت فى الأسـاس بهدف التآمـر للإطاحة بالديكتاتوريـة باليونـان[1]. وفى عـام ١٩٧١ ألقـت السـلطات اليونانيـة القبـض عـلى جيوتوبولـوس وزميلـه سـتايكو، بتهمة تأسـيس جماعة مسـلحة. وصـدر حكم غيابى بحبسهما مدة خمسة أعوام. وبقى جيوتوبولوس فى باريس. وأنشأ مجموعة جديدة أسماها الكفاح الشعبى المسلح (LEA) والتى انقسم أعضاؤها منذ البداية حول طريقة إدارتها وتوجيهها[2]. وقد كان جيوتوبولوس من أنصار الكفاح المسلح وحرب العصابات، لذا انشق مع بعض الأعضاء وكونا مجموعة صغيرة. وقد وصفه صديقه ستايكو، «بأنه كان يتميـز بعقل مرتب وبالحجة المقنعـة وقدرة خطابية عالية. كـما أن معلوماته عن النظرية الثورية الماركسية كانت ممتازة. وقد اعتمد عليها كمصدرللرزق»[3].

وبعـد عودتـه إلى أثينا عقب سـقوط حكـم جنرلات الجيـش، عـام ١٩٧٥، وطبقا لمصـادر البوليـس اليونانـى[4]، اتصـل جيوتوبولـوس بمجموعـة معروفـة تنتمـى إلى عصابات المدن، وهى مجموعة الكفاح الثورى الشعبى. وقد حاول إقناعها بالمشاركة فى تنفيذ خطة اختطاف رئيس المخابرات الأمريكية بأثينا ريتشـارد ويلش. إلا أن مسـاعيه لإقناع أعضاء المجموعة قد باءت بالفشل.

وقد وجد ويلش فيما بعد مقتولا بطلقات نارية خارج منزله يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٧٥، عـلى يـد مجموعة N17. وقد أنكـر جيوتوبولوس تورطه فى هذا الحـادث أثناء محاكمته. رغم تأكيد البوليس عثوره على بصمات لأصابعه فى معقلين لمجموعة N17 بأثينا.

وقـد أكـد جيتوبولـوس من ناحيـة أخرى، وهـو بصدد إنـكار ٩٦٣ تهمـة موجهة إليـه، «أن الأمريكيـين والبريطانيـين وعملاءهـم بأثينا، هم السـبب الأساسـى لوقوفه

---

(١) مقابلة أندرياس ستايكوس مع أخبار أثينا، ٢ أغسطس ٢٠٠٢.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر.
(٤) مقابلة الكاتب مع مسئول من مكافحة الإرهاب، بأثينا، ١٠ سبتمبر ٢٠٠٢.

خلف القضبان، وأن زعم انتمائه إلى جماعة ١٧ نوفمبر، يعد من قبيل التلفيق المحبوك، ليس أكثر»[١]. كما أكد «ضلوع المدعى العام اليونانى ورئيس قسم البوليس المسئول فى هذه المؤامرة. كما أضاف أن شهادة كسيروس ضده تعتبر باطلة، إذ إنها ليست أكثر من اعترافات نزيل وحدة الرعاية المركزة وتمت تحت تأثير أدوية مخدرة، ويحتمل أنه قد تعرض أيضا للتهديد»[٢]

كما استمر أيضا فى إنكار أن يكون ما وجده البوليس فى أحد معاقل المجموعة من تصحيحات لمسودة بيان خاص بالمجموعة هو بالفعل خط يده . وكذلك أنكر ما أكده المدعى العام من وجود بصمة لإبهام يده اليسرى على هاتف المحمول. وقد تم نقل هذه الأشياء إلى حيازة البوليس.

وبذل جيوتوبولوس جهدا كبيرا، فى إقناع الجميع أن مجموعة N17 مجموعة تعمل بلا قائد، وأنها ذات أهداف سياسية. مما يقتضى ضرورة استخدام الأسلحة فى الحياة اليومية. ومن وجهة نظره فإن المجموعة ليست إرهابية. «وإنما تمثل نوعا من الكفاح السياسى المسلح بهدف الإطاحة بالنظام الرأسمالى السائد، والعمل على استتباب حكم اشتراكى غير بيروقراطى، تنتقل من خلاله السلطة إلى الشعب»[٣]. كما كان أيضا على قناعة أن اللجوء إلى العنف المسلح، يعتبر مبررا فى حالة مواجهة بعض الظروف الاجتماعية والسياسية. بل كان يرى فى المعارضة المسلحة الطريق الوحيد الفعال لممارسة نوع من الضغط السياسى ضد الهيمنة الأمريكية وضد نظام لا يستجيب لمطالب الشعب. وطبقا لتحليل جيوتوبولوس :

> فإن ما دفع الشباب إلى حمل السلاح ضد ممثلى المؤسسات المسئولة، واستهداف بعض الرموز. والالتحام فى صراع عنيف مع الأنظمة القمعية، يرجع لعدة

---

(١) غرف سجن محكمة كوريدالوس، ٦ مارس ٢٠٠٣.

(٢) نفس المصدر.

(٣) المقابلة التى سبقت محاكمة جيوتوبولوس مع جريدة اليونان المركزية فى ٥ أكتوبر ٢٠٠٢

أسباب أهمها: استمرار اعتماد النظام الحاكم على الهيمنة الأمريكية، وسيادة نظام اقتصادى غير عادل، بالإضافة إلى غياب كامل لدور دولة الرفاهية، فضلا عن انخفاض أجور العمال واختفاء الدخل من الزراعة[1].

إن تحليل جيوتوبولوس الذى يربط بين الهيمنة الأمريكية واستمرار المشاكل المحلية باليونان، يذكر ببيان مجموعة N17. والذى يطلق عليه بيان ولش، حيث أكد فيه كتاب المجموعة، العلاقة بين الوجود الأمريكى على التراب الوطنى واستمرار حالة ضعف النمو فى اليونان[2].

كما هاجم جيوتوبولس «اليسار الرسمى» كما أطلق عليه، لفشله فى إيجاد حل لبعض المشاكل الاجتماعية، النابعة من الصراع الأساسى بين الطبقة المسيطرة والطبقة الفقيرة التى يتم استغلالها فى اليونان. كما اتهمه بالإفلاس وعدم المصداقية وأضاف:

> **إنه لا يزال غير قادر على التعبير عن آمال مئات الآلاف من الشعب المكافح... لذا فلم يكن من الغريب أن تجد تنظيمات مثل مجموعة ١٧ N، الطريق ممهدا والظروف مواتية للنمو، معتمدة فى الأساس على غياب بديل يسارى يحظى بمصداقية الشعب[3].**

وقد استخدم جيوتوبولس أسلوبا متعاليا فى الحديث، وشن وابلًا من الإهانات على عدة شخصيات عامة، منها المدعى العام كريستوس لامبرو، الذى وصف بدوره جيوتوبولوس «بالنفاق والتزييف، لإنكاره الحقائق، وأكد أنه وراء كل الحوادث» كما أكد المتهم باتروكلوس تسلينتيس، فى شهادته «أنه زعيم المجموعة، وعقلها المفكر، بل هو الذى قام بالإعلان عن نشأتها»[4] ومن ناحيته، نعت جيوتوبولوس باتروكلس،

---

(١) نفس المصدر.

(٢) نص بيان ويلش، أن «الولايات المتحدة، هى المستعمر والعدو الأول للشعب» ديسمبر ١٩٧٥. كما حملها مسؤلية «عقود من الإهانة والكوارث والجرائم» التى ارتكبت بحق الشعب اليونانى.

(٣) مقابلة جيوتوبولوس مع لامياكوس تيبوس.

(٤) انظر المحاكمة وشهادة باتروكلوس تسيلنتيس.

«بالتفاهة وأنه مثير للرثاء» لاختياره التعاون مع السلطات والإدلاء بالأكاذيب الباطلة، للحصول على المكافأة السخية التى وعدته إياها السلطات طبقا لقانون مكافحة الإرهاب[1].

وجدير بالذكر، أن شهادة جيوتوبولوس لم تكشف النقاب عن عدة نقاط مهمة، مثل بداية نشأة المجموعة، أو الدوافع والأهداف، أو مفهوم القوة السياسية من وجهة نظرها. وذلك رغم ما تميز به حديثه فى المرات القليلة التى تحدث فيها، بجرأة لم يتفوق فيها عليه سوى ديمتريس كوفوديناس. وحينما سأله رئيس القضاة إذا كان بإمكانه، أن يجد الشجاعة الكافية للاعتراف بالتهم الموجهة إليه وتحمل المسئولية مثل زميله المتهم كوفوديناس، جاء رده مرة أخرى عاكسا لشخصيته المتعالية العنيدة والمتصلبة، إذ قال «هذا بالطبع ماكنت سأفعله إذا كنت بالفعل زعيما للمجموعة»[2].

ولاشك أن موقف جيوتوبولوس، كان مثيرا للدهشة والسخرية معا، ، إذ تمسك بموقفه المتعالى حتى نهاية المحاكمة، مؤكدا أنه ضحية مؤامرة أنجلو أمريكية، بسبب أنشطته المعارضة للديكتاتورية بأثينا من ١٩٦٧-١٩٧٤، كما وصف المحاكمة «بأنها غير عادلة، بل مثيرة للسخرية».

كما أضاف بأسلوب متشدق ورنان، أن «أثينا اليوم، ليست سوى مستعمرة حديثة للولايات المتحدة الأمريكية» . وكان الا نطباع السائد طوال المحاكمة، أنه يريد إضفاء جو من الغموض والتحدى على أقواله، وكان هذا كافيا لتفنيد الاتهامات الموجهة إليه.

وقد تمسك جيوتوبولوس حتى النهاية بأسلوب متصلب، غير مرن، كما تمسك بأيديولوجيته. وتميزت «لغة خطابه» بمحاولة الترويج لأفكار جماعته وإثبات وجودها على الساحة السياسية، وبإضفاء شرعية كاذبة عليها، وكأنها تمثل المجتمع اليونانى بأثره.

---

(١) نفس المصدر.

(٢) غرف سجن محكمة كوريدالوس، ١٦ مارس ٢٠٠٣.

ديمتريس كوفوديناس

«إن سلاحنا الأساسى هو الحقيقة. والحقيقة محفزة للثورة»

إن تاريخ مجموعة N17 قد انتهى حقيقة الأمر، يوم سلم رئيس عملياتها نفسه للبوليس. فى الخامس من سبتمبر ٢٠٠٢. وذلك بعد هروبه لمدة شهرين. كان كوفوديناس قد قرر الهرب فى أعقاب الانفجار الذى وقع فى ميناء بيريوس. وفى الخامس من سبتمبر، خرج من سيارة أجرة فى الثانية وخمس وثلاثين دقيقة، يرتدى الجينز وفنلة سوداء ويضع غطاء على رأسه. ثم توجه إلى قسم البوليس، واعترف بأنه «ديمتريس كوفوديناس، وأنه يسلم نفسه» وذلك أمام دهشة الضابط المسئول، الذى صحبه بعد ذلك إلى الطابق ١٢، حيث فرقة مكافحة الإرهاب. وقد أبلغ كسيروس الشرطة فيما بعد أنه قد نصح كوفوديناس بالهروب بعد الحادث.

وقد لجأ كوفوديناس للهروب أولا إلى أحد معاقل الجماعة بنجراتى، وهناك قام بالتخلص من الأدلة التى كانت ضده قبل أن يواصل الهروب[1]. حيث كانت لديه أكثر من ٢٤ ساعة، قبل أن يكتشف البوليس صلة كسيروس بالمجموعة. وفى تصريح، تمت قراءته أمام محامى الدفاع، أعلن كوفوديناس أنه قام بتسليم نفسه بإرادته، وطبقا له:

> كى أتحمل وحدى المسئوليات السياسية عن المجموعة N17. كما أرفض التهم الموجهة إلى، بالصورة التى وردت بها فى نص الاتهام. لقد كان إيمانى بالمقاومة الثورية، كطريق لبناء المجتمع الاشتراكى، هو الذى حدد مسلكى فى الحياة. وأريد أن أعبر عن تضامنى مع كل المحتجزين، سواء أكان حبسهم عادلا أم غير عادل. وذلك لأننى أعتبر الكرامة هى أعز ما يملك المقاتل على الإطلاق، بل هى وسام شرف يتحلى به[2].

---

(١) مقابلة الكاتب مع ضابط مكافحة الإرهاب، بأثينا فى ١٠ سبتمبر ٢٠٠٢

(٢) رد فعل الإعلام فى اليونان لتسليم كوفوديناس غير المتوقع لنفسه. انظر: كاثيميرينى وتا نيه، ٦ سبتمبر ٢٠٠٢، كيريكاتيكى وتو فينما ٨ سبتمبر ٢٠٠٢. انظر أيضا «ديكا أباتيسيس جيا تو جريفو كوفودينا» (عشر إجابات على لغز كوفودينا) ١٢ سبتمبر ٢٠٠٢ ««أكثر المطلوبين فى اليونان يسلم نفسه» (الجارديان ٦ سبتمبر ٢٠٠٢).

ولد ديميتريس كوفوديناس عام ١٩٥٨ ببلدة تربنى، وهى على بعد ٤٥ كم من مدينة سيرس بشمال اليونان. وبلدة تربنى، تعتبر صورة نمطية لبلدة بشمال اليونان.وتفخر بمحافظتها على التقاليد اليونانية القديمة وبأخلاق سكانها الدمثة. وحينما بلغ الثالثة عشرة، انتقلت عائلته للعيش بأثينا العاصمة. وكانت أثينا فى ذلك الوقت، تعانى من الاضطرابات بسبب الحكم الديكتاتورى للجنرالات. وقد تأثرت نشأة كوفوديناس السياسية بانتقال الحكم فى اليونان من الديكتاتورية إلى الديمقراطية عام ١٩٧٤.

ولابد من الإشارة إلى أن التحول من حكم الجنرالات الديكتاتورى إلى المرحلة الديمقراطية، لم يحدث دفعة واحدة، وإنما حدث على مراحل تخللتها مفاوضات وتنازلات عديدة جرت بين النخبة السياسية والجيش. وكان لهذا التحول، الذى كانت المجموعة تشير إليه تحت مسمى «ميتابوليتفسى، أو الزمرة المسيطرة»، كما كان يحلو للبعض الآخر تسميته، أثره الكبير فى التكوين السياسى لكوفوديناس. وكانت المدرسة الثانوية هى بداية اشتراكه فى أنشطة سياسية . ويشهد على ذلك انضمامه كعضو فى مجموعة PASOK الاشتراكية وحركة PAMK للشباب.وقد التحق بجامعة أثينا عام ١٩٧٧ لدراسة الاقتصاد. وشهدت هذه الفترة تكثيف أنشطته السياسية. وقد أظهرت شهادة زميل دراسته الثانوية نيكوس جيانوبولوس إعجاب أصدقائه بنضجه السياسى وعمق ثقافته وفكره السياسى. وقال نيكوس عنه: «إنه لو كان قد استمر فى نشاطاته السياسية، لكان قد ضمن لنفسه مكانة مرموقة على الساحة السياسية أو فى الحكومة اليونانية»(١). وقد قال عنه صديق آخر من أيام الدراسة: «إنه كان شخصية هادئة، وخطيبًا يملك شجاعة كبيرة وأيديولوجية واضحة»(٢). كما كان محبوبًا أيضًا بين أهله وأقاربه الذين وصفوه بأنه «كان شخصًا حساسًا وحريصًا على شعور الآخرين»(٣). وقد قطع كوفوديناس، علاقاته بالعائلة، عام ١٩٨٣، أى ما يقرب من عام قبل محاولة الاغتيال التى تعرض لها الرقيب الأمريكى روبرت جد، والتى تعتبر

---

(١) نيكوس جيانوبولوس فى شهادته بالمحكمة، سجن كوريدالوس، ٢٥ يوليو ٢٠٠٣.

(٢) مجلة ميترو، شهادة نيكوز فافيديس بالمحكمة، سجن كوريدالوس، ٢٦ يليو ٢٠٠٣.

(٣) ذكرت فى إلفتيروتيبيا، ٩ سبتمبر ٢٠٠٢.

بداية كوفودينـاس الحقيقية فى إدارة عمليات المجموعـة N17.. وفقا لما وجه إليه من تهم[١].

ولاتنطبق على كوفودينـاس الصورة النمطية للإرهابى المتطرف[٢]. فلم يحدث طوال محاكمته التى استمرت تسعة أشهر، أن احتد فى حديثه أو رفع نبرة صوته عن الوتيرة الطبيعية للحديث. بل كان مسيطرا سيطرة كاملة على مجمل حديثه وحركاته. ورغم أن كبير القضاة، مارجاريتس، قد طلب منه عدة مرات «أن يكون أكثر وضوحا فى إجاباته عن الأسئلة الموجهة إليه، لكشف النقاب عن معلومات تهم المحكمة والمجتمع اليونانى بأثره»[٣]، فإنه كان حريصا طوال المحاكمة على عدم الكشف عمّا قد يؤذى أعضاء المجموعة أو يتسبب فى أن توجه إليهم التهم. كما حرص على عدم البوح بالعمليات الداخلية للمجموعة[٤].

وطبقا لشهادة كوفودينـاس:

> **أؤكد لكم جميعا، أننى لن أفعل ما تريدون. ويجب أن تعلموا أننى لا أشارككم نفس المنطق. فأخلاقيات المجموعة التى أنتمى إليها لا تسمح لى بإفشاء أسرارها، أو التعاون معكم. وبناء عليه فلن أصرح بأية معلومات خاصة بها اشتركت فيه من عمليات. كما أننى لن أبوح بأى سر عن زملائى، أعضاء المجموعة. وسوف أتحمل مسئولية هذا القرار حتى النهاية، ومهما كانت تكلفته الشخصية[٥].**

(١) وقد هاجم جد فى إشارة مرور رجلين يقودان دراجة بخارية، بينما كان يقود سيارة بها شحنة من البريد الدبلوماسى إلى قاعدة جوية أمريكية بمطار هيلينيكون بأثينا. وقد أوقف الرجلان دراجتهما البخارية بجانب السيارة، ووجه كوفودينـاس سلاحه عيار ٤٥، مفرغا خزانته خمس مرات. أما جد فقد سرع من قيادته، ونجا من محاولة الاغتيال.

(٢) انظر: «الرجل الذى تحمل المسئولية» كيرياكاتيكى، ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٣. و«وأنقذ شرفهم» فى تانيا ٨ ديسمبر ٢٠٠٣.

(٣) محاكمات سجن كوريدالوس ٢٣ يوليو ٢٠٠٣.

(٤) «يخيل إلى أنه يعرف كثيرًا من المعلومات التى قد تؤذى معظم المتهمين فى القضية» معلق سياسى يونانى كان يقوم بتغطية صحفية لمحاكمة أعضاء جماعة N17

(٥) محاكمات سجن كوريدالوس، ٢٤ يوليو ٢٠٠٣.

وقد تحمل كوفوديناس، أمام المحكمة مسئوليته عن كل عمليات المجموعة. وكان العديد من أعضاء المجموعة قد وصفوه بأنه كان بمثابة الوصلة الأساسية بين القيادة التاريخية للمجموعة وعملياتها التنفيذية. إلا أنه رفض على مدى المحاكمة، أن يعترف بخطأ المجموعة فيما يخص تحليلها لآمال المجتمع اليونانى. بل إنه أعلن ثقته فى أن النصر سوف يكون حتما هو مصير المجموعة فى نهاية المطاف. فطبقا له نهاية العمليات، لا تعنى انتهاء المجموعة أيديولوجيا. وأكد مجادلا «إنه من وجهة نظر تاريخية، وطبقا لما تشهد به الحركة الثورية باليونان، فإن نهاية المجموعة N17 لم تأت بعد»[1]. واستمر كوفودينـاس فى إيمانه بأن فكر المجموعة لا يزال يمثل الفكر الماركسى اللنينى فى أنقى صوره. كما أصر على رفضه لوصف المجموعة بالإرهاب، أو اتجاه المحكمة إلى وصف أعمالهم بالبربرية، وأنها تخلو من أى مضمون سياسى. وقال فى ذلك «إن هذه المحاكمة لا يمكن اعتبارها عادلة للمجموعة N17، لأنها لا تشهد بالحقيقة»[2]. وفى رأيه، «إن هذه المجموعة، تمثل مجموعة من المقاتلين البسطاء المنتمين لهذا الشعب. وأن الحركة نابعة من آمال الشعب وتطلعاته، ولم تعبر إلا عن مصالحه ولم تخدم سوى أهدافه الحقيقية»[3].

محاربة الاستعمار والرأسمالية

حينما تطرق الحديث إلى بدايات تسليح المجموعة عام ١٩٧٥، واغتيال رتشارد ويلش، رئيس المخابرات الأمريكية بأثينا، تكلم كوفوديناس عن دوافع المجموعة وأسباب تحركاتها. (انظر كاسماريس ٢٠٠١ ص٧٢-٧٥، للاطلاع على تطور المجموعة من الناحية الإستراتيجية والأهداف ونمو العمليات بين ١٩٧٥ و١٩٨٠).

«فى ديسمبر ٧٥، قررت مجموعة من المقاتلين داخل المجموعة، التخلص من رئيس المخابرات الأمريكية بأثينا» وطبقا لكوفودينـاس، «فقد كان الهدف واضحا ومبررا. فرئيس المخابرات الأمريكى، كان ولا يزال يمثل اليد الطولى

---

(١) خطاب إلى جريدة إليفيتوروتيبيا، ١٠ سبتمبر ٢٠٠٢

(٢) محاكمات سجن كوريدالوس، ٢٤ يوليو٢٠٠٣

(٣) نفس المصدر

للسياسة الأمريكية فى بلادنا. فهو يدير ويتحكم ويسيطر على مجموعة من الموظفين داخل الحكومة والدولة البيروقراطية والجيش والأحزاب السياسية، والإعلام. كما أنه يوجه الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية فى بلادنا وفقا لأهواء ومصالح الولايات المتحدة. إن الشعب اليونانى يدرك جيدا الدور الذى تلعبه المخابرات الأمريكية فى حياتنا. بدءًا من دورها فى الحرب الأهلية، ثم، فى التلاعب فى الإنتخابات وإثارة العنف، خاصة انتخابات عام ١٩٦١، وكذلك دورها فى اغتيال لامباركس، رئيس البرلمان اليونانى. ودورها مع زمرة الجيش، بالإضافة إلى ملف قبرص. ثم لماذا لم يفتح هذا الملف حتى الآن؟ وأين الديمقراطية والعدالة فى هذه القضية؟ ثم من المسئول عن عدم معاقبة عصبة الجيش على أعمال التعذيب التى مارستها؟ على من تقع هذه المسئولية؟ العدالة الموقرة؟ أم الشعب؟ نعلم جيدا أن الشعب اليونانى يدرك جيدا الهدف من اغتيال رئيس المخابرات الأمريكى. ولكنهم لا يعرفون على وجه اليقين من وراء الحادث. ويرجع ذلك إلى حملات التعتيم والتضليل التى تقوم بها الحكومة والأحزاب السياسية ووسائل الإعلام. إن هذه الحملة انطلقت منذ أعلنت المجموعة عن نفسها ولا تزال مستمرة حتى يومنا هذا»[١]

وطوال المحاكمة، كان كوفوديناس يحاول أن يخفى وينكر، أن المجموعة كان لديها اتجاهات أو كان بإمكانها تنظيم ثورة جماهيرية. وقال فى ذلك «إن المجموعة كانت تتمتع ببساطة الطبقة البروليتارية، ولم تعتبر نفسها قط محورا للثورة، كما أنها لم تزعم أبدا أن أنشطتها وحدها كانت هى الأنسب»[٢]. وهكذا يكون قد نفى، فى حالة وجود ثورة فعلية فى اليونان، أن يكون للمجموعة يد فيها. بما أنها تفتقر إلى التنظيم الذى يسمح لها بذلك، فليس لديها استعدادات قتالية، كما أنها لا تملك أيضا مقومات حركة شعبية سياسية فعالة.

---

(١) دعاوى قضائية بغرف سجن محكمة كوريدالوس، ٢٤ يوليو ٢٠٠٣.

(٢) نفس المصدر.

ومع ذلك، فقد وصف كوفودينس المجموعة بأنها مجموعة ثورية يسارية، وهى تؤمن بأن النظام الاجتماعى السائد، لايمكنه أن يصلح من حالة عدم المساواة السائدة فى المجتمع؛ لأنه ببساطة، السبب فى حدوثها. بل إنه يكرس هذه الحالة، بأساليب متعددة. كما لايمكنه أن يحل مشكلة البطالة، إذا كان هو الذى يصنعها، وله مصلحة فى ذلك. أما الحروب فليس له أيضا مصلحة فى وضع حد لها، حيث إنه يتغذى على الحروب والصراعات. ثم هو نظام لا يسمح أو يشجع الدول النامية أن تأخذ فرصتها العادلة فى تحقيق التنمية، بما أنه يعمل على استغلال ضعفها وتخلفها لمصلحته الخاصة. وهو نظام لايهتم بمعالجة الخلل البيئى الذى يتعرض له كوكب الأرض. ثم هو نظام عنصرى، لايحترم اختلاف الثقافات والأجناس؛ لأنه لا يحترم سوى المال والربح[1].

وطبقا لذلك يؤكد كوفوديناس «أن نظاما بمثل هذا السوء، لايمكنه أن يصبح أكثر ديمقراطية، أو أكثر إنسانية، بل لابد من الإطاحة به من خلال ثورة اجتماعية شاملة[2]».

وأكد فى نفس الوقت «أن العثور على الطريق السياسى الصحيح كان نقطة التركيز الأساسية لليسار خلال القرنين الماضيين ونقطة النزاع الأساسية بين المصلحين والجناح اليسارى الثورى»[3].

وكان من الملاحظ تمسك كوفوديناس بالفكر اليسارى، بوصفه مرشدًا للعمل السياسى. وقد سيطر ذلك على شهادته أمام المحكمة طوال فترة محاكمته. كما حاول أن يدافع عن العنف الثورى ويبرره كوسيلة لتحقيق الهدف، وهو رفض الراديكالية أو الإصلاح. وقد أعلن سخطه عن «كل من تخلى عن النشاط الثورى بغرض استغلال الفرص والانتهازية أو الجنوح إلى الرأسمالية»[4].

---

(١) نفس المصدر.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر.
(٤) نفس المصدر.

وفى تحليل كوفوديناس «فإن الفارق بين من اختاروا طريق الثورة والذين لم يختاروه ليس فارقا نظريا أو مجردا»، حيث إن اختيار طريق الثورة يعنى، اختيارطريق الكفاح من أجل الفقراء والضعفاء والمستغلين»[1]. وفى محاولة لإضفاء بعد تاريخى لنشاط المجموعة وفلسفتها، أكد كوفوديناس:

إن اليسار الذى تنتمى إليه المجموعة، هو يسار لينين وتشى جيفارا وفيلوشيوتيس. وهو يسار ثورة أكتوبر والثورة الإسبانية والصينية والكوبية. ويسار ثورة الجزائر وفيتنام ضد الاستعمار. وهو يسار مايو ٦٨ ونوفمبر ٧٣. وأخيرا يسار حرب العصابات داخل المدن»[2].

ومن الموضوعات التى سيطرت على محاكمة كوفوديناس، بشكل واضح طوال فترة تسعة أشهر «كفاح المجموعة ضد الاستعمار العسكرى الأمريكى». وقد تناول هذا الموضوع بلهجة المحارب، حيث اعتبر نشاط المجموعة ضد الأهداف الأمريكية، نوعا من التحدى للبربرية الأمريكية ومحاولات الاستئساد على التربة اليونانية، بل والمنطقة بأثرها. وطبقا له فإن الاستعمار الأمريكى لم يأت سوى بالفوضى. وهو سبب انتشار المذابح ليس فقط باليونان، وإنما فى كل أنحاء الأرض. ولم يترك أى خيار لشعوب العالم سوى تبنى أسلوب «حرب العصابات[3] غير المتناسبة مع أساليبه المتطورة». ومن وجهة نظره كزعيم للعمليات، فإن ممارسة هذه الحروب قد تسببت فى حدوث نوع من الضغط النفسى، بالإضافة إلى تداعياتها المدمرة. إلا أنه يعتبرها من قبيل المقاومة، التى قد تأتى بثمارها فى المدى القريب. ويستدعى فى هذا السياق، «حرب فيتنام التى حققت انتصارات باهرة على الإمبراطورية المتغطرسة، ذات الأسلحة المتطورة الفتاكة»[4].

---

(١) نفس المصدر.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر.
(٤) نفس المصدر.

وفى نفس السياق، أكد كوفوديناس، أن المجموعة قد جعلت «محاولة النيل من سمعة المخابرات الأمريكية الأسطورية، وإذلالها، وتحطيم صورتها اللامعة، كما تظهر فى أفلام هوليود، هدفها الأساسى، على طول السبع وعشرين عاما الأخيرة. وأضاف «أن هذا هو تفسير حنقهم المبالغ فيه تجاهنا، ومحاولاتهم المتعددة للثأر والانتقام من أعضاء المجموعة»[1]. وتعتبر لهجة كوفوديناس المتعالية، التى وصف بها المخابرات الأمريكية، مماثلة للهجة التى استخدمت من قبل، فى البيان المستفز الذى نشرته المجموعة، عام ١٩٩٩، وجاء فيه «فلتقبضوا علينا، إن استطعتم بالفعل». وكان ذلك بعد أسبوع واحد من نشر المخابرات الأمريكية، خبرًا بالإعلام اليونانى، أعلنت فيه، أنها قد أمدت الحكومة اليونانية بقائمة تتضمن جميع أعضاء المجموعة N17 [2].

وكان من الواضح أن اليونان بالنسبة لكوفوديناس لم تتغير كثيرا أيديولوجيا، عن أيام الحرب الأهلية فى الستينيات. وطبقا له «لايجب أن يكون المرء مؤرخا لتاريخ اليونان الحديث حتى يدرك، حالة الخلل التى أصابت المجتمع اليونانى اليوم. والاستنزاف الصارخ للطبقات الكادحة لصالح قلة تكدس الأموال من خلال نظام ضرائبى غير عادل وأنظمة بنكية رأسمالية. مما أدى إلى وصول البلاد إلى حالة التدهور الاقتصادى الذى نشهده اليوم، والذى أصاب التصنيع فى مقتل»[3]. ولم يعد هناك شك على الإطلاق، أن كوفوديناس يتهم الطبقة السياسية الحاكمة، بأنها وراء نهب البلاد. كما وجه اتهامه إلى «الأحزاب اليسارية التى باعت القضية الأساسية، واستنكر ميلها إلى الطبقة السياسية الحاكمة، وتبديدها لمكاسب العقود السابقة[4].

---

(١) نفس المصدر.

(٢) «ليس لدينا سوى إجابة واحدة لكل هذه التقارير» طبقا للبيان من ٨ صفحات بالجريدة: «فلتقبضوا علينا إن استطعتم» ١٦ مارس ١٩٩٩. وأخبار أثينا ١٧ مارس ١٩٩٩.

(٣) دعاوى قضائية بغرف سجن المحكمة كوريدالوس، ٢٤ يوليو ٢٠٠٣.

(٤) نفس المصدر.

إن اللجوء إلى العنف طبقا لكوفودينـاس كان الحل المنطقى والمحسـوب لمواجهة نظام كان يفترض أن يكون يسـارى الاتجاه، والتطبيق، إلا أنه، قد أثبت هزيمة وفشـلا. وذلـك، بعـد تخليـه عن مبادئـه ونكوصه عـن الوفـاء بوعوده. ولكنـه أكد «قيـام نظام يسـاري، مواز. وهو اليسـار الذى يقف ضد النظام السـائد بكل مفاسده. يسار يرفض الخضوع والاستسلام للسلطة الحاكمة. يسار يؤمن بأن الثورة هى طوق النجاة الوحيد للإفلات من أوضاع متدهورة سياسـيا واجتماعيا وثقافيا»[1]. وقد استعان كوفوديناس بأقوال كارل ماركس فى كتابه «رأس المال والبيان الشيوعي» لتبرير استخدام المجموعة لأساليب العنف محاولا أن يخلع عليها ثوب الشرعية؛ لكونها قد مورست تحت ظروف استثنائية؛ لذا فهى لا تعتبر من قبيل الأعمال الإرهابية..[2].

وقـد أوضـح كوفودينـاس أنه قد اسـتخدم فى حـرب العصابـات التـى قادها ضد الحكومة، إسـتراتيجيات التوباماروس، بأمريـكا اللاتينية. وهى من مجموعات حروب العصابات المعروفة. جاء ذلك، فى سياق تأكيده أهمية استخدام القوة العسكرية المنظمة كسياسة فعالة.

وكان من رأيه أن استخدام القوة العسكرية شريطة استخدامها بذكاء، . أى لتحقيق الضغـط النفسـى على العـدو، يمكـن أن تصبح سـلاحا محفـزا وإسـتراتيجيا، لتحقيق الأهداف السياسية للمجموعة، كما أضاف «إن مجموعة N17 قد أثبتت أنها ليست فقط أفضل مجموعة وإنما أيضا، أكثرها اسـتعدادا، بما تملك من إمكانيات عسـكرية هجومية ودفاعيـة لخوض اشـتباك ثورى مسـلح، فقد تمكنت القـوات الفدائيـة للمجموعة من اقتحام قسـم الشرطة بفيروناس والمتحف الحربى الوطنى، والتسـلل خلسـة، بأسـلحة مضـادة للدبابـات وصواريـخ البازوكـة. وكذلك تمكنـت من سرقـة ٦٠ صاروخا من

(١) نفس المصدر.
(٢) نفس المصدر.

مخزن سيكوريا العسكرى، بالإضافة إلى قنابل يدوية ورصاص وغيرها من المتفجرات. وذلك دون الحاجة إلى اللجوء إلى اشتباك مسلح»[1].

وقد أكد كوفوديناس مرارا «أنه مهما قيل عن المجموعة، فقد أثبتت من خلال أنشطتها كفاءة عالية، تضاهى كفاءة المقاومة اليونانية»[2].

ورغم أن كوفوديناس، كان من أشد المعجبين بأريس فيلوشيوتيس، زعيم حرب العصابات الكاريزمى، الشهير، ومؤسس (منظمة جيش الشعب اليونانى التحررى) أو ELAS. فإنه لم يحاول أن يشبه نفسه به، أو يظهر وكأنه نموذج عصرى له. ورغم ذلك فقد استشهد بأنشطته وتصرفاته البطولية، واعتبرها مثالا وقدوة للعمل الفدائى كما ينبغى أن يكون. وفى ذلك قال: «حينما دخل أريس البلدة وألقى كلمته فى ميدانها على مرأى ومسمع من قوات الجيش الألمانى، وكان برفقة أتباعه المسلحين، فقد أثبت أن المقاومة الشعبية ممكنة، بل يمكن الاستعانة بها لتمهيد الطريق لمزيد من الأنشطة الفعالة»[3]. وكان من الواضح أن استشهاده بمقاومة أريس تهدف إلى عقد مقارنة بين الظروف التى تواجهها جماعة N17 ووضع اليونان فى ذلك الوقت. مما يستدعى كفاحًا مسلحًا «يعد من قبيل المقاومة والدفاع عن النفس خاصة فى ظل معاناة شعب اليونان من المهانة، والعزلة، والإرهاب الذى تمارسه الدولة، بالإضافة إلى النفوذ المطلق لحكومة الأثرياء؛ فضلا عن تسلط الشرطة والمحاكمات العسكرية»[4].

وأضاف كوفوديناس:

> إن مجموعة N17، كانت تستهدف رموز الاستعمار والرأسمالية. نعم، لقد كنا فى غاية الفخر أننا قد تمكنا من إرهاب وترويع الولايات المتحدة الأمريكية. حيث إنها قد اضطرت أن تنفق على إجراءات الأمن الخاصة بسفارتها بأثينا أكثر

---

(١) نفس المصدر.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر.
(٤) نفس المصدر.

مما تنفق على سفاراتها فى أى مكان آخر. كما أن دولاً غربية عديدة، استمرت فى إرسال خبراء للأمن وعرض مكافآت غاية فى السخاء لمن يدلى بمعلومات تفيد فى القبض علينا. بل إننا نجحنا فى ترويع كبار رجال الصناعة ورجال الأعمال باليونان أيضا. حيث أصبحوا يتحصنون فى قصورهم الشبيهة بالقلاع، محاطين بإجراءات أمن وحماية مبالغ فيها. كما أحاطوا أنفسهم، بحراس خصوصيين على أعلى مستوى من الكفاءة والتدريب[١].

وقد أنكر كوفوديناس بشدة التهم الموجهة إلى المجموعة بأن حملة العنف التى قادتها، كانت هى السبب فى «أن أغلب اليونانيين لم يغمض لهم جفن ليلا، خوفا من تعرض حياتهم للخطر على يد المجموعة N17» مؤكدًا أن إرهاب الدولة كان هو السبب فى ترويع المواطنين، من خلال آليات الأمن التابعة للدولة التى أدت إلى شعورهم بالغربة داخل بلدهم وتسببت فى إذلالهم»[٢]. كما اتهم الدولة بأنها استغلت لفظ «الإرهاب» الذى وصفت به المجموعة، «لتبعد عن نفسها تلك التهم، وتنكر ما مارسته من عنف ضد المواطنين، محاولة النيل من شعبية المجموعة وموقفها ضد العنف»[٣].

كما أكد قائد عمليات المجموعة أيضا أن السيطرة على الجيش، كانت ستؤدى إلى نتائج مختلفة تماما، فيما يتعلق بتحقيق الأهداف السياسية للمجموعة. وأضاف أن المجموعة عرفت «باتجاهاتها المعتدلة»، بالإضافة إلى أنها لم تبالغ فى تقدير إمكانياتها الحقيقية، مما يفسر عدم تخطيطها قط لشن حرب على جميع الجبهات[٤]». ومع ذلك، فقد أكد من جانب آخر، «أن المجموعة لم تستغل فى الواقع كل ما لديها من إمكانيات، لأنها لم تكن تريد استباق الأمور، أو الخلط بين أهدافها وظروف الوضع السياسى الحالى»[٥].

---

(١) نفس المصدر.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر.
(٤) نفس المصدر.
(٥) نفس المصدر.

وبهـذا المنطق، وطبقـا لكوفوديناس «لم تحاول المجموعة القيـام بهجمات فى قلب الدولة اليونانيـة، ممـا كان سـيتبعه، بالـضرورة، حالة من الاسـتقطاب المبالـغ فيها»[1]. كما كان سـيؤدى غالبـا، إلى تفكك المجموعـة، كما حدث للألويـة الحمـراء بإيطاليا.(وهو ما لم يفصح عنه كوفوديناس صراحة)[2].

«الدعاية المسلحة» و«العنف الثورى» و«النتائج السياسية»

تأثـرت قيادات المجموعة N17 بوجهة نظر وقناعـات مجموعة الألوية الحمراء BR فيما يخص العمل المسلح باعتبار «أنه بمثابة الدعاية المسلحة، كما أنه يمهد الطريق لتحقيق الأهـداف السياسـية، بـما فيها تحقيـق قدر من الاعـتراف السياسـى». (موس ص٨٥-١٩٨٣). ولقد كان الأمر دائما واضحا بالنسبة لكوفوديناس فى هذا الخصوص، إذ كان يؤمن بأن كل نشـاط مسـلح يشـكل خطوة فعالة، تحقق مزيدا من الدعاية للمجموعة، وتعطى أيضا دفعة قوية فى الترويج من أجل الحصول على مساندة شعبية قوية ومستمرة. كـما كان يؤكد أن حجم الدعايـة وقيمتها يتحدد بأهمية العملية وطبيعتها. «فكلما عبرت العملية عن مطالب الشـعب، اقتربـت المجموعة من تحقيق أهدافهـا»[3]. ومتحدثا عن إسـتراتيجيات تلـك العمليـات، أكـد كوفوديـناس «أن وضـع الخطط الإسـتراتيجية، الخاصة بأهداف العمليات، يجب أن يراعى مصالح العمال والطبقات الكادحة، حتى لا يصيبهم أى ضرر مادى أو سياسـى من جراء تنفيذها، مع الكشـف فى نفس الوقت عن نقائص وعدم شرعية النظام الحاكم»[4]. وفى وصفه لأهداف أنشطة المجموعة، قال:

> **إنها شـديدة الارتباط بمشاكل الشـعب اليومية، لذا كانت الغارات وحملات العنـف موجهـة إلى أهداف مثل النظام الضريبى للدولة الذى يسـتغل الشـعب. أو لأطبـاء المستشـفيات الحكومية الذيـن يجبرون المواطنـين المحتاجين، من فرط**

---

(١) نفس المصدر.

(٢) فى بيان مجموعة N17 الصادر عام ١٩٩٢، اعترف كاتب البيان، أن المجموعة قد استفادت من تجربة منظمة الألوية الحمراء فى الاستمرار وتجنب القبض على أعضائها. انظر البيان بتاريخ ١٧ نوفمبر ١٩٩٢.

(٣) إجراءات المحاكمة بسجن محكمة كوريدالوس، ٢٤ يوليو ٢٠٠٣.

(٤) نفس المصدر.

جشعهم وانحطاط أخلاقياتهم إلى اللجوء إلى مستشفياتهم الخاصة أو عياداتهم وإنفاق مبالغ لا طائل لهم بها. كما أن أنشطة المجموعة كانت أيضا تستهدف رموزا تمثل السلطة والنفوذ، وذلك على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية: مثل ممثلى مؤسسات الدولة المختلفة وأتباع الهيمنة الاستعمارية والرأسمالية الاستغلالية. وكذلك السياسيين والموظفين الفاسدين، الذين ينهبون أقوات الشعب وممتلكاته[١].

وقد عبر كوفوديناس عن تعاطفه مع النتائج السياسية لأنشطة المجموعة واعتبرها «مجرد دفاع اجتماعى» ضد قلة من الأثرياء المسيطرين على الحكم وعملائهم الذين يعملون ضد المصلحة الوطنية للشعب. و«أن اللوم، فى حقيقة الأمر، يجب أن يقع على هؤلاء المتسببين فى الخسارة الاجتماعية»[٢]. وقد وجه إلى القضاة أثناء المحاكمة سؤالا ساخرا عن المسئول عن الدفاع عن حقوق أبناء الشعب، فهل تقع هذه المسئولية على الأفراد أم المجتمع؟ خاصة إذا تقاعست أجهزة الدولة ومؤسساتها عن القيام بهذا العمل[٣] وطبقا له، فإن مجموعة N17 «قد حاولت أن تعدل كفة الميزان لصالح الشعب، وضد هذا النظام المستبد وتعبر فى الوقت ذاته عن تأصل المقاومة بين أبناء هذا الشعب[٤]». بل إنه يرى «أن أنشطة المجموعة أعادت لهذا الشعب بعضًا من كرامته المهدرة»[٥]. وأن الشعب اليونانى، لا يعتبر هذه الأنشطة إرهابا، بل مقاومة تعبر عن الشعب، ونابعة منه، ضد ما تعرض له من قمع وظلم واستغلال. من هنا كان ترحيب الشعب بها، وقبولها كحركة اجتماعية شعبية عادلة»[٦].

وقد رفض عدة مرات، وصف الإعلام للمجموعة، بأنها ليست أكثر من مجموعة من الأيديولوجيين المعتوهين. الذين يخوضون حربا بلا طائل أو أدنى أمل فى تحقيق النصر.

---

(١) نفس المصدر.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر.
(٤) نفس المصدر.
(٥) نفس المصدر.
(٦) نفس المصدر.

ولكن بالنسبة لكوفوديناس، فقد كان الأمر واضحا «فالمتمرد أو الثورى المسلح، ليس معتوها يحمل السلاح ويهوى العنف، أو القتل لمجرد القتل»[1]. بل إن «اللجوء إلى السلاح رد فعل مباشر يعقب التحليل السياسى»[2]. وأن الثورى ما إن يختار طريقه، حتى يجب عليه أن يواصله إلى نهايته، وذلك بافتراض صدقه مع نفسه، واتساقه مع أفكاره»[3]. وقد صور كوفوديناس «الثورى المسلح على أنه شخص يختار حقيقة الأمر، طريقا قد يتعارض مع مصلحته الشخصية»[4]. وهو شخص يقاوم حبه للبقاء، مقتربا من عالم يختلف عنه بيولوجيا. ذلك أنه يضحى بحريته، بل بحياته فى أية لحظة، ناهيك عن تعرضه لمخاطر أخرى كثيرة»[5].

وكان غريبا بعض الشىء ألا يشير كوفوديناس إلى أهمية الانتماء إلى المجموعة حتى يكتمل النضوج الثورى لدى الفرد. من خلال الانضمام إلى مجموعة تسانده وتعزز شعوره بالانتماء. ولكنه بدلا من ذلك أكد «أن حياة الثورى تبدأ فى أخذ منعطف مهم، حينما يتغلب على حبه للحياة وعلى حرصه على البقاء فى سبيل قضية يؤمن بها ويتمسك بها أكثر من حياته»[6].

ويؤكد أن لذلك بالطبع ثمنا يدفعه الفرد. إلا أن المكافأة تفوق الثمن وتتجاوزه، حين يشعر الثورى «أنه جزء من كفاح ضد العنف اللاإنسانى، الذى يمارس ضده والذى يسلبه آدميته ويهوى به إلى غياهب البربرية»[7].

لم يحاول ديمترى كوفوديناس، وهو من زعماء المجموعة وقائد عملياتها، أن ينكر مسئولياته الكاملة عن كافة ما يخص أنشطة المجموعة N17، كما فعل مثلا، زميله

---

(١) نفس المصدر.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر.
(٤) نفس المصدر.
(٥) نفس المصدر.
(٦) نفس المصدر.
(٧) نفس المصدر.

المفكر الرئيسـى للمجموعة، ألكسـندروس جيوتوبولوس. كما أنه حاول أن يدافع عن المجموعة، بل أن يضعها فى الإطار السياسـى والتاريخى لهـذه الفترة من تاريخ اليونان. وصمم حتى النهاية على أن أنشـطة العنف التى مارسـتها المجموعـة، كان لها ما يبررها نتيجة غياب الديمقراطية الحقيقية عن اليونان. ولم يقدم أى اعتذار عما أزهقته المجموعة من أرواح. بل برر ذلك بأن القضية سياسـية الجوهر والاتجاه وليسـت أخلاقية فى المقام الأول. وأنـه لذلـك، «لايعتبر المجموعة من القتلة أو السـفاحين. بـل إن هذا الوصف بعيد عنهم، وعن أنشطتهم»[١].

سافاس كسيروس

«إننـى جد آسـف، ونـادم، على كل جريمة اشـتركت فى ارتكابهـا، وعلى كل الدموع التى أذرفت على الضحايا وكل حالات الحداد التى كنت سببا فيها».

جاءت شهادة سافاس مختلفة تماما عن شهادة كوفوديناس، الذى حاول منذ البداية، أن يبرر أنشـطة المجموعة المرتبطة بالعنف، بإيمانها بفلسفة سياسية وتصور لعالم أفضل. أما كسـيروس فقـد أنفق معظـم وقته المحـدود، نتيجة إصاباتـه المتعددة، محـاولا إقناع الجميع، داخل وخارج المحكمة، أن ما تعرض له بالمستشـفى من وسـائل تعذيب ومنها إجباره على تناول العقاقير المخدرة، كانت السبب فى الكشف عن أنشطة معظم المتهمين مـن أعضـاء المجموعـة، وبالتـالى فى توجيه اتهامات لهم مـن قبل المحكمـة[٢]. وجاء فى شـهادته، أمام المحكمة، أنه كان مضطرا أمام إصرار سـلطات مكافحة الإرهاب إلى أن يشـى بأسـماء ويكشـف عن عمليات خاصة بالمجموعـة التى كان يعمـل بين صفوفها. وأضـاف «أنه قد تم احتجازه أربعين يوما متواصلـة، وذلك فى انتهاك واضح للقانون،

(١) إجراءات المحاكمة بسجن محكمة كوريدالوس ٢٤ يوليو ٢٠٠٣.

(٢) وفى شـهادته بالمستشـفى، صرح كسـيروس: «إننى أعتبر نفسـى من اليوم خارج المجموعة N17. بل أعد نفسـى ضحية لهذه المنظمة. وإننى إذا أسـهبت فى تفاصيل خاصة بهذه المجموعة، فى شهادتى، فإننى أتطلع إلى حكم مخفف من المحكمة، وأعتبر شـهادتى هذه بمثابة الاعتراف أمام الله والشـعب. وأطلب العفو من كل من تسببت فى آلامهم، خاصة عائلات الضحايا، وأشعر، حقيقة الأمر، أن الاعتذار، ليس كافيا».

وأنهم قد أجبروه على البقاء مستيقظا لأيام عديدة من أجل استجوابه تحت ظروف غير إنسانية. إذ كانت يداه مكبلتين بالأغلال وكانوا يجبرونه على تناول العقاقير المخدرة، مما يعد من قبيل ممارسة الاعتداء النفسي ضده، وذلك من أجل مواصلة استجوابه دون أن يشعر بعنصر الزمن. كما قاموا بتهديده بتسليمه إلى الولايات المتحدة فى حالة عدم تعاونه معهم»[1].

ومن المفيد فى هذا السياق، تسجيل أقوال الطبيب الذى عالج كسيروس بمستشفى إيفانجيليموس، وأنقذ حياته، فقد كان حكمه على الأمور مختلفا. وطبقا له:

«لقد كانت الإجراءات الأمنية داخل وخارج المستشفى غاية فى الصرامة، بل كانت غير مسبوقة. حيث كانت الشرطة تحيط بالمستشفى، وكأنه سجن محكم الحراسة، وليس مستشفى عاما. وكنا نخضع للتفتيش الذاتى يوميا، حيث كانوا دائمى التحقق من شخصياتنا، والمهام الطبية الموكلة إلينا. ومتابعة أوقات دخولنا أو خروجنا. والحق أننا قد بذلنا جهودا حثيثة حتى نحصل على ثقة فرقة مكافحة الإرهاب، خاصة فى الأيام الأولى، حيث كنا جميعا فى عداد المشتبه فيهم. وحينما جاء سافاس كسيروس إلى المستشفى أولا، وتم وضعه فى قسم العناية المركزة، لم نكن نعلم على وجه اليقين إلى أى جماعة إرهابية ينتمى.

لقد مكثنا عدة أيام غير مدركين هوية هذا المريض على وجه التحديد. حتى تيقنا أخيرا من شخصيته من التلفزيون، وعلمنا أنه عضو بمجموعة ١٧ نوفمبر.

---

(١) (نفس المصدر) وقد شكك محامى كسيروس فى شرعية إجراءات احتجازه بمستشفى إيفانجيليموس بالحجرة ١٠٣، حيث تم استجوابه بدون حضور محام يمثله أو قاض يستمع لشهادته. وطبقا له «فإن دستورنا، ينص على أنه، منذ القبض على الفرد المتهم بارتكاب جريمة ما، يجب أن يمثل أمام قاض فى خلال ٢٤ ساعة. وإذا كان المتهم مصابا، فلابد من حضور القاضى بنفسه إلى المستشفى. بينما فى هذ القضية، لم يحضر القاضى سوى بعد ٧٠ يوما من دخول المتهم إلى المستشفى. وهذا يعنى أن الاستجواب الذى تم فى غير حضوره أو حضور محامى الدفاع لا يعد شرعيا». مقابلة تمت بين الكاتب ومحامى المتهم جيورجوس أجيوتراتيس بأثينا، ١٤ أكتوبر ٢٠٠٢.

لقد شعرت كطبيب معالج لكسيروس بوطأة الحمل الملقى على عاتقى. لقد كان من واجبى أن أتأكد من بذل قصارى جهدى حتى يتلقى أفضل علاج، وأن يتم اتخاذ كل ما يلزم بالفعل، حتى يتماثل للشفاء. حيث إنه فى مثل هذه الظروف، قد يتشكك كثيرون فى أن الأطباء قد بذلوا بالفعل كل ما فى وسعهم لإنقاذ المريض.

إن أهم شىء فى مثل هذه الظروف، هو التمسك بالحياد الكامل، وعدم التفرقة. ومنذ اللحظة الأولى اعتبرت المريض الذى بين يدىّ إنسانا عاديا، وليس إرهابيا. ولابد من محاولة إنقاذ حياته. وحقيقة الأمر، فإن ما يدعيه كسيروس، ليبرر موقفه أمام زملائه من المجموعة، بأنه تكلم تحت تأثير العقاقير المخدرة، ليس صحيحا. فمثل هذه العقاقير غير موجودة من الأصل. بل إنه كان يخشى على حياته. وقد حاولت عدة مرات تهدئته وطمأنته. وأتذكر أنه كان يسألنى: «هل انتهى الأمر هكذا بالفعل؟ أم أنها فقط البداية؟»

وحقيقة الأمر فإنه كان يتحدث طويلا ودون توقف، مع المدعى العام لمكافحة الإرهاب، يانيس ديوتيس ومع رئيس فرقة مكافحة الإرهاب. وحاولت عدة مرات التدخل، حتى أجعله يتوقف قليلا، ولكنه كان يصر ويقول لى: «بل اتركنى أكشف عما يجثم على صدرى»[1].

وقد تقدم كسيروس بالتماس من المحكمة، يطالب ببراءته، فى الرابع من مارس ٢٠٠٣، تعاطفا معه، بسبب تأثر نظره من جراء وقوع الانفجار. وتعرضت المحكمة على إثر النطق بالالتماس، لهجوم، من أبناء أحد قساوسة الأرثوذوكس من سالونيكا. حيث أكد «أنه يعتبر المحكمة غير عادلة فى الحكم فى هذه القضية؛ لأن الحكم يجب أن يكون على الأفعال السياسية، وأن الشعب والتاريخ هما الأقدر على الحكم فى هذه

(١) مقابلة الكاتب مع بيتاريدس باليونان فى ١٩ مايو ٢٠٠٣.

القضايا»[1]. وفى شهادته، التى أعدها من قبل، أكد كسيروس أيضا «أن هدف المحكمة الأساسى فى هذه القضية، هو تشويه كفاحنا، وكل صور الكفاح الاجتماعى وإرهاب كل من تسول له نفسه، أن يسلك طريقنا فى الكفاح فى المستقبل»[2].

ولاشك أن محاولة اختراق تفكير عضو إرهابى متورط فيما يقرب من ٨٥ نشاطا إرهابيا، على مدى ١٧ عاما، ليس بالأمر الهين. بالإضافة إلى أن محاكمته قد أخذت طابعا مأسويا داخل محكمة كوريدالوس. وذلك لأنه كان ضحية لما تملكه من شعور بالذنب نتيجة التورط فى إفشاء أسرار زملائه، متسببا فى القبض على أغلب الأعضاء. وقد سيطر على شهادته فى المحكمة هذا التوتر الواضح والتخبط بين الذنب والواقع. بالإضافة إلى شعوره شخصيا بالندم على ما اقترفته يداه من جرائم. والحقيقة أن شهادته لم تكن مقنعة، لخلطه بين الواقع والخيال، وبين الماضى والحاضر. ومنذ اللحظة التى اجتمع فيها مع كوفوديناس وبقية أعضاء المجموعة فى سجن كوريدالوس، وهو يحاول أن يتخلص أو يمحو واقع اشتراكه أو تورطه فى نشاط المجموعة، من خلال حديث مفصل عن مخططاتها، أو ما تعرض له بالمستشفى من تهديد، ناهيك عن قصة إجباره على تناول العقاقير المخدرة، إلا أن هذا المجهود المضنى، الذى أراد به أن يظهر بصورة مغايرة للواقع ولمكانه الحقيقى كعضو داخل مجموعة N17، لم يلبث أن تحول إلى انهيار كامل وتوسل لطلب التوبة والعفو من عائلات الضحايا. وقد صرح رسام المحاكمة فى خطاب وزع على وسائل الإعلام باليونان، فى اليوم الذى حصل فيه كسيروس على ستة أحكام بالمؤبد بأنه قد أعلن «ندمه وأسفه على كل جريمة ارتكبها، وكل دمعة ذرفت على ضحاياه، وكل الآلام والحداد التى يعتبر نفسه مسئولا عنه»[3].

---

(١) إجراءات المحاكمة بسجن محكمة كوريدالوس فى ٤ مارس ٢٠٠٣.

(٢) نفس المصدر.

(٣) مزيد من التفاصيل عن اعترافات كسيروس، والفترة العصيبة التى قضاها فى غرف سجن محكمة كوريدالوس، ١٧ ديسمبر ٢٠٠٣.

باتروكلوس تسيلنتس

«منذ بلغني خبر إصابة سافاس، تيقنت أنه قد قضي على المجموعة. ومنذ تلك اللحظة، وجدت نفسي مستعدا وقد اتخذت قراري. وأدركت، أن جزءا من حياتي قد انهار وولى بلا رجعة».

عرف باتروكلوس داخل المجموعة بلقب «فيلم» لحبه للتصوير الفوتوغرافي والسينما. وقد تم القبض عليه في الخامس والعشرين من شهر يوليو ٢٠٠٢. ومنذ ذلك الحين، أصبح أكبر واش لمجموعة N17 أو ما يعرف ببنتيتو Pentito [١]. وذلك بعد أن تراجع كسيروس عن اعترافاته الأولى في المستشفى. وPentito في عرف اليونان، شخص يدلي باعترافات كاملة عن كل الجرائم التي ارتكبها، بل يساهم مساهمة حقيقية، في وقف الأعمال الإرهابية القادمة. وقد كانت اعترافات تسلنتس للشرطة، وشهادته أمام المحكمة أساسية في توجيه المحكمة الاتهام ضد كوفوديناس وجيوتوبولوس. وهما عضوا المجموعة الأساسيان. وقد جاء في أقواله: «إن كل خطوة أو نشاط قد قامت به المجموعة كان من إعداد وتخطيط كل منهما»[٢]. وكان تسلنتيس وكوفوديناس زملاء بالجامعة. وقد قام كوفوديناس بتجنيده كعضو في المجموعة، عام ١٩٨٣، حيث استمر بها حتى خريف عام ١٩٨٨. وقد اشترك بإحدى عشرة عملية. كان آخرها الغارة التي شنتها المجموعة على قسم الشرطة في أغسطس ١٩٩٨.

---

(١) كما هو الحال في إيطاليا، فإن قانون مكافحة الإرهاب باليونان يشجع التعاون التطوعي والتنسيق مع السلطات واستنكار الأهداف والوسائل الإرهابية. في إيطاليا. تم إدخال قانون العقاب في مايو ١٩٨٢. وحتى يستفيد منها الواشي أو Penito.

كان عليه أن يدلي باعترافات كاملة عن الجرائم التي ارتكبها. وثانيا هو/ هي عليه أن يساهم إيجابيا في وقف الأنشطة الإرهابية.

وكانت السلطات التشريعية هي التي تقرر فيما بعد قيمة وفائدة هذه الاعترافات، وعلى أساسها يتم تحديد التخفيض في سنوات السجن. كان باترسيو بيسي، أكبر واش في جماعة الألوية الحمراء الإيطالية. وفي كتابه (أنا، ذلك الخسيس) ذكر كل الأسباب التي دفعته إلى ذلك.

(٢) إجراءات المحاكمة بسجن محكمة كوريدالوس في ٣٠ يوليو ٢٠٠٣.

وأثناء محاكمته، كان حديث تسلنتس معبرا عن ندمه وأسفه تجاه حوادث الاغتيالات الإرهابية[1] التى اشترك فيها مع باقى أعضاء المجموعة. مما دفع المدعى إلى الثناء عليه لقيامه بالإدلاء باعترافات تظهر مدى تعاونه مع السلطات. قائلا فى ذلك: «إن اختيارك لجانب الصواب والقانون، زادك شرفا، وسوف يجنبك عذاب تأنيب الضمير، ويحقق لك الرضا والراحة لبقية سنوات حياتك»[2].

إن أغلب الأفراد بمن فيهم الإرهابيون، لا يلجئون إلى توبيخ النفس والدخول فى حالة الندم، إلا بعد محاولة لتبرير أفعالهم. وطبقا لتسلنتيس، فإنه قرابة نهاية عام ١٩٨٧، لم تعد هناك فائدة، من محاولة تبرير أى نشاط قامت به المجموعة. وأصبح لا يجد أى جدوى لاستمرار أنشطته داخل المجموعة؛ مما أصابه بخيبة أمل[3] وتسبب فى «تناقص حماسه» بشكل واضح، على حد تعبيره. وقد صرح للمحكمة:

> لقد أصبح الأمر غاية فى الوضوح بالنسبة لى، حينما لم يعد للبيانات الصادرة عن المجموعة تأثيرها الأول. وعلى ذلك أصبحت المبادرات التى نتخذها، وعلى عكس المأمول منها، تبعدنا عن إيجاد الحلول الملائمة. كما لاحظت أيضا أن المجتمع يتغير، بينما أنا وبقية الأعضاء لانزال متعلقين بماض لم يعد له وجود. ومشكلتى الأساسية كانت، حقيقة الأمر، أننى لم أعد أجد أى مبرر لممارسة أنشطة العنف، التى أصبحت تشكل هوسا غير مبرر بالنسبة للمجموعة. وهو ما يعبر عنه اليسار «بالكفاح المسلح». وقد كانت هناك بالفعل حاجة قوية لاستمرار هذا العنف. وسيطر ذلك بوضوح على أنشطة المجموعة، ولكن دون أى مبرر قوى أو حجة موضوعية تستوجبها فى الواقع[4].

(١) أول كلمات تسلنتيس عند الإدلاء بشهاديته بمحكمة كوريدالوس، فى ٣٠ يوليو ٢٠٠٣ : سيدى رئيس المحكمة، السادة القضاة، والسادة المدعين، أطلب أولا وقبل كل شىء الصفح من المجتمع، ومن الذين تعاونوا معى ووثقوا بى، وممن أحبونى».

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

وقد حاول تسلنتيس، أن يشرح للمحكمة أسباب تقاعسه عن تسليم نفسه، برغم تصريحه «بأن المجموعة قد فقدت مصداقيتها لديه»[1]. قائلا بهدوء وثقة: «هناك إجابة واحدة فقط عن هذا السؤال»[2] وهى «إن أى عضو بمجموعة كمجموعتنا، يشعر أنه يفعل الصواب وهو ما يمليه عليه ضميره.. كما يشعر أن جزءًا كبيرا من المجتمع يتغاضى عن تصرفاته ويغفر له»[3].

وقد كانت حساسيته المفرطة واضحة فى حديثه، وكان شد ما يخشاه، أن يعتبره أعضاء المجموعة واشيا أو خائنا. وأكد أنه ما كان ليضع نفسه أبدا فى هذا الموقف. حيث إنه ما تخلى قط عن وعوده أو مبادئه من قبل. وقال مؤكدا «إنك لايمكن أن تخون أناسا أو أفرادا على استعداد للتضحية بحياتهم من أجل ما يؤمنون به، حتى إن لم تعد تتفق معهم»[4]. وواصل حديثه مؤكدا أن عدم اتفاقه مع زملائه بشأن إستراتيجيتهم أو مدى واقعية أهدافهم لا يجعله يوافق على تسليمهم إلى «سلطة البوليس التى لا تتمتع بشعبية أو ثقة المواطنين».[5]

ولم يحاول تسلنتيس أن يتجنب الحديث الشائك عن الأخلاقيات فى هذه القضية. خاصة عند إجابته على سؤال خاص باشتراكه فى العديد من الاغتيالات، فى حين أنه لم يجد فى نفسه الشجاعة الكافية لوضع حد لذلك. فكانت إجابته دون تردد: «لقد كان الجبن هو السبب. وحاولت أن أدفع ثمن أخطائى فى الماضى. وأن أكون مواطنا مثاليا للتكفير عما ارتكبته من جرائم. فحاولت مساعدة كل من استطعت مساعدتهم»[6]. «والتحقت بالجيش»، كما «تزوجت وحاولت أن أبدأ حياة طبيعية من جديد»[7].

---

(١) نفس المصدر.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر.
(٤) نفس المصدر.
(٥) نفس المصدر.
(٦) نفس المصدر.
(٧) نفس المصدر.

وعلى عكس كوفودينـاس أو جيوتوبولوس، فقـد أدلى تسـلنتيس بتفاصيل خاصة بإعـداد وتنظيم خطط عمليات الهجـوم التى قامت بها المجموعـة. وفى تصريحاته، ذكر أن أعضاء المجموعة كانوا يلتقون فى الرابع من كل شهر فى أماكن مختلفة كالكافتيريات مثلا، لمناقشة الإستراتيجيات والخطط الخاصة بأهدافهم المستقبلية. وكانت فلسفة اللقاء فى أماكن صاخبة وعامة، هى عدم لفت النظر إليهم بقدر الإمكان. وأنه كلما كان المكان مزدحما والضجيج عاليا، قلت احتمالات الاشتباه فيهم. «أو التقاط أحاديثهم»[1]. وجاء أيضـا فى الملخـص المختصر عن نظـام المجموعة فى حديثه إلى المحكمـة: «أن كل هجوم كان يستغرق حوالى سنتين فى المتوسط للإعداد. على أن البيان الخاص بالعملية كان يتم مناقشـته بالتفصيل، بين أعضاء المجموعة، لمدة تسـتغرق من ثلاثة إلى أربعة أسابيع قبل تنفيـذ العملية»[2]. وطبقا لتسـلنتيس، فقـد كان للمجموعة عـدة أوكار (أكثر من ثلاثة أوكار فى الوقت نفسـه) مزودة بالأسـلحة والمتفجرات. وكان العضو المكلف بمسئولية أحـد الأوكار لا يعلـم أى تفاصيـل عـن الأوكار الأخرى. وقد تحدث تسـلنتيس أيضا وبإسهاب عن شخصيات كل من ألكسندروس جيوتوبولوس وديمتريس كوفوديناس. ووصف جيوتوبولوس بأنه شخص «على مستوى رفيع من التعليم والثقة بالنفس، وأنه يتحلى بشخصية قوية ومهارات خطابية متميزة». وأنه «نال احترامى منذ التقيت به أول مرة»[3]. وحينما سأله المدعى عن أسباب تورط شخص مثله فى أنشطة إرهابية، وما هى دوافعه الحقيقية، أجاب تسلنتيس «أنه لا يشك على الإطلاق، أن الرجل الذى التقى به فى ذلك الوقت فعل ما فعل لأسباب خاصة بإيمانه بأيديولوجية معينة».

وأضاف «ومع ذلك، فإن القوة والنفوذ فى أى شـكل من أشـكالها، غالبا ما يقودان إلى التكبر، ثم بدء التدرج نحو الانهيار»[4]. وقد أوضح معارضته لموقف جيوتوبولوس

---

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

المتعنت. وقال فى ذلك: «لقد لمست بنفسى كيف كان متمسكا بآرائه، ورافضا الاعتراف بأن نظرته إلى كثير من الأمور لم تكن صائبة أو واقعية»[1]. وحينما طلب منه عقد مقارنة بين الرجلين، مفكر المجموعة، ومخطط عملياتها، أكد تسلنتيس أنهما كانا شديدا الاختلاف. فجيوتوبولوس «مثقف وينتمى إلى الصفوة، وذو أخلاقيات متميزة، بينما كان كوفوديناس، بسيطا، ومجتهدا ومتقنا لعمله، ويتحلى بأخلاقيات ومبادئ مثلى، جعلته فى شبه عزلة اجتماعية ولديه صعوبة فى مخالطة الناس»[2]. ولكن فى نهاية الأمر فإن الفارق بين الرجلين، ظهر واضحا وجليا من خلال رد فعلهما تجاه شهادة تسلنتيس التى أضرت بمعظم الأعضاء. فبينما اتسمت لغة جيوتوبولوس فى الرد عليه بالتعالى المقصود واصفا إياه «بالرجل الصغير المثير للشفقة»، توجه كوفودناس إلى تسلنتيس بلهجة عتاب شديدة، واصفا إياه «بالمقاتل والزميل السابق، الذى اختار طريق التعاون[3] مع السلطات. وقد جاء فى أقواله أمام المحكمة، بلهجته المتعالية المألوفة:

«باتروكولوس تسلنتيس، وجد نفسه بين يدى المؤسسات التى طالما قاتل ضدها كعضو فى مجموعة 71N، فقرر أن يتعاون معها، ويسمعها ما تريد سماعه، مشوها سمعة المجموعة وواشيا بأعضائها، زملاء الأمس. ولكنه قريبا سيكتشف أنه قد اختار طريقا لا رجعة فيه. وذلك بعد كشفه عن أسرار المجموعة والإضرار بها كل الضرر. فلن تلبث السلطات أن تستغنى عنه وتلفظه، فيجد نفسه كقطعة الليمون المعصور، مستنفذ الفائدة. وعندئذ سوف يجد نفسه فى مواجهة مجتمع يشعر تجاهه بكل الاحتقار والازدراء»[4].

وقد ركز تسلنتيس على نقطة معينة وكررها بشكل يكاد يكون آليا، وهى أنه فى عام ١٩٨٨، حينما قرر أن يترك المجموعة، لم يحاول أحد من الأعضاء أن يقنعه بتغيير رأيه. بالإضافة إلى محاولته تفنيد رأى كوفوديناس، متحديا تمسكه بأن الكفاح المسلح الذى انتهجته المجموعة، كان بغرض الدفاع عن النفس. أكد فى ذلك:

---

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

ما أريد أن أقوله، حقيقة الأمر، إن هذا الأسلوب لم يكن هو الأنسب. ومثل هذه الممارسات كانت من شأنها أن تفضى إلى تداعيات مأسوية. فلقد عزل أفراد المجموعة أنفسهم عن المجتمع الذى يعيشون فيه. وقد كان لاتخاذهم قرارت تضر المجتمع وتستهزئ بقيمه، بالإضافة إلى حياتهم فى كنف منظمة تآمرية، انعكاسات سلبية، ليس فقط على المجتمع، بل على أنفسهم كأفراد. لقد كان سافاس كسيروس حالته مأسوية ونفس الشىء ينطبق على كوفوديناس. فقد وقعوا جميعا ضحايا لممارساتهم بالإضافة لما تسببوا فيه من وقوع ضحايا[1].

الإرهاب بوصفه منهجًا للحياة

سألت دورا باكويانيس (عمدة أثينا فى ذلك الوقت، وأرملة بافلوف باكويانيس) وهو أحد ضحايا مجموعة N17، الذى قتل ١٩٨٩، كوفودينس، عقل المجموعة المفكر وزعيم عملياتها: «لماذا قتلتم زوجى؟»كان رده: «اقرئى بيان المجموعة، فهو يتضمن بشكل واضح الأسباب»[2]. ويعتبر هذا الرد المقتضب، صورة معبرة عن فلسفة المجموعة. التى تأخذ القصاص بنفسها. حيث إن الساحة السياسية ليست مجالا للجدال أو لمناقشة الاتجاهات والأهواء المختلفة. بل إن الساحة السياسية تمثل مجموعة من المبادئ الثابتة التى يجب أن تكون مصدر ولاء الجميع والتزامهم.. فهى فى منزلة الدستور الذى يحكم المجتمع بأثره. لقد كانت فلسفة الكفاح المسلح هى الفلسفة التى بنت عليها المجموعة مبادئها، وتطبعت بها جميع عملياتها، وذلك على مدى ثلاثة عقود كاملة، متجاهلة «حقيقة أن الكفاح المسلح لايجب أن يطمس الهدف السياسى الأسمى» (باريت، ١٩٨٦، ص٢٠٠).وقد استمرت المجموعة فى استهداف الشخصيات العامة فى المجتمع فأصابت وقتلت العديد منهم. متخذة من هذا الطريق منهجا فعالا لها، بحجة أنها تعبر عن مشاعر الجماهير ضد النظام الحاكم وتمثل ضمير الأغلبية المقهورة.

(١) نفس المصدر.

(٢) جلسة محاكمة سجن كوريدالوس ١ أبريل ٢٠٠٣.

ولكن كيف سيذكر التاريخ مجموعة N17 ؟ طبقا لمحامى دفاع جيوتوبولوس، يانيس راشيوتيس، «فإن المجموعة، تعد شديدة الاختلاف» عن غيرها من منظمات اليسار أو المجموعات المسلحة الأخرى التى تعمل فى منطقة غرب أورروبا[1]. وأضاف «أن بقية المجموعات اليسارية التى عرفتها اليونان، قبل ظهور N17 كانت فى وضع دفاعى» [2] وفى تعبير يميل إلى لغة اليسار، أكد راشيوتيس: «إن مجموعة N17، ترمز إلى اليسار المهاجم هذه المرة وليس المدافع . أى أن اليسار المطارد، قد قرر أخيرا أن يصبح هو المهاجم .وذلك بهدف استعادة التوازن ووضع الأمور فى نصابها الصحيح»[3].

ومع ذلك فإن التاريخ، سوف يرى أن مجموعة N17 كانت تنظيما فاشلا، وذلك رغم قراءات راشيوتيس الكثيرة، أو محاولات أعضائها وضعها فى إطار التطور التاريخى لليسار باليونان. أو التركيز على أن هدفها كان تحقيق الاستقلال الوطنى أو القومي. فهذه المجموعة لم تكن مطلقا مجموعة ثورية بالمعنى الحقيقى. بل كانت مجموعة محبطة، تعمل فى السر وتتبنى العنف المسلح أسلوبا. ولم تكن ثورية سوى فى لغة الخطابة المنمقة التى كانت كوادرها تستخدمها، لإقناع الشعب بأهدافها وتبرير لأنشطتها الإرهابية. التى أصبحت فى نهاية الأمر غاية فى حد ذاتها. إن شهادة كوفوديناس، قد أكدت ورسخت لجميع الحضور حقيقة ثابتة، وهى أن المجموعة وأعضاءها كانوا يعيشون فى عزلة عن المجتمع وتطوراته، وقد أصبح الإرهاب عالمهم الذى لم يستطيعوا أن يتحرروا من أغلاله[4]. فقد كان تعنت كوفوديناس وتعاليه طوال فترة محاكمته، ورفضه مواجهة الواقع أمرا واضحا. وقد حاول إقناع الحضور أن كل حياته كانت تدور حول مصيره الذى اختارته له الأقدار وميزته به. وأن عليه المحافظة عليه، حتى يسلم الأمانة فى وقت لاحق لمن يستحق هذا الشرف العظيم.

---

(١) جلسة المحكمة بسجن كوريدالوس ١٣ مارس ٢٠٠.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

وبهذا المنطق، يظهر بوضوح، انفصال فلسفة المجموعة عن منطق الحياة السياسية باليونان، حيث إن الحرب التى قادوها ضد المؤسسات اليونانية والوجود الأمريكى كانت حربا عبثية وبلا جدوى، حيث كان مصيرها الفشل فى كل الأحوال. وكانت نقطة تركيز المجموعة هى إظهار قدرتها على «التدخل» و«المقاومة».

ولكن لابد من الاعتراف، بأن الظروف التى كانت سائدة فى اليونان فى ذلك الوقت، قد ساعدت مجموعة N17 على استغلالها لصالحها، مؤكدة بذلك فشل الشرطة وعجز سلطات المخابرات اليونانية فى مكافحة الإرهاب. فلا يخفى أن جهود اليونان لمكافحة الإرهاب، ولفترة لا تقل عن عقدين من الزمان، كانت تمارس فى ظل حالة من الاستقطاب والمنافسة التى سيطرت على أجهزة الشرطة والمخابرات. وكذلك سيطرت على الحكومة والمعارضة وغيرها من قطاعات المجتمع اليونانى. (انظر كاسيمارس: عن الجهود الضعيفة لمكافحة الإرهاب باليونان، ص١٥٢-١٩٨-٢٠٠١). ولم يكن هناك أى تعاون أو تنسيق قومى أو حلول وسط لحل المشاكل التى سيطرت على القطاعات المختلفة فى البلاد. ومع ذلك لم يبلغ الأمر فى اليونان، ما بلغه فى إيطاليا. حيث أثار تنظيم الألوية الحمراء الذعر بالبلاد. وسادت حوادث اختطاف الرهائن والمطالبة بالفدية. ولكن لاشك أن مجموعة N17 قد نجحت فى تقويض الديمقراطية التى عاشتها البلاد مدة ثلاثين عاما بعد ما أنجزته عام ١٩٧٤. حيث نجحت فى إذلال الدولة، ووضعها فى موقف ضعيف وقليل الحيلة فى مواجهة الإرهاب. وفى الواقع، فإن هناك عدة دروس يمكن استخلاصها من هذه المغامرة الفاشلة، سواء على مستوى اليونان كدولة، أو كمجتمع. وتصلح اليونان بامتياز نموذجًا لدراسة حالة لما يجب على الدولة وهى بصدد مكافحة الإرهاب.

ولكن، هل يمكن لمجموعة مثل N17 أن تعود مجددا؟ كان كوفودينوس، رئيس عمليات المجموعة، على حق حين أعلن أن المجموعة قد انتهت كمنظمة إرهابية. ولكنه أيضا كان على حق حين أكد «أنه، يمكن أن تدب فيها الحياة من جديد، ربما بعد عشرة أو خمس عشرة سنة، فى شكل جيل جديد من المقاتلين الشباب، يرفع راية كفاح المجموعة

ثانية»[1]. ولا شك أن تفكك المجموعة لوجستيا ونضوب مواردها المالية، قد ساهم فى انهيارها من الناحية الأيديولجية أيضا.إلا أن هذا لا يعنى بأى حال انتهاء موجات الإرهاب باليونان. أو أفول نجمها بصورة نهائية.فالتجربة بأوروبا تثبت عكس ذلك. حيث تظهر فى أعقاب انهيار بعض المجموعات الأساسية والمؤثرة، مجموعات أخرى من الشباب تحمل الراية من جديد وتواصل الكفاح. وعادة ما تفتقد تلك المجموعات الجديدة للخبرة العملية أو القدرة التنظيمية، رغم محاولات التشبه بالمجموعة الرمز أو المجموعة الأم. إلا أن هذا لا يجعلها أقل خطورة منها.

وحقيقة الأمر فقد ظهرت باليونان مجموعة جديدة تطلق على نفسها الكفاح الثورى[2]، وذلك منذ أكتوبر ٢٠٠٤ (أى بعد مرور أقل من سنة على إصدار الحكم على المجموعة N17 وهى تستخدم فى هجومها أسلحة شبيهة بالمجموعة.N17؛ وهو ما يثبت أن الإرهاب يواصل طريقه عبر الأجيال، ما دام هناك معاناة وظلم تشعر به مجموعات الشعب، وما دام هناك رفض لاتخاذ الوسائل التقليدية سبيلا فى إحداث تغييرات فى المجتمع أو تغيير فى نظام الحكم. ومن المؤسف حقا أن اليونان قبل أحداث ١١/ ٩ / ٢٠٠١، كانت قد فشلت فى مواجهة الإرهاب؛ لأنها كانت تفتقد الإرادة السياسية اللازمة لمواجهته والقضاء عليه. مما أتاح الفرصة أمام مجموعة مثل N17، أن تثبت وجودها وتعززه. ليصبح شبه أمر واقع وراسخ فى المجتمع اليونانى. وهذا ما لا يجب أن نسمح بتكراره ثانية.

---

(١) جلسات محكمة سجن كوريدالوس ٢٤ يولية ٢٠٠٣.

(٢) انظر: «عودة الإرهاب إلى اليونان» جريدة وول ستريت جورنال أوروبا، ٢٤ يونيه ٢٠٠٥. و«الإرهاب الجديد، ونفس الأخطاء السابقة» ٢٥ يناير ٢٠٠٧.

المراجع

Alexander Y., & Pluchinsky, D. (Eds) (1992). *Europe's red terrorists: The fighting communist organizations* (p. 48). London: Frank Cass.

Franceschini, A. (1988). *Mara Renato ed Io: Storia dei fondatori delle BR*. Milano: Armando Mondatori Editore.

Jamieson, A. (1990). Identity and morality in the Italian Red Brigades. *Terrorism and Political Violence, 2*, 508–20.

Kassimeris, G. (2001). *Europe's last red terrorists: The Revolutionary Organization 17 November* (pp. 72–75). New York: New York University Press.

Moss, D. (1983). Analyzing Italian political violence as a sequence of communicative acts: The Red Brigades 1970–1982. *Social Analysis, 3*, 85.

Paret, P. (1986). Clausewitz. In P. Paret (Ed.), *Makers of modern strategy: From Machiavelli to the nuclear age* (p. 200). Oxford: Oxford University Press.

الفصل السابع

الإرهاب والجريمة المنظمة:

بعدا نظريا[1]

دياك ك. جوبتا[2]، وجون هورجان وأليكس ب.شميدت

لا يكـون الإرهابـى إرهابيـا بـدون قضيـة واضحة. عـلى الأقل بالنسـبة له.

(كونراد كيلين)[3]

نبـذة: أجريت دراسـات متعـددة بهدف وضع تعريـف يفرق بين الإرهـاب والجريمة المنظمـة. عـلى أسـاس أن تكـون المقارنة بينهما مـن الناحيـة السـلوكية.وتمخض عن ذلك نموذج مصغر، يسـمح بتسـجيل عدة ملاحظات مستنبطة من الواقع أو البيئة المحيطة وفى إطار تحليلي. وأفضى ذلك إلى دراسات متعددة للحالة، رسمت لنا صورة واقعية، للارتباط القائـم بين الجريمـة المنظمة والإرهـاب. أما النموذج الـذى نحاول نحـن تقديمه فى هذا المـكان، فيعتمـد على التنقيب بصورة أعمق فيما يخص التكلفـة والمنفعة فى محاولة للوصول إلى نمط يعتمد عليه، فى الوصول إلى أسـباب الارتباط بين الجريمة المنظمة والإرهاب من الناحية السـلوكية. آملين أن تقودنا الأبحاث المبنية على اختبار الفروض بشكل موضوعى وغير متحيز، إلى تكوين منظومة من المعايير التى يمكن الاعتماد عليها فى المستقبل.

---

(١) دراسة تم تمويلها جزئيا من منحة معهد الولايات المتحدة للسلام.

(٢) إنني مدين بالكثير لكرستوفر كلاج لمساعدته. أما الأخطاء المتبقية فهي أخطاؤنا.

(٣) كيلين (١٩٨٤، ص١٠) تم اقتباسها من هوفمان (١٩٩٨، ص٤٣).

فى التصـور العام، فإن الارتباط بين الجماعـات الإرهابية والجريمة المنظمة، واضح، بـل بديهى. هذا التحالف المشـؤوم، يفتح البـاب على مصراعيه أمـام احتمالات مفزعة. ويعكس الإعلام الصحفى، هذه الصورة القاتمة التى تنذر بمزيد من القلق والخوف من مستقبل مجهول العواقب والتبعات.

وحقيقـة الأمـر، فإن بحثـا سريعا فى بيانـات حاسـوبات الصحف عـن التعبيرين: «إرهـاب» و«جريمة منظمة» يكشـف عن مدى التداخل الـذى حدث مؤخرا بينهما[1]. وعـلى مـدى العقد الأخير، ومـع تزايد حوادث وتهديـدات الإرهاب عـبر دول العالم، سيطر الخوف والقلق على العديد من أجهزة الأمن والمخابرات، بالإضافة إلى السياسيين وصنـاع القرار فى العالم أجمع، تجاه ظاهرة تفاقم حوادث الإرهاب، بالإضافة إلى ما طرأ عـلى كارثتى عـصر العولمة: «الجريمة المنظمـة» و«الإرهاب»، من تحـول وتقارب. وقد عـبرت الأمم المتحدة بوضوح، عن ذلـك التقارب من خلال مجلس الأمن بعد أحداث ١١/ ٩/ ٢٠٠١. حينما عبر قرارها عن «القلق المتزايد من تصاعد التقارب بين الإرهاب الـدولى، والجريمـة المنظمة خارج حـدود الدول، وفى أنشـطة غير مشروعـة مثل تجارة المخدرات، وغسـيل الأموال، وتجارة الأسلحة، والانتقال غير الشرعي بين دول العالم، للمواد النووية والكيمائية والبيولوجية وغيرها من المواد القاتلة....»[2].

وعـلى الرغـم من هذا الكـم المذهل مـن الإصدارات الخاصـة بهذا الموضـوع، فإننا لا يمكننـا بعـد أن نسـتخلص محـاولات جادة يمكـن أن تقـود إلى نظرية تتنـاول البعد السـلوكى. وحقيقة الأمر، فقد كان هناك العديد من الدراسـات التى بذلت الكثير من الجهـد، ولكنهـا انتهت إلى مجرد تخمين وجود علاقة ما بـين الإرهاب والجريمة المنظمة. ثم تبعتها دراسـات أخرى أكثر دقة، انتهت إلى وجود فارق بسـيط جدا بين الظاهرتين.

---

(١) كان البحـث عـن معلومـات خاصة «بالإرهـاب» و«الجريمة المنظمـة» فى موقع أكاديمى خـاص بالجرائد والمجلات الشـعبية، قد نتج عنه ٢٠٠٠ طلب منذ سـبتمبر ٢٠٠١. خاصة من الجرائد والمجلات الشعبية. كما أن بحثا على الجوجل، كشف عما يقرب من خمسة ملايين طلب.

(٢) قرار مجلس الأمن رقم ١٣٧٣ (٩/ ٢٨/ ٢٠٠١)

إن الغرض من هذه الدراسـة، هو تطوير نموذج سـلوكى بسيط يحكم أسباب وعوامل التورط فى أحد النشـاطين. ومن خلاله، سـوف نحاول استنباط مجموعة من الفروض التـى سـيتم تقييمها فى ضوء المـادة المتاحة بعـد خضوعها للاختبـارات والملاحظة عن الإرهاب ومجموعات الجريمة المنظمة.

من البديهى، أن أية محاولة جادة للوقوف على طبيعة وأسـباب العلاقة بين التنظيمين غـير الشرعيـين، لابد وأن تبدأ بعد الاتفاق على تعريف يحدد الفارق بينهما تحديدا كافيا. ورغم وجود العديد من التعريفات والمحاولات الجادة مثل محاولة (شيمدت ويونجمان ١٩٨٨) فإن الاتجاه العام، يميل إلى التسليم بأنه من الصعب الوصول إلى تعريف عالمى متفـق عليـه للإرهاب. ومع ذلك يمكننا وبناء على إصدارات كثيرة أن نصل إلى تعريف تتفق عليه أغلب الكتابات التى صدرت فى هذا الشـأن. ويتضمن ملامح أساسية تميزه، مثل، وجود هجوم على شعب مدنى من قبل مجموعة منظمة، بهدف تحقيق هدف سياسى أو دينى. ويقوم بالهجوم أفراد لايمثلون الدولة. (انظر: هوفمان، ١٩٩٨) وبالمثل وبرغم اختلافات عديدة فى الآراء، فإنه بإمكاننا أن نصل إلى تعريف فيما يخص الجريمة المنظمة (انظر: نيلـر، ١٩٩٧، ص٦، ونيلر ٢٠٠٢ ص١٤-١٨، رويتر، ١٩٨٣، ص٧٥). فقد تـم الاتفاق عـلى أن الجريمة المنظمة، يتـم تنفيذها من خلال مسـاعدين يعملون داخل نظام يأخذ شكل التسلسل الهرمى[١].

ومما يميز النشـاط وجـود اسـتمرارية فى التنظيم، والانخـراط المنتظم فى الأنشـطة الإجراميـة من أجل تحقيق كسـب مـادى أو الوصول إلى مناصب، تحقـق القوة والنفوذ لأعضاء التنظيم الأساسيين[٢].

---

(١) من المهم أن نوضح الفارق بين المجموعات المنظمة والجماعات العنقودية.

(٢) من أجل مناقشة أكثر تفصيلا بشأن قضية التعريف، انظر: مركز الأمم المتحدة لمنع الجريمة الدولية (٢٠٠٢ (ص ٦-٧). وفى هـذا الصـدد فمـن المهـم الإشـارة إلى أهمية الفـارق بين المجموعـة المنظمـة والعنقودية. فالمجموعة العنقودية تتكون من مجموعات صغيرة وعادة ما يتم التعامل معها على أنها مجموعة واحدة، إلا أنها فى حقيقة الأمر عدة مجموعات صغيرة، وعلى سـبيل المثال، مجموعات المافيا الروسـية والمافيا الصقلية. وعادة ما تدب الخلافات فيما بينها. إلا أنه بالنسبة لهذه الدراسة، لا تعتبر هذه التفرقة بالغة الأهمية.

ولغرض هذه الدراسة، فسوف نقبل بالتعريفين السابقين، مع إضافة فارق سلوكى مهم بينهما. فكلاهما يشكل هيكلا تنظيميا داخل المجتمع، إلا أنهما خارج حدوده الشرعية. وكذلك هناك اختلاف فى الدوافع بينهما. يشير هوفمان (١٩٨٨، ص٤٣) إلى أن «الإرهابى لا يعتبر أنانيًا فى الأساس، بل يعتقد أنه يتصرف من واقع إيمانه بالمصلحة العامة : لأنه يؤمن بقضية أساسية وعلى استعداد للتضحية من أجلها. وفى اعتقاده أنه يقدم خدمة جليلة لجمهور واسع... أما المجرم، فهو لا يخدم أى قضية على الإطلاق. ولا يسعى إلا إلى تحقيق الإشباع المادى الذاتى». كما يؤكد جاميسن (٢٠٠٥ ص١٦٥): «أن الجريمة المنظمة والإرهاب يشكلان ظاهرتين مختلفتين. فالإرهابى، شخص ثورى، لديه أهداف سياسية واضحة، قد تكون الإطاحة بنظام سائد أو تحريك وضع راهن من خلال مجموعة من الوسائل والإستراتيجيات لتحقيق الأهداف. أما ناشطو الجريمة المنظمة، فهم بطبيعتهم محافظون، إذ يميلون إلى مقاومة أى تغيير سياسى، بل وعلى العكس يشجعون الاستمرارية والوضع الراهن، خاصة إذا كان يشكل بيئة مناسبة، لممارسة أنشطتهم الإجرامية». ومن هنا، فإن الأنشطة التى يقوم بها الإرهابيون، تنعكس على المجتمع بأثره. وليس فقط الشخص الذى اشترك فى تنفيذ النشاط الإرهابى[1]. ومن هنا كانت طبيعة الأهداف التى تضعها الجماعات الإرهابية نصب أعينها، أهدافًا غير أنانية، إذ إنها تحقق الصالح العام (من وجهة نظرهم). أما نشطاء الجريمة المنظمة، فهم لا يتحركون بفعل إيمان بقضية محددة، ، بل على العكس تماما، فإن الدافع الأساسى هو الحصول على الممتلكات الخاصة أو/ وشبه العامة التى يتقاسمونها فيما بعد بين أعضاء المجموعة.

---

(١) إن مفهوم السلع العامة تم إدخاله على يد سامولسون (١٩٦٥) وهو وثيق الصلة بصفتين مهمتين: الاستثناء والاستنفاد. فالسلع العامة متوفرة لكل أعضاء المجتمع، بغض النظر عن اشتراك الأفراد أو مساهمتهم فى توفير هذه السلع. وعلى هذا الأساس، فإذا تكفلت أموال الضرائب بتوفير ثمن الهواء النقى الذى نتنفسه فى المجتمع، فإن الجميع سوف يستنشقه ويستفيد منه. الغنى والمعدم على حد السواء. ثانيا: الانتفاع بالسلع العامة لا يستنفد بزيادة عدد المستفيدين منه. وعلى ذلك فإن ولادة طفل جديد لا تعنى، بأى حال، تناقص حظ المجتمع من الهواء النقى. (انظر: بومول وبليندر، ١٩٨٥، ص٥٤٣--٤٤).

إذا تناولنا طبيعة الإستراتيجية التى تتبناها كل مجموعة فى تحقيق أهدافها، فسيظهر بوضوح حجم الاختلاف بينهما. فالمجموعة الإرهابية تتبنى أنشطة تتسم بالعنف من أجل الاتصال بقاعدتها أو بأعدائها، أو بالعملاء. (شميدت ودى جراف، ١٩٨٢). ومن هنا كان المزيج الذى تتسم به معظم عملياتها، مزيجا من العنف والدراما. والعمل الإرهابى، يعتمد فى الترويج لنفسه على الدعاية التى تحقق له الشهرة التى يسعى إليها. ومثل ذلك جماعات المعارضة السياسية، التى تعلن مسئولياتها عن الحوادث بعد القيام بها، تحقيقا للدعاية. منجزة لهدف أساسي من أهدافها، وهو «الدعاية من خلال النشاط الإرهابى» .Propaganda of the deed

وعلى النقيض من ذلك، تحاول مجموعات الجريمة المنظمة أن تعمل سرا وبمنأى عن أى دعاية ممكنة. بل تحاول الهروب باستمرار من أعين ورقابة أجهزة الدولة. ومن هنا يؤكد جاميسون(٢٠٠٥)، أنه بينما تسعى المجموعة الإرهابية إلى تغيير الوضع السياسى الحالى من خلال أعمال العنف والفوضى التى تتسم بها أنشطتها الإرهابية، فإن جماعات الجريمة المنظمة الحديثة والمحنكة تسعى للعمل مع الأنظمة القائمة، محاولة اختراقها من خلال تقديم الرشاوى أو من خلال أساليب التهديد والابتزاز. ومن هنا فإنها تجد مصلحتها فى الإبقاء والمحافظة على النظام القائم كما هو. خاصة إذا كان يروج لأعمالها ومصالحها. وهى فى ذلك لا تختلف عن أى مشروع تجارى ناجح. إلا إذا كان هذا النظام يستهدفها بطبيعة الحال.

وبما أن أهداف التنظيمين مختلفة، فإنه من المتوقع بطبيعة الحال، أن يكون تعامل الدولة معهما مختلفا. فإذا تناولنا الإرهاب وما يشكله بالنسبة لنظام الدولة، نجده أكثر خطورة. إذ يكون بمثابة التهديد العام والسياسي فى نفس الوقت. وأعماله تتسم بالعنف وترمى إلى الإثارة ولفت الانتباه. كما أن أنشطته تكون عشوائية، مما يتبعه حالة من زعزعة الاستقرار والشعور بالأمن بين أفراد المجتمع بأثره. أما الجريمة المنظمة، فهى تستهدف عادة قطاعات محددة غالبا ما تكون قطاعات بعيدة عن المركز، أو تكون على حافة المجتمع. ومن هنا، كان من المتوقع أن يكون رد فعل الدولة وأجهزتها تجاه حوادث الإرهاب وتهديداته أكثر صرامة وشدة منه فى حالة الجريمة المنظمة.

تحديد مجالات الارتباط :

على الرغم من اختلاف الأهداف، فإن هناك مجالات مشتركة تربط بين أنشطة المجموعتين. . ومن هنا يحدث تعاون فيما بينهما لتحقيق الهدف النهائى. ويمكننا بشكل عام أن نحدد مجالات التعاون فيما بين المجموعات الإرهابية ومجموعات الجريمة المنظمة فيما يلى:

١ - من المتصور أن تتورط الجماعات الإرهابية فى أنشطة إجرامية غير سياسية، من أجل دعم أهدافها النهائية. ومن ذلك قيامها بالاشتراك فى حوادث سرقات البنوك، أو تهريب الأسلحة، أو جرائم الاتجار بالبشر، أو تجارة المخدرات.... إلخ.

٢ - وقد تتعاون جماعة إرهابية بشكل عرضى مع الجريمة المنظمة بغرض شراء أو تأمين نقل الأسلحة (بما فيها أسلحة الدمار الشامل) أو/ والعملاء.

٣ - كما أنه من المحتمل أن يحدث تنسيق بين المجموعة الإرهابية وجماعات الجريمة المنظمة، بغرض تحقيق التدعيم والتعزيز المادى من أجل تنفيذ أجندتها السياسية.

٤ - وقد تتحول جماعات الجريمةالمنظمة فى بعض الأحيان إلى جماعات سياسية، حينما تشترك فى التنسيق مع الجماعات الإرهابية، للقيام بأعمال عنف لتحقيق هدف سياسى.

وتقوم العديد من الدراسات بعملية جمع المعلومات الخاصة بهذه المجالات الأربعة للتعاون بين المجموعتين. وفى هذا الصدد نود أن نقترح نموذجا سلوكيا يساعدنا على التنبؤ باحتمالات حدوث هذا التعاون.

النموذج

ولتلخيص ما تقدم، فقد أكدنا، أنه على الرغم من وجود نقاط مشتركة بين مجموعات الجريمة المنظمة والإرهاب، فإن الهدف النهائى لكلا المجموعتين يظل مختلفا. ويشكل نقطة فارقة بينهما. فالهدف الأساسى لأى منظمة إرهابية، يكون بطبيعته سياسيا، مثل محاولة تغيير الحكومة، أوتحقيق الاستقلال لجزء من الدولة، أو إقامة نظام اجتماعى جديد على أساس اتجاه سياسى أو دينى مختلف.وتعتبر هذه سلعًا عامة بطبيعتها، بمعنى

أنه إذا تحقق الهدف، فسوف تنعكس الاستفادة على كل أفراد المجتمع، بمن فيهم الذين قد شاركوا فى توفيرها..وعلى النقيض من ذلك، فإن جماعات الجريمة المنظمة لا تهتم بالحصول على السلع العامة، حيث إن اهتمامها ينصب على الحصول على السلع شبه العامة، والتى لا يستفيد منها سوى أعضاء المجموعة وحدها. ويشكل ذلك اختلافا مهما بين المجموعتين، مما حدا بديشمان (ص٤٦-٢٠٠١) أن يقول: «إن طريق النجاح بالنسبة لبارونات المخدرات والقادة الثوريين ليس واحدا».

سوف نفترض الآن أن مجموعة معينة، يمكنها أن تشترك فى نوعين من الأنشطة. أول نشاط الهدف منه توفير السلع العامة، التى تحقق الاستفادة للجميع. أما النشاط الثانى فالهدف منه توفير السلع شبه العامة التى يستفيد منها أفراد المجموعة وحدهم. كما أننا سنفترض أيضا أن الحصول على السلع العامة قد تم من خلال أنشطة إرهابية نفذتها الجماعة، وليس لغرض تحقيق للاستفادة الذاتية، بينما السلع شبه العامة، قد تم الحصول عليها من خلال الاشتراك فى أنشطة إجرامية.

$$\text{Max } U = Np\,(P) + Nq\,(Q) \quad (١)$$

ترمز U إلى المنفعة التى تعود على مجموعة من الاشتراك فى نوعين من الأنشطة.

ترمز P إلى السلع العامة (وتحقق منفعة لكل المجتمع بغض النظر عن المشاركة).

ترمز Q إلى سلع شبه عامة (وتحقق منفعة لأعضاء الجماعة وقيادتها).

ترمز Np إلى القيمة النسبية التى يمثلها توفير السلع العامة (P) للمجموعة.

ترمز Nq إلى القيمة النسبية التى يمثلها توفير السلع شبه العامة(Q) للمجموعة.

وبما أن أى مجموعة يمكنها الاشتراك فى إتاحة كل من السلع العامة وشبه العامة، فإنه يمكننا بالتالى أن نكتب: $Np + Nq = 1$

وبما أن المجموعة الإرهابية تعول أساسا، على إتاحة السلع العامة، يمكننا أن نقول إنه بالنسبة لها فإن $Np > Nq > .5$، ويزعم جوبتا (٢٠٠٥) أن القيمة النسبية المزعومة بالنسبة للأهداف الأيديولوجية ليست واحدة بالنسبة لكل المنظمات الإرهابية. فبينما تضع منظمات مثل حماس والقاعدة أهمية كبرى على الأهداف الأيديولوجية، فإن

منظمات أخرى مثل أبو سياف وفارك بكولومبيا،تهتم أكثر بتحقيق مزيد من الثراء لأعضائها الأساسيين.ومن هنا فإن المجموعات النادرة ، التى تعتبر أيديولوجية بشكل خالص يمكن أن نرمز لها كما يلى $Np=1 ;Nq=0$

ونحن نعرف أن بالنسبة لمجموعات الجريمة المنظمة، فإن $Np<Nq$

أما المجموعات إجرامية النشاط بشكل خالص فيمكن أن نرمز لها كما يلى : $Np=0; Nq=1$

والمجموعات التى تحركها دوافع مختلطة، فسوف تكون القيمة النسبية لكلتا السلعتين أكثر من 0.

وبما أنه من المستحيل أن تكون أى مجموعة (غير أنانية) بشكل خالص (أندريونى ١٩٩٠) ، يمكننا أن نخمن إذا أن المجموعات الإرهابية قد تحركها دوافع مختلطة($1>Np>.5$)

أما بالنسبة لأغلب مجموعات الجريمة المنظمة ، فإن هذا الاحتمال يكاد ينعدم ، بما أن الأهداف تكون واضحة وغير قابلة للبس.ومن هنا يتضح أيضا ، أن القيمة النسبية لأيديولوجية المجموعات الإرهابية تعكس أهمية أنشطتها .وهذا يوضح سبب الحرص الشديد من جانب القيادات الإرهابية فى حالة التورط فى أنشطة إجرامية مع جماعات الجريمة المنظمة .حيث يكون لزاما عليها ، أن تحسن موازنة المخاطر التى قد تتعرض لها ، إن هى فقدت شرعيتها السياسية التى تعول عليها فى الأساس .وذلك على الرغم من المكاسب المادية ، التى قد تعود على أعضائها من جراء الاشتراك فى أنشطة الجرائم المنظمة، بالإضافة إلى قلة مخاطرها إذا ما قورنت بالأنشطة الإرهابية[1].

---

(١) إن مساندة القاعدة الشعبية لها أهمية خاصة ومعترف بها فى أدب هذا الفرع المعرفى.ويؤكد بلوم (٢٠٠٤) العلاقة الوثيقة بين المساندة الشعبية للعمليات الاستشهادية بين الشعب الفلسطينى فى الضفة الغربية وقطاع غزة، وتصاعد الانفجارات الانتحارية على أيدى حماس وPIJ وغيرها من جماعات المعارضة. وبالمثل يؤكد كالهفاس، وسانشاز كونيكا (٢٠٠٥) أهمية أن تبنى مجموعة ما إستراتيجياتها على أساس يتفق ثقافيا ودينيا وسياسيا مع ميول واتجاهات القاعدة الشعبية التى تساندها.

حينـما تشـترك أى مجموعـة فى أنشـطة إضافية غـير قانونية، فإنها تتعـرض للاعتقال والعقـاب، ويرمـز لذلـك بالمعامـل المسـمى (C). وتعطى هـذه الرمـوز للمجموعات الإرهابيـة كنتيجـة لسياسـة تتبعها السـلطات الحكومية وتنفذها وكالات ومؤسسـات تطبيق القانون وكذلك الجيش. وهكذا بالنسـبة لنوعى الأنشـطة، فإن المجموعة تواجه التكلفة النسبية التى نرمز لها بالمعامل المسمى (TC).

أى:

$$TC = cpP + cqQ = C \quad (٢)$$

نفـترض أن المجموعـة لديها القـدرة (C) لتحمل قدر محدد مـن التكلفة الناتجة عن اشـتراكها فى أنشـطة قانونيـة إضافية[1]. هـذه التكلفة تتضمـن العقوبات السـلبية التى تفرضها سلطات الدولة.

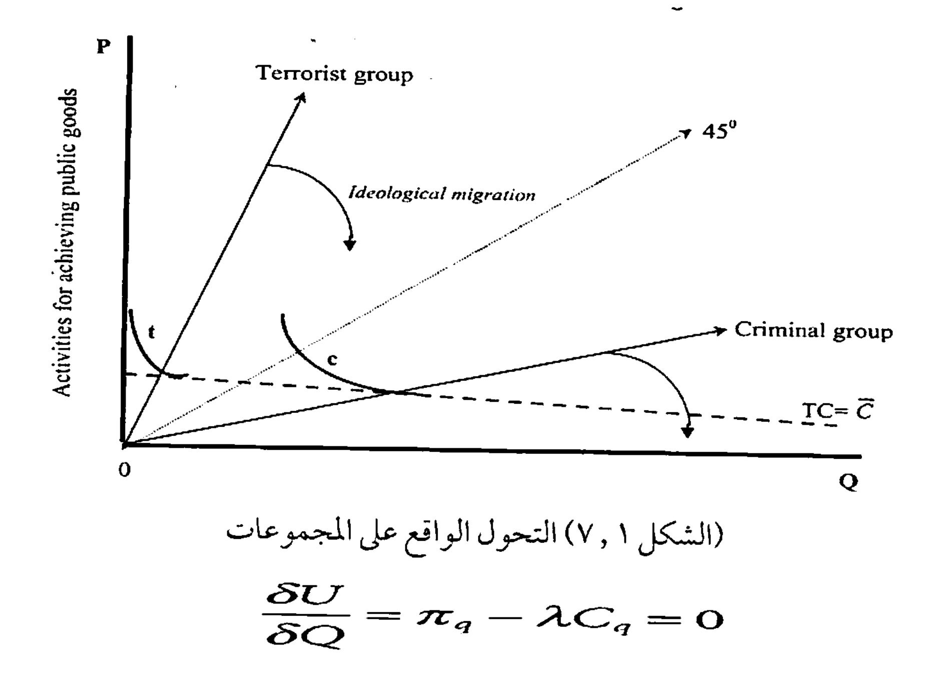
وهكذا، وبناء على مناقشتنا، يمكننا أن نكتب الحد الأعلى كما يلى:

$$Max\ U = NpP + NqQ + n(C - cpT - cqQ2)$$

ويكشف ذلك عن تفضيل بالنسبة لنوعى الأنشطة لدينا:

$$\frac{\&}{\&P} = Np - ncp = ٠ \quad (٣)$$

(١) بغرض افتراض مماثل، انظر: أندرز وساندلر (ص٣٦- ٢٠٠٥).



(الشكل ١ , ٧) التحول الواقع على المجموعات

$$\frac{\delta U}{\delta Q} = \pi_q - \lambda C_q = 0$$

هذه المعادلة توضح مبدأ التعظيم المعروف، والخاص بالمنفعة الهامشية لنشاط حيث تتعادل فيه المنفعة مع التكلفة الهامشية. وينتج عنه، القدرة على تطوير عدد كبير من الفرضيات التى قد تساعدنا فى فهم النتائج المعقدة لبعض دراسات الحالة. و(الشكل ١ , ٧). يوضح لنا التصور الهندسى للنموذج المقترح. فى هذا الرسم البيانى، يقيس المحور الرأسى المنفعة التى تعود على المجموعة من الحصول على السلع العامة، بينما المحور الرأسى يوضح منفعة السلع شبه العامة. أما الخط الممثل لدرجة ٤٥ فيوضح تساوى المنافع بالنسبة للسلعتين. (٥.). وهذا يعنى أن أى مكان فوق هذا الخط يوضح تعاظم المنفعة بالنسبة لمجموعة عن الأخرى، فيما يتعلق بالسلع العامة عنه فى حالة شبه عامة. أما المكان أسفل الخط فيوضح العكس. وللتذكرة، فقد افترضنا أن المجموعة تحصل على السلع العامة من جراء ممارسة الأنشطة الإرهابية، بينما تحصل على السلع شبه العامة نتيجة، الانخراط فى أنشطة الجريمة المنظمة. وهكذا فإن المجموعة الإرهابية

المفترضـة، سـوف تتجه إلى الموقع الذى يرمز له الرسـم (t) الـذى يوضح حالة من عدم الاكتراث.

ومن المتوقع أن تختار مجموعة الجريمة المنظمة موقعها فى نقطة على الرسـم (c) الذى يوضح حالة من عدم الاكتراث.

أمـا الخـط TC فيمثل حدود ميزانية تختار كل مجموعة فى إطارها المزج المناسـب من النشاطين الذى يعظم منفعتها. ومن الممكن أن نخلص إلى أن درجة ميل منحنى تكلفة الدولة سوف يرتفع فى حالة الأنشطة الإرهابية.

الفرضيات والأدلة التجريبية

إن هذا النموذج البسيط، يقدم لنا أفكارا مثيرة للاهتمام فيما يتعلق بالمشكلة موضوع البحـث. تعتـبر الطبيعية السريـة للمجموعتين من المشـكلات الأساسـية التـى تواجه الباحثـين، وهـم بصـدد كشـف أسرار التعـاون بـين الجماعـات الإرهابيـة ومجموعات الجريمة المنظمة.فضلا عن محاولة المنظمات الإرهابية الظهور بمظهرغيرمثير للشـبهات، معتمدين على أن أهدافهم ذات طبيعة سياسـية فى المقام الأول.ولكن من ناحية أخرى، فإن منافسـيهم إلى جانب الحكومة والمعارضين السياسـيين يحاولون النيل من سـمعتهم والتركيـز على عدم شرعية أنشـطتهم، مثلهـم فى ذلك مثل مجموعـات الجريمة المنظمة. وعلى هذا، فلابد من الاعتماد على مصدر آخر لتعزيز نموذجنا، وهو التقارير المنشـورة. ومن خلاله يمكن استنتاج الفرضيات الآتية:

الفرضية الأولى:

> **نتيجـة لاحتياجهـا للإمكانيـات الماديـة، لتمويـل أنشـطتها السياسـية، فـإن المجموعـة الإرهابية، تتحرك بفعل دوافع مختلطة وبدرجات متفاوتة من الالتزام بالحصول على السلع العامة والسلع شبه العامة.**

وقـد أوضـح جونارتنا (٢٠٠١) من قبـل أن كل المجموعات الإرهابية كى تسـتمر وتؤمـن لنفسـها الدعم المـادى اللازم، لابد أن تنخرط فى أنشـطة متنوعـة قانونية وغير

قانونيـة. والمنظمـة الإرهابيـة المحنكـة، مثل أى منظمـة متقدمة لابد أن تقـوم على مبدأ تقسيم العمل. ولابد من وجود موظفين قائمين على توفير التمويل المادى داخل الهياكل التنظيمية لهذه المجموعات. وتنطبق هذه الفرضية حتى على أكثر المجموعات الإرهابية تمسـكا بالأيديولوجيـة. ومـن هنـا كان تعاظم احتمالات اتجـاه المجموعـة الإرهابية إلى منحدر الجريمة.

الفرضية الثانية:

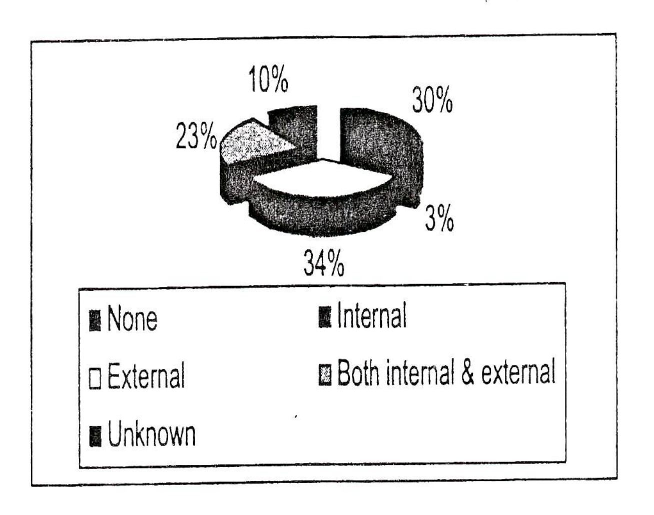
عـلى الرغم مما يثيره تعاونهما من مخاوف، فإن المجموعتين، لا تتعاونان حقيقة الأمر، سوى فى القليل النادر، وإذا تم بالفعل الاتصال أو التنسيق فيما بينهما، فإنه يكون فى الأغلب بشكل عرضى وليس مستمرا، أو على المدى الطويل.

وفى عـام ٢٠٠٢، قـام مركز الأمـم المتحدة لمنع انتشـار الجريمـة الدولية (CICP) بإجراء دراسـة طلـب فيها من حكومات ٤٠ دولة أن تكشـف الدلائـل عن تعاون بين المجموعتـين (Dandaurand & Chin، ٢٠٠٤)، وأظهـرت النتائج أن ٢٢٪ فقط من المجموعات تنخرط بالفعل فى أنشـطة مشـتركة مستمرة محليا وخارجيا. بينما ٣٠٪ من المجموعات لم تظهر أى نوع من التعاون على الإطلاق (انظر الشـكل ٢ , ٧). وبناء على هـذه النتيجـة فقد خلصت الدراسـة فى (ص٢٨) «أن طبيعة التعـاون بين المجموعتين، يكون فى الأساس تمويليا أو لوجستيا؛ مما يكشـف عن مجرد تحالف مؤقت يخدم المصالح المشـتركة. وحتى فى الحالات النادرة نسـبيا لقيام أى ارتباط أيديولوجى أو سياسى فهو يحدث على مستوى العملية الواحدة»[1].

ومـن هنـا خلـص شـميدت (ص٨ - ٢٠٠٥) إلى أنه «لا يجب خلـط الإرهـاب، ذلك المزيـج العجيـب من العنـف والسياسـة والدعاية، مـع الجريمـة المنظمة التـى يحركها فى الأساس تحقيق الربح.

(١) إيفون داندوراند وفيفيان شـين (أبريل، ٢٠٠٤): الارتباط بين الإرهاب وأشـكال أخرى للجريمة. تقرير مقدم إلى وزارة خارجية كندا. فانكوفر: المركز الدولى لإصلاح قانون الجريمة وتحقيق العدالة.

إن العلاقـة غـير الواضحـة بـين الإرهـاب والمخـدرات، قـد تقودنـا إلى الخلط بين «الحـرب ضد المخدرات» و«الحرب ضد الإرهاب» قد يفضى إلى وضع خريطة مضللة، ومبالغة فى التبسـيط لمواجهة مشـكلة الإرهاب.«من هنا تظهر الحاجة، إلى تعريف أكثر وضوحـا..» كـما يؤكد ديشـمان (ص٤٥-٢٠٠١)، «أنـه فى الواقع، تـكاد لا توجد أى مـؤشرات لاهتمام مجموعات المافيا بالتعاون أو التنسـيق مـع المجموعات الإرهابية، فى مجال التهريب أو مجال جرائم أخرى» .



(الشـكل ٢ , ٧) يوضـح التعـاون بين المجموعـات الإرهابية ومجموعـات الجريمة المنظمة.

الفرضية الثالثة:

حينما يضعف الوازع الأيديولجى، فإن المجموعة تميل إلى الاتجاه إلى الأنشـطة الإجرامية، أو إلى الحصول على السلع شبه العامة.

لاشـك أن الأيديولوجيـة القويـة تحافظ عـلى تمسـاك المجموعة ومكانتهـا بوصفها منظمة تعمل على تحسـين الوضع القائم فى المجتمع الذى يمثل قاعدتها الشـعبية. أما إذا

تغير الواقع السياسى، فسوف تفقد المجموعة هذه المكانة مما يدفعها إلى الجريمة المنظمة كوسيلة للمحافظة على وضعها.

فى هـذه الحالـة، غالبا ما توجه هذه المجموعات عنفها إلى مجتمعها نفسـه، من خلال الانخـراط فى أنشـطة الجريمة المنظمة.. وتثبت صحة هـذه الفرضية، حالة ITA، IRA (ألكسـندر، سـويتنام وليفاين، ٢٠٠١) فحينها تغير الواقع السياسى للإقليمين، اتجهت المجموعتـان إلى العمـل فى صفوف لجان الأمن الأهلية إلى جانب الأنشـطة الإجرامية. (سيلكه، ١٩٩٨، ١٩٩٩) (هورجان، وتيلور، ١٩٩٩، ٢٠٠٣).

الفرضية الرابعة:

> **غالبـا ما تتجـه المجموعة الإرهابيـة إلى مصادرها الداخليـة الخاصة من أجل التمويـل، مفضلـة ذلـك عن التـورط مع منظمـة إجراميـة معروفـة حفاظا على سمعتها.**

شـهدت حقبة انتهاء الحـرب الباردة تقلصًا واضحًا فى الـصراع الدائر بين القوتين العظميـين. والـذى كانـت مـن مظاهـره المألوفة تقديـم يـد المسـاعدة للمجموعات الإرهابية فى القطب المنافس، لإضعاف الحكومات.وقد دقت أحداث ١١/ ٩ ناقوس الخطـر، ورفعت مـن وعى كثير من الـدول، محذرة من «استمرار اللعـب بالنار» ثم جعل من مساندة الجماعات الإرهابية بالنسبة للعديد من الدول، مغامرة غير مضمونة العواقب.

ومن أمثال تلك الدول، المملكة العربية السـعودية، وليبيا، وغالبا باكستان أيضا[1]. وأصبـح لزاما على معظم المجموعـات الإرهابية، التى كانت تعتمد فى تمويلها على تلك الدول أن تغير قبلتها إلى الداخل. مما ترتب عليه الانخراط فى أنشطة إجرامية «داخلية» (ديشمان، ٢٠٠١، انظر أيضا هورجان وتيلور، ١٩٩٩، ٢٠٠٣).

---

(١) انظر: حقانى (٢٠٠٥) لمزيد من التفسير فى مسألة شكوكنا بالنسبة لباكستان.

الفرضية الخامسة:

ما لم تكن قيادة المجموعة الإرهابية فى حالة يقظة، فإن هناك احتمالات قوية للانزلاق إلى هوية إغراءات التورط فى أنشطة إجرامية. ويكون ذلك بالطبع على حساب، مصداقية المجموعة وشرعيتها السياسية لدى جمهورها أو قاعدتها الشعبية.

يحدث فى حقيقة الأمر، أن تتجه المجموعات الإرهابية فى بعض الأحيان إلى ممارسة أنشطة إجرامية سعيا وراء الإغراءات المادية التى تعود عليها، فتتحول إلى منظمة إجرامية. ومن الأمثلة القوية على ذلك، ما حدث لمجموعة أبى سياف بالفلبين (روجرز، ٢٠٠٤). وذلك على الرغم من ولائها المعلن لقضية الإسلام وإعلاء كلمته. مما قربها بعض الوقت من منظمة القاعدة. إلا أن أنشطتها المشبوهة، سرعان ما كشفت عن نفسها. ويؤكد ساجمان (ص٤٤-٢٠٠٤) أنه ما إن أدرك أسامة بن لادن الهوية الحقيقية لتلك المجموعة، حتى أسرع بقطع صلاته بها. وهو ما يظهر لنا أهمية عامل اليقظة فى تدارك إمكانية الانزلاق إلى تلك الهوية.

الفرضية السادسة:

فى ظل حكومة قوية ومستقرة، حيث يكون الفارق بين التكلفتين كبيرا (طبقا للرسم البيانى ١ , ٧)، حينما تبدأ مجموعة ما نشاطها على أساس أيديولوجى. ثم تلجأ إلى تطوير أنشطة داخلية بغرض التمويل، فإنها عادة ما تنقسم إلى عدة مجموعات صغيرة، ويصبح النشاط الإجرامى هو تركيز كثير من هذه المجموعات. أما حينما تكون سيطرة الحكومة ضعيفة، أى فى حالة الدول الفاشلة، فإن تكلفة النشاطين تصبح واحدة، بالنسبة لها، وبالتالى يأخذ الفارق بين المجموعتين فى التناقص.

ومع الأخذ فى الاعتبار التفضيل النسبى للسلع العامة عن السلع الخاصة وشبه العامة، فإن حافز التعاون المستمر بين المجموعتين يصبح ضئيلا.

الفرضية السابعة:

من النادر جدا أن تتحول مجموعة نشـاط إجرامى إلى مجموعة إرهابية، تسعى لتحقيـق السـلع العامة. وحتى مع افتراض أنها فى وقت ما قـد تتجه بأهدافها إلى تحقيق السلع العامة، فإنها غالبا ما تعود مرة أخرى إلى نشاطها المعتاد.

عـلى الرغم من كونه أمرا نادرا، فإنه محتمل الحدوث، فمجموعة الجريمة المنظمة قد تنخرط فى بعض الأحيان فى أنشـطة موجهة للغير (أى نشـاط غير أنانى المصالح). مثل روبـن هوود مثلا، الـذى يعطينا خير مثال لازدواجية الأهداف. وكذلك فى السـنوات القريبـة أيضا، فإن كارتل مدلين، بزعامة بابلو إسـكوبار، قد شـهد لـه ببذل مجهودات كبيرة لتحسين مستوى معيشة الفقراء فى المنطقة التى تخضع لسيطرته. إلا أن هذه الجهود لم تسـتمر طويلا. وكذلك مجموعة كوزا نوسـترا الإيطالية، يمكن أن تمثل نموذجا آخر يدعم هذه الفرضية. فبعد احتلال جزر سيسـيليا على أيدى الحلفاء أثناء الحرب العالمية الثانيـة، قـدرت الجهود التى بذلتها مافيا سيسـيليا فى هذه الحرب، حيث أصبح يسـمح لهم بحمل السـلاح، بل وبالاشـتراك فى العمل السياسي أيضا. بل تم اختيار العمدة من بـين صفوفهم، وكذلك مسـئولين آخرين يعملـون على تطبيق القانـون فى منطقة غرب سيسليا. ولاشك أن هذه الشرعية السياسية، ساعدت على نموهم فى الفترة التى أعقبت الحـرب ليس فقـط فى إيطاليا، بل أيضـا فى الولايات المتحدة. (جاميسـون، ص١٦٧ - ٢٠٠٥).ولكن هذه الفرصة النادرة التى حظوا بها ليصبحوا جزءًا من العملية السياسية فى بلادهم، ما لبثوا أن فرطوا فيها لصالح جمع الثروات وتنميتها كما كان الحال من قبل. وأصبح يشـار إليهم كمجموعة جريمة منظمة، أهدرت فرصتها فى أن تصبح جزءًا من سياسة بلادها وتحصل على شرعية لم تكن لتحلم بها.

الفرضية الثامنة:

فى حالـة أن يكون هدف مجموعة الجريمة المنظمة المجتمع بأثره، فإن ما تتطلع إلى الحصول عليه سـوف يظل كما هو : أى الحصول على السـلع الخاصة أو شـبه العامـة. دون أى تغيـير فى الوضـع السـائد. ولكن يسـتبعد بصفة عامـة أن تلجأ

مجموعـات الجريمة المنظمة إلى هذا الأسـلوب، إلا اضطـرارا، وذلك فى حالة أن تكون الحكومة قد حسمت أمرها لتصفيتها نهائيا.

وكمثـال لحـدوث ذلـك فى بعـض الأحيان، لجـوء جماعات المافيـا بإيطاليا إلى شـن هجـمات إرهابية ضد الحكومة، كما حدث فى حملة تفجير السـيارات عام ١٩٩٣، حيث تـم استهداف شـخصيات عامة، تعمل فى مجـال الإعـلام المرئى. بالإضافـة إلى تفجير القطارات، وزرع القنابل والعبوات الناسـفة فى أماكن متفرقة، متسـببة فى خسائر مادية وأضرار باهظة الثمن، لرموز ثقافية مثل متحف الأوفيزى بفلورنس. هذه المظاهر التى تشـبه العنـف الإرهابـى، لا تتجاوز القشرة الخارجيـة فقط، حيـث إن هدفها لا يكون تغيـير المجتمع أو النظام السياسـى. بل إرهـاب الحكومة لوقف أنشـطتها القمعية ضد المجموعـات الإجراميـة؛ لـذا لا يمكـن أن نطلق عليها أنشـطة إرهابيـة. فحين تمارس جماعات الجريمة المنظمة العنف الإرهابي، ، فإن هدفها قد يكون وقف تحقيق يجريه معها المسئولون أو وقف أنشطة تعقبية تمارسها الحكومة ضدها. (ويليامزو سافونا، ١٩٩٥).

مناقشة النتائج السياسية

مما سـبق الإشارة إليه، يتضح، أن العلاقة بين المنظمات الإرهابية، والجريمة المنظمة، تدخل أكثر فى الحيز الأسطورى، حيث تفتقد إلى الدقة أو الفهم الصحيح. كما أنها وليدة تفكـير لحظى ومنطـق غير متأن. تجنـح معظم الحكومـات إلى عدم التفرقـة بين الجريمة المنظمة والمعارضين السياسـيين فى محاولة للنيل من شرعية المعارضين السياسـيين. ومن ناحية أخرى، فإن هناك منظمات جريمة تحاول أن تخلع على نفسـها شرعية سياسـية من خلال ارتداء قناع سياسي مزيف.

حاولنـا فى هـذا الفصل، أن نوضح الفـارق بين المجموعـات الإرهابية ومجموعات الجريمة المنظمة، من خلال تعريف يفرق بينهما على أساس طبيعة سلوكيات كل مجموعة. ومـن هذه التفرقة، توصلنـا إلى صياغة نموذج يعتمد عـلى الأدوات المعيارية للاقتصاد المصغـر microeconomics. ولا يخفى أن من مميزات اسـتخدام النموذج النظرى، هو

القدرة على إخضاع الملاحظات الواقعية، المتنوعة للتحليل. إن هذا النموذج استطاع أن يدرس بدقة حقيقة العلاقة بين المجموعتين من خلال البحث العميق فى الدوافع الأساسية للتعاون الذى ينشأ بينهما، على أساس من مبدئى المنفعة والتكلفة. ويعتبر هذا التحليل مخالفا لما زعمته عدة دراسات حالة من قبل. حيث حاولت هذه الدراسات، تقديم تصور أكثر تعقيدا لطبيعة العلاقة بين المجموعتين، زاعمة تعاونا وارتباطا بدا فى أغلب الأحيان غير بديهي. أما الميزة الثانية للنموذج التحليلى الذى اعتمدنا عليه، فهو القدرة على مدنا بفرضيات يمكننا إخضاعها للتجربة والاختبار. ونحن فى هذا الصدد، نوصى بإخضاع الفرضيات المقترحة لمزيد من التجارب والملاحظة بهدف التأكد من دقتها. ولا يخفى أنه كثيرا ما اعتمدت سياسات محلية أو دولية على سيناريوهات غير دقيقة، سرعان ما ثبت عدم صوابها. ومن هنا تتضح أهمية الميزة الثالثة لهذا النموذج. إذ يمكننا من صياغة سياسات مناسبة ذات أبعاد صحيحة ودقيقة؛ لأنها تستند على أسلوب علمى يعتمد على الملاحظة والاختبار.

المراجع

Alexander, Y., Swetnam, M. S., & Levine, H. M. (2001). *ETA: Profile of a terrorist group.* Ardsley, NY: Transnational Press.

Andreoni, J. (1990). Impure altruism and donations to public goods: A theory of warm-glow giving. *Economic Journal, 100,* 464–77.

Baumol, W. J., & Blinder, A. S. (1985). *Economics: Principles and policy* (3rd ed.). San Diego, CA: Harcourt Brace Jovanovich.

Bloom, M. (2004). Palestinian suicide bombing: Public support, market share and outbidding. *Political Science Quarterly, 119,* 61–88.

Combs, C. (2006) *Terrorism in the Twenty-First Century* (3rd ed.). Upper Saddle River, NJ: Prentice Hall.

Dandaurand, Y., & Chin, V. (2004, April). *Links between terrorism and other forms of crime.* A report submitted to Foreign Affairs Canada. Vancouver: International Centre for Criminal Law Reform and Criminal Justice Policy.

Dishman, C. (2001). Terrorism, Crime, and Transformation. *Studies in Conflict & Terrorism, 24,* 43–59.

Enders, W., & Sandler, T. (2005). *The political economy of terrorism* (p. 36). Cambridge: Cambridge University Press.

Gunaratna, R. (2001). The lifeblood of terrorist organizations: Evolving terrorist financial strategies. In A. P. Schmid (Ed.), *Countering terrorism through international cooperation* (pp. 182–85). Milan: ISPAC.

Gupta, D. K. (2005). Toward an integrated behavioral framework for analyzing terrorism: Individual motivations to group dynamics. *Democracy and Security, 1.*

Haqqani, H. (2005). *Pakistan: Between mosque and military.* New York: Carnegie Endowment for International Peace.

Hoffman, B. (1998). *Inside terrorism.* New York: Columbia University Press.

Horgan, J., & Taylor, M. (1999). Playing the 'green card' – Financing the Provisional IRA: Part 1. *Terrorism and Political Violence, 11,* 1–38.

Horgan, J., & Taylor, M. (2003). Playing the 'green card' – Financing the Provisional IRA: Part 2. *Terrorism and Political Violence, 15,* 1–60.

Jamieson, A. (2005). The use of terrorism by organized crime: An Italian case study. In T. Bjorgo (Ed.), *Root causes of terrorism: Myths, reality and ways forward* (pp. 164–177). London: Routledge.

Kalyvas, S., & Sanchez-Cuenca, I. (2005). Killing without dying: The absence of suicide missions. In D. Gambetta (Ed.), *Making sense of suicide missions* (pp. 209-232). Oxford: Oxford University Press.
Kellen, K. (1984). *On terrorists and terrorism*. N-1942-RC. Santa Monica, CA: RAND Corporation, December 1982.
Naylor, R. T. (1997). Mafias, myths, and markets: On the theory and practice of enterprise crime. *Trans-national Organized Crime*, *3*, 2–18.
Naylor, R. T. (2002). *Wages of crime: Black markets, illegal finance and the underworld economy*. Ithaca: Cornell University Press.
Reuter, P. (1983). *Disorganized crime: Illegal markets and the Mafia*. Cambridge: MIT Press.
Rogers, S. (2004). Beyond Abu Sayyaf. *Foreign Affairs*, Jan-Feb, 15–28.
Sageman, M. (2004). *Understanding terror networks*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press.
Samuelson, P. A. (1965). *Foundations of economic analysis*. New York: Athenium Press.
Schmid, A. (2005). *Links between terrorism and drug trafficking: A case of 'narco-terrorism'?* Paper presented at the International Summit on Democracy and Security, 8–11 March, Madrid.
Schmid, A. P., & de Graaf, J. (1982). *Violence as communication: Insurgent terrorism and the Western news media*. Beverly Hills, CA: Sage Publications.
Schmid, A. P., & Jongman, A. J. (1988). *Political terrorism: A new guide to actors, authors, concepts, data bases, theories, and literature*. New Brunswick, NJ: Transaction Books.
Silke, A. (1998). The lords of discipline: The methods and motives of paramilitary vigilantism in Northern Ireland. *Low Intensity Conflict & Law Enforcement*, *7*, 121–156.
Silke, A. (1999). Rebel's dilemma: The changing relationship between the IRA, Sinn Fein and paramilitary vigilantism in Northern Ireland. *Terrorism and Political Violence*, *11*, 55–93.
UN Centre for International Crime Prevention (2002). *Glossary of money laundering terms*. Available at www.unodc/money_laundering_glossary.html#m/
Williams, P., & Savona, E. U. (1995). Introduction: Problems and dangers posed by organized crime in the various regions of the world. *Transnational Organized Crime*, *1*, 25.

Further Reading

Akerlof, G. A., & Kranton, R. E. (2000). Economics and identity. *Quarterly Journal of Economics*, *125*, 715–54.
Anderson, B. (1983). *Imagined communities*. London: Verso.
Anderson, T. S. (2004). Transnational organized terror and organized crime: Blurring the lines. *SAIS Review*, *24*, 50–52.

Banerjee, S. (1980). *In the wake of Naxalbari: A history of the Naxalite movement ir India*. Calcutta: Subarnarekha.

Boorman, S. A., & Levitt, P. R. (1980). *The genetics of altruism*. New York: Academic Press.

Collier, P. M., & Hoeffler, A. (2004). Greed and grievance in civil war. *Oxforu Economic Papers, 56*, 563–584.

Coogan, T. P. (2002). *The IRA*. New York: St. Martin's Press.

DeNardo, J. (1985). *Power in numbers: The political strategy of protest and rebellion*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Ghosh, S. (1975). *The Naxalite movement*. Calcutta: Firma K. L. Mukhopadhyay.

Gupta, D. K. (1990). *The economics of political violence: The effects of political instability on economic growth*. New York, NY: Praeger.

Gupta, D. K. (2001). *Path to collective madness: A study in social order and political pathology*. Westport, CT: Greenwood Publishing.

Gupta, D. K. (2002). Economics and collective identity: Explaining collective action. In S. Grossbard-Shechtman, & C. Clague (Eds), *The expansion of economics: Toward a more inclusive social science*. Armonk, NY: M. E. Sharpe.

Gupta, R. K. (2004). *The crimson agenda: Maoist protest and terror*. New Delhi: Wordsmith.

'uergensmeyer, M. (2000). *Terror in the mind of God: The global rise of religious violence*. Berkeley: University of California Press.

Cenney, M. (2003). From Pablo to Osama: Counter-terrorism lessons from the wars on drugs. *Survival, 45*, 187–206.

:onet, R. (2001). Sexual fantasies of a suicide bomber. Retrieved January 14, 2005, from www.israelinsider.com

Aorgan, R. (2002). The demon lover syndrome. *MS, 13*, 17.

ost, J. (2005). The socio-cultural underpinnings of terrorist psychology: When hatred is bred in bones. In T. Bjorgo (Ed.), *Root causes of terrorism: Myths, reality and ways forward* (pp. 54–69). London: Routledge.

apoport, D. (1992). Terrorism. In M. Hawkesworth, & M. Kogan (Eds), *Routledge encyclopedia of government and politics* (Vol. 2, p. 1067). London: Routledge.

ay, R. (2002). *The Naxalites and their ideology* (2nd ed.). New Delhi: Oxford University Press.

obins, R. S., & J. Post (1997). *Political paranoia: The psychopolitics of hatred*. New Haven, CT: Yale University Press.

nderson, T. M. (2004). Transnational terror and organized crime: Blurring the lines. *SAIS Review, 24*, 49–61.

tz, D., & Ferejohn, J. (1994). Rational choice and social theory. *Journal of Philosophy, 91*, 71–87.

amid, A. P. (1996). The links between transnational organized crime and terrorist crimes. *Transnational Organized Crime, 2*, 40–82.

ı, A. K. (1977). Rational fools: A critique of the behavioral foundation of economic theory. *Philosophy and Public Affairs, 6*, 317–344.

ı, A. (1980). *Ar approach to Naxalbari.* Calcutta: Institute of Scientific Thought.
ter, P. J. B. (1994). *Behaviour and evolution.* Cambridge, UK: Cambridge University Press.

الفصل الثامن

الشبكات الإرهابية

سيكولوجية المجموعات الصغيرة

سام مولينز

نبذة: فى خطوة أولى على طريق تأسيس نموذج يرصد التطورات التى تمر بها الجماعات الإرهابية عبر فترة استمرارها، نقوم هنا بوصف الأساليب التى نعتمد عليها فى قياس التغيير الذى يطرأ على الأنماط السلوكية والبنيان الاجتماعى لهذه الجماعات. ويعتبر عمر هذه الجماعات، هو أساس تركيزنا، معتمدين على التفسير النظرى فى فهم السلوك الإرهابى لتلك الجماعات.

فى مجال دراسات الإرهاب، فإن تعبير «شبكة» يستخدم فى الأساس للإشارة إلى المستوى التنظيمى (ماكاليستر، ٢٠٠٤، ميشيل وروزينتال، ٢٠٠٥) للجماعات الإرهابية.. وكثيرا ما أصبح يستخدم التعبير أيضا لإعطاء فكرة عامة عن طبيعة تنظيم القاعدة أو الإرهاب الإسلامى بشكل عام. والذى يتميز بطبيعة غير مركزية أو هرمية التدرج hierarchial.وهذا يؤكد لنا مرة أخرى، أن مثل هذا التنظيم الضخم ذا التغير المستمر. ليس لديه فى الأساس، هيكل موضوعى. بينما فى أقصى نقطة على نفس المنحنى، وعلى المستوى الفردى من التحليل، فإن حالة الإرهاب الفردى، تكون شديدة الفردية، بحيث تكاد تكون منعدمة الفائدة من الناحية العملية.وعلى هذا، فإن المستوى التحليلى للمجموعة الإرهابية، يمثل التحدى الحقيقى. وهو يفسر كون المجموعة الإرهابية

ذات الحجم الصغير نسبيا، هى أساس جهود مكافحة الإرهاب من قبل مؤسسات تطبيق القانون والهيئات الأمنية بشكل يومى.

إن المعنيين بالجانب العملى، وكذلك الأكاديميين، يدركون حقيقة الدور الذى تلعبه البيئة الاجتماعية فى تيسير التحول إلى التطرف أو اتخاذ قرار المشاركة فى الأنشطة الإرهابية. وجدير بالذكر أن أماكن اجتماعية مثل الجوامع، ونوادى الشباب، إلى جانب صالات ممارسة الرياضة قد ذكرت بشكل متكرر، فى التقرير الرسمى المتعلق بتفجيرات لندن، التى وقعت فى السابع من شهر يوليو ٢٠٠٥. (مجلس النواب، ٢٠٠٦) مما يفترض «أن المعلمين بهذه الأماكن، يحددون أولا العناصر التى يمكن أن تستقطب وتتحول إلى عناصر متطرفة، من بين مجموعات الشباب التى ترتاد هذه الأماكن. ثم يقومون بتدريبها سرا فى شكل مجموعات صغيرة، تتشرب من بعضها البعض ملامح التطرف.» (ص٣١). ويشير ساجمان، (٢٠٠٤) إلى أن الروابط الاجتماعية تسبق الالتزام الأيديولوجى، كما يؤكد أنه إذا صاحب العزلة الاجتماعية، تماسك وترابط على مستوى المجموعة، فإن هذا المزج يساهم فى نمو وترسيخ الأيديولوجية لدى هؤلاء الشباب. وعلى جانب آخر، فإنه من الضرورى وجود عناصر من خارج المجموعة، تقوم بدور «الجسر» بين هؤلاء الشباب والمنظمات الإرهابية فيما يتعلق بتجنيد وتدريب العناصر المستقطبة إلى جانب التمويل.

لقد أصبح واضحا، الآن أكثر من أى وقت مضى، أن العنصر الحيوى الذى يساهم فى تحول هؤلاء الشباب إلى إرهابيين قد يكون التواصل التلقائى بين بعضهم بعضًا، أكثر منه، تخطيطا مسبقا يعتمد على عملية تلقين أو «غسيل أدمغة». ولاشك أن إتاحة وسائل التعارف بين الشباب عبر شبكة الإنترنت الدولية، تعزز من روابط التعارف والتواصل فيما بينهم، وتوفر لهم تبادل المعلومات الأيديولوجية والعملية، بما يغنيهم عن ضرورة الاتصال الرسمى بالمنظمات الكبرى. (كيربى، ٢٠٠٧).

وعلى الرغم من وصولنا إلى هذه القناعة، فإننا لانزال فى حاجة إلى مزيد من الدراسات التفصيلية، الخاصة بطبيعة المجموعات أو الخلايا الإرهابية الناشئة.

أى مزيد من المعلومات الخاصة بالبنية الاجتماعية للمجموعة بهدف الوقوف على أنماط التفاعل بين أعضاء الشبكة الذى يؤثر بدوره على سلوكيات أعضاء الجماعة. (وسيرمان وفاوسن ١٩٩٤). والتى تقودنا إلى نقطة فى غاية الأهمية وهى دراسة هيكل هذه المجموعات.

وفضلا عن ذلك، ورغم أهمية الوصول إلى البنيان النهائى للجماعة الإرهابية فى الوقوف على كيفية سير العمليات. (كريبز، ٢٠٠٢)، فإن التغيرات الديناميكية التى يتعرض لها بنيان المجموعات عبر فترات تطورها المختلفة، تقابلها بشكل مؤقت ومرحلى، مجموعة من التغيرات النفسية التى يتعرض لها الأفراد والمجموعات؛ لذا فمن الأهمية بمكان أن يجرى تحليل منتظم للبنية الاجتماعية لتلك المجموعات، لفهم سيكولوجية التطرف التى تتحكم بدورها فى الأنماط السلوكية للمجموعة. ولا شك أن ذلك سيخدم سياسات وإستراتيجيات مكافحة الإرهاب. تحاول هذه الدراسة أن تضع أسس أسلوب جديد يعتمد على استخدام أدوات التحليل بشكل أكثر ديناميكية. وتطبيقه على مجموعتين معروفتين للإرهاب الإسلامى بهدف رصد التطور الذى طرأ عليهما.

منهج البحث

تم الاستعانة ببرنامج Excel لتكوين مصفوفات تعبر عن مستوى الارتباط. بالإضافة إلى مصفوفة واحدة تمثل التغيير فى البنيان الاجتماعى. وتم استخدام ثلاثة مستويات من الترابط:

صفر، للتعبير عن عدم الارتباط، و١ للتعبير عن التعارف/ الصداقة و٢ للتعبير عن وجود صداقة قوية، أو صلة عائلية. وقد تم قياس قوة الارتباط بناء على عوامل كمية وكيفية. وقد أخذنا فى الحسبان المعايير النفسية، والتأثيرية، والبرجماتية وكذلك طول فترة الارتباط. إذ إن قوة الارتباط يمكنها أن تتغير لعدة أسباب. كما يمكن أن تتفاعل مع الوقت فتثمر عدة درجات من الارتباط. معتمدة على طول هذه المدة. وقد تم تحليل المصفوفات بالاعتماد على Ucinet.(بورجاتى، أفيريت، وفريمان، ٢٠٠٢).

لإنتاج سلسلة من الشبكات فى صورة أشكال بيانية، خاصة بالمجموعتين ، قامت بدور المساعدات البصرية ، وقد اعتمدنا عليها فى إمدادنا بالتفسيرات النظرية .أما الشكل الانتشارى ، فقد تم تحديده بالاعتماد على Ucinet بالإضافة إلى نقاط تقاطع تمثل عدة مواقع، يسهل تعديلها يدويا، لتحقيق الإحساس الإدراكى للتعاقب الزمنى.

ويلاحظ عدم اعتمادنا على أدوات القياس السابقة للشبكات، حيث إن ارتفاع درجة الاتصال فيما بينها الآن، يجعل الأدوات القياسية السابقة محدودة النفع بالنسبة لنا. أما «المركز السلوكى» فيشير إلى الأفراد/ الأماكن التى برزت، كأجزاء مكملة وأساسية فى عمل المجموعة. ومن هنا كان الحكم على أهمية موقع ما بالإشارة إلى كونه «مركزى السلوك» أى، يتم التردد عليه أكثر من مواقع أخرى، وبالمثل، يمكن للفرد أن يصبح مركزى السلوك إذا اكتسب حضورا محوريًا داخل المجموعة.

الخطة الألفية

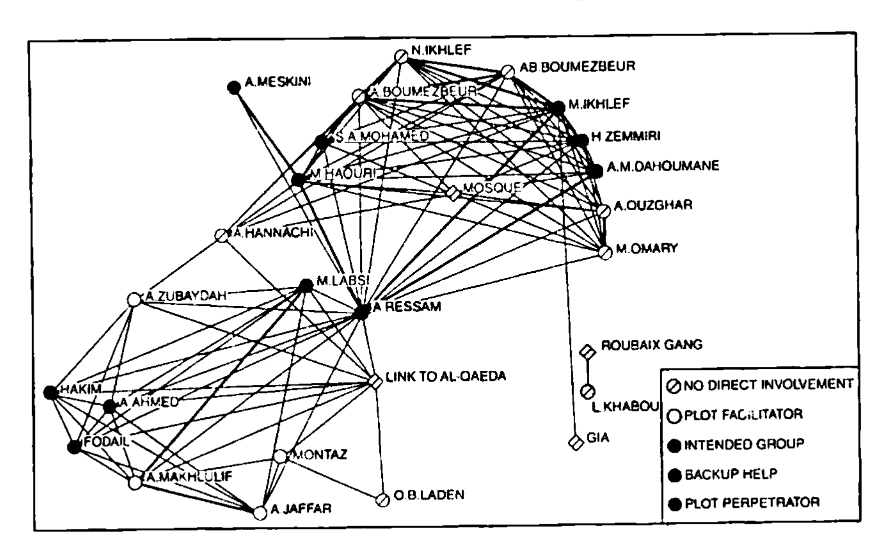
(ساجمان، ٢٠٠٤) كانت «الخطة الألفية» تدبر مخططا لتفجير مطار لوس أنجلوس. وقد تم الكشف عنها، حينما ضبط شخص يدعى أحمد ريسام وفى سيارته متفجرات، وذلك، أثناء محاولته دخول الأراضى الأمريكية عبر كندا. والشكل (١ , ٨) يقرب لنا الموقف الاجتماعى لريسام ومدبر آخر للخطة، ويدعى مصطفى لابسى، وقد دخل كل منهما بشكل منفرد إلى مدينة مونتريال بكندا، منذ ستة سنوات، فى بدايات عام ١٩٩٤.

إن الهجرة إلى بلد جديد، يمكن أن تكون بمثابة مرحلة إعادة بناء للذات.ولاشك أن الروابط الاجتماعية مهمة فى هذه العملية.(انظر كيدويل، ودانهام، وباكو وباستورينو، وبورتس، ١٩٩٥). ولم يكن من الغريب بأى حال أن يندمج ريسام مع شباب من نفس المجتمع. وكذلك مع آخرين من خلال التردد على جامع المنطقة.وكما أشار كارلى (١٩٩٠)، فإن زيادة أواصر الاتصال بين الشباب تعمل على تحقيق مزيد من التقارب من خلال تبادل المعلومات. وقد كان هؤلاء الشباب متورطين فى عملية إجرامية ثانوية الأهمية نسبيا، وقد شعر ريسام أولا بالإثارة لتورطه معهم. ولكن، سرعان ما تبين له أن

هذا النشاط الإجرامى كان بهدف دعم نشاط إرهاب إسلامى. وكان التحالف الذى نشأ بين ريسام ومصطفى لابسى ذا أهمية كبيرة بالنسبة للمجموعة، حيث إن صداقتهما الوثيقة قد عززت ثقة المجموعة بهما. إلى جانب عدم انتمائهما، إلى مجموعة أخرى. مما جعل دخولهما كأعضاء فى هذه المجموعة أمرا متاحا ومقبولا.، كما يسر الاتصال والتفاعل الاجتماعى مع بقية أعضاء المجموعة. (فوسى، ٢٠٠٦). وكانت عملية تقبل عادات وقيم المجموعة سهلة وميسرة، من خلال وضع اجتماعى مشجع، حيث كانا محاطين، بكوادر عالية الخبرة، ومنهم زعيم المجموعة، فاتح كامل، وزملاؤه من البوسنة. إلى جانب أعضاء آخرين من المجاهدين، وعلى المستوى المركزى من الشبكة. مما كرس إعجابهما بأعضاء المجموعة بشكل كبير.

ومن العجيب، أن ريسام ولابسى، وعلى الرغم من إدراكهما مبكرا للطبيعة الإرهابية للمجموعة، فإن ذلك لم يردعهما. وهذا يعنى أحد أمرين، إما تعاطفهما مع المجموعة، أو عدم اكتراثهما بالأنشطة الجهادية والعنف المرتبط بها. خاصة وأنهم فى هذه المرحلة لم يكونا قد كونا بعد هوية جماعية. وإن كانا قد أدركا ما تتمتع به المجموعة من قيمة ومكانة. وحقيقة الأمر فإن ريسام ولابسى، قد تم تصنيفهما كمسلمين، من خلال ملمح غير دينى. حيث إنهما قد اشتركا مع بقية أعضاء المجموعة فى معاداة من هم خارجها. ونعتقد أنهما كانا يعتبران أنفسهما عضوين بالمجموعة. وبما أن الأعضاء فى أى مجموعة إسلامية يعتبرون أخوة للمسلمين جميعا، كمبدأ أساسى فى أيديولوجية الإسلام، فنحن نفترض أنهما لابد وقد تشبعا بهذه الهوية تدريجيا. ومن ناحية أخرى، فإن تمتعهما بمكانة مركزية نسبيا فى المجموعة، وإن كانت بدون خبرة حقيقية، كانت هى الحافز الذى دفعهما إلى تشرب مزيد من الفكر الأيديولوجى للمجموعة، يجعلهم أهلا بهذه المراكز المهمة، من خلال سرعة اكتساب الهوية الجماعية. ولاشك أنه مع كثرة التداول اللفظى لقيم المجموعة، المثلة فى شعارات ومبادئ، تتعزز عملية الاندماج الذاتى والانصهار الكامل فى هوية المجموعة، ويترسخ الإيمان الفعلى بها، مما يؤمن استمرار عضويتهم.

وجدير بالذكر، أن ريسام ولابسى، لم يبذلا أى مجهود يذكر للاشتراك فى أنشطة إرهابية، قبل ظهور عبد الرءوف حنشى، الذى غير النظام الاجتماعى داخل المجموعة. وكان حنشى قد جاء فى وقت سابق إلى مونتريال، ثم ذهب إلى معسكر تدريب للقاعدة فى أفغانستان. ثم عاد أخيرا إلى مونتريال عام ١٩٩٧ . وكان حنشى يمثل تناقضا بالنسبة للابسى وريسام، إذ إنه لا يتمتع بمركز قيادى داخل المجموعة، ولكن من ناحية أخرى، فإن تدريبه فى أفغانستان قد أكسبه مكانة خاصة إذ أهله لمركز قيادى أكثر منهما. ومن هنا كان إعجابهما به. مما حفزهما على محاولة الوصول إلى مكانته، أى فى صدارة المجموعة. وكان هذا الحافز وراء قبولهما عرض حنشى بالسفر للحصول على تدريب عسكرى فى معسكرات أفغانستان. وقد صاحبهما عضو آخر، هو كريم سعيد عثمانى، وكانت له خبرة سابقة أيضا، مما رفع من ثقتهما فتطلعا إلى المغامرة وترتب على سفرهما إلى أفغانستان انفصال حلقة من حلقات المجموعة.



الشكل رقم (١ ، ٨)

فى بداية عام ١٩٩٤ ، وصل كل من ريسام ولابسى إلى مونتريال. وكانت هناك بالفعل عدة علاقات واتصالات بين أعضاء المجموعة. وكان الجامع آنذاك بمثابة حلقة الاتصال

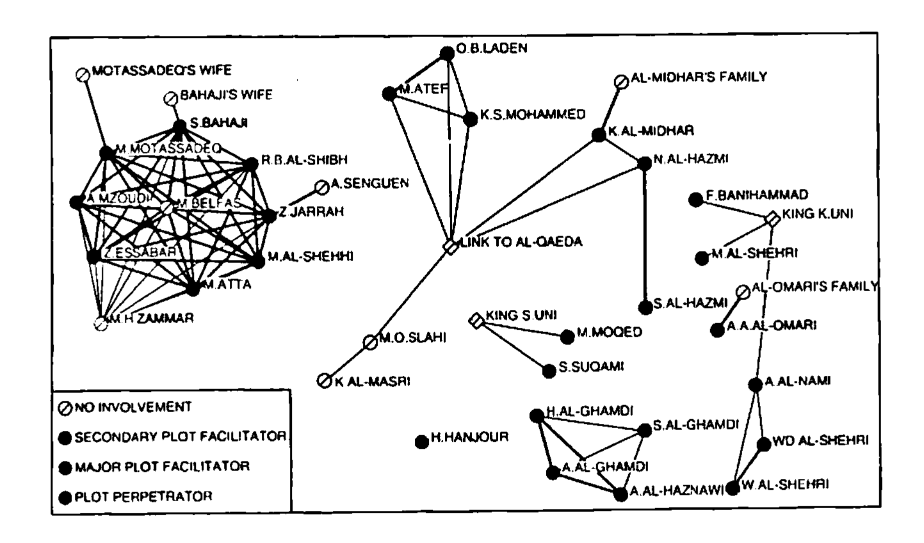
غير المباشرة بين أفراد المجموعة..ومن المرجح أنه أصبح بعد ذلك حلقة اتصال مباشرة للأفراد الذين انضموا فيما بعد للجماعة.

وفيما بعد ترك عثماني ريسام ولابسي، حيث تم القبض عليه. مما أخرجه من المعادلة. ووجد الصديقان أنفسهما فيما بعد يعملان فى خلية تتكون من خمسة أفراد آثناء التدريب. حيث شاركهما الخلية، كل من، حكيم، وفضيل وأبى أحمد. والتنظيم بهذا الشكل ربما يكون قد تسبب أولا فى وقوع بعض الخلافات أثناء التدريب وفى مرحلة الاستعداد للتنفيذ. (تاكمان، ١٩٦٥). إلا أن التدريب المشترك فى حد ذاته، فى معسكرات أفغاستان النائية، لمدة أحد عشر شهرا، والاشتراك فى هدف سرى يسعى الجميع إلى تحقيقه، قد حقق ارتباطا وثيقا فيما بينهم. بل حولهم من مجموعة إلى فريق يعمل معا بشكل أكثر تكاتفا. وحقيقة الأمر فإن ما مروا به من ظروف أثناء فترة التدريب فى تلك المعسكرات، يكاد يطابق فكر المجموعة، من حيث القيادة المباشرة، والتمسك القوى بين الأفراد، الذى يفضى إلى المغالاة فى الإحساس بالقوة والجنوح إلى الاختيارات المتطرفة. (جانيس، ١٩٨٢) ويعتبر هذا الفكر محفزًا ومرغوبًا فيه فى حالة تدريب الإرهابيين.

وبعد أن تلقى تدريبه بأفغانستان، وجد ريسام نفسه فى عزلة. إذ فرضت على بقية أفراد فريقه قيود تمنعهم من السفر. ولكن ذلك لم يثنه عن عزمه. بل استعان بأعضاء مجموعة مونتريال، واختار استكمال العملية. هذا القرا يجب أن نفهمه ليس فقط من منطلق الالتزام الأيديولوجى بفكر المجموعة، وإنما باعتباره نتيجة طبيعية، لشعوره المتزايد بالعزلة الاجتماعية، والتهديد. مما ضخم من شعوره بالهوية الاجتماعية وحالة التحيز داخل / خارج المجموعة. وكان حافزا له فى تكوين التحالفات مع الغير للتغلب على الشعور المتزايد بالتهديد. (نفاريت، كورزبان، فيسلر وكيريكباتريك، ٢٠٠٤). سيكولوجية التحالف إذا، يمكن أن تكون حافزا مثل الالتزام بالأيديولوجية، إذا تمكنت من إعادة الحياة مرة أخرى إلى الشبكات الإرهابية بعد توقفها عن العمل.

أصبح ريسام يلعب دور المنسق المركزى للخطة داخل المجموعة، وقد تقاسم مع زملائه المشتركين فى العملية معلومات كثيرة. وأصبح شكل المجموعة النهائى أشبه

بالبنيان التنظيمى فى شكله التقليدى.(انظر: الشكل ٢ , ٨) وعلى رأسه ريسام، وذلك طبقا للمعايير التقليدية لقياس المركزية.



الشكل ٢ , ٨. فبراير ١٩٩٩ - ديسمبر ١٩٩٩: وجد ريسام نفسه فى عزلة عن فريق، فاستعان بمساعدة معارفه القدامى.

وقد يبدو من سير الأمور أن ريسام قد جعل من تنفيذ الخطة الألفية مطلبه الأساسى وضالته المنشودة. وبدا وكأنه، بعد فترة من الزمن، قد اندمج بالكامل داخل هوية المجموعة وأصبح التزامه خالصا لقضيتها. (روجرز، ١٩٦١). إلا أن الواقع قد يكون مغايرا بعض الشىء. إذ تشير الدلائل إلى أن هذا التحول الكامل، لم يحدث حقيقة الأمر لريسام. إذ من الملاحظ أن ريسام قد نمى روابط متعددة مع أفراد أغلبهم أعلى مكانة منه، وإن كان قد وصل، فى ذلك الوقت، إلى مكانة تعتبر مركزية إلى حد ما، داخل المجموعة. مما جعله مسئولا قانونيا عن الاتفاقيات، وفى نفس الوقت عرضه للضغوط الاجتماعية. وقد اتضح فيما بعد أن السلطات الكندية، لم تعر هذه المجموعة أى اهتمام خاص، بل اعتبرتهم «حزمة من الصبية» كان هذا الاسم ما أطلقته عليهم. (ساجمان،

ص١٠١ -٢٠٠٤). ولم يكن من المخطط لهذه العملية أن تكون عملية انتحارية. بل إن ريسام كان يعتزم العودة بعد انتهاء المهمة إلى الجزائر مرة أخرى، وكأنه قد تغيب عنها فترة من الوقت، لقضاء مهمة سريعة. ولكن يمكن القول أيضا، إن الارتباط بالعملية، كان غير متوقع. فحنشى، مثلا قد تغيب بعض الوقت حين تلقى تدريبه فى أفغانستان ثم ما لبث أن عاد ثانيا لمجتمعه. وكان ذلك بعد حصوله على مكانة أعلى. إذا، فعلى الرغم من أن ريسام وبقية أعضاء المجموعة قد تحملوا مسؤولية الخطة بالكامل، فإنهم لم يدركوا عواقب ونتائج مثل هذه العملية إدراكا كاملا. كما أن حالة ريسام توضح لنا أن الإرهاب قد يتخذ شكلا غير شخصى، ، بشكل يجعله غير مبال بهوية العدو. وهو ما يعتبر عنصرا جاذبا لشباب غير مستقطب أو مؤمن بمذهب أو معتقد. وكل ما يهمه، هو توجيه ضربة لعدو لايكترث كثيرا بأمره. ثم ينتهى الأمر على ذلك. كما أن حالة ريسام أيضا تكشف النقاب عن أن عملية اتخاذ القرار، قد تكون تراكمية فى بعض الأحيان. فعلى الرغم من الأهمية الحيوية للقرار النهائى فى تنفيذ العملية الإرهابية، فإن هذا القرار، قد يكون، جزءًا من مجموعة من القرارات الصغيرة التى أفضت إليه فى نهاية الأمر.

مجموعة الحادى عشر من سبتمبر أو مجموعة هامبورج

ثلاثة أفراد من بين ١٩ فردا من مختطفى طائرات حادث اعتداء ١١/ ٩، كانوا ينتمون لمجموعة أخرى، تتكون من ثمانية أفراد، ومقرها هامبورج. وقد كانت هناك عدة نقاط مشتركة بين هذه المجموعة ومجموعة مونتريال. أولها أن جامع المنطقة كان مقر اجتماعاتهم فى المراحل الأولى من تكوين المجموعة. إلى جانب أن معظم أصدقاء مجموعة هامبورج كانوا قد انتقلوا إليها مهاجرين وطلابًا فى الجامعة. إلا أن نقطة الاختلاف المهمة بين المجموعتين. تمثلت فى مجموعة هامبورج، حيث كانت منذ البداية متدينة، وبالتالى لم تلفت النظر إليها أولا كمجموعة غير تقليدية أو منحرفة بشكل ما.

أما فيما يتعلق بمنطق التغيير أو الإيمان بأيديولوجية جديدة، فعلى الرغم من أن معلم المجموعة، محمد بلفاس، الذى كان متمكنا من العقيدة، وخبيرا فيها، وبالتالى تعتبر تعاليمه، وتصريحاته مصدرا موثوقا به، فإن طلابه كانت لديهم عقيدتهم الراسخة من قبل أن يأتوا إليه. وما كانت تعاليمه سوى تعميق لعقيدة مستقرة بالفعل. كانت مجموعة هامبورج تتمتع بخصائص المجموعة التقليدية مع بعض التحالفات الداخلية، نتيجة لوجود عدد من السمات المشتركة بين أفراد المجموعة، مما ساهم فى هذا التقارب. وتميز معدل نمو المجموعة بالتزايد المنتظم. وكان الأعضاء ينضمون إليها بشكل فردى. ومن مظاهر اختلاف المعاملات داخل المجموعة، أن العضو رامزى بن الشبح مثلا، كان يتبادل المعلومات مع بقية أفراد المجموعة على أساس من المساواة الاجتماعية. فى حين، كان سعيد بهاجى، وزكريا الصبار، يمتثلان للطاعة، سعيا لنيل القبول الاجتماعى داخل المجموعة. أما الوقت اللازم لقبول العضو داخل المجموعة، فكان يعتمد على قدرة العضو على التعامل مع زملائه، إلى جانب فترة اختبار يخضع لها الأعضاء حتى يتم قبولهم. مما عزز من الاستقرار والشعور بالأمان داخل المجموعة. وكانت فكرة فترة الاختبار، ذات أبعاد مهمة بالنسبة لسياسة الاختراق التى قد تتعرض لها المجموعة. ولاشك أن استقرار بنية المجموعة، يعمق من شعور الأعضاء بتقاسم هوية مشتركة. وانصهار الهوية الشخصية لكل فرد فى المجموعة، داخلها. هذا الاستقرار الاجتماعى لبنيان المجموعة يساعد على تكريس الأيديولوجية المشتركة بينهم. مما يعزز الطاعة، ويزيد من التطرف أيضا. ومن الطبيعى، أنه فى ظل بيئة منغلقة على نفسها اجتماعيا، فإن المعتقدات البديلة، والمؤثرات الأخرى يتم تجنبها بشكل عام. وبما أن التواصل بين الأفراد فى حاجة إلى معلومات جديدة («مبدأ المعلومات» أولسون وزانا، ١٩٩٣) فإن هذا يخلق ضغوطا من أجل حدوث تقدم أيديولوجي. هذا التقدم البنيانى قد يتوازى معه تقدم فى الأيديولوجية أيضا. فيثمرا دورة من الراديكالية: فتصبح المعتقدات أكثر تطرفا، وتفاقم من انعزالية المجموعة. ويواكب ذلك أيضا تعاظم أهمية

الانضمام إلى عضوية المجموعة..ومن هنا كان تصاعد الأهمية الأيديولوجية متوقفا على زيادة حالة العزلة ونمو عنصر الالتزام لدى أفراد المجموعة. وإن كان يعنى أيضا تزايد وتراكم حالة من الضغط تفصح عن نفسها فى شكل تزايد الحاجة إلى التعبير عن هوية المجموعة.

وبعد الوصول إلى مرحلة مهمة من التطور والنضج، وقرابة نهاية عام ١٩٩٩، سنحت لمجموعة هامبورج الفرصة للتعبير عن هويتها وقوة إيمانها - وكما حدث لمجموعة مونتريال.تم تقسيم الأدوار داخل المجموعة. فسافر كل من، عطا، والشيحى، وابن الشبح، وجراح، فى أول رحلة لهم إلى أفغانستان، حيث تم اختيارهم سريعا «لعملية الطائرات» (لجنة تقرير ١١/ ٩).

ورغم أن هذا التقسيم الأولى كان لأسباب عملية بحتة، فإنه ترتب عليه حدوث تصدع دائم فى صفوف المجموعة. أهمها ما حدث بين أعضائها ومعلمهم بلفاس. حيث اضطروا إلى الابتعاد عنه لأسباب تتعلق بالأمن. ومن المعروف أنه حينما تبتعد مجموعة عن معلمها، فإن ذلك يكون مؤشرا لبدء المرحلة النهائية، على منحنى تطورها، حيث تنتقل المجموعة من مرحلة الامتثال والطاعة إلى مرحلة «التحول» .

ولا شك أن مرحلة التقسيم، قد تعرض أفراد المجموعة لضغوط نفسية، نتيجة لما يعانونه من عزلة وانفصال عن بقية الأعضاء.وهذا يمكن أن يفسر لنا، ما انتاب زياد جراح من حالة نفسية، كادت تجعله ينسحب من العملية المكلف بها. إذ انعزل عن زملائه المقربين وافتقد مساندتهم الاجتماعية أثناء بقائه فى الولايات المتحدة. ويرجع الفضل فى عدم انسحابه من العملية، إلى مقابلته الشخصية ورمزى بن شبح الذى كان قد قدمه إلى المجموعة.وبالمثل تعرض نواف الحازمى من المملكة العربية السعودية، وهو أحد مختطفى الطائرات، لموقف مشابه، حينما تركه زميله خالد المضار، لزيارة عائلته فى وقت لاحق، مما عرض أمن العملية للخطر، من خلال تبادل المعلومات مع أفراد

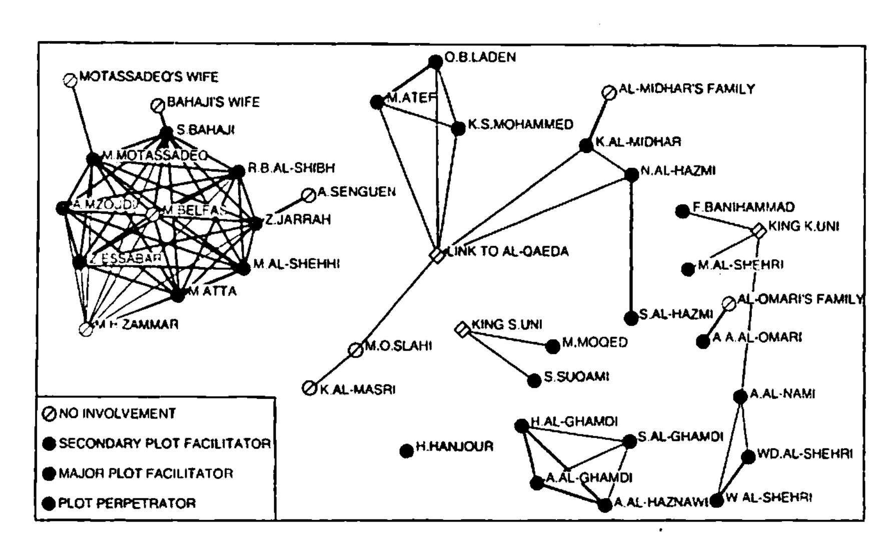
مـن خـارج المجموعة. كذلك فإن ارتبـاط جراح، وهو عضو آخـر بالمجموعة، بحبيبته أيسـال سـنجوين، قد عرض أيضا أمـن المجموعة للخطر، وقلص من حجم مسـاندته الاجتماعيـة للمجموعـة، خاصـة وأنـه ارتباط قوى ودائـم، خارج إطـار المجموعة. مما يشـكل عامـل انجذاب قوى يبعده عن المجموعة وأهدافهـا. ويعتبر المضار وجراح هما المختطفـان الوحيـدان اللذان تعرضا لمثل هذا الانجذاب خـارج إطار المجموعة. وكان جـراح قد أظهر هذا الاتجاه بعد تعرضه للفشـل فى كلية الطيران. إلا أنه حينما كان عليه الاختيار بين البقاء مع أسرته أو إنقاذ ماء وجهه والموت وسط زملائه لجأ للخيار الثانى. ولاشـك أن لجـوء كثيرمن مختطفى طائرات ١١/ ٩ إلى الاتصـال بعائلاتهم قرب موعد تنفيـذ العملية (تقريـر لجنة ١١/ ٩، ص٢٤٥) دليل على بقاء هـذا الارتباط العائلى على درجـة كبـيرة من القوة، هذا عـلى الرغم من أن المظاهر قد تدل عـلى عكس ذلك. وهذا يعنـى أن هـذه الروابط تكـون بمثابة «الـدرع الحامية» وقت الشـدائد. ولكن من ناحية أخرى، فإن متانة الروابط الاجتماعية السائدة بين زملاء المجموعة تحافظ على صلابتها، ما دام نظام المساندة الاجتماعية باقيًا داخل المجموعة على درجة عالية من الفعالية.

وجديـر بالذكـر، أنه على الرغم من أهمية اكتسـاب أفراد المجموعة للهوية المشـتركة إلى درجـة يحدث معهـا «انصهار كامل لهوية كل فرد داخلهـا»، ، وخير دليل على ذلك، (الالتزام، بل والحرص على الشهادة فى سبيل أهداف المجموعة)، فإنه من المشاهد أيضا، أن بعض الصداقات الشـخصية بين أعضاء المجموعـة تظل على درجة عالية من الولاء والإخلاص. ولهـذه النقطـة أهمية خاصـة، تظهر فى التقسـيمات الداخليـة للمجموعة، كـما تشـهد عليه العلاقـات الوثيقة التـى تكونت بين زمـلاء داخل مجموعـة هامبورج. ثـم الاختيـار النهائى لفريـق المختطفين الذى نفـذ عملية ١١/ ٩. حيـث كانت أواصر الصداقة والروابط العائلية، هى، حقيقة الأمر، أسـاس تقسيم كل فريق من المختطفين، أكثـر منـه التزامًـا بمعايير موضوعيـة فى الاختيار. وبهـذا يتضح قوة الـدور الذى تلعبه روابـط الصداقـة والروابط العائلية كجزء مـن الروابط الاجتماعية، خاصـة وأنه قد تـم الاعتماد عليها بشـكل أساسـى، فى تشـكيل فرق من الإرهابيـين الانتحاريين على أعلى مستوى من «المهنية».

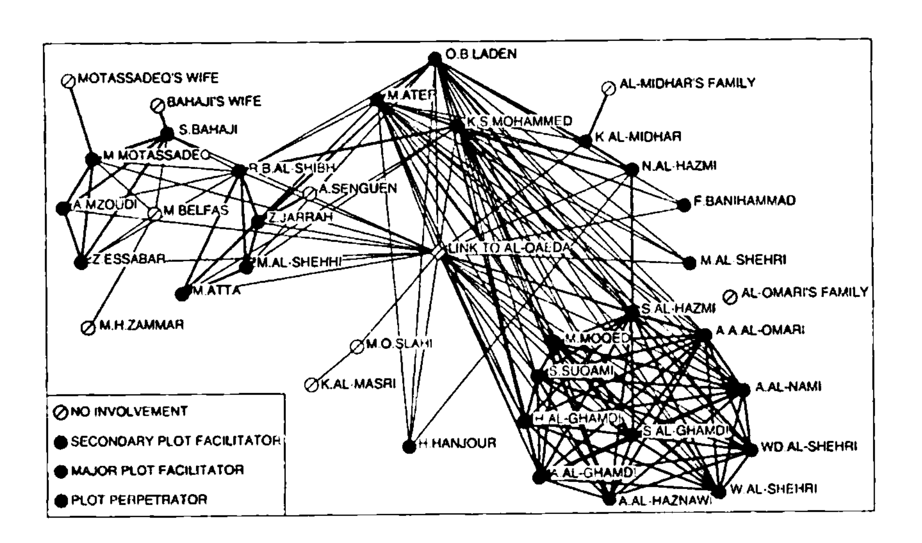
ومن المؤسف حقيقة الأمر، أنه لم يتوافر لدينا مزيد من المعلومات عن الظروف الاجتماعية التى عاشها المختطفون السعوديون، والتى أفضت إلى رحيلهم إلى أفغانستان، ثم إلى اشتراكهم فى فترة لاحقة فى عملية ١١/ ٩. وغالبا أن ما حدث، لأغلبهم، هو أنهم قد تلقوا تعليمهم على أيدى شيوخ متشددين أو أصوليين. وقد يكون ذلك مفسرا لرحيلهم بعيدا عن بلدتهم. إلا أن هذا التصور لايمكن اعتباره مفيدا بشكل خاص. ويبدو أن أغلبهم قد وصل إلى أفغانستان فى شكل مجموعات صغيرة، تلقت تدريبها هناك، ثم عملت معًا بعض الوقت، قبل أن يتم اختيارها على يد ابن لادن شخصيا، لهذه المهمة بالغة الأهمية.

ولاشك أن اختيار شخصية مؤثرة وكاريزمية مثل ابن لادن لهؤلاء الأفراد، قد خلق تجانسا شديدا، فيما بينهم، وعمق من روح الزمالة التى تربطهم. إلا أنه من المشاهد أيضا، أن المجموعة كانت دائمة التقسيم، والانتقال من منطقة إلى أخرى، والدليل على ذلك غلبة التقسيم الثنائى كشكل سائد للمجموعة، وذلك على امتداد مراحل عملية ١١/ ٩ وحتى الشكل النهائى للفريق.

وجدير بالذكر أيضا، أن المجموعة الجديدة التى وصلت إلى الولايات المتحدة ولحقت بالأعضاء القدامى الذين كانوا قد مكثوا عاما هناك قبل بدء تنفيذ العملية، قد أعطت شحنة قوية من الحماس وقوة العزيمة لزملائهم، ساعدت فى تحفيزهم. كما أكد ساجمان (ص ١٥٦-٢٠٠٤) أنه، على الرغم من عمق الشعور بهوية المجموعة، فقد كان عاملا مؤثرا، فى تكوين التوجه العام داخلها، إلى كره الغرب الذى يمثل «المجموعة الخارجية». ولكن ما دفع ١٩ رجلا إلى قتل ٣٠٠٠ شخصا أجنبيا، وقتل أنفسهم أيضا، فى نفس العملية، يرتبط أيضا بشعور الزمالة والصداقة التى ترسخت فى أعماق كل فرد منهم.



(الشـكل ٨ ، ٣) نهاية ١٩٩٨-١٩٩٩: مجموعة هامبورج (الجزء الشـمالي من الرسـم). تتطورت إلى وحدة شديدة التماسك، تلتزم بالعمل الجهادي. ومع ذلك هناك مظاهر لتحالفات داخلية مهمة.



(الشـكل ٨ ، ٤) صيف ٢٠٠٠ - وبداية عام ٢٠٠١: بدأ تصدع يظهر داخل مجموعة هامبورج، حين بدأ عطا، والشـهيى، وجـراح، يتدربون بالولايات المتحدة، وكان ابن الشـيبح يلعب دور الوصلة فيما بينهم. وهناك صداقات خاصة تكونت داخل المجموعة السـعودية (الجزء الأيمن من الرسم) وبالنسبة للأغلبية تباعدت العلاقات الأسرية.

مقارنة بين المجموعات

تبـدو مـن أول وهلة، أوجه تشـابه عديدة بين المجموعتين (انظـر: الجدول ١ , ٨). وذلك من منظور وقت التطور الذى مرتا به، إلى جانب التأثير النسبي لضعف الارتباط فى بعض الفترات وانعكاساته على النظام الاجتماعى داخل كل مجموعة، فضلا عن درجة مساهمته فى تعميق الأيديولوجية. ومن أوجه التشابه أيضا، عدد أفراد المجموعتين. وإن كانـت مجموعة مونتريال تعتبر جزءًا من شـبكة أكبر قليلا. هـذا فيما يتعلق بالاختلافات الكيفية بين المجموعات. (انظر: الشكل ٢ , ٨).

وهناك نقطة اختلاف مهمة جـدا بين مجموعتى مونتريال وهامبورج، وتتعلق بنقطة بدايـة التركيـز الأيديولوجى لكل مجموعة. فهـل كانت البداية إجراميـة أم دينية؟ فهل تكون على النقطة المتطرفة من منحنى السلوك الإجرامى، مرتفع المخاطر، أم على النقطة المتطرفة من منحنى النشـاط الدينى السياسى. وهذا بدوره يؤثر على تطور كل مجموعة، مـن ناحية هويتهـا الاجتماعية. فالجريمة من ناحية، تتطلـب إقامة علاقات كثيرة خارج المجموعة. ولا يكون لها أهمية فى التأثير على هوية أى مجموعة. فى حين أن الدين يساعد على تطوير هوية مشتركة للمجموعة. كما يسمح بعزلة اجتماعية أكبر. وهناك نقطة أخرى تتعلـق بهيكل المجموعة. وهـى الاتصالات أو الروابط الأولى لـكل مجموعة عند بداية فترة تطورها ونموها، والتى كان من الممكن أن نرصدها بوضوح أكثر بالنسبة لمجموعة مونتريـال. هـذه الاتصالات، تحدد سرعة النمو بالنسـبة لكل مجموعة عـلى مر الوقت. فقد تتراوح بين نمو متقطع إلى نمو تدريجى ومنتظم مع فترات من الاسـتقرار قد تطول أو تقـصر، قبـل بدء الحاجة إلى تجنيد أعضاء جدد. إذا فطبيعة وبنيان كل مجموعة فى فترة بداياتها يمكن أن تؤثر على شكل وطبيعة تطورها فيما بعد. وبالتالى على الشكل الهيكلى، مـع مـرور الوقت. فقد تأخـذ المجموعة شـكلا عنقوديا أوتتجه أكثر للشـكل الفردى. وكل العنـاصر السـابقة تؤثـر فى نهاية الأمـر، على السرد الشـخصى لأفـراد المجموعة، ومجمل نظرتهم لأنشطتهم الإرهابية، مما يؤثر بدوره على الهوية المشتركة للمجموعة.

من الناحية الهيكلية، فإن المجموعتين قد أظهرتا اتجاها لتعاون داخلى على المستوى العام للمجموعة. وهو عنصر مهم فى عملية التحول الراديكالى. ولكن على الرغم من هذا التماسك العام. فقد أظهرت المجموعتان أيضا مؤشرات لبعض التحالفات الداخلية، التى كانت تحكم عملية التقسيم النهائى قبل تنفيذ العمليات.

وقد كان لأعضاء المجموعتين أيضا، معلم. فبالنسبة لمجموعة مونتريال، كان كامل هو المعلم. بينما كان بلفاس معلما لمجموعة هامبورج. وقد أدت كثرة تغيب كامل، فى حالة مجموعة مونتريال إلى تقسيم دور المعلم بين مجموعة من الأعضاء الآخرين، ممن يتمتعون بمكانة خاصة، ويعتبرون قدوة بين أعضاء المجموعة. أما بلفاس فقد كان له فى البداية دور أساسي ومؤثر فى تطور المجموعة. ثم ترك للأعضاء مهمة التطوير التلقائى لأفكاره وتعاليمه. وحينما يسمح للمجموعة بذلك، فإنهم يكونون أكثر التزاما بها وحرصا على نشرها. وسواء انتهى الأمر بالتخطيط للقيام بعملية انتحارية أم لا، فإنه من المرجح أن الإقبال على تلك العمليات بكثرة، يعد مؤشرا كاشفا عن عمق التماسك الداخلى للمجموعة. وبالتالى دليلا على قوة الأيديولوجية واكتمال العناصر الهيكلية.

Table 8.1. Quantitative comparison of the Millennial and Hamburg groups

(الجدول ٨ , ١) مقارنة كمية بين مجموعة الألفية ومجموعة هامبورج.

Group Features	Millennial Plot	Hamburg Group
No. In Immediate Group>	7-14	8
No. In Operation From Group	1	4
No. Intended From Group	3	4-8
Total No. Intended	6	20
Total Operation No.	3 (50%)	19 (95%)
Average Joining Age	{28}	22.5
Age Of <Mentor>	34	50
Age Of WTD	47	37

Time 1: 1st Contact To Train	4 years	4 years
Time 2: 1st Contact To WTD	3 years	>3 years
Time 3: From Full To WTD	1 year	Few months
Time 4: From WTD To Train	<lyear	1 year
Time 5: Time in Afghanistan	11 months	2-3 months
Time 6: From Train To Op.	1 year 8 months	1 year 10 months
Time 7: End Train To Op.	9 months	1 year 7 months
Time 8: 1st Contact To Op.	<6 years	<6 years

* يتوقف حجم المجموعة على أساس ما تعطيه من معلومات خاصة بها. بالنسبة لمجموعة مونتريال غير معروف أعمار كل الأعضاء. لذا تم الاعتماد على أعمار ثمانية أعضاء للشبكة.

** فترات ضعف في الروابط بين أفراد المجموعة. مقارنة كمية بين مجموعة الألفية ومجموعة هامبورج

بالنسبة لمجموعة مونتريال فإن أعمار الأعضاء ليست كلها معروفة لذا تم الاعتماد على أعمار ثمانية أعضاء بالشبكة مقارنة نوعية بين مجموعة الألفية ومجموعة هامبورج

*** فترات ضعف في العلاقات.

Table 8.2. Qualitative comparison of the Millennial and Hamburg groups

الجدول (٨, ٢) مقارنة نوعية بين مجموعة الألفية وهامبورج

Group Features	Millennial Plot	Hamburg Group
Recent immigrants	Yes	Yes
Education	High school/colli	University
Original group setting	Criminal	Religious
Social influence	Distributed	Distilled
Pre-existing associations	Yes	No
Growth	Sporadic	Gradual
Full-clique structure	Yes	Yes

Internal alliances	Yes	Yes
Overall structure over time	Clustered	Singular
DPA>»	Yes	Yes
Religious by time of op.	Yes	Extremely
Suicide/intended	No	Yes
Success	No	Yes

استنتاجات نهائية

إذا أردنـا أن نفهم سـلوكيات هذه المجموعات، وكذلك سـلوكيات أفرادها، فلابد أن يكـون لدينـا أولا تقديـر صحيـح لعمرها، لما له مـن تأثير قوى على ذلـك، وكذلك التغـيرات المتعلقة بالبنيـان الاجتماعى لتلك المجموعات. بالإضافـة إلى أهمية أن يكون لدينـا نمـوذج يمثل تطـور المجموعة على مـر عمرها، بما يسـاعدنا فى التفسـير النظرى لملاحظاتنـا، ويكـون بمثابة أداة مفيدة لتعزيز فهمنا لسـلوك الإرهابى. وتمثل الدراسـة الحالية خطوة استكشافية فى اتجاه تطوير هذا النوع من البحث. والاستنتاجات الآتية قد تم التعرف عليها.أو تكررت؛ لذا تعتبر ذات دلالة خاصة:

- العلاقة بين الأيديولوجية والبنيان. (الهيكل).
- توزيع التأثير الاجتماعى (نموذج معلم واحد/ أو عدة معلمين).
- عملية النمو (تدريجية منتظمة أو غير منتظمة).
- التركيز على الهيكل عبر فترة من الزمان (فردى أو عنقودى).
- بنيان يمثل تفاعل بين كل أفراد المجموعة. أو وجود حالة عزلة لبعض الأعضاء .
- التحالفات الداخلية.
- WTD (عنصر فترات الضعف) وتأثيره على قوة الأيديولوجية وكدافع للمشاركة فى الأنشطة الإرهابية.
- DPA (أو التقسيم الذى يسبق العملية) وتزايد الحساسية.

وبصفـة عامة فإن هذه الاسـتنتاجات، يمكن تصنيفهـا إلى ثلاثة مجالات متداخلة من البحث:

- نقاط بداية المجموعة.
- النمو والتطور.
- والإعداد للتنفيذ.

وكلما سـنحت لنا فرصة دراسة المجموعات الإرهابية على هذا "نسق، مع الأخذ فى الاعتبار السياق الأكثر عمومية، شكل ذلك فائدة وفرصة، لعقد مقارنة بين المجموعات بهـدف التعميـم أولا ثم القدرة على التنبـؤ فيما بعد. ولا شـك أن التوصل إلى مؤشرات أساسـية لتلك المجموعات مثل المراحل المحددة للتطـور، أو أنماط الإعداد للعمليات. يفتـح لنـا المجـال لمد يـد العـون والمسـاعدة للجهات المسئولة عـن عمليـات مكافحة الإرهاب وتقييم الأخطار. ثم التدخل أخيرا على أساس معرفى سليم. وبالطبع فإن كل ذلـك يعتمد على قدرتنا على الوصول إلى منهج للبحـث، يمكن تطبيقه، على الأقل على الأحداث السـابقة. ومن المسـائل الحيوية لحدوث مثل هذا التقدم، الوصول إلى معايير الحكـم على بعض اللقاءات. والقدرة على تحديد وقياس «العزلة الاجتماعية» «ومركزية السـلوك» وإجـراء مزيـد من التحريـات بشـأن شروط ومقاييس الشـبكات الموجودة. وأخـيرا فإن تطبيق منهـج البحث، يعتمد على المعلومات المتاحة، التى تتباين بشـدة من ناحية الكم أو الكيف. إلا أن التطبيق الديناميكى للتحليل الاجتماعى الخاص بشبكات المجموعـات الإرهابيـة، يعتبر مبـشرا وواعـدا بمزيد مـن الفهم للإرهاب وسـلوكياته بشكل عام. وبالتالى القدرة على مكافحته.

المراجع

Borgatti, S., Everett, M., & Freeman, L. (2002). *Ucinet 6.109 for Windows: Software for social network analysis.* Harvard, MA: Analytic Technologies.

Carley, K. (1990). Group stability: A socio-cognitive approach. *Advances in Group Processes, 7*, 1–44.

House of Commons (2006). *Report of the Official Account of the Bombings in London on 7th July 2005.* Ordered by the House of Commons to be printed 11 May 2006. London: The Stationery Office.

Janis, I. (1982). *Groupthink: Psychological studies of policy decisions and fiascoes* (2nd ed.). Boston, MA: Houghton-Mifflin.

Kidwell, J., Dunham, R., Bacho, R., Pastorino, E., & Portes, P. (1995). Adolescent identity exploration: A test of Erikson's theory of transitional crisis. *Adolescence, 30*, 785–793.

Kirby, A. (2007). The London Bombers as 'Self-Starters': A case study in indigenous radicalization and the emergence of autonomous cliques. *Studies in Conflict & Terrorism, 30*, 415–428.

Krebbs, V. (2002). Mapping networks of terrorist cells. *Connections, 24*, 43–52.

McAllister, B. (2004). Al-Qaeda and the Innovative Firm: Demythologising the network. *Studies in Conflict & Terrorism, 27*, 297–319.

Mishal, S., & Rosenthal, M. (2005). Al-Qaeda as a Dune Organisation: Toward a typology of Islamic terrorist organisations. *Studies in Conflict & Terrorism, 28*, 275–293.

Navarette, C., Kurzban, R., Fessler, D., & Kirkpatrick, L. (2004). Anxiety and intergroup bias: Terror management or coalitional psychology? *Group Processes and Intergroup Relations, 7*, 370–397.

Olson, J., & Zanna, M. (1993). Attitudes and attitude change. *Annual Review of Psychology, 44*, 117–154.

Rogers, C. (1961). *On becoming a person.* Boston: Houghton Mifflin.

Sageman, M. (2004). *Understanding terror networks.* Philadelphia: University of Pennsylvania Press.

Tuckman, B. (1965). Developmental sequence in small groups. *Psychological Bulletin, 63*, 384–399.

Voci, A. (2006). Relevance of social categories, depersonalization and group processes: Two field tests of self-categorization theory. *European Journal of Social Psychology, 36*, 73–90.

Wasserman, S., & Fauss, K. (1994). *Social network analysis.* Cambridge, MA: Cambridge University Press.

الفصل التاسع

دراسة حالة- عصابات الشباب والإرهاب بالشيشان: التجنيد والأنشطة والشبكات[1]

مايكل فيشنفيسكى

نبذة: فى هذا الفصل نحاول تحليل ظاهرة اشتراك شباب الشيشان فى أنشطة إرهابية. ومن خلاله نتعرف على كيفية تحول مجموعتين من الشباب، تتراوح أعمارهما بين الرابعة عشرة والثامنة عشرة إلى التورط فى أنشطة إرهابية. وما هى أنواع الأنشطة التى اشتركا فيها، بالإضافة إلى مراكزهما داخل الشبكة الإرهابية. وقد تم دراسة العوامل التى شجعت على تورطهما فى هذه الأنشطة، بالإضافة إلى محاولة استكشاف الدور الذى يلعبه العنف داخل عصابات الشباب، والعلاقة بين عصابات الشباب وعصابات الجريمة المنظمة. وقد تم جمع المعلومات، بالاعتماد على مصادر غير سرية، وأثناء إجراء أنشطة ميدانية بروسيا. وقد كشفت النتائج أن أنشطة المجموعتين قد تباينت من ناحية درجة العنف الممارس والدوافع المحفزة على القيام بها. وكذلك تأثرت بشكل واضح بالصلات التى تربطها بالمجموعات الكبيرة من الإرهابيين الأكبر سنا.

---

(١) أود أن أوجه شكرى وتقديرى إلى البروفسور، الدكتور: سوزان كارشتيدت، المشرفة على بحثى. لتعليقها على هذا الفصل، وكذلك إلى البورفسور هانز- يورج -ألبريشت مدير معهد ماكس- بلانك للقانون الجنائى الأجنبى والدولى بفريبورج بألمانيا. وكذلك بروفسور يورى أنتونيان، رئيس الأبحاث بمعهد موسكو للتعليم الإنسانى، وأشكره على مساندته بحثى.

تقديم

تشن حكومات العالم، حاليا، ما يعرف «بالحرب على الإرهاب». وذلك واضح فى دول مثل الولايات المتحدة وروسيا. إلا أن هذه الحرب مع الأسف قد أسفرت عن انتشار مزيد من التطرف والراديكالية بين الشباب. وتشهد على ذلك أنشطة العنف والإرهاب، التى ما زالت تمارس على نطاق واسع. ومن هنا يتضح أن للإرهاب القدرة على المحافظة على عناصر قوته، بل وتجديدها، متجاوزًا إجراءات مكافحته. بل إننا لا نبالغ إذا قلنا إن إرهاب اليوم قد نما وازدهر مقارنة بإرهاب الأمس. ومن المؤشرات ذات الدلالة القوية، بناء قواعد أكبر لتجنيد عناصر إرهابية جديدة فى المستقبل. ولا يخفى أن الإرهاب يعرض حياة آلاف من الشباب الذين يشتركون فى الأنشطة الإرهابية للخطر. كما أنهم لا يحققون نموا كاملا لشخصياتهم. إن فهم وإدراك هذه الأخطار الجسيمة التى يتعرض لها شباب اليوم، جراء انخراطه فى تلك الأنشطة، تعتبر ضرورة حيوية، بل وملحة، من أجل تقليص أخطار الإرهاب، مع الأخذ فى الاعتبار، ما ساهمت فيه «الحرب على الإرهاب» من تداعيات سلبية، نحصد آثارها اليوم.

يدرس هذا البحث، تورط شباب منطقة الشيشان، وتعد من مناطق الحرب، فى الأنشطة الإرهابية. وذلك بهدف التعرف على الوسائل التى استخدمت لتجنيدهم، والأنشطة التى اشتركوا فيها، وعلاقاتهم بالشبكات الإرهابية الأكثر اتساعا. وموضوع هذا البحث ينحصر فى مجموعتين من الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين الرابعة عشرة والثامنة عشرة، والذين انخرطوا فى أنشطة اتسمت بكثير من العنف والدموية خلال فترة وجيزة من الوقت. إلى جانب أنشطة إرهابية أخرى بالشيشان عام ٢٠٠١. وكما سبقت الإشارة إليه من قبل، فإن المعلومات قد تم استياقها من مصادر غير سرية، كالصحف ووثائق وجدت بأرشيفات المحكمة. وجدير بالذكر، فإن نتائج هذا البحث يمكن أن تساهم فى فهم سياقات مماثلة عندما يتعلق الأمر بالحرب ضد الإرهاب. ويبدأ هذا البحث بنبذة مختصرة عن ظروف اشتراك شباب صغير فى حوادث العنف المنظم، كالحروب، وغيرها من النزاعات، كما يتناول العصابات المنتشرة فى دول العالم. وهدفنا من ذلك أن نضم اشتراك الشباب فى جرائم ذات طبيعة إرهابية إلى إطار نظرى أشمل

يتناول اشـتراك الشباب فى العنف بشـكل عام. ثم نعقب ذلك، بتقديم نبذه تمهيدية عن تاريخ الإرهاب فى منطقة الشيشـان، بالإضافة إلى معلومات عن الحرب على الإرهاب، كخلفية للبحث.. وأخيرا يتم التعريف بمجموعتي الشباب محل البحث وتحليلهما طبقا للعوامل التى تم تطويرها.

جنود صغار، وإرهابيون، وعصابات من الشباب العنيف

يتراوح عمر الشباب الذى ينخرط فى الصراعات المسلحة عادة بين العاشرة والثامنة عـشرة (بريت وسبيشـت، ٢٠٠٤، دودني، ٢٠٠٥). ويشـكل صغـار الإرهابيين مجرد فـرع من فروع صغار السـن الذيـن ينخرطون فى أعمال أخرى للعنـف. والذين عادة ما يمارسون أنشطتهم فى غياب الحروب. (بيركو، ٢٠٠٤). ويطلق على صغار السن الذين يشـاركون فى حروب حقيقية أو فى صراعات محلية تشـبه الحـروب، «الجنود الأطفال». ولكـن فى مناطـق الصراعـات، وحيـث الفروق بـين حالة الحـرب وحالة السـلام غير واضحـة أو ضبابيـة إلى حـد بعيد، مثل الشيشـان، فـإن الفوارق بين صغـار الإرهابيين وصغار الجنود قد لا تكون محددة المعالم بشكل واضح.

ويلاحـظ، عـادة، أن الخلفيـة التى ينحـدر منها هؤلاء الجنـود الأطفال تتسـم بفقر الأسرة المصحـوب بكثير من المشـاكل، كما فى حالـة الأسر ذات العائل الوحيد، أو التى يسـيطر عليهـا العنف الأسرى. كـما أن العلاقة بين الأطفال وذويهـم لا تكون جيدة أو وثيقـة. ويلاحـظ أيضا أن المراهقين الشـباب لا يحصلون على حقهـم فى التعليم المنتظم قبـل وبعد الانضمام إلى المجموعات المسـلحة، وبدء تورطهـم فى أعمال العنف. كما أنهم يعانـون أيضـا من ظروف اقتصادية قاسـية، أبرزهـا الجوع والحرمان مـن عناصر الحياة الإنسـانية. كالتكدس فى منازل شديدة الكثافة السـكانية.(بريت، وسبيشت، ص٤١- ٢٠٠٤، دودنى، ص٦٦-٦٩-٢٠٠٥).

وطبقا لبريت وسبيشت (٢٠٠٤)، وقد درسا حياة الشباب الصغير الذى يشترك فى الصراعات المسلحة، فإن هناك عدة عوامل تحفز هؤلاء الشباب على الاشتراك فى أنشطة

العنف أو التوررط فيها بمناطق الحروب. ومنها انعدام الشعور بالأمن جسديا، نتيجة لوجود الشباب فى قلب اضطرابات العنف. فيبدءون أولا بالانضمام إلى المجموعات المسلحة، ثم يتحولون إلى جنود لحماية أنفسهم. (بريت وسبيشت، ص٤٠-٤١، ٢٠٠٤)، انظر أيضا (دودنى ص٧٩-٢٠٠٥). وهناك أيضا الدافع الاقتصادى الذى يدفعهم إلى هذا الطريق، حيث إن الجنود يتمتعون بامتياز نسبى وقت الحروب متمثل فى حصولهم على الطعام، وبالتالى يحمون أنفسهم من خطر المجاعات، التى كثيرا ما تتعرض لها الشعوب فى مناطق الحروب.(بريت، وسبيشت، ص٤١-٢٠٠٤)، (دودنى، ص٧٩، ٢٠٠٥).

بالإضافة إلى أن هناك شبابا ينضم إلى المجموعات المسلحة مدفوعا بقناعاته الأيديولوجية، أو الرغبة فى محاربة نظام قمعى (بريت وسبيشت، ص ٢٧، ٢٠٠٤).وفى حالات أخرى يتبع الشباب أصدقاءهم أو أفراد عائلتهم المنخرطين فى أنشطة العنف. كما أن تجربة المغامرة، تعتبر مصدر جذب وإغواء للشباب، خاصة فى السن الصغيرة.

وقد أجرى بركو (٢٠٠٤)[1] مقابلات مع عدة مجموعات من الشباب الفلسطينى، ينتمون إلى أعمار مختلفة، ممن كانوا قد تم تدريبهم ليصبحوا انتحاريين، أو استشهاديين، ولكنهم فشلوا فى تنفيذ هذه المهام.وقد تم تحديد عدة عوامل تعتبر محورية فى عملية اختيار هؤلاء الشباب وتجنيدهم للقيام بالمهام الانتحارية. أول هذه العوامل، الرغبة الانتقامية لدى هؤلاء الشباب. أى الرغبة فى الانتقام من الإسرائيليين. كما أن إظهار الشجاعة الذكورية أيضا من الأسباب الأخرى التى تدفع الشباب إلى تلك الأنشطة. إلى جانب العامل الدينى، الذى يعول عليه كثير من الشباب من الجنسين، حيث إن الاستشهاد، يعنى دخول الجنة، التى يتمناها الجميع، رجالا ونساء.

ويصف بيركو حالتين، إحداهما، لصبى فى الحادية عشرة، والأخرى لصبى فى الخامسة عشرة. كان من المفترض أن يصبحا استشهاديين. (بيركو، ص١٨٤-١٩٠،

(١) قام الكاتب بالترجمات من العبرية ومن اللغة الروسية.

٢٠٠٤). وقد طلب إرهابى من ذوى الخبرة السابقة فى الأنشطة الإرهابية من الصبى الأول، أن ينقل قنبلة إلى منطقة متاريس إسرائيلية. أما الحالة الثانية فهى تكشف أن المسئولين عن تجنيد الشباب من صغار السن، قد يكونون هم أنفسهم فى مثل أعمارهم فى بعض الأحيان.. حيث إن طالبًا فى المدرسة الثانوية ويبلغ الخامسة عشرة قد تم تجنيده على يد زميل له فى الدراسة كان على اتصال بمجموعة إرهابية. وحينما طلب منه زميله أن يصبح استشهاديًا، وافق الصبى، فما كان من الآخر إلا أن أثنى عليه، ممتدحا شجاعته. وبسؤال الشاب المسئول عن التجنيد عن عزوفه هو شخصيا عن القيام بالعمليات الاستشهادية، أجاب إن خوفه من الاستشهاد هو العائق. وقد حصل هذا الشاب على مكافأة مالية من المجموعة الإرهابية مقابل مهمة التجنيد التى قام بها، كما حصل المجند للمهمة على ٣٠ دولارا، جراء تنفيذه المهمة.

يكشف أيضا البحث الذى أجراه بيركو أن تجنيد الشباب فى سن صغيرة جدا فى الأنشطة الإرهابية كان أمرا اعتيادى الحدوث. وأن القدرة على تجنيد هؤلاء الشباب كانت هى المحدد الأساسى لتنفيذ تلك العمليات. وطبقا له «فى عملى الميدانى بالشيشان، تقابلت مع عقيد متقاعد من الجيش الروسى قضى ثمانية أعوام فى الخدمة العسكرية بالشيشان أثناء الحرب. وقد كان على رأس وحدة مخابرات خاصة، ومن ضمن القصص التى شهدها، قصة صبى صغير، طلب منه أن يضع قنبلة عند أحد متاريس الجيش الروسى بالشيشان. وجاء على لسانه:

> **... رأيت ذلك بعينىّ فى الشيشان، هذا الطفل كان فى السنة الثالثة بالدراسة.... أطفال لايعبئون بشىء...لقد كنت.أنا العدو بالنسبة له.. ولا شىء غير ذلك يهم. أعطيته قطعة من الشكولاتة........كما كان مألوف الحدوث فى أول حرب نشبت بيننا. فقد كان من الشائع أن نطعم هؤلاء الأطفال، ونقدم لهم معلبات اللحم والشكولاتة. جاء إذا هذا الصبى إلى أحد مواقعنا، وقد فرحت به مجموعتنا وقالت، «ها قد حضر موسى!» كان طفلا، ربما لم يتجاوز عمره الثامنة... وقد اتضح فيما بعد، أنه كان يحمل قنبلة يدوية!. سأل أولا عن القائد،**

وقال إنه يريد أن يشكره بنفسه. فتقدم القائد إلى الأمام، وحينها، انفجر كلاهما، القائد والطفل معا!. الأطفال هنا يجرون فى كل مكان. وقد يضع بعضهم الألغام أسفل العربات المصفحة التى تنقل الجنود، وغير ذلك من أعمال...

مر الغرب، خاصة الولايات المتحدة، بتجربة العنف، التى كانت جزءًا لايتجزأ من أنشطة عصابات الشباب. وهناك عدد ضخم من الأبحاث التى توفر معلومات عن وسائل تجنيد الشباب وتدريبهم وعلاقاتهم بالمجتمع الكبير. وجدير بالذكر، أنه لا يوجد اتفاق حتى الآن على تعريف موحد لما يقصد من مفهوم كلمة «عصابة». وحقيقة الأمر فهناك العشرات من التعريفات (بال وكارى، ١٩٧٧، ديكر وفانوينكل، ١٩٩٦، سبرجل، ١٩٩٥).

ومن ضمن التعريفات، تعريف شبكة الأبحاث يوروجانج، وطبقا لها، «عصابة الشوارع، هى كل مجموعة تستطيع التكيف بصفة مستمرة مع الشارع ويعتبر ضلوعها فى أنشطة غير قانونية جزءًا من هويتها كمجموعة». (فان جمرت وفليشرص١٢-٢٠٠٥) وتركيزنا هنا ينصب على صفات أساسية مثل:١- قوة التحمل، ٢- حجم تورط المجموعة فى الأنشطة الإجرامية، وذلك بغض النظر عن درجة العنف الممارس. كما يرى كلين، (١٩٩٥)، أن تعريف عصابة الشارع يجب أن يتضمن عنصر الإجرام الممارس فى أنشطة العصابة. ويؤكد أن تركيز بحثه هو عصابات الشوارع، رغم وجود أنواع أخرى من العصاب أيضا. وهو يذكر على سبيل المثال، مجموعات حليقى الرؤوس، ، والمجموعات العنصرية، ومجموعات الدراجات، بالإضافة إلى المجموعات الإرهابية، وكلها مجموعات تختلف فى صفاتها عن مجموعات عصابات الشوارع. (كلين، ص٢٢-١٩٩٥). كما يشير كلاين، إلى عصابات الدراجات البخارية التى كان يستأجرها كارتل ميدلين للمخدرات بكولومبيا، لقتل الأفراد، ويذكر أنهم اعتادوا إطلاق الرصاص، على ضحاياهم والفرار سريعا. ويعتبرهم كلاين، عصابات إرهابية. (هيومن رايت واتش، ص٢-١٩٩٤). وجدير بالذكر، أن كولومبيا، كانت فى ذلك الوقت، فى حالة حرب ضد تكتل عصابات المخدرات، أو كارتل المخدرات، كما كانت على أعتاب حرب

أهلية، وبالتالى فإن البيئة الاجتماعية، التى كان هؤلاء الشباب يمارسون فيها أنشطتهم، لم تكن ببعيدة عن الموقف فى الشيشان.

ويكون أعضاء العصابات، عادة من الذكور صغار السن، وهم ينحدرون من أصول متدنية اجتماعيا واقتصاديا. (أوميهIII، ١٩٩٧، سبرجل، ١٩٩٥). وغالبا ما ينحدرون من أصول عرقية، مختلفة ويشكلون أقليات، وغالبا من مجتمعات المهاجرين. كما حدث فى الولايات المتحدة، خلال النصف الأول من القرن العشرين، حينما برزت عصابات من العرقيات الأيرلندية، واليهودية والبولندية، والإيطالية. (جرينان، بريتس، رش، وبركر، ٢٠٠٠، كلاين، ص٧٠-١٩٩٥). وعادة ما يتكون أعضاء هذه العصابات من المراهقين أو من الشباب صغار السن (ديكر وفان وينكل، ١٩٩٦). وقد يستمرون فترة طويلة فى نفس العصابة. فقد يمكثون حتى بلوغهم الثلاثين، وأحيانا أكثر من ذلك فى نفس المجموعة. (ديكر وفان وينكل، ١٩٩٦، كلاين١٩٩٥، سبرجل، ١٩٩٥). ولاشك، أن أسباب الانضمام إلى تلك العصابات يختلف من شخص لآخر. وطبقا لبحث أجرى يشتمل على أقوال بعض الأعضاء الفعليين فى هذه العصابات، فإن الحصول على الحماية من بطش العصابات الأخرى، من ضمن هذه الأسباب. إضافة إلى تأثير آراء زملائهم أو أفراد مجتمعهم، ممن يحظون بمكانة خاصة لديهم. ومن الأسباب أيضا، التمسك بفضيلة الشرف، وكذلك الفرص المادية، التى لن تكون متاحة إلا بالانضمام إلى عضوية العصابة.

(ديكرو فان وينكل، ١٩٩٦، إسبنسن وبيترسون-لينسكى، ٢٠٠١، ليان، ٢٠٠١) وعلى الرغم من تعدد الأسباب، فإنه مما يسهل عمليا انضمام هؤلاء الشباب، إلى عصابة ما، هو وجود قريب أو زميل لهم فى هذه العصابة. وطبقا لإسبنسن وبيترسن- لينسكى، (٢٠٠١)، فإن ٣٠٪ قد أصبحوا أعضاء؛ لأن إخوانهم أو أخواتهم كانوا أعضاء فعليين بالعصابة، بينما ٤٦ ٪ منهم قد انضموا؛ لأن صديقًا لهم عضو بها. ويقدم لنا كلاين، عدة عوامل يمكن من خلالها أن نتنبأ باحتمال انضمام الشباب لتلك العصابات، منها، تدنى مستوى الثقة بالنفس، ووجود حالة من التحدى ضد الأهل، وصعوبة أو فشل

التواصـل مـع البالغين من الأسرة، وإدراك معوقات الحصـول على وظيفة أو غيرها من الفرص. (كلاين، ص٨٠-١٩٩٥).

ومـن ضمـن الأسـباب المتعلقـة بالخلفيـة، والتى تسـاعد عـلى ظهور وتكـون هذه العصابـات، يشـدد سـبرجل، (١٩٩٥) عـلى عامـل الفـوضى الاجتماعيـة، إلى جانـب الفقـر، بالإضافة إلى انتشـار تقاليد أو عادات عرقية خاصة بثقافـة معينة. هذه الفوضى الاجتماعية، قد تكون بسـبب الهجرة أوحدوث نوع آخر «الحراك أو التغير الجماهيرى». (سـبرجل، ص ٦٩-١٩٩٥) ويؤكـد ليان أهميـة المجتمع فى عملية ظهـور العصابات. وطبقا له «فإن العصابات، تعتبر نوعًا من التأثير الجانبى لمجتمع محلى يعانى من خلل ما» (ليان، ص١٧١-٢٠٠١) ويتفق أندرسـون (١٩٩٨) مع سـبرجل فى أن ظروف البيئة مثـل حالة الفقر إلى جانب ندرة المشروعات المسـتقبلية، تعتبر مـن العوامل المهمة، التى تدفع صغار الشـباب بالولايات المتحدة من ساكنى الأحياء الفقيرة بالمدن الأمريكية إلى أحضان تلك العصابات.

الأنشطة الإجرامية للعصابات

وحقيقة الأمر، فإن بعض أنشطة العصابات، وليست كلها، تعتبر غير قانونية. فحقيقة الأمر أن أغلب أوقاتهم كانوا يقضونها فى المشاركة فى أنشطة قانونية. والتردد على أماكن تجمـع الشـباب، أو تناول الخمـور، أو لعب الرياضة. ولكن كانت الأنشـطة الإجرامية رغـم ذلك، تشـكل جزءًا مهمًا مـن حياة العصابة. ومن الأنشـطة المعتـادة: الدخول فى مشـاحنات وشـجارات مع العصابات الأخرى، والتى تفضى غالبا إلى اسـتخدام أنواع مختلفـة مـن الأسـلحة، وكذلك ارتـكاب بعض الجرائم مثـل (سرقة المحـال التجارية) وبيع المخدرات أو العقاقير. وطبقـا لكلاين، (١٩٩٥)، فإن أعضاء العصابات، «تتنوع جرائمهم بشـكل كبـير، كما تتفاوت نسـبة اسـتخدامهم للعنف بالمقارنـة بالمجموعات الأخرى (ص٧٥). «ولكن ما يجب أن يكون واضحا، هو أن أغلب سـلوكهم كان غير إجرامى، وأغلب جرائمهم لم تكن تتسم بالعنف» (ص٢٩). ومن هنا يتضح أن الجرائم

بالنسبة للعصابات تعتبر استثناء وليست قاعدة، وخاصة الجرائم التى تشوبها مظاهر العنف. ومع ذلك فإن تلك الاستثناءات لا بد من مراقبتها ورصدتها، حيث إنها قد تكون من عوامل تحول ذلك الشباب إلى الأنشطة الإرهابية.

وللتلخيص، فإن ارتكاب الجرائم بانتظام، يعتبر جزءًا أساسيا من حياة عصابات الشباب. ويجمع الفقر بين صغار الجنود وأعضاء تلك العصابات. حيث إن كليهما ينضم إلى العصابة أو يجند نتيجة لأسباب اقتصادية، أى تطلع إلى تحسين وضعه الاقتصادى. كما أن الأسباب الأيديولوجية قد تلعب أيضا دورها لدفع صغار الجنود إلى المشاركة فى أنشطة العنف. أما عامل الانتقام فقد يكون حاسما بالنسبة لشباب الإرهابيين أو صغار الجنود أو أعضاء العصابات. وكذلك تعتبر علاقات الصداقة من العناصر الميسرة إلى الانضمام لأى من تلك المجموعات. فضلا عن أن وجود المجموعات المسلحة يفتح الطريق أمام الشباب الصغير للانضمام إلى الجيش النظامى أو القوات غير النظامية. وهناك العديد من الأمثلة، لتجنيد مجموعات الجرائم المنظمة، لصغار الشباب، بغرض القتل أو للقيام بمهمة الحارس الخاص. وجدير بالذكر، أن صغار الجنود والإرهابيين، قد يعملون فى خدمة المجموعات المسلحة. فقد ينضمون إلى القوات غير النظامية للدفاع عن عصابات المخدرات أو ما يعرف بالكارتل أو الميلشيات المختلفة، أو مجموعات الإرهاب. كما نؤكد أن من الظروف الأساسية التى تمهد لظهور تلك العصابات، سيادة الفوضى الاجتماعية، وحالة مجتمع «يعانى من خلل». مما سبق، يتضح، أن هناك عناصر مشتركة تجمع بين صغار الجنود والإرهابيين وأعضاء العصابات، وأن هذه العناصر التى يشتركون فيها هى السبب فى تورطهم فى نهاية الأمر فى أنشطة عنف غالبا ما تفضى إلى تورطهم فى الإرهاب.

الإرهاب، والحرب ضد الإرهاب بالشيشان

الحرب بين روسيا والشيشان

كانت العلاقة بين روسيا والشيشان، تتميز دائما بالعنف، والصراع والقسر. وكان السبب الأساسى لذلك الصراع هو التوسع الروسى فى منطقة القوقاز (أحمددوف،

٢٠٠٦ وسيلى٢٠٠١). والذى بدأ منذ القرن السابع عشر حتى القرن التاسع عشر، ثم استمر فى القرن العشرين أيضا. فى عام ١٩٩١ انهار الاتحاد السوفيتى. وتلا ذلك حصول خمسة عشر عضوا من أعضاء جمهوريات الاتحاد السوفيتى على استقلالهم، مثل روسيا، وأوكرانيا، وكازخستان. إلا أن الجمهوريات التى كانت تتمتع بالحكم الذاتى كان لها وضع قانونى مختلف، داخل الاتحاد السوفيتى. أى أنها كانت تعتبر جزءًا لا يتجزأ من روسيا، ومنها الشيشان. وطبقا لخطط حكومة روسيا، فإن كل البلاد الحاصلة على الحكم الذاتى داخل الفيدرالية الروسية، تبقى كما هى داخل الفيدرالية. وتعتبر جزءًا من الدولة الروسية المستقلة أو الفيدرالية الروسية. وكانت الشيشان، هى الجمهورية الوحيدة داخل الفيدرالية الروسية التى أعلنت استقلالها عن روسيا ١٩٩١.

وفى عام ١٩٩٤، أرسلت حكومة الرئيس يلتسين قوات إلى الشيشان، لإجبار الجمهورية، على العودة مرة أخرى إلى الفيدرالية. وكانت هذه هى بداية الحرب الأولى بين روسيا والشيشان. والتى استمرت من ١٩٩٤ وحتى ١٩٩٦. وقد حاربت الشيشان، من أجل استقلالها تحت قيادة الرئيس ذوخار دوديف. وانتهت الحرب عام ١٩٩٦ باتفاقية خزاجفورت للسلام، التى نصت على تأجيل البت فى الوضع الرسمى للشيشان، لمدة خمس سنوات إضافية. أى حتى عام ٢٠٠١. إلا أن الخطة لم تنفذ. ثم اندلعت الحرب الثانية بين روسيا والشيشان، من جديد فى سبتمبر عام ١٩٩٩. وقد بدأ الأمر بسلسلة من الانفجارات لعدة أبنية سكانية. كما وقعت الانفجارات بمدن بوجناكس بداجستان وفولجودونسك وموسكو بروسيا. وقد اتهم الإرهابيون الشيشان بارتكاب هذه الاضطرابات التى أودت بحياة ٣٠٠ شخص وأصابت ٧٠٠ آخرين. وفى نفس الشهر، قامت قوة من الشيشان والدجستانيين، ومسلحين أجانب، باحتلال داجستان. وقد قاد هذا الاحتلال، شامل بازايف وسمير صالح عبد الله السويلم، وخطاب. بهدف تأسيس دولة إسلامية راديكالية بالشيشان وداجستان. وكانت هذه الاضطرابات الإرهابية، إلى جانب احتلال داجستان، وراء بدء الحرب الروسية الشيشانية الثانية. فى سبتمبر ١٩٩٩. وفى عام ٢٠٠٠ أعلنت الحكومة الروسية انتصارها العسكرى. ولكن فى نهاية الحرب،

تحول القتال العسكرى إلى عملية لمكافحة الإرهاب، ولاتزال مستمرة حتى اليوم. ومما يؤسف له، أن الحرب ضد الإرهاب شابها عدة انتهاكات لحقوق الإنسان، مورست ضد المواطنين على يد القوات الروسية الفيدرالية. ومنها قصف القرى بدون تمييز، إلى جانب القبض العشوائى على الرجال وممارسة وسائل التعذيب أو قتل المحتجزين. كما كانت فرق الموت تقوم بقتل المواطنين، وسرقة أو تدمير أملاكهم، ناهيك عن اقتحام ديارهم، واستباحة الاعتداء على النساء والرجال (بوليتيكوفسكايا، ٢٠٠٧) حاليا، تحكم الشيشان حكومة شيشانية، موالية لموسكو وتعتبر جمهورية الشيشان جزءًا من الفيدرالية الروسية. وهى منطقة محظورة داخل روسيا، مما يعنى أن هناك قيودا مفروضة على التغطية الإعلامية إلى جانب إجراءات مقيدة للزيارات.

ولا تزال التعديات والانتهاكات تمارس ضد المواطنين الشيشان. وإن كانت هذه المرة، تمارس برعاية الحكومة الشيشانية الجديدة ومساندتها (هيومن رايت واتش، ٢٠٠٦، بوليتيكوفسكايا، ٢٠٠٦، ٢٠٠٧)

الإرهاب بالشيشان

وطبقا لمورفى (٢٠٠٤)، فإن هناك ثمانية أنشطة إرهابية ارتكبت على يد إرهابيين من الشيشان بين عامى ١٩٩١، و١٩٩٤. هذه الأنشطة استخدمت التكتيكات والوسائل الإرهابية. خاصة اختطاف الرهائن والمطالبة بالفدية، بالإضافة إلى اختطاف الطائرات والحافلات وعلى متنها مسافرون. وقد أسفرت تلك الأنشطة عن وفاة أربعة أفراد وإصابة تسعة عشر آخرين. بالإضافة إلى ملايين من الدولارات، التى دفعت للمختطفين كفدية. ومن هذه الأنشطة الإرهابية، اختطاف طائرة مدنية فى نوفمبر ١٩٩١، وقد نفذت العملية احتجاجا على الوجود الروسى بالشيشان. وهناك العديد من حوادث الاختطاف الأخرى، كان الغرض الأساسى منها المطالبة بالفدية. وهناك أكثر من ٦٠ نشاطا إرهابيا داخل وخارج الشيشان قد تم ارتكابه على يد الإرهابيين الشيشان، بين عامى ١٩٩٥ وعام ١٩٩٩، بالإضافة إلى ما يربو على ٨٠ حادثا إرهابيا تم ارتكابه بين

عامى ٢٠٠٠ و٢٠٠٤. (مورفى، ٢٠٠٤) ويذكر مورفى ما يزيد عن ١٥٠ حادثا إرهابيًا، متنوعا،.وكلها حوادث تشير إلى تورط الشيشان بشكل أو بآخر. وقد وقعت بين عامى ١٩٩١ و٢٠٠٤.وجدير بالذكر أن أخطر هذه العمليات الإرهابية على الإطلاق، حادثا حصار مسرح دوبوفكا بموسكو فى أكتوبر ٢٠٠٢، وعملية اختطاف الرهائن بمدرسة فى بسلان، شمال أوستيا فى سبتمبر ٢٠٠٤. وقد حظيا بتغطية واسعة من وسائل الإعلام الدولية. وقد بدأت العمليات الانتحارية فى عام ٢٠٠٠. ولا زالت مستمرة منذ ذلك الحين. وطبقا لسبيكهارد وأخميدوفا (ص١٣-٢٠٠٦)، فإن ٢٨ حادثا انتحاريا، قد وقعوا بالفعل بين عامى ٢٠٠٠ و ٢٠٠٥. بعد تحول القتال العسكرى الروسى بالشيشان إلى عمليات حربية ضد الإرهاب، بدأت الحركة الانفصالية فى التحول هى الأخرى. حيث بدأت القوات الفيدرالية والمحلية التابعة للحكومة فى مطاردتها ودفعها إلى منطقة الجبال. ومنذ ذلك الحين والحركة تعمل فى سرية. وحاليا يتكون الإرهاب بالشيشان من شبكة تسمى «بالجماعات»، وهى مجموعات تعمل فى سرية، وتتكون عادة من إسلاميين مسلحين أو من وهابيين. ولها اتصالات بجماعات خارج الشيشان، فى داجستان، وإنجوشيتيا، وكراشايفو - شركسيا وغيرها من جمهوريات شمال القوقاز (انظر: الموقع السرى kavkazcenter.com)

وضع الشباب بالشيشان

لاشك أن الحروب التى تعرضت لها منطقة الشيشان، أسفرت عن خسائر فادحة للشعب الشيشانى، كما أنها دمرت البنية التحتية للجمهورية. وتشهد الصور التى التقطت للعاصمة جروزنى بعد آثار التدمير التى عاشتها أثناء الحرب الأولى والثانية على ذلك. وقد غطت الصحافة الدولية هذه الأحداث تغطية شاملة. انظر: موقع ٢٠٠٠، bbc.co.uk)

وطبقا لعدة تقديرات، فإن الخسائر فى الأرواح التى تعرض لها الشعب بالشيشان، أثناء الحروب، تتراوح بين ٦٥٠٠٠ و ٧٧٠٠٠ فرد. وذلك من واقع تعداد يقترب

مـن ١٠٠٠٠٠٠ قبـل الحروب. (شـيركازوف ٢٠٠١، نوفاياجازيتـا ٢٠٠٥)، مما أثر على العديد من الأسر والعائلات؛ وبالتالى على الأطفال والشـباب .كما ترتب على ذلك أيضا تفاقم فى حالة البطالة - إذ بلغت٢, ٧٤٪ عام ٢٠٠٥ (شيرباكوفا، ٢٠٠٧). وفى أعقاب حروب الشيشان، تعرضت البلاد لخلل كبير فى العملية التعليمية والمخزون من الأدوية. وانتاب شـعب الشيشـان حالة من الصدمة النفسـية (سـبكهارد وأحمادوفان، ٢٠٠٦). ونشـأ جيل من الأطفال لم يعرف سـوى العنف منذ أن فتح عينيه على العالم. (بايـف ودانيلـوف ٢٢٤، شيكوشـيكين، ٢٠٠٣). وطبقا للبحث الـذى أجرته منظمة اليونيسـف، فـإن ٧٣٪ مـن الأطفـال الذيـن شـاركوا فى البحـث «قد تعـرض أغلبهم لعـوارض الصدمـة» و٦٢٪ « يتذكر الحرب معظم الوقـت» و٥٩٪ «يرتعد خوفا، عند سماع أصوات مفاجئة» (اليونيسف ٢٠٠٦).

وكمناطـق الحروب الأخرى، فـإن ما تعرضت له منطقة الشيشـان نتيجة للحروب الدائرة وحالة العنف، وما ترتب عليه من تدهور لظروف الحياة الاجتماعية والاقتصادية، قـد كان له تأثيره الملموس على العائلات والأفراد، وخاصة صغار السـن منهم. (بريت وسبيشـت، ٢٠٠٤ ودونـدى، ٢٠٠٥) حيث يعانى الجميع مـن انعدام الأمن والحاجة إلى الحمايـة الجسـدية. بالإضافـة إلى قصـور التعليم الـذى أصبح غير متـاح فى ظل هذه الظروف. وانتشار مظاهر الفقر والجوع. وطبقا للإحصائيات الرسمية لوزارة العمل فى الشيشان، فإن هناك ١٣٨١ يتيما، و١٩٥٣١ شبه يتيم و٢٤١٥٧ معاقا ومبتور الأعضاء. غـير ٢٤٦ طفلا تم بتر أحد أعضائهـم، أثناء عمليات مكافحة الإرهاب التى تواصلت منذ عام ٢٠٠٠ (ريجنم. رو، ٢٠٠٧). وقد أكدت الحكومة الشيشـانية «أن هناك جزءًا كبيرا من الشـعب الشيشانى يعيش فى حالة من الفقر» تنعكس، بطبيعة الحال، سلبا على مسـتوى حياة الأطفال (رجنم.رو.٢٠٠٧). وقد أعدت الحكومة الشيشانية العديد من البرامج التى تهدف إلى تقديم الخدمات والمساعدات، للأطفال وصغار السن. وتتكون مـن البرامـج التالية، «الحمايـة الاجتماعية للأطفـال مبتورى الأعضاء»، «تحسـين وضع

الأطفال الأيتام والذين لايخضعون لأية رقابة عائلية»، «التربية والتعليم»، «منع الجرائم التى يرتكبها الشباب» . وواقع الأمر، فإن اضطلاع الحكومة الشيشانية، بنفسها بهذه المسئولية، يكشف لنا عن حجم المشكلة التى يعانى منها صغار السن فى هذه المنطقة. ومنها تورط عدد كبير منهم فى أنشطة إجرامية. وقد تم تأكيد ذلك من قبل جريدة بوليتيكوسكايا (٢٠٠٧). وفيما يلى تقرير يتعلق بأطفال الشيشان وعائلاتهم:

> ... لقد استقبلنا طفل فى قرية أفيتورى، التى يقطنها ١٩٠٠٠ مواطن. وقد كان صغيرا، يشبه الدمية، فى رهافته ونحالة جسمه، ورغم أنه كان الأول على فصله، فهو لا يذهب إلى المدرسة ... إنه الفقر... والطفل لا يرتدى ملابس كافية، حيث تعانى عائلته من فقر مدقع. والدته تلازم الفراش دوما من مرض أقعدها. وهناك أربعة أفراد فى هذه العائلة. وفوق كل ذلك. اختطف الأب، من مجهولين. وهومعاق ويعمل سائق جرار. (بوليتيكوسفاكيا، ص١٣٤-٢٠٠٧).

طريقة البحث

تم تجميع بيانات هذه الدراسة أثناء عمل ميدانى بروسيا. وذلك فى إطار دراسة أوسع تتناول مجموعات الشيشان ذات الطبيعة الإرهابية.وقد اعتمد تجميع البيانات، على مصادر معلنة، طبقا لمنهج تم تطبيقه فى دراسات سابقة قام بها ساجمان (٢٠٠٤). وقد اعتمدت شخصيا على سجلات معهد موسكو للدراسات الإنسانية. IGUMO وهذه السجلات، تضم مجموعة من الجرائد ومقالات خاصة بالعلوم. والدعاوى المرفوعة، ووثائق المحكمة، المعتمدة والمعلنة. ويمكن الوصول إليها بشكل منتظم. من خلال فريق البحث بالمعهد، بقيادة البروفسور يورى أنتونيان.وقد نسق فريق البحث لمقابلات، أجريت مع محتجزين من الإرهابيين الشيشان، حيث تم إخضاعهم لعدة اختبارات سيكولوجية. كما تم استخدام هذا الملف كجزء من دراسة قاموا بها عن الإرهاب العرقى- الدينى بروسيا. (أنتونيان، ٢٠٠٦).ويعتمد هذا الفصل على ثلاث

مقالات، تتناول شبابًا صغيرًا من الشيشان، كانوا قد تورطوا فى أنشطة إرهابية، وقد نشرت أخبارهم جريدة كومرسانت باللغة الروسية عامى ٢٠٠١ و٢٠٠٢ وقد جاء الملف متضمنا لهذه المقالات. كما تم إجراء مقابلات مع خبراء أيضا، مثل مقابلة تمت مع عقيد - كولونيل سابق بالقوات المسلحة الروسية، وقد ذكرت أعلاه. كما نشرت جريدة الكومارسانت، يوم ٢٩ سبتمبر ٢٠٠١ و٢٢ و٢٤ مايو ٢٠٠٢ هذه المقالات. وتضمنت المقالات مجموعتين من الشباب، هما مجموعة «شيرنوريتشى» ومجموعة «جروزنى» وقد تم تسميتهما بناء على المكان والأصل والعملية. وتم كتابة المقالات بمناسبة قتل أحد زعماء المجموعتين على يد البوليس، بالإضافة إلى المحاكمتين اللتين تم إجراؤهما للأعضاء الذين قد قبض عليهم من المجموعتين. كما وفرت المقالات معلومات عن خلفية عائلات هؤلاء الشباب، وقدمت تقريرا عن أنشطتهم. وقد كتب هذه المقالات، الصحفيون تيمور ساميدوف، وألكسندرا لارينتسفا، وسرجى كيزين.

الإرهاب فى الشيشان ومجموعات الشباب

«مجموعة شيرنوريتشى»

كانت المجموعة تتكون من أربعة شباب من الشيشان. أحدهم فى السادسة عشرة، والآخرين فى السابعة عشرة. وكان قائد المجموعة، ويدعى كازبك زاوربيكوف وهو فى السادسة عشرة، قد ولد فى بلدة جوجتى، بالقرب من جروزنى فى عام ١٩٨٥ وقضى طفولته هناك. وليس من الواضح بالتحديد الوقت الذى أصبح فيه عضوا فى مجموعة أربى بارايف. إلا أنه غالبا لم يكن قد تجاوز الرابعة عشرة حينما تم تجنيده. ومن المعروف أن مجموعة الأربى بارايف، جزء من شبكة الأربى بارايف التى تكون منظمة واسعة وتعتبر إرهابية وإجرامية. ومن أنشطتها اختطاف الرهائن لطلب الفدية، وارتكاب الأنشطة الإرهابية ضد القوات الروسية الفيدرالية وقوات بوليس جمهوريات الحدود، مثل إنجوشيتيا. كما ارتكبت أنشطة إرهابية ضد قوات البوليس المحلى والسلطات المدنية، بالإضافة إلى المتعاونين مع الروس، وكذلك زعماء الدين بالشيشان ومسئولين

آخرين.. وكان أربى بارايف، الذى ولد عام ١٩٧٣، قد أصبح قائد الميدان فى الشيشان، ومسئولا عن الفرقة الإسلامية للشئون الخاصة فى الحرب الروسية الشيشانية الأولى. وتمت ترقيته إلى رتبة عميد الأنشطة الحربية. (دوبينن ٢٠٠١، تريبين، ٢٠٠٣).وبعد الحرب، أصبح بارايف قائدا للشبكة التى كان أحد أعضائها وتتكون من مجموعة مسلحة، إلى جانب عدة مجموعات صغيرة تتبع لها مثل مجموعة شيرنوروتشى (صاميدوف، ٢٠٠١). أما كازبك، فعلى الرغم من سنه الصغيرة، إذ لم يتجاوز الخامسة عشرة، فإنه كان على علاقة مباشرة بأربى بارايف. وقد اشترك كازبك، فى قتل الشيشان المتعاونين مع القوات الروسية الفيدرالية، وزعماء الدين المحليين وغيرهم من البارزين من رجال الدين. (لارينتسفا، ٢٠٠٢، صاميدوف، ٢٠٠١)

وعلى الرغم من صغر سنه، فإن كازبك، كان يتمتع بإعجاب الجميع، فى الأوساط العسكرية وبين الإرهابيين أيضا، بجروزنى، مما منحه سلطة قوية بينهم.(صاميدوف، ٢٠٠١). وقرابة بداية عام ٢٠٠١، تلقى أمرا من أربى بارايف بتكوين مجموعة من الشباب يترأسها شخصيا، وتصبح جزءًا من شبكة أربى بارايف. (لارينتيسفان٢٠٠٢، صاميدوف، ٢٠٠١). وقد تم تعيين كازبك «أميرا» أى زعيما إرهابيا لشيرنوريتشى، وهى ضاحية بجروزنى. وطبقا لأوامر تلقاها، ، قام بتجنيد ثلاثة طلاب بمدرسة فى شيرنوريتشى، فى السابعة عشرة من عمرهم. وكانت المجموعة تحصل على الأسلحة والدعم المالى من أربى بارايف بشكل مباشر. وتعتبر هذه المجموعة محلية التكوين وكان يتم تجنيد أعضائها، بواسطة شخص آخر يكون بالفعل عضوا بشبكة إرهابية أكثر اتساعا ولديه خبرة فى أنشطة العنف.

وقد ظلت مجموعة شيرنوريتشى، ناشطة، من شهر مايو حتى يوليو ٢٠٠١، أى قرابة ثلاثة شهور. ارتكبت أثناء هذه الفترة، ثلاث عمليات إرهابية. أولها، كانت حادثة قتل مروعة لأحد كبار السن الروس بجروزنى. وطبقا للجريدة، التى نشرت تقريرا عن المحاكمة، فقد أقر أعضاء المجموعة بارتكابهم هذا الحادث، مدفوعين، بحالة من الكراهية العرقية، تجاه الروس. (لارينتسيفا، ٢٠٠٢). أما النشاط التالى، فقد كان قتلا

مزدوجا لسيدتين، أم وابنتها. وكانت السيدتان تمارسان التجارة بسوق شيرنوريتشى. ثم راجت شائعات أنهما تبيعان المخدرات، وأن الابنة كانت تخرج مع الجنود الروس الفيدراليين. (لارينتسيفا، ٢٠٠٢). أما الحادثة الإرهابية الثالثة، فقد ارتكبت ضد شرطيين من الشيشان وهما فى طريق العودة إلى منزلهما بعد يوم عمل. حيث فتح أعضاء المجموعة النيران على سيارتهما أثناء مرورها. ولم يسفر الحادث عن قتل أى شخص. إلا أن الشرطى وسائق سيارة أخرى، قد أصيبا بإصابات بالغة.

وقد تفككت مجموعة شيرنوريتشى، فى أغسطس ٢٠٠١، حينما تم القبض على ثلاثة من أعضائها . وذلك حينما أخبر أحد الأعضاء وهو دزامبك دزاهامالدينوف فى السابعة عشرة من عمره جدته عن تورطه فى حادثة إطلاق الرصاص على سيارة البوليس. فما كان منها سوى أن أبلغت الأم، التى كانت ضابطة فى الشرطة بجروزنى. وقد أقنعت السيدتان، الشاب، بتسليم نفسه للشرطة، فأبلغ عن أسماء وأماكن إقامة بقية الأعضاء. مما أسفر عن القبض على اثنين آخرين. ولم ينجح البوليس فى القبض على كازبك زاوربيكوف، وهو زعيم المجموعة، أو بقية الأعضاء. وقد قتل كازبك بعد ذلك بشهر، على يد الشرطة عندما قاومها أثناء القبض عليه. كان ذلك على مقربة من جروزنى، فى سبتمبر ٢٠٠١.

وقد حكم على دزامبك بالسجن لمدة خمسة أعوام. وقد قضاها بسجن تابع لمستعمرة روسية.. وقررت والدته، وكان قرارا حكيما، أن ابنها سوف يكون بمأمن فى ظل هذه الظروف داخل أحد السجون عنه بخارجها. حتى وإن كان سجينًا روسيًا. وقد كانت تعمل مفتشة موارد إنسانية بقسم شرطة بجروزنى.

وفى المحاكمة عبرت عن ذلك، واضعة ظروف الحادث فى سياق ظروف أشمل، هى الحرب السائدة والعنف المتفشى فى الشيشان:

إن أطفالنا فى الشيشان، لم يعودوا يملكون الاختيار هذه الأيام. فأى شخص يمكن أن يصبح عضوا فى عصابة تحت ضغط الخوف أو حتى نتيجة غباء، ثم

تفـضى به الظـروف إمـا إلى المدفن أو السـجن. ولا أحد يفكر أن هـؤلاء الصبية يعيشون طفولتهم فى ظل ظروف الحرب القاسية.

ويتفق تصريحها مع بريت وسبيشت (٢٠٠٤):

> إن الحياة فى ظل العنف المسلح، تؤثر على الشـباب، حيث تيسر لهم استخدام الأسـلحة. فالحرب تولد لديهم إحساسًـا بعدم الأمان، ومع توافر السـلاح، وفى ظل ظروف تمهد لاسـتخدامه، حيث يعتبر سـلوك العنف مشروعًا، يصبح الأمر طبيعيا ومبررا.(ص١٢)

ولا شـك أنـه فى حالـة هـذه المجموعـة، فـإن وجود مجموعـات أخرى مسـلحة فى الشيشـان، وعلى استعداد لتجنيد شـباب صغير، أتاحت أمامهم الفرصة، للاشتراك فى أنشـطة العنـف. كما أن ظروف الحـرب التى قضوا طفولتهم فى ظلها، بررت اسـتخدام العنف، بل واعتبرته غالبا سـلوكا مشروعا.. بالإضافة إلى أن وجود مجموعات إرهابية على الساحة عززت الكراهية العرقية. وكانت هذه المجموعات تستهدف الجيش أيضا، حيث اعتبرته جيش احتلال.

وكان المكلـف بعملية التجنيد فى هذه القضية هـو كازبك زاوربيكوف، وقد مارس هـذا النشـاط بناء على تزايـد الطلب على صغـار المجندين. وقد يكون قـد تلقى أوامر واضحـة مـن شـبكة إرهابية. ولاشـك أنه اسـتغل الظـروف المتاحة، حين قـام بتجنيد أعضاء جدد لهذه المجموعة.

وبينما عرف عن كازبك، زعيم العصابة، تاريخه الحافل بأنشـطة العنف، فإن ذلك لا ينطبـق بالـضرورة على بقية الأعضاء. ويزعم البعض أن كازبك، قد قتل أكثر من عشرة أفراد، قبل أن يؤسس المجموعة. كما تورط فى مقتل عدد من رؤساء البلدية، والإداريين المحليـين. (صاميدوف، ٢٠٠١). وأثناء محاكمة أرتر، أحد الأعضاء، وكان فى السـابعة عشرة من عمره، طالب بتخفيف الحكم الصادر ضده. وقد شـهدت له عمته، بسـلوكه غـير العنيـف. وقالت «إن أرتـر كان دوما صبيا رقيقا يثق بالآخريـن ويتأثر بهم سريعا»

وكان أرتر بالفعل «يرد على الأسئلة الموجهة إليه بمنتهى الهدوء وبدون ثقة» و«كثيرا ما انتابته موجات بكاء حاد أثناء محاكمته».

وقد تم الحكم عليه بسبعة أعوام من السجن بأحد سجون المستعمرة. وبدا أن سذاجة أرتر وثقته السريعة بالناس هى التى أدت إلى سهولة تجنيده على يد كازبك زاوربيكوف.

وقد قالت أم أحد أعضاء المجموعة، لصحيفة، عند صدور الحكم النهائى على ابنها، «إنهم حكموا عليه بثمانية أعوام للاشىء أو بلا سبب» (لارينتسيفا، ٢٠٠٤). ونحن لا يمكننا أن نجزم هنا، بطبيعة الأحوال، ما إذا كانت هذه الأم تقصد ذلك حرفيا، أى أنها تعتقد بالفعل أن ابنها لم يشترك بالفعل فى حوادث القتل. أم أنها تعتبر القتل وسلوك العنف شيئا طبيعيا وشرعيا أثناء الحروب. وعلى كل الأحوال، فنحن نرى أن سلوكه لايمكن أن يعادل«لاشىء». وأن هذا التصريح، قد يكشف عن مدى تأثير ظروف الحروب على تقييم سلوك العنف لدى الأفراد.

ومن المهم أن نشير هنا، أن هذه المجموعة، كانت نشيطة إرهابيا، لفترة قصيرة جدا من الزمن. وأن ما ارتكبته من أنشطة إرهابية عنيفة أو تلك التى أفضت إلى الموت، كان غالبا بدافع من الكراهية العرقية. وأنها لم تشترك قط فى أى من الأنشطة الإجرامية الأخرى. وأن ضحاياها، كانوا إما من الروس، كما فى الحالة الأولى أو من المتعاونين معهم، كما فى الحالة الثانية والثالثة. وعلى هذا الأساس فإن نمط أنشطتها يشبه أنشطة مجموعات البلدان المحتلة، التى تحاول التصدى لجيش الاحتلال. وقد كتب لارينتسيفا، (٢٠٠٢). تقريرا، ذكر فيه، أنه طبقا لجهاز الأمن الفيدرالي الروسى، فإن بعض المجموعات من الشباب صغير السن، التابعة لشبكة أربى بارايف، كانت لديها أنشطة مماثلة فى مناطق أخرى من جروزنى. إلا أنه ليس من الواضح، ما إذا كانوا يتلقون أوامر مباشرة بقتل ضحاياهم، أم كانوا يوجهون لذلك، أو كانوا يختارون أهدافهم بأنفسهم.

وهناك تشابه بين هذه المجموعات وعصابات كارتل المخدرات بمديليين بكولومبيا، التى كانت أيضا تجند صغار الشباب لممارسة أنشطة القتل. ومن هنا يمكن أن نعتبر مجموعة شيرنوريتشى، عصابة إرهابية.

«عصابة جروزنى»

كانت هذه المجموعة، تتكون من ثلاثة من شباب الشيشان. يبلغ أحدهم أربعة عشر عاما، والآخران فى الثامنة عشرة. وقد ظلت المجموعة ناشطة من يناير إلى مارس ٢٠٠١. أى ليس أكثر من ثلاثة أشهر. وهو ما يتفق تماما مع المجموعة السابقة. وطبقا لتقرير نشرته جريدة عن محاكمة عضوين بالمجموعة، (كيزين، ٢٠٠٢) أحدهما يدعى كازنبك سادجولايف، ويبلغ الثامنة عشرة، قد أخبر زميله روستم كاجداروف، وهو فى الثامنة عشرة أيضا، بكل بفخر، أنه قام بقتل سيدة مسنة، بهدف الانتقام لأصدقائه وأقاربه، الذين أصيبوا، على يد القوات الروسية أثناء الحرب.

وفى نفس الحديث، اقترح كازنبك أن يكون مجموعة هدفها الأساسى مهاجمة الروس الذين يعيشون فى جروزنى. وقد وافقه روستم وأحضر صديقا آخر فى الرابعة عشرة، ويدعى رومان مازياف. ومن الواضح أنهم سرعان ما بدءوا فى تنفيذ مهمتهم.(كيزين، ٢٠٠٢).

وقد ارتكبت المجموعة سلسلة من الاعتداءات على بعض الشخصيات من المسنين، التى تنتمى لعرقيات روسية بجروزنى، وقد شملت الاعتداءات، السرقة والتعذيب والقتل. وكان من أساليبهم، استخدام سيارة أجرة، يطوفون بها فى المدينة، للبحث عن الشخصيات الروسية من كبار السن الذين قد يكونون واقفين بشرفة منازلهم. هكذا يكون فى مقدورهم التعرف عليهم من مظهرهم. ثم يستخدمون وثائق مزورة، لاقتحام منازل الضحايا، مدعين أنهم من رجال البوليس. وطبقا للتقرير الذى نشر بالجريدة، فإن أعضاء المجموعة قد اعترفوا بارتكاب جرائمهم بدافع من الكراهية تجاه الروس، كما اعترفوا أيضا أنهم تحركوا بدافع الاستيلاء على الأموال، والأشياء الأخرى الثمينة،

التى كانت بحوزة هؤلاء الأشـخاص. وقد تفككـت هذه المجموعة فى مارس ٢٠٠١، حينها تم القبض على روستم كاجداروف ورومان مازياف، على يد البوليس. أما كازنبك سادجولايف، فقد فر هاربا ولم يتم القبض عليه.

وجديـر بالذكر، أن هـذه الاعتداءات، لا تقع بشـكل واضح داخل إطار الأنشـطة الإرهابيـة. وذلـك رغم وجـود بعـض الدوافع الأيديولوجيـة التى دفعـت لارتكابها، ولكـن الملاحـظ أنه يمكن اعتبارها مـن قبيل جرائم الكراهية العرقيـة أكثر منها جرائم ذات دوافع سياسية، كما يوضح لنا هذا التعريف عن الإرهاب طبقا للاكور:

... إن الإرهـاب قد اقـترن بكثير من التعريفات، اعتمـدت على عدة معايير. ولكن لا يمكننا، مع ذلك أن نجزم بأيها أكثر صوابا. وكل ما يمكن أن نؤكده هو أن الإرهـاب، عنف يمارس من مجموعة لتحقيق أهداف سياسـية، غالبا ما تكون موجهة ضد الحكومة، ولكن فى أحيان أخرى ضد مجموعة عرقية أخرى، أو ضد طبقة أو جنس، أو دين، أو ضد حركة سياسية. (لاكور، ص ٤٦-١٩٩٩).

جديـر بالذكـر أنـه فى حالة هـذه المجموعـة، لاتوجد أية أهـداف سياسـية، بل إن دافعهم الأساسى مبنى على الانتقام الشخصى، من قبل مؤسس المجموعة وربما فردين آخريـن. ومـن الواضح أن الرغبـة فى تحقيق الثراء، والوصول للأمـوال، بغرض شراء السـلع الاسـتهلاكية، من الدوافع المحركة أيضا لتلك الأنشـطة، إن لم تكن أهمها على الإطلاق.

وتجـدر الإشـارة إلى أن هذه المجموعـة، وخلال فترة وجودها المحـدود، لم تبدأ على الفـور بنشـاط القتـل، كما حـدث لمجموعة تشيرنوريتشـى. بـل تدرجت فى اسـتخدام العنـف. حيـث بـدأت أولا باعتـداءات ثم صعدت من عنـف أنشـطتها، إلى أن انتهت بقتـل ثلاثى. وأثناء هذه الحوادث، أمكنها حيازة أسـلحة أشـد فتـكا، حيث انتقلت إلى الأسـلحة الناريـة. وذلك على النقيض من مجموعة تشيرنورتشـى، التى كانت مسـلحة بوضـوح منـذ البدايـة، لارتباطها بشـبكة إرهابية مـن البالغين. كـما أن دوافعها، لم تكن

أيديولوجيات غامضة. وفى نفس الوقت لا يمكن الجزم بشكل مؤكد أن سرقة الأموال من أجل تحقيق الثراء كانت غايتها الأساسية. وقد استهدفت ضحاياها من كبار السن، وهى فئة من المجتمع، لا حول لها ولا قوة. إلى جانب استهدافها مجموعة أخرى ذات أيديولوجية واضحة، مثل الروس أو معاونيهم وأنصارهم. كما أن المجموعة لم تكن على اتصال بأية مجموعة أو منظمة أخرى، إجرامية أو إرهابية. بل كانت هى صاحبة المبادرة، فى كل ما تقوم به من أنشطة، وباستقلالية تامة. ويمكن أن نقارن بين أنشطة هذه المجموعة وغيرها من عصابات الشباب بأماكن كثيرة من روسيا. وربما ما يميز نشاطها عن المجموعات الأخرى، هو أنها كانت ذات توجه أيديولوجى، وإن كان ضعيفا، ونقصد بذلك، الكراهية والانتقام العرقى. وهناك مجموعات أخرى، متناثرة فى أنحاء كثيرة من روسيا، وغالبا ما ترتبط بالمكان أو بالمنطقة، وتستخدم أقصى درجات العنف، بهدف الاستيلاء على الممتلكات، أو الدفاع عن منطقتها وشرف أعضاء العصابة. ومن أنشطتها الإجرامية المألوفة، الابتزاز، والسرقة، والاعتداءات الجنسية، إلى جانب جرائم القتل.(انظر: بتروف، ٢٠٠٧، أوريفا وإيلوهينا، ٢٠٠٧)

الخلاصة

يمكن اعتبار هذه المجموعات عصابات؛ لأنها تستخدم درجات متقدمة من العنف، وتشترك فى أنشطة غير شرعية، مما يشكل جزءًا أساسيًا من هويتها. وكانت أيضا مرتبطة بالمكان بشكل واضح. بمعنى أنها فى أغلب الأحيان تنشأ فى ضاحية معينة أو حى بعينه، وتمارس أنشطتها فى نفس المكان.أو قريبا منه. كما كان الحال بالنسبة للمجموعتين السابق ذكرهما. وكما تفعل عادة عصابات الشباب. ويعرف أعضاء المجموعات بعضهم بعضا، من المدرسة، أو من الجوار. وتختلف المجموعتان من حيث صلتهما بالإرهاب أو بالشبكات الإرهابية. فقد كان زعيم مجموعة تشيرنوريتشى شابا لديه خبرة مسبقة فى أنشطة العنف المتقدمة. حيث كان أولا عضوا بمنظمة إرهابية كبيرة.وكان يعمل تحت قيادة زعيم هذه المنظمة، وهو الذى طلب منه تكوين مجموعة من الشباب. أى أن هذه المجموعة كانت تتبع منظمة إرهابية كبيرة، حيث كانت تحصل على الأسلحة

والتمويل بواسطتها. وقد قام زعيم مجموعة الشباب بتجنيد عناصر مجموعته، وقادهم إلى أنشطة العنف. ومن اللافت أنهم جميعا كانوا فى نفس السن، مما يذكرنا بالتقرير الذى كتبه بيركو (٢٠٠٤) عن الانتحاريين. أما المجموعة الثانية فقد تكونت على يد شاب لا يرتبط بأية منظمة إرهابية، وإن كان قد سيطر على سلوكه نوع من التأثر بأيديولوجيات الإرهابيين.

وهذه المجموعة الأخيرة أكثر شبها بعصابات الشوارع، كما وصفها كلاين (١٩٩٥). حيث تتميز أنشطتها بطبيعة متقطعة أو غير منتظمة. وبأنها غير متورطة بشكل منتظم مع مجموعات الجريمة المنظمة أو غيرها من مجموعات البالغين. ولكن فى مسألة التجنيد سواء لعصابات الشباب أو لمجموعات صغار الجنود، فإن عامل الصداقة يعتبر عنصرا مهمًا. تؤكده الأبحاث التى تناولت تجنيد العصابات وصغار الجنود.

ولاشك أن علاقة عصابة تشيرنوريتشى بمنظمة إرهابية إجرامية، يساهم فى تسميتها «بعصابة الشبكة الإرهابية». بما يعنى أن منشأها ودعمها جاءا على يد شبكة أكبر، وأن أنشطتها كانت تخدم مصالح هذه الشبكة. بالإضافة إلى ذلك، فإن «عصابة الشبكة الإرهابية» لم تستفد من الشبكة الأكبر من ناحية التمويل والحصول على الأسلحة فقط، ، ولكن ارتباطها بها قد وجه أنشطتها توجيها إرهابيا. حيث إن أنشطتها لم تكن تستهدف فى الأساس الاستيلاء على الممتلكات القيمة، وإنما استهدفت جرائمها بشكل جوهرى، إشاعة حالة من الترويع والفزع بين الروس وكل من يدعمهم أو يتعاون معهم. وعلى هذا الأساس فقد اصطبغت أنشطتها بصبغة إرهابية تقليدية. بينما كانت دوافع المجموعة الثانية، دوافع مبنية على الكراهية العرقية، بما يعنى أنها تأثرت؛ ولكن بشكل ضعيف بأيديولوجية سياسية إرهابية؛ ولذا يمكن أن نعرف المجموعة الثانية بأنها «عصابة مستقلة» بما أنها كانت تدير وتتحكم بنفسها، وباستقلالية تامة، فى كل أنشطتها بما فيها الجانب اللوجستى أيضا. ولم تلجأ إلى الارتباط بأية منظمة إرهابية فى أى نشاط قامت به.

ومن الملاحظ أن العمر الزمنى للمجموعتين، لم يسمح لهما باتساع مجال أنشطتهما. وكما أوضحت والدة أحد الأعضاء، فإن طفولة هؤلاء الشباب فى ظل ظروف الحرب، هى التى مهدت تورطهم فى تلك الأنشطة الإجرامية أو الإرهابية وما شابها من عنف. أى أن ظروف البيئة المحيطة قد وفرت لهم دوافع مباشرة وغير مباشرة لممارسة أنشطة العنف، ومنحت لهم المبرر الأيديولوجي، فى ظل الظروف السائدة. فلا يخفى أن استمرار الحرب بمنطقة الشيشان، أتاح سهولة الحصول على الأسلحة النارية، وأصبح استخدامها مظهرا مألوفا، من مظاهر الحياة اليومية. مما ساهم فى حدوث خلل فى وظائف الرقابة والإشراف من جانب البالغين على سلوك المراهقين. فى نفس الوقت الذى فقد فيه المجتمع أيضا سيطرته وسياسته الموجهة لهؤلاء الشباب مما ساعد على تكون هذه العصابات. كما شجع الشبان على الدخول فى دائرة الصراع ضد المحتلين، أو الانخراط فى أنشطة انتقامية بدافع الثأر لأصدقائهم أو أقاربهم. وهذ العوامل مجتمعة، ساهمت فى تكوين عصابات الشباب فى الشيشان.

ولكن هل يمكن أن نعتبر هؤلاء الشباب إرهابيين؟ على المستوى الفردى، بالطبع يمكن اعتبار كازبك زاوربيكوف، إرهابيًا. فقد كان له تاريخ فى العنف المسلح، وحصل على تقدير ورعاية منظمة إرهابية كبيرة، ويدل على ذلك تنصيبه «أميرا». وذلك، على عكس آخرين من أعضاء عصابات الشباب ممن لم تتوافر لديهم الخبرة فى العنف المسلح؛ لذا لم يتحولوا إلى إرهابيين من العيار الثقيل. بمعنى، أنهم لم يشتركوا فى أنشطة أو عمليات خطيرة مما تتطلب مهارة تكتيكية عالية، أو وضع خطط لوجيستية. أى أنهم لم يطوروا مهارات كافية تمكنهم من أن يصبحوا عصابات إرهابية على درجة من الحنكة والاحتراف، بحيث يخططون للقيام بعمليات سرية على سبيل المثال. كما أنهم لم تكن لديهم أى رؤى أو قناعات أيديولوجية عميقة. وحقيقة الأمر فقد كانوا جميعا فى سن صغيرة. أما إذا نظرنا للأمر على مستوى المجموعة، فإن مجموعة تشيرنورتشيى، يمكن تصنيفها على أساس أنها عصابة إرهابية. أما مجموعة جروزنى فيمكن تحديد مسمى لها يقع بين ثلاث صفات، عصابات الإجرام، والكراهية، والإرهاب.

من الواضح، إذا، أن الحرب ضد الإرهاب التى قادتها القوات الروسية فى الشيشان، قد وجهت هذه المجموعات من ناحية اختيار الضحايا، بالإضافة إلى نوع العنف المستخدم ضدهم. كما لا يجب أن ننسى دور إهمال المجتمع فى القيام بدوره التوجيهى فى تسهيل نشأة هاتين العصابتين. إلى جانب العنف وامتهان حقوق الإنسان الذى كان يمارس بانتظام وعلى مستوى الحياة اليومية من قبل القوات المسلحة الروسية، والذى كان له تأثير سلبى واضح على الشباب فى هذه المنطقة.

المراجع:

Akhmadov, Y. (2006). *Istoriya Chechni s drevneishih vremen i do kontza XVIII veka* [The history of Chechnya from ancient times and until the end of the XVIII century]. Retrieved August 23, 2006 from www.chechnyafree.ru/index.php?lng=rus&section=bookhisrus&row=8 [in Russian].

Anderson, E. (1998). The social ecology of youth violence. In M. Tonry, & M. H. Moore (Eds), *Youth violence* (Vol. 24). Chicago/London: The University of Chicago Press.

Antonyan, U. (Ed.) (2006). *Etnoreligiozniy Terrorizm*. Moscow: Aspekt Press [in Russian].

Baiev, K. with Daniloff, R., & Daniloff, N. (2004). *The oath: A surgeon under fire*. London: Pocket Books.

Ball, R. A., & Curry, G. D. (1997). The logic of definition in criminology: Purposes and methods for defining 'gangs'. In G. L. Mays (Ed.), *Gangs and gang behavior*. Chicago: Nelson-Hall Publishers.

bbc.co.uk (2000, 10 February). *In pictures: Grozny in ruins*. Retrieved August 23, 2007, from http://news.bbc.co.uk/2/hi/europe/638309.stm

Berko, A. (2004). *Ba Derekh le Gan Eden: Olamam shel Mihablot ve Mihablim Mitabdim ve Sholheiem*. Tel-Aviv: Miskal [in Hebrew].

Brett, R., & Specht, I. (2004). *Young soldiers: Why they choose to fight*. Boulder, Colorado: Lynne Rienner Publishers.

Cherkasov, A. (2001). *Demography, the loss of the population and migration in Chechnya. The critics of sources*. Report of the 'Memorial' Human Rights Organization. A talk at the conference in Stavropol, Russia, September 2001. Retrieved August 29, 2006, from www.memo.ru/hr/hotpoints/N-Caucas/misc/numbook.htm [in Russian].

Decker, S. H., & Van Winkle, B. (1996). *Life in the gang: Family, friends, and violence*. Cambridge: Cambridge University Press.

Dowdney, L. (2005). *International comparison of children and youth in organised armed violence*. Retrieved August 21, 2007, from www.dreamscanbefoundation.org/NeitherWarnorPeace.pdf

Dupin, S. (2001). Arbi Barayev pogib smertju 'strashnyh'. *Kommersant, 109* [in Russian].

Esbensen, F. A., & Peterson-Lynskey, D. (2001). Young gang members in a school survey. In M. W. Klein, H-J. Kerner, C. L. Maxson, & E. G. M. Weitekamp (Eds),

The Eurogang Paradox: Street gangs and youth groups in the U.S. and Europe. Dordrecht/ Boston/ London: Kluwer Academic Publishers.
Grennan, S., Britz, M. T., Rush, J., & Barker, T. (2000). *Gangs: An international approach.* New Jersey: Prentice Hall.
Human Rights Watch (1994). *Generation under fire: Children and violence in Colombia.* Retrieved August 21, 2007, from www.hrw.org/reports/1994/colombia/gener2.htm#militias
Human Rights Watch (2006). *Situacija s pytkami v Chechenskoj Respublike.* Retrieved May 18, 2007, from www.hrw.org/russian/reports/russia/2006/memo.html [in Russian].
kavkazcenter.com (2007). Retrieved June 19, 2007, from www.kavkazcenter.com
Kisin, S. (2002, 24 May). Starikov ubivali za to, chto oni ne chechncy. *Kommersant, 87* [in Russian].
Klein, M. W. (1995). *The American street gang: Its nature, prevalence, and control.* Oxford: Oxford University Press.
Laqueur, W. (1999). *The new terrorism: Fanaticism and the arms of mass destruction.* New York: Oxford University Press.
Larintseva, A. (2002). Nedetskiy Prigovor detskoy bande. *Kommersant, 85* [in Russian].
Lien, I-L. (2001). The concept of honor, conflict and violent behavior among youth in Oslo. In M. W. Klein, H-J. Kerner, C. L. Maxson, & E. G. M. Weitekamp (Eds), *The Eurogang Paradox: Street gangs and youth groups in the U.S. and Europe.* Dordrecht/ Boston/London: Kluwer Academic Publishers.
Murphy, P. J. (2004). *The wolves of Islam: Russia and the faces of Chechen terror.* Washington, DC: Brassey's.
NovayaGazeta (2005). *Arifmetika Poter. Otveti ne shodjatsa.* Retrieved August 29, 2006, from http://2005.novayagazeta.ru/nomer/2005/94n/n94n-s16.shtml [in Russian].
Oehme III C. G. (1997). *Gangs, groups, and crime: Perceptions and responses of community organizations.* Durham, NC: Carolina Academic Press.
Petrov, G. (2007). Delezh asfalta. *Ogoniok*, 6. Retrieved August 9, 2007, from www.ogoniok.ru/4982/3/ [in Russian].
Politkovskaya, A. (2006). *Karatelnyj Sgovor.* Retrieved August 6, 2007, from http://2006.novayagazeta.ru/nomer/2006/74n/n74n-s11.shtml [in Russian].
Politkovskaya, A. (2007). *Za Chto.* Moscow: Novaya Gazeta [in Russian].
regnum.ru (2007, 10 May). *Razrabotana progaramma 'Deti Chechni' na 2007–2010 gody.* Retrieved June 14, 2007, from www.regnum.ru/news/district-nkavkaz/chechnya/825050.html [in Russian].
Sageman, M. (2004). *Understanding terror networks.* Philadelphia: University of Pennsylvania Press.
Samedov, T. (2001). Zastrelen samyj molodoj emir. *Kommersant, 178* [in Russian].
Seely, R. (2001). *Russo-Chechen conflict 1800–2000: A deadly embrace.* London/Portland: Frank Cass.
Shekochikhin, U. (2003). *Zabytaya Chechnya: Stranitsi iz voennyh bloknotov.* Moscow: Olimp [in Russian].

Sherbakova, E. (2007). Regioni Rossii silno razlichajutsja po urovnju zanjatosti, bezrabotitsi I ispolzovaniju rabochej sily. *Demoscope Weekly*, 277–278. Retrieved June 19, 2007, from http://demoscope.ru/weekly/2007/0277/barom05.php [in Russian].

Speckhard, A., & Akhmedova, K. (2006). The new Chechen Jihad: Militant Wahhabism as a radical movement and a source of suicide terrorism in post-war Chechen society. *Democracy & Security*, *2*, 1–53.

Spergel, I. A. (1995). *The youth gang problem: A community approach*. New York/Oxford: Oxford University Press.

Trebin, M. P. (2003). *Terrorizm v XXI Veke*. Minsk: Kharvest [in Russian].

UNICEF (2006). *Chechenskaya Respublika: Vazhno ne tolko vosstanovit infrastrukturu, no i zalechit dushevnye rany*. Retrieved August 21, 2007, from www.unicef.org/russia/ru/emergency_programme_6094.html [in Russian].

Ureva, I., & Iluhina, O. (2007). Ulyanovsk: tolko fakty. *Ogoniok*, 6. Retrieved August 9, 2007, from www.ogoniok.ru/4982/2 [in Russian].

Van Gemert, F., & Fleisher, M. S. (2005). In the grip of the group. In S. H. Decke, & F. M. Weerman (Eds), *European street gangs and troublesome youth groups*. Oxford: AltaMira Press.

الفصل العاشر

عدو عدوى، هو صديقى[1]

كيفين بورجيسون وروبن فاليرى

نبـذة: يعرض هـذا الفصل ملخصًـا لتاريخ مجموعـة الأمم الآريـة، وبعض المبادئ الأساسـية للعقيـدة المسـيحية التى تشـكل هويتها. حيـث نناقش دور الهوية المسـيحية داخل هذه المجموعة. ثم يتطرق الفصل إلى التغييرات المستمرة التى تمر بها، وتعتبر هذه المجموعة من أبغض مجموعات الكراهية وأسوأها سمعة، فى التاريخ الأمريكى. ويركز هذا الفصل، على انحيازها المتزايد تجاه أحد ألد أعدائها السابقين، وهى جماعات الجهاد الإسلامى.

لاشـك أنـه فى أعقـاب اعتـداءات الحادى عشر مـن سـبتمبر ٢٠٠١، تركـز اهتمام الولايـات المتحـدة فيـما يتعلـق بمواجهـة الإرهاب، عـلى التهديـدات التـى تطالها من المجموعـات الإرهابيـة خـارج الولايـات المتحـدة. وذلك رغـم أن أكثـر الاعتداءات الإرهابية ضراوة وقسـوة، ارتكبتها مجموعات إرهابية أمريكية. مثل التفجير الذى وقع بمدينة أوكلاهوما على يد تيموثى ماكفيه، والانفجارات التى تعرضت لها المستشـفيات التى تجرى عمليات الإجهاض على يد أريك روبرت رودلف. إلى جانب حوادث القتل الجماعـى التى ارتكبها بفورد فورو. كل هؤلاء الأفـراد، كانوا، ولازالوا بالفعل ينتمون

(١) نـشرت بمجلـة journal of Behavioral Sciences ٢٠٠٦ نسـخة مختلفة نوعا ما عن هذا الفصل فى شـهر أكتوبر من عام ٢٠٠٢ .

إلى الهوية المسيحية، أو أعضاء فى مجموعة الأمم الآرية، أو الاثنين معا. وقد كشف مقال حديث بجريدة Intelligence Report (بليجواز ،جريجز وبوتوك ٢٠٠٥) أنه على مدار العقد الأخير كان هناك ما يقرب من ٦٠ حادثة إرهابية داخل الولايات المتحدة ارتكبها أفراد ينتمون لمجموعات الكراهية. وطبقا للتقرير ، فإن معظم هذه الحوادث الإرهابية المحلية كانت ذات خلفيات دينية[1].

ومن خلال بحث إثنوجرافى (وصفى) سوف نحاول دراسة تأثير هذا الانحياز ضد الأديان الأخرى على التغير الذى طرأ داخل مجموعة الأمم الآرية، خاصة فيما يتعلق بالمعتقدات الدينية لأعضائها. إلى جانب، مؤثرات أخرى تعرضت لها المجموعتان. وأخيرا نلجأ إلى نظريات اجتماعية وسيكولوجية متعلقة بالتحيز والهوية الاجتماعية والعلاقات داخل المجموعة الواحدة، لتفسير حقائق مهمة، تتعلق بكراهية أعضاء مجموعة الأمم الآرية تجاه اليهود، التى وصلت إلى حد الاستعداد للتضامن مع عدوها السابق، الجهاد الإسلامى، لإنجاز هدف مشترك لهما، وهو هزيمة اليهود.

وقد تم تجميع معلومات تضمنتها الأبحاث الخاصة بهذا الفصل على مدى أربعة سنوات بدءًا من أغسطس ٢٠٠١ أى ما يقرب من شهر قبل وقوع اعتداءات الحادى عشر من سبتمبر، وتم الانتهاء من إعدادها فى شهر أغسطس ٢٠٠٥. وقد تمت مراقبة ورصد التجمعات، والمقابلات السنوية، بالإضافة إلى المؤتمرات الصحفية. وأثناء هذه الفترة، تم إجراء مقابلات مهمة أيضا مع ما يقرب من ٢٥ عضوا من مجموعة الأمم الآرية.

نبذة عن تاريخ الأمم الآرية والهوية المسيحية.

أسس ريتشارد باتلر الأمم الآرية عام ١٩٧٣. وهو من مواليد بتت، كولورادو، وهى بلدة تبعد ما يقرب من ثلاثين ميلا عن شرق دنفر. وتنتمى عائلته إلى أصول

(١) وأثناء المقابلة، أشار أعضاء من الأمم الآرية إلى المسلمين الذين كانوا على اتصال بهم، على أنهم «جهاديون إسلاميون» لأنهم لم يكونوا يريدون الكشف عن هويتهم أو أماكنهم، سواء كانوا أفرادا أو مجموعات. وبالنسبة لهذا الفصل فسوف يقتصر الكاتب على استخدام نفس المصطلحات.

بريسبيتارية، وقد عاشت هناك بضع سنوات فقط، ، قبل أن تنتقل إلى «بلد الأربعة أركان» Four Corners country حيث عاشت هناك حتى عام ١٩٢٣ . وبعد أن فقدت عائلته مزرعتها، انتقلت للحياة فى دنفر بكولورادو، قبل أن تستقر بكاليفورنيا حتى عام ١٩٣١ . وفى أعقاب إنهاء دراسته الثانوية، انتقل باتلر إلى جامعة لوس أنجلس كوليدج. وأثناء الحرب العالمية الثانية، خدم باتلر فى السلاح الجوى. كما كان أيضا طيارا مهندسا بالهند لمدة ثمانية عشر شهرا. وقد عاد باتلر إلى الولايات المتحدة عام ١٩٤٦، حيث عمل لمدة استمرت ثمانية عشر عاما: «بإدارة مصنع متخصص فى إنتاج الأجهزة ذاتية الحركة وتجميع موتورات لأجزاء الطائرات». (باتلر، ٢٠٠١) وقد كانت هذه الفترة التى بدأ فيها باتلر وزوجته حضور كنائس متعددة الاتجاهات الدينية. وطبقا لأقوال باتلر «فإن الدين الذى كُنا نُدعى لاتباعه والإيمان به فى الكنيسة، بدا غريبا لنا، لم يكن أمريكيا، بل بدا شيوعيا. وكنا نتمنى أن نجد كنيسة تنشر تعاليم نؤمن بها، ويكون لها صدى وتأثير بداخلنا» (باتلر، ٢٠٠١).

وأثناء هذه الفترة، انخرط باتلر فى الحركة المناهضة للشيوعية. وقد قدم خدماته بلجنة مناهضة الشيوعية بكاليفورنيا. وكانت اللجنة تتطلع إلى منع تدريس الشيوعية بالمدارس. ورغم أن اقتراحها بذلك، قد وصل إلى صناديق الاقتراع، فإنه لم يحصل على أصوات كافية تسمح بتمريره. وعرف عن باتلر فى ذلك الوقت، مناهضته القوية للشيوعية. وقد بدأ بتلر أيضا يربط بين اليهود والشيوعية، ووصل إلى قناعة أن صراعه ليس مع حكومة أجنبية، بل ضد قوة معنوية أشد بأسا، ممثلة فى أبناء الشيطان- أو اليهود. وقد أكد له ذلك قائد سابق فى سلاح المشاة الأمريكى. هو الدكتور ويزلى سويفت. الذى كان السبب فى اعتناقه العقيدة المناهضة للسامية. وقد انبهر باتلر بمهارة ويزلى الخطابية وقدرته على تفسير الإنجيل. ومن المعروف أن الهوية المسيحية، التى تشكل العمود الفقرى لحركة الأمم الآرية، ترتكز على نواة تتكون من «مجموعة من المعتقدات الدينية» مثل: فترة ما قبل آدم على الأرض، ونسل الثعبان، وبيت إسرائيل، والمسيح، ومعركة أرمجدون.أو (المعركة الفاصلة بين قوى الخير وقوى الشر).

فترة ما قبل آدم: يعتقد أتباع الهوية المسيحية أن الأرض قد خلقت قبل سفر التكوين فى الإنجيل. وأنه أثناء هذه الفترة، كانت هناك أقليات على الأرض. وكانت كلها تابعة للجنس الأبيض. بالإضافة إلى إيمانهم بأن الجنس الأبيض يتفوق على غيره من الأجناس لأنه من «نسل آدم».

نسل الثعبان أو نسل الهويتين: طبقا لهذا المعتقد، فإنه نتيجة لتبادل حواء الحب مع آدم ومع الشيطان فى نفس اليوم، فإن حواء قد رزقت ثمرة هذا الحب، طفلين. أحدهما من آدم، الذى ينتمى أحفاده اليوم إلى الجنس الأنجلو سكسونى. بينما الطفل الآخر هو ابن الشيطان، ونسله هم، أبناء الشعب اليهودى. (والترز، ٢٠٠١) هذه الفكرة الأساسية فى الهوية المسيحية تؤمن أن اليهود هم أبناء الشيطان أو «النسل الثعبانى للشيطان». ومن هنا تبدأ المعركة، «لتتحقق مباركة الله» وطبقا لهم، فإن المعركة لا تزال دائرة حتى اليوم.

بيت إسرائيل: طبقا لأعضاء مجموعة الأمم الآرية، فإن تعريف إسرائيل بأنها شعب الله المختار ينبع من القومية الإسرائيلية.. أما طبقا لقومية أتباع الهوية المسيحية، فإن شعب الله المختار هم «الأمم الأنجلو ساكسونية والجرمانية والإسكندينافية».

عيسى: طبقا لأتباع الهوية المسيحية، فإن عيسى ليس يهوديا، ولكنه المسيح الذى سوف يعيد سيطرة «الجنس الأبيض» على كوكب الأرض.

أرمجدون: معركة أرمجدون، قادمة لا محالة، وسوف تقع فى الولايات المتحدة، عندما ينهض الجنس الأبيض من جديد، ويدمر كل يهود الأرض. ويحقق سيطرته على العالم.

وفى عام ١٩٦١، انضم باتلر بصفة رسمية إلى الكنيسة تحت و ء ابة الدكتور سويفت لفترة عشر سنوات. وقد أتاح له سويفت فرصة الاطلاع على مكتبته، وقام بتدريبه بمساعدة برتراند كومبارت، ليصبح قسا للهوية المسيحية. وبدأت «الصورة تتضح وتتبلور» فى ذهن باتلر، الذى انبهر بوجهة نظر العقيدة المسيحية، الخاصة باعتبار الجنس الأبيض، هو الجنس المفضل. (باتلر، ٢٠٠١) وعلى هذا فقد اعتبر الحرب

الباردة ليست ضد الشيوعيين، ولكنها ضد من يحاربون المسيح، أى ضد اليهود. هذه المعتقدات أشعلت طموحات باتلر فى الحياة. وارتبط مصيره منذ ذلك الوقت بتوسيع معرفته والإحاطة الكاملة بكل شىء خاص باليهود، ذلك الجنس البغيض.

وأصبح باتلر شبه مهوّس بالإرث الآرى. مما قاده إلى الافتتان بشخصيات مثل هتلر والإعجاب بفكرة القومية الاشتراكية. وقد تأثر باتلر بتعاليم دكتور سويفت، فاقتنع أن تشويه الجنس الآرى قد تم على يد اليهود، الذين سيطروا على الإعلام وعلى المؤسسات المالية والتعليمية وغيرها من مؤسسات أساسية بالولايات المتحدة. وبهذه السيطرة، تمكن اليهود من توجيه أفكار المجتمع الذى يعيشون فيه.والتأثير عليه.

إن ما نتلقاه من تعليم منذ الحضانة وحتى الجامعة، من قراءات ترفيهية، مثل المجلات الهزلية فى فترة الطفولة، تمثل وجهة نظر واحدة فقط. ليست وجهة نظرنا نحن فى الحياة، أى ليست النظرة الآرية، بل تمثل النظرة غير الآرية فى الحياة. إن ما يصلنا عن أنفسنا من خلال هذه الوسائل المقروءة، يوحى بأن الجنس الآرى شىء بغيض، والجميع يصدق ذلك؛ لأن الفكرة تصله من خلال الطباعة. لقد فقدنا القدرة على التفكير بأنفسنا. وهو ما كان يجب أن نتعلمه فى فترة التعليم العالى. وللأسف فمعظم الأوقات نجد أننا نلقن بدلا من أن نتعلم. (باتلر، ٢٠٠١) .

ومن عام ١٩٦٤ وحتى ١٩٧٣، كان باتلر يعمل فى مجال تحليل الأسواق والتسويق. وفى عام ١٩٦٨، أصبح من كبار المهندسين الصناعيين بشركة لوكهيد وشركائها للطيران. بمصنع بالمديل بكاليفورنيا. حيث كان العمل مكثفًا لإنتاج الطائرة L-١٠١١ (اثنتى عشرة أمة آرية) Twelve Aryan Nations.

أما سويفت فقد كان فى صراع متواصل مع مرض السكر ومشاكل أخرى خاصة بالكلى لعدة سنوات..... «قد توفى إثر نوبة قلبية، وافته وهو فى حجرة انتظار بعيادة بالمكسيك. فى الثامن من أكتوبر ١٩٧٠» (باركم، ص٦٨-١٩٧٧) وبوفاة سويفت

لم يتوفـر بشـكل فـورى من يخلفه، داخـل الحركة. « عـلى الرغم من وجـود كثيرين ممن يصلحـون لذلـك.، ويرجع ذلك إلى عدم توافر آلية تؤسـس للقيـادة داخل المجموعة» (باركم ص ٦٩-١٩٩٧)وكانت هذه المشكلة تسبب أرقا مستمرا للحركة.

كان باتلـر يؤمـن بأنه أحق فرد بخلافة سـويفت، ومـن ثم بدأ فى إلقـاء المحاضرات الأسـبوعية. ولكن نسبة الحضور بدأت تتضاءل. «ففقد حماسه، ونتيجة لذلك فقد باتلر تشجيع مجلس الكنيسة». كما زعمت ابنة سويفت أيضا «أن العضوية بالكنيسة قد بدأت بالفعـل فى التناقص».(باركـم ص ٧٠-١٩٩٧). وقد أراد باتلر إدارة الكنيسـة بطريقته، فسـعى إلى نقـل كنيسـة أنصـار عيسـى المسـيح إلى منطقة هايـدن ليك بإيداهـو. وبرغم أن باتلـر تمسـك بانتمائـه لهذه الكنيسـة، فإن مايكل باركـم (١٩٩٧)، كاتـب Religion and the radical right زعـم أن الكنيسـة لم تمنحـه قـط إجازتها..وبعـد أن ضاق ذرعا بالخلافات الداخلية، قرر باتلر إنشاء ذراع سياسية لكنيسة أنصار عيسى المسيح - الأمم الآرية. فانتقل إلى كور دالان، بإيداهو، حيث كان قد اشـترى خمسـين فدانا من الأرض، بـاع منها ٣٠، ثم بنى مجمـع الكراهية the compound of hate عـلى ما تبقى ٢٠ فدانا. وكان باتلر قد ابتدع أيضا علامة من أكثر العلامات شـهرة وترمزللكراهية، وهى علامة الجناح اليمينى لحركة النازيين الجدد. وطبقا لباتلر، فإن هذا الرمز يحمل مغزى دينيا مهماً:

> وهو على شكل مربع ذى أربعة اتجاهات. ويأخذ شكل الرقم ٢ فى الأساس. ويمثل درع الإيمان يعلوه تاج المسيح على القمة، الثالوث: الأب، والابن، والروح القدس. وسـيف الحقيقة يأتى من التاج. و الاتجاهات الأربعة تأخذ شـكل الرقم ٢. ولدينـا الاثنتا عـشرة قبيلة لإسرائيل، ممثلة فى الأربعـة أركان. وتأتى فى مركز هـذا البعـث. وهـذه العلامة وتدعـى سواتسـيكا (الصليب المعقوف)، وسـيف الحقيقة، وهو شـديد القدسـية... أما الألـوان وهى الأحمـر والأزرق والأبيض، فهى الألوان الملكية للجنس الآرى (باتلر ٢٠٠١).

وعـلى الرغم من أن باتلر كان عنصريا، فإن معظـم الناس فى هايدن بإيداهو، تقبلوه كـما هـو، ولم يعبئوا لذلك كثيرا.. وقيل، «إن مواطنى هايدن لايك، لم ينتابهم أى قلق أو

توجس تجاه باتلر. بل كانوا ينادونه بالموقر أو «المؤمن» ويتبادلون معه التحية أو بعض الكلمات، حينما كان يتوقف بمقهى أول» (فلين وجرهارد، ص٥٥ - ١٩٨٩).

وفى يونيو ١٩٧٨، وضع باتلر على أرضه يافطة كتب عليها «الأمم الآرية». وكان ذلك بمثابة إعلان للعالم عن نشأة «الذراع السياسية لمجموعة الأمم الآرية. ومن لم يدرك ذلك فى حينه، فقد أجبرته الأحداث فيما بعد على ذلك». (فلين، وجرهارد ص٥٥-١٩٨٩).

وفى سنوات الثمانينيات، ارتكبت مجموعة الأمم الآرية عددا من الحوادث الإرهابية الداخلية بالولايات المتحدة. وبين عامى ١٩٨٣ و١٩٨٤، بدأت مجموعة سرية منشقة عن الأمم الآرية وتدعى Order، تقوم بعمليات دون علم من باتلر، كما يبدو. وقد ارتكبت هذه المجموعة عدة سرقات، بلغت ما يقرب من ١ , ٤ ملايين دولار أمريكى. ثم كونت جبهة مواجهة، بهدف تمويل حركة سيادة الجنس الأبيض الإرهابية بالولايات المتحدة. وجدير بالذكر أن مجموعة أوردر Order قد مارست تأثيرًا طاغيًا على مجموعة الأمم الآرية، وعلى حركة تفوق الجنس الأبيض بصفة عامة. حتى أن مواقع الحركة على شبكة الإنترنت، كثيرا ما كانت تقوم بعرض ضحايا حركة الأوردرعلى أنهم ضحاياها وتشجع الأعضاء على أن يحذو حذو Order فى ممارسة الأنشطة الإرهابية، كوسيلة لجمع تمويل كاف للحركة. وفى عام ١٩٨٤، تم إلقاء القبض على ١٢ عضوا من مجموعة Order. وقدموا للمحاكمة. وفى عام ١٩٨٥، صدرت ضدهم أحكام، تتعلق باتهامات بابتزاز الأموال. وحكم عليهم بفترات «تتراوح بين ٤٠ و١٠٠ عام» (تايملاين).

ولكن جدير بالذكر، أن الأنشطة الإرهابية لم تتوقف بعد الأحكام التى صدرت ضد مجموعة Order، كما يشير لنا الجدول ١ , ١٠، بل إنها تزايدت فى واقع الأمر. ونتيجة صحته المتدهورة، قرر باتلر أنه بحاجة إلى النظر فى أمر من سيخلفه فى زعامة الأمم الآرية. وقد قام بتعيين بعض الأفراد «كقادة جدد». إلا أنهم جميعا تركوا

المنظمة، بسبب عدم رضاهم عن اتجاه بعض الأعضاء. وفى نهاية أكتوبر عام ٢٠٠٠، تفاقمت الخلافات والصراعات بين أفراد الحركة. وبدأ بعض الأعضاء يعلنون عن عدم اقتناعهم بأن تكون الهوية المسيحية هى الدين المحدد لانضمام أعضاء جدد بالحركة. حيث أرادوا ضم أعضاء آخرين من مختلف دول العالم. وأصبحت الأمور أكثر تعقيدا فى أكتوبر ٢٠٠٤، حينما توفى ريتشارد باتلر. وبعد وفاته، ارتفعت أصوات بعض القادة الأعضاء بالمجموعة، مطالبة بقوة بانضمام أعضاء جدد من المسلمين، إلى مجموعتهم. بما أن العقيدتين المسيحية والإسلامية تناصبان «اليهود العداء والكراهية».

الجدول ١ , ١٠ الأنشطة الإرهابية لمجموعة تفوق الجنس الأبيض (تايملاين) Timeline

١٩٨٦: قام عضو بالأمم الآرية، وهو دافيد دور، بتفجير محكمة الكوردالين لتوصيل رسالة للحكومة بعدم التدخل فى قضية المجموعة.

١٩٩٢: «كتيبة بوب ماثيوز» ألقى القبض عليها، لتخطيطها لقتل زعماء الحقوق المدنية.

١٩٩٣: تم إلقاء القبض على شيفى كيهو، لتشكيله مجموعة مماثلة لمجموعة Order تدعى جمهورية الأمم الآرية، وقد تورطت فى سرقة عدة بنوك وحوادث اغتيال لخمس شخصيات بارزة.

١٩٩٢-١٩٩٦: تكونت مجموعة الجيش الجمهورى الآري (وتدعى أيضا Order II) وقامت بسرقة ٢٢ بنكا بهدف تمويل الأنشطة الإرهابية.

٢٠٠٣: تم القبض على عدة أعضاء من مجموعة الأمم الآرية، فى منطقة الساحل الشرقى، لتكوينهم خلية صغيرة تعمل بتجارة المخدرات لتمويل حقوق الإرهابيين.

تطورات جديدة داخل مجموعة الأمم الآرية

شعور الكراهية تجاه اليهود

طبقا لكاثلين بلى (٢٠٠٢)، فإن كل السيدات اللاتى انضممن إلى المنظمات العنصرية، تعلمن أن يكن ضد السامية. وكان أغلب من تم مقابلتهم من أعضاء الأمم الآرية من الذكور. وقد بدأ أغلبهم أولا كأعضاء فى مجموعات تناصب السود الكراهية وليس اليهود[١].

وكانت بلى، هى السيدة الوحيدة التى ناصبت اليهود الكراهية منذ البداية. وقد قادتهم جميعا رحلة الكراهية «إلى قناعة أن اليهود، حقيقة الأمر، هم من يستحقون اللوم، على ما يعانيه عالم اليوم من مشاكل»[٢]. ونذكر على سبيل المثال، ما ورد على لسان أحد أعضاء الأمم الآرية، ممن كانوا ينتمون من قبل، إلى عدة منظمات تنادى بسيادة الجنس الأبيض:

> **لقد كنت عضوا فى عدة منظمات عبر السنوات الماضية، ومنها مجموعة حليقى الرؤوس، وكلان، وغيرهما. المشكلة أنهم لا يدركون حقيقة الأمور. فهم يريدونك أن تقتنع أن السود ومواطنى أمريكا اللاتينية هم المسئولون عن مشاكل المجتمع. ولكن الواقع غير ذلك.. لقد أدركت، أخيرا، أن هناك بالتأكيد مجموعة أقوى وراء هذه المشاكل بالولايات المتحدة. واكتمل يقينى بذلك، حينما قابلت صديقا، ساعدنى على أن أفهم أن اليهود، هم القوة الحقيقية وراء الأحداث. وأنهم يستفيدون من السود والمسيحيين، فى تنفيذ برامجهم.**

إن تحول كراهيتهم إلى اليهود، هو نتاج اقتناعهم الكامل، بأن هناك مؤامرة يتزعمها اليهود. فطبقا لأعضاء الأمم الآرية، فإن الشعب اليهودى يمثل كبش فداء، وهو

---

(١) إن متوسط المنظمات التى كان عضو الحركة ينتمى إليها، هى ثلاث مجموعات كراهية، قبل أن يصبح عضوا فى الأمم الآرية.

(٢) أجريت المقابلات مع أعضاء الأمم الآرية، على أساس ضمان أن يظلوا مجهولين. وقد تم إجراء المقابلات بين أغسطس ٢٠٠٢- وديسمبر ٢٠٠٥.

بالفعل يستحق اللوم فيما يخص العديد من المشاكل. فقد كشفت نتائج المقابلات، عن قناعتهم بوجود مؤامرة يهودية، ومن دلالات ذلك تحديدا، وجود «حكومة يسيطر عليها اليهود»[1] و«إعلام يسيطر عليه اليهود». ولقد أجمع أغلب الذين أجريت معهم المقابلات، على أن الموظفين اليهود الذين كانوا يعملون بالمركز التجارى العالمى، كانوا على علم مسبق باعتداءات ١١/ ٩. وهذا ما يفسر تغيبهم عن العمل فى ذلك اليوم. وقد أكد أحد الأعضاء أن أعداد موظفى المركز من اليهود فى ذلك اليوم، كانت أقل من المعتاد. وأنهم لابد، وقد أبلغ بعضهم بعضًا، واتفقوا على عدم الذهاب للعمل فى ذلك اليوم.

... يقولون إن ٦٠٠٠ آلاف شخص قد لقوا مصرعهم فى انفجار مبنى التجارة العالمى... ولكن الواقع ليس كذلك... حيث إن آخر عدد قد صرحوا به، كان ٣٠٧٠ شخصا. وإذا نظرت إلى عدد الموظفين فى المبنى بين التاسعة إلا ربع والتاسعة والنصف، وقارنتهم بعددهم فى الأيام الأخرى، لتبين لك الفارق على الفور.. ولو سألت بعض العمال الذين سنحت لهم فرصة العمل فى المبنى؛ لأكدوا لك ذلك...

ثم إن هناك اعتقادا سائدا ومألوفا بين أعضاء الأمم الآرية أن اليهود يسيطرون على وسائل الإعلام. حتى أصبحت كلمة «إعلام» تكاد تكون مرادفة «لليهود». ويرجع ذلك إلى تمسكهم بما شاع وقت بروتوكول حكماء صهيون، من أن اليهود تحدوهم الرغبة فى السيطرة على معظم مؤسسات الدولة الاجتماعية، كالإعلام، والبنوك والمدارس والحكومة. وطبقا لبورجيسون، فمن مظاهر المؤامرة التى قد تورط اليهود فى أحداث ١١/ ٩، والمرتبطة بسيطرتهم على وسائل الإعلام، هو مزاعم شاعت عن علمهم المسبق بأحداث ١١/ ٩. وقال فى ذلك:

---

(١) بعض الأعضاء يرمزون لذلك Z.O.G أى حكومة صهيون المحتلة.

كيف يمكن تفسير، أنه بعد اعتداءات ١١/ ٩ مباشرة كانت هناك صور نشرت ليهود يرقصون فوق أسطح بعض الأبنية؟ وفى غضون دقائق معدودة، اختفت تلك الصور بالكامل؟ هذا لأن الإعلام اليهودى المسيطر أراد حجبها عن الجميع، حتى لا يفتضح أمرهم. ويعرف الجميع، أنهم كانوا وراء تلك الأحداث. فهل هذه مؤمرات حيكت ضدهم؟ بالطبع، لا، إنها وقائع.

الأمم الآرية كمنظمة ذات قاعدة مسيحية

أظهرت المقابلات التى أجريت مع أعضاء المجموعة، أن أهم ما يميز اليهود عن غيرهم هو مسألة الدين.. إن دين الأمم الآرية هو المسيحية، كما أن العنصرية وكره السامية من أهم أعمدتها. الهوية المسيحية هى إذا حجر الزاوية بالنسبة للحركة منذ أكثر من ٢٥ سنة. ومن معتقداتهم الأساسية أن شعب الله المختار (الاثنتى عشرة قبيلة المفقودة)، هو الجنس الأبيض فى العالم أو ما يعرف بالجنس الأنجلو ساكسونى. كما يؤمنون أيضا، أن هناك معركة تدور رحاها على الأرض، بين الخير والشر. وأن على الجنس الأبيض أن يتحد ضد اليهود لاستعادة حقوقه المسلوبة. وأن ذلك سيحدث حينما يعود المسيح إلى الأرض. وبالنسبة لأغلب الأعضاء وطبقا لتعاليم ريتشارد باتلر، فإن الارتباط وطيد جدا بين الهوية المسيحية والعنصرية أو معاداة السامية. وطبقا لباتلر:

أنا أؤمن بأن الدين المسيحى هو الدين الوحيد الذى يحق له أن يسود. ولا يمكن أن نسمح بأى حال بقبول انضمام شرذمة من الزنوج أعضاء بالمنظمة. فإن الأمر يتعلق بالجنس الآرى فقط وهم لا ينتمون إليه.. ولذا فإن مكانهم الطبيعى هو جهنم. بل إنهم لم يكن يحق لهم من الأساس أن يوجدوا فى هذه البلاد.

وتعكس هذه المقولة معتقدين على درجة كبيرة من الأهمية، أولهما، أن الهوية المسيحية، هى الدين الوحيد المعترف به. وبالتالى فلا يحق لأتباع أى دين آخر الانضمام إلى عضوية الأمم الآرية. والمعتقد الثانى، أن كل المسلمين سود؛ وبالتالى لا يسمح لهم

بالانضمام إلى المنظمة. وحينما لفت انتباه الشخص الذى يجرى معه الحديث، أن ليس كل المسلمين سودًا، أجاب:

أنا شخصيا، لم أر أحدا منهم بعد. وحتى إذا صدق الحديث، ففى هذه الحالة، لا بد وأن يعدموا رميا بالرصاص؛ لأنهم تخلوا عن جنسهم. فالجنس الأبيض هو نسل شعب الإنجيل المختار، وعلى الجنس الأبيض أن يفيق من غفوته، ويطالب باستعادة إرثه من أبناء الشيطان.

وعلى ذلك، وطبقا للمقولة المذكورة أعلاه، فإن مسألة العنصرية متأصلة فى الهوية المسيحية. وطبقا لمن أجرى معهم الحوار، فإن الجنس الأبيض يجب أن ينتمى إلى الدين المسيحى. والذين لا يدينون بالمسيحية منهم، يعتبرون طبقا لذلك، خائنين لجنسهم. وعلى ذلك، فإن أى دين آخر، فى هذه الحالة الإسلام، يعتبر فى نظر الأمم الآرية إثما أو خطيئة لا يجب أن يسمح به أو أن يمر دون عقاب. وأضاف:

إننا لا نسمح بانضمام من ليس مسيحيا إلى هذه المنظمة، وهذا أمر محسوم.. هناك كثير من المجموعات التى تعتقد أنها من أتباع الهوية المسيحية، وتسمح بانضمام كل من تجد لديه استعدادا لتقبل رسالة الهوية المسيحية.. ولكن هذا ليس كافيا؛ لأننا فى كل مرة نتحد مع الوثنيين أو الملحدين فإن الرب يسحب منا مباركته ونمنى بالفشل. والأمثلة كثيرة فى الكتاب المقدس.

تغيير وجهات النظر الدينية

يرى بعض أعضاء الأمم الآرية، أن مجرد الإيمان بتعاليم الهوية المسيحية بشكل أعمى، لا يخدم قضية الدين المسيحي أو رسالته. وقد عبر أحدهم عن ذلك قائلا: «لا يجب أن أكره شخصا لمجرد الكراهية. فإن الكراهية المبنية على العنصرية ضد الأجناس الأخرى، لا تقودنا إلى أى هدف» و«أنا هنا أتفق مع تعاليم الإنجيل». وعلى أساس السماح بتنوع وجهات النظر، سمحت بعض قيادات الأمم الآرية بانضمام المسلمين إلى المنظمة. واعتبروا أنهم ينفذون بذلك «بيان المهمة» لمؤسس الحركة رتشارد باتلر:

طبقـا لمؤسـس الأمـم الآرية ريتشـارد باتلـر، فإن هـذه المنظمة، تـم تكوينها كمؤسسـة للفضيلـة والأخـوة للجنـس الآرى. وقـد تكونـت فى الأصـل مـن مجموعـات صغيرة نشـأت أساسـا داخل مؤسسـات السـجون. وأصبحت فيما بعد، أكثر الوسائل فعالية لحماية الجنس الآرى الذى تم مصادرة حريته. إن القس باتلـر لم يكـن يريد لهذه المنظمـة أن تصبح فقط منظمة دينية؛ لـذا فهى اليوم أيضا لا تعتـبر فقط ذات توجه دينى. ولكن فى المـاضى، حينما كان الناس يترددون على كنيسـة أتباع السيد المسـيح بهايدن بإيداهو، كان يبدو واضحا، أن نواة المجموعة فى الأساس، كانت الإيمان بالعقيدة أو الهوية المسيحية. وقد تقرر أن تصبح الأمم الآرية، كيانين منفصلين. الكيان الأول، يمثل الأمم الآرية الأصلية، وأما الثانى، فيمثـل الجنـاح الإنجيلى من المنظمة. حيـث أصبحت أفكارنـا، ووجهات نظرنا تجـذب العديد من الأفراد ممن ينتمون إلى هويـات أخرى، وقد لايدينون بالولاء للإنجيل، ولكنهم ذو نفع وفائدة للمنظمة. ونحن نعتقد أن مؤسـس المنظمة، ما كان سيدير ظهره لهؤلاء. وكذلك قررنا نحن ألا نفعل ذلك أيضا.

وردا على سـيل من الرسـائل الإلكترونية (الإنترنت) التى وصلت إلى المنظمة، فإن المسئولين منهم قد ردوا ببيان توضيحى، يصفون فيه موقفهم غير المنحاز دينيا، بالإضافة إلى تأكيدهم أن هناك ما يؤكد أن الإنجيل يساند الجهاديين الإسلاميين:

لقد حدث سـوء تفاهـم على ما يبدو، فيـما يخص وجهة نظرنا، بشـأن تحالفنا مـع الإسـلاميين الجهاديـين. هناك مـن ادعى أننـا أصبحنا الآن منظمة إسـلامية أصولية. وهذا غير صحيح. إن منظمتنا لا تسـاند أى دين آخر. ولكن من ناحية أخـرى، وبناء على تاريخ منظمة الأمم الآرية، فإن قواعدنا وسـلوكنا، أساسـها تعاليم الإنجيـل. وتتفق آراء أعضاء المنظمة فى مجموعها، على قبول الهوية الآرية المسيحية، وتعاليم الدين المسيحى المستنيرة والمعروفة للجميع.

وقد كان لهذه التصريحات، ردود أفعال قوية، إذ أظهرت اهتماما غير عادى بحركة الأمم الآرية، من جانب أصحاب ديانات أخرى وهويات مختلفة عن الهوية المسيحية، إلى درجة أن قيادات الأمم الآرية قد خططت لإجراء اتصالات بهدف إعداد لقاءات مع قياداتها.

الكراهية المشتركة

وحينما سألت مجموعة الأمم الآرية، عن سبب مساندتها للجهاديين الإسلاميين، أجاب المتحدثون دون تردد، إن الحركة المسيحية الحالية قد ماتت بعد أن فقدت جوهرها:

> **إن أعضاء الحركة من المسيحيين البيض تنقصهم الحماسة وروح التضحية من أجل قضية يؤمنون بها. وهذا ما نجده اليوم عند المسلمين.. وحقيقة الأمر وعبر تاريخها الطويل، فقد كانت قلة قليلة من أعضاء الأمم الآرية، هى التى على استعداد للتضحية بحياتها من أجل الحركة. فإذا استطعنا أن نغرس هذه الأخلاق داخل الحركة مرة أخرى، لأستعدنا كرامتنا المفقودة، ولخسر اليهود كل الفرص أمامنا. إذ إننا سوف نحارب بكل صدق وقوة.**

وفى مواجهة بدء انهيار حركة الهوية المسيحية بأمريكا، بدأ أعضاء الأمم الآرية فى تنمية أواصر التعاون والزمالة مع الإسلاميين الجهاديين. حيث شعروا بقوة حركتهم وبحماسهم:

إن حركة الإسلاميين تسودها روابط الأخوة الوثيقة. فمهما بعدت المسافات التى تفرق بينهم، فهم لا يتهاونون فى مساعدة بعضهم البعض.. وقد كانت هذه هى مبادئ المسيحية أولا. وكانت هى تعاليم السيد المسيح لأبنائه على الأرض.

وقد تزامن مع بدء تشعب الأمم الآرية إلى ملل وطوائف دينية متعددة، إدراكها للقواسم المشتركة مع غيرها من المجموعات، فيما يخص المبادئ والقيم الأخلاقية. كما شاركت مجموعات أخرى، قناعتها بالدور الاضطهادى الذى تمارسه وسائل الإعلام فى العصر الحديث وأخيرا الكراهية المشتركة للحكومة الأمريكية.

والكلمات التالية، تعكس القناعة بأن المسلمين يشاركون الأمم الآرية، نفس القيم الأخلاقية:

تداركا لأخطائنا سابقا، فقد اتخذنا قرارنا بالتحالف مع الإسلاميين. حيث نرى تطابقا بين قيمنا الأخلاقية. كما أننا أدركنا أننا مشتركون فى العزم والإرادة، لاجتثاث هذه الشجرة المتهالكة التالفة من الحديقة، أى «اليهود». نحن إذا حلفاء فى كرهنا لليهود. كما أن الإسلام لم يدنس بالغزو اليهودى. ومن هنا كان احتفاظ الجهاديين بالنقاء الخالص للعقيدة وسعيهم الدائم للحفاظ عليها. ومن هنا كان تقديرنا العميق لهم.

ويسترسل الحديث، فيؤكد سيطرة اليهود على وسائل الإعلام. مما يفسر الصورة السلبية التى يقدمها للعالم عن المسلمين.

لقد استخدم اليهود سيطرتهم وهيمنتهم على وسائل الإعلام، لتصوير المسلمين وكأنهم ليسوا من البشر، بل أحقر وأقل من البشر جميعا. وكأنهم وحوش ضارية. بينما أشادوا بأنفسهم وبفضائلهم التى تميزهم عن الجميع، ووجدوا تعاونا ومساندة من غيرهم من الحقراء والدونيين، لنشر معتقداتهم. ويدرك الآريون أن إسماعيل كان مباركا من ياهوا (اسم الله بالعبرية) وقد ساعده الرب وتنبأ له أن يكون القبضة التى تصمد فى وجه العدو. إن العرب والإسرائيليين من نسل إسماعيل. ولا يمكن بأى حال أن نقر بأن اليهود «محقون» بينما الرب (ياهوا) كان مخطئا.

أما الجزء التالى من الرسالة فيوضح لنا سبب تحالف الأمم الآرية مع أتباع الدين الإسلامى.

إن أتباع سيدنا إسماعيل، هم حلفاؤنا؛ لأنهم أول من تلقى ضربات جرثومة الشيطان، أى «اليهود».

أمـا الآريـون، فمصيرهـم أن يكونوا الضربـة القاضيـة لليهـود. إذ إن أطفال الرب سـوف يدمرون أعداءهم. وإسـماعيل سـوف يقف بجانب أخيه إسـحاق ليأخذ حظه مـن الانتصار والشرف. فقد بارك الله من باركه، ومنهم إسـماعيل، بينما لعن الله وحكم بالمـوت على البـذرة الشـيطانية، المعروفـة «باليهود». كل هـذه الحثالة المنتـشرة فى العالم وأتباعهم من المتعاونين المخدوعين فى الصهاينة. ولكن، مهما فعلوا ومهما أوتوا من قوة فلن يعيدوا لليهود قوتهم من جديد.

ثم تواصل الرسـالة تطمين بعض أعضاء من مجموعة الأمم الآرية، الذين يعتقدون أن الهوية المسـيحية، هى ركيزة المنظمة. مع تأكيد الترحيب بأعضاء جدد من المنتمين إلى أديان أخرى للانضمام إلى الأمم الآرية.

إن الكنيسة المسيحية، سوف تبقى هى الأساس الإنجيلى للأمم الآرية. ورغم ذلك، فإن أعضاء الأمم الآرية، سوف يواصلون ترحيبهم بالإسلاميين وغيرهم مـن أتباع الأديان الأخلاقية الأخرى للانضـمام إلى صفوفهم. وهذا ليس بالجديد عـلى المنظمة، فـكل إخواننا وأخواتنا كانوا دائما مصـدر ترحيبنا. وكما كان الحال دائـما، فـإن وجهات نظر الإنجيـل التى يتبعها أعضاء الأمم الآرية، سـوف تبقى دائما أساس وقاعدة منظمتنا.

وأخيرا، تؤكد الرسالة، أنه على الرغم من اختلاف وجهات نظر الإسلاميين والأمم الآرية فيما يخص مفهوم الجهاد، إلا أن كليهما يشـعر بتفوق يميزه ويسـمو به فوق الديانة اليهودية.

إن عـلى الإسـلاميين أن يقبلوا اختلافا محددا بيننا، وربما لايكون إسـلاميا من وجهة نظرهم. هذا الاختلاف يكمن فى الطريقة التى نتعامل نحن بها مع الجهاد. فبينما الجهاد الإسلامى، هو تطهير الأراضى الإسلامية من سيطرة أعداء الإسلام. وباكتـمال هـذه المهمة ينتهـى الجهاد، فإن الجهـاد فى مفهومنا، أكثـر تحديدا، وهو بشـكل واضح قاصر عـلى القضاء على جنس الشـيطان أو «اليهـود». وذلك عبر بلاد العالم أجمع. بدون التقيد بأية حدود مطلقا. وأى دولة تساند أو تدعم اليهود

وتقدم لهم المأوى، فسوف تخضع لضربات الجهاد. فهؤلاء لن يجدوا ملاذا، كما لم يجد المقاتلون الأحرار من الإسلاميين، ملاذا أيضا، حتى من «إخوانهم». فكل من يساند أو يأوى «اليهود» سوف نعتبره، هو الآخر منهم، ومن ثم يخضع لنفس العقاب. أو يكون عقابه أشد وطأة.. إن الأمم الآرية لن تحترم أية حدود أو أنظمة سياسية تتعاون أو تخفى الأعداء. إن القتل الجماعى لجرثومة الشيطان «اليهود» هو منتهى الأمل من جهادنا، بل هو الغاية الأساسية للأمم الآرية.

وكلا المجموعتين، تناصبان أيضا حكومة الولايات المتحدة الأمريكية الكراهية. وعدائهما لها، نابع من قناعة أن الحكومة الأمريكية التى يسيطر عليها ويديرها اليهود، تتآمر على مواطنى الدولة المسيحية والأمة العربية.

إن الولايات المتحدة تحاول أن تدمر دينهم، الإسلام. ومن خلال سيطرة اليهود، فإنها تمكنت من تحوير كلامهم لخدمة قضيتها فى الأساس وهى (سيطرة اليهود على العالم). إن الحكومة التى يديرها اليهود، تحاول التحكم فى الإسلام، كما تحكمت فينا من قبل. إن من نتكلم معهم من الإسلاميين، يريدون إسلامهم نقيا، يريدون العودة إلى «الإسلام الحقيقى» . وهم فى ذلك مثلنا. يريدون هوية إسلامية خالصة، نقية، مثلما نريد نحن «مسيحية حقيقية» تجمعنا إذا، ملامح مشتركة؛ لذا يجب ألا يحارب بعضنا بعضًا. فنحن نمثل أشكالا مختلفة من الأديان.ولكن وكما يقول لنا الإنجيل: يجب ألا نتقاتل؛ لأننا نؤمن بوجود إله واحد.

وبعقد مقارنة بين ما يتعرض له الإسلاميون حاليا على يد الولايات المتحدة، وما مرت به الأمم الآرية من قبل، فإن قيادة الأمم الآرية تؤمن بأن الجهاديين يمكنهم أن يستفيدوا من خبرتهم السابقة. وطبقا لهم «حيث إننا قد مررنا بنفس الظروف التى يمر بها الجهاديون حاليا».

الكراهية، الهوية الاجتماعية والهوية المسيحية

إن نظرة متفحصة، للهوية المسيحية، سواء كان ذلك من وجهة نظر نظرية الكراهية المزدوجة (شتيرن برج، ٢٠٠٥) أو نظرية الهوية الاجتماعية (تاجفل، ١٩٧٨، تاجفل وترنر، ١٩٧٩، تيلورو لويس، ٢٠٠٥)، فهى تكشف النقاب عن أهمية الدور الذى

تلعبه الهوية المسيحية فى تدعيم النشاط السياسى للأمم الآرية من خلال تبرير وتقنين منطق الكراهية و/ أو النظرة المتحيزة. بالإضافة إلى تعبئة الأفراد اجتماعيا فى هذا الاتجاه.

وطبقا لنظرية شتيرنبرج للكراهية المزدوجة (٢٠٠٣، ٢٠٠٥) فإن الكراهية ليست عكس الحب، ولا هى غياب وجود الحب. ولكنها، مرتبطة بالحب وإن كان ذلك بشكل نفسي مركب. والكراهية تشبه الحب من ناحية اشتمالها على ثلاثة عناصر : هى الحميمية، والعاطفة، والالتزام. ولكن على عكس الحب، فإن أساس الكراهية، هو إنكار هذه العناصر الثلاث. وكما أن هناك قصصًا للحب، فإن هناك أيضا، قصصًا للكراهية. وهو ما يفسر ضرورة تجنب الفرد أو المجموعة المكروهة، فضلا عن الخوف منها والإحساس تجاهها بالازدراء الشديد. (شترنبرج، ٢٠٠٥). وطبقا لشترنبرج، فإن قصص الكراهية تحقق ذلك، من خلال خمس خطوات: أولا الإفصاح عن البغض والكراهية تجاه العدو المستهدف، من خلال الكشف عن خططه ضد أعضاء المجموعة. ثم الكشف عن حجم قوة العدو. ويلى ذلك، إثبات أن العدو قد بدأ يضع خططه موضع التنفيذ. وخامسا، الكشف عن مدى نجاح العدو فى تحقيق أهدافه. وسبيل الهوية المسيحية فى تحقيق ذلك، يكون من خلال إظهار اليهود على أنهم مجموعة دون البشر، وأنهم قوم مخادعون؛ لذا فهم يستحقون الاحتقار.

إن المعتقد المسيحى الذى يصور اليهود على أنهم بذرة الثعبان، أو أنهم من نسل الشيطان، يبرز الكراهية الشديدة التى يشعر بها المسيحيون تجاه اليهود. وطبقا للعقيدة المسيحية، ، فإن اليهود ليسوا هم شعب الله المختار، بل إنهم على قناعة، كما ذكر فى الإنجيل أن «شعب الله المختار، هو الأنجلو سكسون من أصول جرمانية».كما تؤمن الهوية المسيحية، بأن اليهود قد حاولوا خداع الملايين فى العالم وإقناعهم بأنهم، هم، شعب الله المختار وليس الجنس الأنجلو سكسونى. ولكن قد تم فضح مخططهم المخادع وسوء نيتهم فى تحوير كلمات الإنجيل.

ومحاولات اليهود المستمرة فى خداع العالم وانتزاع تعاطفه معهم، دلالة على قوتهم. كما أنهم ترجموا مخططهم إلى أفعال ملموسة. وما زالوا يحققون نجاحات فى إنجاز

أهدافهـم. وأخيرا، وكما يظهر من التصريحات السـابقة، فإن أغلب أعضاء الأمم الآرية على قناعة بأن الولايات المتحدة، أصبحت أرضا خصبة، ومرتعا يستغله اليهود فى تنفيذ أجندتهم الدنيئة للسيطرة على العالم. وذلك من خلال التيار الحالى الذى يسود الولايات المتحدة، والذى يدعو إلى حركة تصحيح سياسى، إلى جانب العمل على تشجيع مبادئ التعليم الليبرالى بالمدارس. وهكذا يتضح لنا أن الهوية المسـيحية، تبشر بالكراهية.إذ إنها لا تكتفى بحث أتباعها على كره اليهود واتقاء شرورهم؛ لأنهم من نسـل الشـيطان، بل تؤكد أن كراهيتها لهم نابعة أيضا من نجاحهم فى خداع الملايين من البشر، وأنهم سوف يواصلون خداعهم، مسـتغلين المناخ السياسـى الحالى، لتحقيق الهدف الأساسـى، وهو السيطرة على العالم.

وبالمثـل، فإن نظرية الهوية الاجتماعية وبالتحديـد كتابات تايلور ولويس (٢٠٠٥)، والتى تعتبر أن الهوية الاجتماعية مفتاحا أساسيا لفهم سلوك الإرهابيين، تعتقد أن الهوية المسـيحية، تعتبر أسـاس التحيز ضد اليهود.فطبقا لنظرية الهوية الاجتماعية، فإن فكرتنا عن أنفسـنا، تعتمد فى الأسـاس على هويتنا الشـخصية بالإضافة إلى هويتنا الاجتماعية. والهويـة الاجتماعيـة لكل منـا، تنبثق من انتماء كل فرد أو عضويتـه فى مجموعات مختلفة. وطبقـا لتاجفـل وترنـر (١٩٧٩، ١٩٨٦)، فـإن ميل الأفـراد الطبيعى، لتقييم أنفسـهم بإيجابيـة، تجعلهـم يتجهـون فى الوقـت نفسـه لتقييـم المجموعـة بنفس الإيجابيـة. ومن أساسيات عملية التقييم، المقارنة بين المجموعات. وطبقا لنظرية الهوية الاجتماعية، فإن هذه المقارنة تجعل أفراد المجموعة الواحدة ينحازون لمجموعتهم ويقيمونها بشكل أكثر إيجابية من المجموعات الأخرى.

وقد نأى تايلور (١٩٩٧، ٢٠٠٢) بنفسـه عن وجهات النظر التقليدية، عن الذات، واقترح نموذجا للإدراك الذاتى، تتمتع فيه الهوية الجماعية بأولوية نفسـية تفوق التقدير الجماعى والهوية الشخصية التى بدورها لها أولوية تفوق التقدير الشخصى. وطبقا لتيلور، لكى يصبح لكل شخص صفاته المميزة التى تساعده على تطوير هويته الشخصية، فلابد أن يكـون لكل فرد مبادئ تشـكل معيارا لعقد المقارنة. هذا المعيار يشـتق من المجموعة

التـى ينتمـى إليها الفرد. وهكذا فـإن هوية الفرد الاجتماعيـة، أو طبقا للمصطلح الذى يستخدمه تايلور، هوية الفرد الجماعية، هى التى توفر القاعدة للمقارنة. ومن هنا يتضح أن الهوية الشخصية، أو تكوين صفات خاصة بكل فرد، تنبثق من هوية الفرد الجماعية. والتقديـر الشـخصى يعتمد على الهوية الشـخصية كما يعتمد التقديـر الجماعى على تقدير الفرد لهويته الجماعية.

ويـرى تايلور ولويـس (٢٠٠٥) أن أعضاء المجموعات الإرهابيـة، يكونون هويتهم الشـخصية بالاعتـماد عـلى هويتهـم الجماعيـة، التـى تمثـل معتقـدات المجموعـة وقيمها وسلوكها. وبينما تفترض نظرية الهوية الاجتماعية، أن هويتنا الاجتماعية، تنبع من انتمائنا إلى مجموعات مختلفة، يرى تايلور ولويس من ناحية أخرى، أن المجموعة الثقافية، والدينية فى بعض الأحيان، هى التى تشكل حقيقة الأمر، هوية الفرد، أكثر من المجموعات الأخرى. وتكتسب قوة تأثيرها، من انتشارها واستمرارها طوال حياة الفرد.

ولا شـك أنه بالنسـبة للفـرد الذى يلعـب الدين فى حياتـه دورا محوريا، فـإن هويته الاجتماعيـة، كعضـو فى مجموعة دينية، تمـده بالمعتقدات، والتاريخ المشـترك، إلى جانب الأهـداف التى يتطلع إليها، والخطـوات اللازمة، لتحقيقها. ويضيـف تايلور ولويس، أنـه بالنسـبة للإرهابيين، فإن هويتهـم الجماعية والمعايـير الخاصـة بمجموعتهم، تكون دومـا بـارزة أمام أعينهـم. وذلك بسـبب وضعهم كأقليـة داخل مجتمعهـم، إلى جانب ضرورة تكيفهم السريع على احتمالات الدخول فى صراعات مع المجموعات الأخرى. وكنتيجة لذلك، فإن المعايير الخاصة بكل مجموعة، تلعب دورا مؤثرا فى تكوين معتقدات الإرهابيين وأنماط سلوكهم.

وفيما يخص أعضاء الأمم الآرية، فإن الهوية المسـيحية، كانت دائما بالنسـبة لهم، هى أساس الهوية الجماعية للمجموعة. وقد وضحت الهوية المسيحية، كما سبق الإشارة إليه، من يجب أن يشـعروا تجاهه بالكراهية. وما هى الأسـباب. والإجابة الواضحة، كانت: لأن اليهود من نسـل الشـيطان. هذه المعتقدات، تشكل أسـاس وقاعدة سياسة قيادات الأمم الآرية، بهدف الترويج لأنشطة العنف تجاه اليهود أو المؤسسات التى يديرونها.

ويفسر لنا كل من تايلور ولويس، أهمية العدو الخارجى فى تحديد هوية الإرهابيين. بمعنى أهمية تحديد عدو يمثل الشر فى عرف المجموعة الإرهابية، التى تمثلها هنا مجموعة الأمم الآرية.

ويعتبر أول عنصر يوليه تايلور ولويس أهمية خاصة فى هذا الفصل. هذا العدو الخارجى يمثل كبش الفداء الذى تحمله المجموعة، كل اللوم فيما يقع من سلبيات. هذا العدو هنا هو «اليهود» بطبيعة الحال. أما نقطة التركيز الثانية لتايلور ولويس فى هذا الفصل، فهى اتجاه المجموعات الإرهابية، إلى تكبيد العدو الخارجى خسائر، خاصة مع تضاؤل فرص تحقيق المجموعة نتائج إيجابية، حيث يعود عليها ذلك بالفائدة، وإن كان بشكل غير مباشر. وقد يصبح غاية فى حد ذاته.

ويعتبر بحث أجراه ستراتش وشفارتس (١٩٨٩) وثيق الصلة بموضوع بحث تايلور ولويس. حيث يدرس مواقف مواطنين إسرائيليين من طائفة دينية تنتمى إلى الأورثوذكس المتطرفين.

ويتضمن هذا البحث إلى جانب المقاييس المعيارية المألوفة للانحياز إلى المجموعة، مقاييس معيارية عن العدوانية أيضا. وقد أفصحت نتائج البحث، عن علاقات إيجابية، بين صراع المصالح والعدوانية، وكذلك بين تباين القيم بين أفراد المجموعة الواحدة والعدوانية. كما أظهرت نتائج البحث أن العلاقة بين صراع المصالح والعداونية كان أشد فى حالة المجموعات الإسرائيلية، التى تشعر بتشابه بينها وبين مجموعات دينية (ولكن ليست أرثوذوكسية متطرفة).هذه النتائج، إذا أضفنا إليها ما توصل إليه تايلور ولويس من استنتاجات، مفادها، أن تكبيد العدو خسائر قد يكون هدفا فى حد ذاته، فإن ذلك قد يعنى، أن بعض أفراد الأمم الآرية، ونتيجة لعقيدتهم الدينية القوية، يشعرون باختلاف متأصل بينهم وبين اليهود؛ مما يضعهم فى موقف صراع ضدهم. وهم بالتالى يشعرون بميل إلى التحالف مع المتطرفين الإسلاميين؛ لأنه يؤدى فى النهاية إلى تكبيد اليهود خسائر من خلال ارتكاب أنشطة إرهابية ضدهم.

موقف المجموعة كأساس للانحياز ضد اليهود

طبقا لبلومر (١٩٥٨)، فإن «موقف المجموعة»، هو المحدد للتحيز. فالتحيز فى نظر بلومر، يمكن فهمه فى ضوء منظور العلاقات. أى علاقة المجموعة بمجموعة أخرى فى النظام الاجتماعى. فالمجموعة المسيطرة تؤمن بتفوقها على المجموعة التابعة. وباختلافها بشكل جوهرى عنها. والمجموعة المسيطرة، تزعم حقها فى تملك بعض الموارد أو الحقوق، وأن المجموعة التابعة ترغب فى الحصول على الجزء الأكبر منها. كما أن الشعور بالتفوق والتميز على المجموعة التابعة، هو الذى يشكل أساس الكراهية، وأن المطالبة بالحقوق والموارد، بالإضافة إلى تعدى المجموعة التابعة على هذه الموارد، يخلق القوة الديناميكية اللازمة لهذا التحيز. إذا أردنا تطبيق إطار بلومر للتحيز، على مجموعة الأمم الآرية، لأمكننا ملاحظة، أن أعضاء من المجموعة يعتبرون أنفسهم أكثر تفوقا من اليهود ويشعرون باختلافهم الشديد عنهم. وهذا يتضح من اعتقادهم الراسخ، بازدواجية نسل حواء، وبأن اليهود هم نسل الشيطان، بينما الآريون من نسل آدم. فضلا عن ذلك، فإنه بناء على معتقدات الهوية المسيحية، فإن لأعضاء الأمم الآرية حقوقا فى ممتلكات ليست فقط فى الولايات المتحدة، بل وفى العالم كله. حيث إنهم يعتبرون أنفسهم ورثة كوكب الأرض الشرعيين. ومن ناحية أخرى فقد اتضح من حديثنا معهم، خوفهم وقلقهم الواضح من تعدى اليهود المتزايد على مواردهم. خاصة وأن الدلائل تشير إلى استيلائهم على موارد الولايات المتحدة، وسيطرتهم على حكومتها ومؤسساتها المالية، إلى جانب غسيل الأدمغة الذى يتعرض له المواطنون الأمريكيون على أيديهم. وكما أكد بلومر، فإن القناعة، بأن المجموعة التابعة، أى اليهود، تحاول أن تستولى على حقوق المجموعة الأساسية، هى التى تشكل أساس التحيز وقوته الديناميكية.

الأهداف المشتركة ودورها فى تقليص التحيز تجاه المسلمين

ويقدم لنا جوردن ألبرت، فى كتابه «طبيعة التحيز» (١٩٥٤) توصيات محددة لتقليصه. هذه التوصيات تعرف بفرضيات الاتصال؛ لأنها تركز على فكرة اتصال

أعضـاء مجموعات مختلفـة ببعضهم البعـض. وطبقا لوجهـة نظر ألبورتن فإنـه إذا كان الهـدف هو تقليـص التحيز من خلال الاتصـالات التى تتم بين المجموعـات المختلفة، فلابـد من توافر بعـض الشروط الخاصة بالموقف. ومن ضمن هـذه الشروط تحديدا أن يكـون الاتصال بـين المجموعات ممتـدا، وأن يركز بصفة أساسـية على الهدف المشـترك فيـما بينها، وأن تتمتع المجموعات بمراكز متسـاوية، وأن يكون هناك دعم مؤسسـى أو رسمى لسياسية الاندماج أو التكامل بين المجموعات.

وفى دراسـة تقليديـة أجراهـا شريـف وزمـلاؤه (شريف وهـارفى، ووايـت، وهود وشريـف، ١٩٦١)، تظهـر بوضوح فكرة الاعتماد على هذه الوسـائل فى تقليص التحيز بـين المجموعـات. حيـث إن درجـة التحيز وعمليـة القولبـة، كانت، أولا، سـائدة بين مجموعتى النسـور والثعابين، وهما مجموعتان جمعتهما معسكرات الصيف. وقد نجحت المجموعتـان فى تقليص هذا التحيز من خـلال خلق مواقف، تتطلب مواجهتها، وإيجاد حلـول لها، تضافر جهـود المجموعتين، والعمل المشـترك فيما بينهما. مثـل إصلاح نظام توفير المياه بالمعسكر، أو إصلاح شاحنة معطلة.

وإذا كانـت نتائـج شريـف وزملائـه تشـير إلى إمـكان تناقـص التحيـز مـن خـلال الاتصـال بين المجموعـات إذا توافرت الشروط الصحيحة، فإنه من المحتمل أن تسـفر الجهـود المبذولـة لتوحيد الصفوف بـين الأمم الآرية والجهاديين الإسـلاميين عن حالة من الشـقاق الحزبى. أو ما يعرف بالعداء الأفقى (بلاك وشـبرد وموتون ١٩٦٤، بروار ١٩٩٩ و٢٠٠٠، براون وويد ١٩٨٧، ديشـان وبراون ١٩٨٣، وايت ولانجر ١٩٩٩) حيث تشـير الأبحاث التى أجراها وايت ولانجر (١٩٩٩) إلى أن العداء الأفقى يحدث بسبب قناعة أعضاء مجموعة من الأقليات، بأن انضمام أعضاء جدد إلى صفوفها، سوف ينـال من مكانتها وينتقص مـن قيمتها، فتتحول بانضمام الأعضـاء الجدد إلى حركة أقل تميـزا، فيشـعر أعضاؤها نتيجـة لذلك، بأن هويتهـم مهددة.وهو ما يؤكـده أيضا بحث بروار (١٩٩٩، ٢٠٠٠) الذى يكشـف أنه كلما كان الإحسـاس بالهوية قويًا بين أعضاء المجموعـة الواحـدة، تزايدت الحدود الفاصلـة بينها وبين المجموعـات الأخرى. وهنا

يصبح التعاون بين المجموعات مصدر تهديد لهوية الفرد الاجتماعية. وهكذا وعلى عكس فرضية الاتصال، فإنه من المتوقع أن يعارض أعضاء حركة الأمم الآرية قادتهم ويقاوموا فكرة تحالفهم مع الإسلاميين الجهاديين.

تعليقات أخيرة

بحث هذا الفصل، تحيز أعضاء مجموعة الأمم الآرية، تجاه اليهود. وطبقا لنظرية بلومر، الخاصة بالتحيز، فإن أعضاء الأمم الآرية، يعتبرون أنفسهم مختلفين بشكل جذرى عن اليهود بل ومتفوقين عنهم لأسباب تتعلق باختلافات بين الأديان. وطبقا للهوية المسيحية، فإن الجنس الأنجلو ساكسونى الأبيض، هو شعب الله المختار وليس الشعب اليهودى. وكذلك، وكما سبق وأشرنا، فإن المعتقدات المسيحية الخاصة ببذرة الثعبان، تشير إلى أن الشعب اليهودى من نسل الشيطان. وقد سبق وأشرنا أيضا، إلى أن أعضاء الأمم الآرية، يعتبرون أن لهم حقوقا فى ملكيات وموارد بالولايات المتحدة. كما أنهم على قناعة تامة، بأن اليهود يتعدون على ممتلكاتهم، بل يغتصبون هذه الحقوق والموارد. فعلى سبيل المثال، فإن أعضاء الأمم الآرية، يعتقدون أن اليهود يسيطرون بشكل واضح على حكومة الولايات المتحدة وكذلك على وسائل إعلامها. إذ يتحكمون من خلالها فى تشكيل الرأى العام الأمريكى بما يخدم مصالحهم. فيصورون أنفسهم من خلال منظور إيجابى، وعلى النقيض من ذلك يصورورن المسلمين من خلال منظور سلبى. ومما تقدم يتضح أن أعضاء الأمم الآرية، من خلال مواقفهم واتجاهاتهم نحو اليهود، يعتبرون خير مثال للملامح الأربعة الأساسية لنموذج علاقات التحيز لبلومر، السابق الإشارة إليها.

وكذلك تناول هذا الفصل بالدراسة التحالف المتزايد بين الأمم الآرية وأتباع الجهاد الإسلامى، كما تمت الإشارة إليه أثناء مقابلات مع أعضاء الأمم الآرية. وطبقا لفرضية الاتصال، فإنه لكى يتم تقليص التحيز بين المجموعتين، لابد من توافر عنصر أساسى، وهو وجود هدف حيوى مشترك بينهما. ومما تقدم يتضح أن كلا من الأمم الآرية والجهاد الإسلامى يتقاسمان عدوين مشتركين وبالتالى أيضا، هدفين مشتركين. وكما أكدنا فى موضع سابق، فإن وسائل الإعلام تتربص بالمجموعتين، وتشكل

مصدر تهديد لهما. فكل من الجهاد الإسلامى والأمم الآرية، على قناعة بأن وسائل الإعلام تتعامل معهما من موقع تحيزى، غير عادل. أما التهديد الثانى لهما، فهو اليهود. والانتصار على هذا العدو المشترك، يمثل لكليهما هدفا جوهريا، يبرر ضرورة قيام تحالف فيما بينهما.

ومع ذلك، فإن هناك انقسامات واضحة ومتزايدة، داخل مجموعة الأمم الآرية، فيما يخص ضرورة تمسك المجموعة بهويتها المسيحية، بما يعنى عدم السماح لأتباع هوية أخرى بالانضمام للمجموعة. بينما يرى آخرون داخل المجموعة أن وجود عدو مشترك للمجموعتين، يعد سببا كافيا، ومبررا قويا، لقيام نوع من التحالف بينهما، بهدف الانتصار على اليهود. ومن هنا، وإرضاء لوجهتى النظر داخل المجموعة، فقد حاول أعضاؤها أن يفرقوا بين كيانين منفصلين داخل المجموعة. أولهما كيان سياسى، والآخر دينى. وفى نفس الوقت كان هناك إجماع فيما بين الأعضاء على ضرورة احترام الهوية الإسلامية لمجموعة الجهاديين.

وبما أن أعضاء المجموعة منقسمون فيما بينهم، ما بين التحالف مع الإسلاميين أو قصر الانضمام إلى المجموعة على الهوية المسيحية دون سواها، فإنه يمكننا أن نتوقع، وبناء على الأبحاث السابقة، أن الاختلاف فيما بين أعضاء المجموعة، سوف يزيد من احتمالات الشقاق داخلها، أو تنامى ما يعرف بالعداوة الأفقية فيما بين الأعضاء. وذلك تمشيا مع نتائج الأبحاث فى هذا الشأن. (بلاك شبرد وموتون ١٩٦٤، بروار ١٩٩٩، ٢٠٠٠، براون وويد ١٩٨٧، ديشان وبراون ١٩٨٣، وايت ولانجر ١٩٩٩). والتى تؤكد أن أعضاء المجموعات لا يرحبون بالضرورة بسقوط الحدود التى تفصل بين مجموعتهم والمجموعات الأخرى. خاصة إذا كان ذلك يؤثر سلبا على هوية المجموعة، وقد ينتقص من أهميتها (وايت ولانجر ١٩٩٩).

وهنا يبرز احتمال مقاومة أعضاء المجموعة، والسعى فى اتجاه تحقيق الهدف الأساسى المشترك، وذلك فى سبيل الاحتفاظ بتميز هوية مجموعتهم، وحمايتها فى مواجهة الهويات الجديدة. وتشير فرضية الاتصال بأن العمل المشترك بين المجموعتين، بهدف تحقيق غاية

مشتركة، سوف يفضى إلى تقليص التحيز فيما بينهما، وذلك بشرط تحقيق نجاح فى إنجاز هذا الهدف. (بلانشارد ،فيجل وكوك ١٩٧٥، ورشل وأندريولى وفوجلر ١٩٧٧، ورشل ونورفل ١٩٨٠) وتكشف نتائج أبحاث ورشل وزملائه، أنه حينما يفشل التعاون بين مجموعتين كان بينهما تنافس من قبل، فسوف تحاول كل مجموعة أن تلقى باللوم على المجموعة الأخرى، متهمة إياها بالسبب فى الفشل. إلا إذا كان هناك سبب أو بديل واضح، يمكن تحميله عبء الفشل. (ورشل أت أل ١٩٧٧، ورشل ونورفيل ١٩٨٠). وبما أنه من المستبعد أن تنجح مجموعة الأمم الآرية بتحالفها مع الجهاد الإسلامى فى تحقيق هدف الانتصار على الشعب اليهودى، فمن المتوقع أن يكون التعاون فيما بينهما، غير مستقر وقصير الأمد.

وطبقا لبروار (١٩٩٩، ٢٠٠٠)، فإن تعاون مجموعتين بهدف تحقيق غاية واحدة، يتطلب فوق كل شىء وجود الثقة بينهما. أما فى حالة وجود شعور بالازدراء تجاه المجموعة الأخرى أو الخوف من فشلها فى تحقيق الهدف، فإن ذلك يؤدى إلى إلقاء اللوم عليها ومحاولة جعلها كبش فداء.

وأخيرا، بحث هذا الفصل، كيف جمع بعض أعضاء الأمم الآرية ما بين مفهومهم الخاص بالعنصرية وتحالفهم الحديث مع الإسلاميين الجهاديين. وقد أكدت المقابلات التى أجريت بالإضافة إلى البيانات الخاصة بالعرقيات، الفرضية التى تزعم أن العمل المشترك مع الجهاديين لا يغير من وجهة نظر أعضاء الأمم الآرية بشأن العنصرية. إن ما لدينا من أدب خاص بتفوق الجنس الأبيض يتجه إلى التركيز على «العوامل الاجتماعية والسيكولوجية المشتركة» (بلى ١٩٩٦). ويدعم فكرة احتفاظ الأفراد وتمسكهم بمعتقدهم بشكل راسخ طوال فترة حياتهم. (أدورنو، فرنكل - برونسويك، ليفينسون، وسانفورد، ١٩٥٠). ويتفق ما لدينا من معلومات مع هذا الاحتمال، ويؤكد فى الوقت نفسه، المنظومة المركبة لما يمكن أن يؤمن به الأفراد من معتقدات. ورغم ذلك فإن الاستثناءات عن القاعدة يمكن أن تحدث. ويعد مجال الدراسات الثقافية، امتدادا للاقتراح الأول. ويذهب إلى أبعد من الاستكشافات الاجتماعية والنفسية

للتفرقة والتحيز. إذ يزعم أن ثقافة الأمم الآرية واتجاه سلوكيات أعضائها غير مهيكل بشكل علنى، ومن ثم، فهو يسمح بتغيير فى الأيديولوجية يتوافق مع «المهمة المطلوبة». إن سلوكيات الأفراد ليست متجانسة، وبالتالى يتسبب اختلاف الأيديولوجيات، فى حدوث الخلافات فيما بين الأعضاء. إن البحث الحالى يزعم أن أيديولوجية الأمم الآرية أكثر سلاسة مما كان متصورا من قبل، وأنها قابلة للتبدل والتغير. وتعتبر الحرب الحالية فيما بين مختلف حركات تفوق الجنس الأبيض هى المسئولة جزئيا عن هذا التغيير. إلى جانب قلة نشاط «الجنس الأبيض». إن التحالف الذى حدث مؤخرا مع الجهاديين الإسلاميين، أدى إلى نمو حركة أيديولوجية اجتماعية أعطت دفعة لحركة تفوق الجنس الأبيض داخل الولايات المتحدة. وحافظت على حيويتها. ورغم أن هذا التحالف، يتفق فى الأساس مع مبادئ وتوجهات الأمم الآرية المعادية للسامية، إلا أن عليها إذا أرادت أن تحافظ على معتقداتها العنصرية أن تكون أكثر انتقائية فيما تتبناه من ممارسات.

والخلاصة، أن توجهات الأمم الآرية التحيزية نحو اليهود، تتفق مع نموذج بلومر عن التحيز. ومن الملاحظ أيضا تنامى التحالف بين بعض من أعضاء الأمم الآرية ومجموعة الجهاديين الإسلاميين؛ لذا فإنه من المتوقع أن يترتب على ذلك خلافات داخلية بين أعضاء الأمم الآرية، يمكن أن تسفر عن تمزق داخلى يؤدى إلى انقسام المجموعة إلى عدة فرق داخل الحركة ذاتها. مما يجعلنا نتنبأ بعدم استقرار مثل هذا التحالف وبقصر مداه.

المراجع

Adorno, T. W., Frenkel-Brunswik, E., Levinson, D. J., & Sanford, R. N. (1950). *The authoritarian personality*. New York: Harper.

Allport, G. W. (1954). *The nature of prejudice*. Cambridge, MA: Addison-Wesley.

Barkum, M. (1997). *Religion and the radical right*. Chapel Hill, NC: North Carolina Press.

Blake, R. R., Shepard, H. A., & Mouton, J. S. (1964). *Managing intergroup conflict in industry*. Texas: Gulf Publishing Company.

Blanchard, F. A., Weigel, R. H., & Cook, S. W. (1975). The effect of relative competence of group members upon interpersonal attraction in cooperating interracial groups. *Journal of Personality and Social Psychology, 32*, 519–530.

Blee, K. (1996). Becoming a racist. *Gender and Society, 10*, 680–703.

Blee, K. (2002). *Inside organized racism: Women in the hate movement*. Berkeley: University of California Press.

Blejwas, A., Griggs, A., & Potok, M. (2005). Terror from the right. *Intelligence Report, 118*, 33–46.

Blumer, H. (1958). Race prejudice as a sense of group position. *Pacific Sociological Review, 1*, 3–7.

Brewer, M. B. (1999). The psychology of prejudice: Ingroup love or outgroup hate? *Journal of Social Issues, 55*, 429–444.

Brewer, M. B. (2000). Superordinate goals versus superordinate identity as bases of intergroup cooperation. In D. Capozza, & R. Brown (Eds), *Social identity processes: Trends in theory and research* (pp. 117–132). London: Sage.

Brown, R. J., & Wade, G. S. (1987). Superordinate goals and intergroup behavior: The effects of role ambiguity and status on intergroup attitudes and task performance. *European Journal of Social Psychology, 17*, 131–142.

Butler, R. (Producer and Director) (2001). *My side of the story*. [Documentary video] (Available from www.aryan-nations.org)

Deschamps, J. C., & Brown, R. J. (1983). Superordinate goals and intergroup conflict. *British Journal of Social Psychology, 22*, 189–95.

Flynn, K., & Gerhardt, G. (1989). *The silent brotherhood*. New York: The Free Press.

Grossberg, L., Nelson, C., & Treichler, P. (1991). *Cultural studies*. New York: Routledge.

Sherif, M., Harvey, O. J., White, B. J., Hood, W. R., & Sherif, C. W. (1961). *The robbers cave experiment: Intergroup conflict and cooperation*. Middletown, CT: Wesleyan University Press.

Sternberg, R. (2003). A duplex theory of hate: Development and application to terrorism, massacres, and genocide. *Review of General Psychology, 7*, 299–328.
Sternberg, R. (2005). Understanding and combating hate. In R. J. Sternberg (Ed.), *The psychology of hate* (pp. 37–50). Washington, DC: American Psychological Association.
Struch, N., & Schwartz, S. H. (1989). Intergoup aggression: Its predictors and distinctions from ingroup bias. *Journal of Personality and Social Psychology, 56*, 364–373.
Tajfel, H. (1978). Social categorization, social identity and social comparison. In H. Tajfel (Ed.), *Differentiation between social groups* (pp. 61–76). London: Academic Press.
Tajfel, H., & Turner, J. C. (1979). An integrative theory of intergroup conflict. In W. G. Austin, & S. Worchel (Eds), *The social psychology of intergroup relations* (pp. 33–47). Monterey, CA: Brooks/Cole.
Tajfel, H., & Turner, J. C. (1986). The social identity theory of intergroup behavior. In S. Worchel, & G. Austin (Eds), *Psychology of intergroup relations* (pp. 7–24). Chicago: Nelson-Hall.
Taylor, D. M. (1997). The quest for collective identity: The plight of disadvantaged ethnic minorities. *Canadian Psychology, 38*, 174–190.
Taylor, D. M. (2002). *The quest for identity: From minority groups to generation Xers.* Westport, CT: Praeger.
Taylor, D. M., & Louis, W. (2005). Terrorism and the quest for identity. In F. M. Moghaddam, & A. J. Marsella (Eds), *Understanding terrorism* (pp. 169–186). Washington, DC: American Psychological Association.
Timeline: The Aryan Nations through the years Series. Retrieved December 12, 2007, from www.rickross.com/reference/aryan/aryan16.html
Turner, G. (2002). *British cultural studies: An introduction.* London: Routledge.
Aryan Nations. *Aryan Nations website.* Retrieved April 8, 2002, from www.twelvearyannations.com
Walters, J. (2001). *One Aryan Nation under God.* Naperville, IL: Sourcebooks, Inc.
White, J. B., & Langer, E. J. (1999). Horizontal hostility: Relations between similar minority groups. *Journal of Social Issues, 55*, 537–560.
Worchel, S., Andreoli, V. A., & Folger, R. (1977). Intergroup cooperation and intergroup attraction: The effect of previous interaction and outcome of combined effort. *Journal of Experimental Social Psychology, 13*, 131–140.
Worchel, S., & Norvell, N. (1980). Effect of perceived environmental conditions during cooperation on intergroup attraction. *Journal of Personality and Social Psychology, 38*, 764–772.

الفصل الحادى عشر

صفقات الاختطاف مقابل فدية

أفرارد فيليبس

تأتى مخاوف كل رهينة من هاجسين أساسيين: أولهما زيارة المختطفين ليلا، مما يعنى فى كثير من الأحيان، أن ساعتهم قد حانت. وثانيهما، أن تكون الزيارة بصحبة كاميرا الفيديو، مما يعنى التعرض للضرب، أو البتر والتشويه أو الاغتصاب.

ديمترى بالوروف، ذكر فى تشكوف، ص١٠٧-٢٠٠٤

نبذة: لكى نعتبر الاختطاف مقابل الحصول على فدية تجارة، لابد من وجود منظمة تمارس هذا النشاط بشكل منظم ومتكرر، مع استمرار لعملية غسيل الأموال عبر فترة طويلة من الزمن.

وهناك فروق لابد أن تؤخذ فى الاعتبار بين الفاعلين المستقلين الذين يقومون بالاختطاف مقابل المال، والمجموعات الصغيرة التى تكون على اتصال بشبكات أو اتحادات. فالمختطفون المستقلون لا يطالبون بفدية ضخمة مقابل الاختطاف؛ لذا نعتبرهم مجرمين على نطاق صغير. حيث إن النية لاتكون تأسيس إمبراطورية تجارية، وإن كان الحافز الأساسى هو المكسب المادى. وعلى النقيض من ذلك، فإن المجموعات الصغيرة التى تمارس الاختطاف بهدف بيع الرهينة إلى مجموعة أكبر أو مطالبة الرهينة بالفدية، هنا يمكن اعتبار النشاط تجاريًا، وبغرض تحقيق الربح.

تقديم:

إن مرحلة ما بعد حرب العراق قد شـهدت عمليات اختطاف أخذت شـكلا وبائيا خطـيرا، أشـبه بصناعة فى حد ذاتها. حيث تزاحمت تقاريـر اختطاف الأطفال، والأطباء ورجـال الأعمال والمقاولين الأجانـب، الذين تم اختطافهم مقابـل الحصول على فدية. فقـد وصل عـدد المختطفين فى اليوم الواحد إلى عشرة أفراد عـلى يد مجموعات متنوعة، بهـدف تحقيق ربـح مالى مقابل الاتجـار فى حياة البشر (لونـى ٢٠٠٥).ولم يكن حصول المختطفـين على الفدية، يضمن إطـلاق سراح الرهائن. فقد كان من المألوف العثور على جثث لنســاء بعد اغتصابهن أو تعذيبهن ثم قتلهن على يد مليشـيات مسلحة بالرغم من الحصـول على الفدية المطلوبة . (UNAMI ٢٠٠٦) وقد استـقر هـذا النمط الإجرامى المنهج منذ سنوات السبعينيات، فى دول بأمريكا اللاتينية (كلاتربك ١٩٧٨).

وأصبح اليوم يشـكل مشـكلة على مسـتوى المؤسســات بهذه المنطقة[١]. وعلى الرغم من تصاعد عمليات الاختطاف مقابل الفدية، فى مناطق جغرافية بعينها داخل بعض دول بأمريكا اللاتينيـة، فـإن الظاهـرة تعتبر كونيـة ولا تقتصر على مـكان محدد أو نوع معـين من المجرمين .(UN ٢٠٠٤-٢٠٠٣ a,b)

إن واقـع عمليـات الاختطـاف المعاصر، يكشـف لنـا أن غالبيـة من يرتكبـون هذه الجرائـم، يسـعون إلى الكسـب المـادى مـن ورائـه.وأن نطاق مرتكبيها يتسـع ليشـمل المجرمين والإرهابيين، والمتمردين وحتى بعض القبائل.

هـذه الملاحظـة كانت قـد لفتـت إليها الأنظـار، من خـلال تقرير صدر عـن الأمم المتحـدة، يبرز تورط كل من مجموعات الجريمة المنظمة و/ أو مجموعات إرهابية فى هذه الأنشطة، فى أكثر من ٥٤ دولة من بين مجموع الدول الأعضاء[٢].

---

(١) كثير من بلدان أمريكا اللاتينية أصابها داء الحروب الأهلية، التى تورط فيها المتمردون الشـيوعيون. وأثناء هذه الفترة، أصبح الاختطاف السياسى أحد ملامحها الجوهرية. وحاليا، يعتبر الاختطاف وبائيًا بالمكسيك وكولومبيـا والبرازيـل، ولا يزال يعتبر مشـكلة ملحة فى هذه الـدول. أما الاختطاف مقابـل فدية فلا يزال موجودًا ببلاد أخرى بأمريكا اللاتينية، مثل الإيكوادور وفنيزويلا والأرجنتين.

(٢) اسم التقرير «التعاون الدولى من أجل منع ومحاربة والقضاء على الاختطاف وتقديم المساعدة إلى الضحايا» وقد تم تجميع هذا التقرير من نتائج مسح، قد تم إرساله للدول الأعضاء بالأمم المتحدة. وقد تم الحصول على ردود من ٥٤ دولة من الأعضاء، ومن المعهد الأفريقى لمنع الجريمة ومعالجة المجرمين، وبرنامج الأمم المتحدة للتنمية، ووكالة الطاقة الدولية وسكرتارية قسم عمليات حفظ السلام.

إن انتشار عمليات الاختطاف مقابل الفدية وتكاثرها بشكل مكثف، فى بعض الأقاليم من العالم بصفة خاصة، يشير إلى وجود عدة عوامل خاصة بالمجتمع وأخرى مرتبطة بالبيئة، تساعد على تيسير تحول هذه العمليات إلى نوع من التجارة المربحة. إلا أن بعض الكتاب يعتبرون هذه التجارة المتنامية، مجرد وسيلة لتحقيق مكسب مادى هدفه الأساسى تمويل النشاط الإرهابى أو القيام بحركات التمرد. (هاجدورن-أويرباخ، ١٩٩٨، هانتر، ١٩٩٦، كيزر، ٢٠٠٥، لونى، ٢٠٠٥). وطبقا (لنيلور، ١٩٩٣)، فإن الاختطاف مقابل الفدية، يعتبر جزءًا من جرائم السلب والنهب، ونقطة أولى على منحنى التطور السلوكى للمجموعات الراديكالية. وتخدم هذه الأنشطة أهداف المجموعات الإرهابية التمويلية دون تعرضها للمساءلة من قبل الجهات المسئولة فى الدولة. ومن المعروف أن مجموعات إرهابية كثيرة منها، «الألوية الحمراء»، ومجموعة الباسك أو (ETA)، ومجموعة أبى سياف أو (ASG). قد استخدمت أموال الفدية فى التأسيس لحملتها الإرهابية.

إن الطبيعة السرية، لعمليات الاختطاف مقابل الفدية، تجعل من مسألة جمع الإحصاءات التى يمكن التعويل عليها فى تقييم النشاط الحالى على مستوى العالم عملية غير ميسرة[1].

إن المشكلة الأساسية التى تعوق الحصول على تقارير إحصائية دقيقة، حينما نحاول تقييم مدى انتشار الجريمة، هى أن الضحايا أنفسهم، قد لا يبلغون عنها السلطات المنوط بها النظر فيها. ومن هنا كانت صعوبة الاعتماد على تلك الإحصائيات فى كتابة تقارير مفصلة.

ويلاحظ لاشنر (٢٠٠٧) أنه فى كثير من الأحوال، لا يتم الإبلاغ عن أكثر من ١٠٪ فقط من حوادث الاختطاف للسلطات، مؤكدا مشكلة الوصول

(١) إن السرية عنصر أساسى للاختطاف مقابل الفدية. وله تأثير عميق ليس فقط على استنباط الجريمة، ولكن أيضا كيف يتم دراستها والإبلاغ عنها فيما بعد. فيها وفى نفس الوقت فهى تأخذ فى الاعتبار مسألة إخفاء المشكلة. وكذلك فإن تفاصيل دفع الفدية تجرى بمنتهى السرية، حتى لا تقوم مجموعة أخرى بتقليدها.

إلى معلومات أو إحصائيات على مستوى العالم[1]. إن التقصير فى الإبلاغ عن حوادث الاختطاف، يعتبر من المشاكل المألوفة فى الدول الفاشلة[2]، حيث إنه يتيح قدرا من الحصانة للمختطفين، يسهل معه الإفلات من العقوبة، مما يتيح للعديد من المجرمين والإرهابيين العمل بحرية داخل مجموعة كبيرة من الدول. (رستريبو، سانشيز، وكويلار، ٢٠٠٦).وعلى سبيل المثال: ففى الفلبين، كان من المعروف أن المختطفين، يقبلون الشيكات الشخصية كتسوية لدفع الفدية دون أن يتعرضوا لمخاطر القبض عليهم من قبل السلطات. (ماركلينج وديفيز، ٢٠٠١). وفى كولومبيا لم تتعد حالات الكشف أو مقاضاة أو إدانة مرتكبى جرائم الاختطاف أثناء عام ١٩٩٠ أكثر من ١٪ بالتقريب. وطبقا لماركلينج وديفز، ٢٠٠١، فإن ٩٩٪ من المختطفين بكولومبيا لم يتم قط القبض عليهم. ويؤيد هذه المقولة كل من هانتر (١٩٩٦) وهاجدورن-أورباخ (١٩٩٨)، حيث يؤكدون أنه لم يتم تقديم سوى ٢٪ فقط من المختطفين بكولومبيا للمحاكمة. وبدون شك فإنه فى ظل هذه الظروف يصبح الإبلاغ عن جرائم الاختطاف بلا طائل أو جدوى.

وطبقا لتقرير إحصائى حديث تم نشره لشرطة كولومبيا الوطنية، لعام ٢٠٠٦، فقد وقع ١٤٦٨ فردا، ضحايا لنوع من أنواع الابتزاز، بما فيه الاختطاف مقابل الفدية. وأثناء هذه الفترة، تم إطلاق سراح ٣٦٤ ضحية على يد مختطفيهم، بينما تم إنقاذ ١٤٦ ضحية

(١) من المقبول بصفة عامة فى مجتمع الأمن وإدارة الأزمات أن الذى يتم الإبلاغ عنه من حوادث الاختطاف يشكل حوالى ١٠٪ وماركلينج وديفيز يقدمون رقما أكثر محافظة يبلغ ٥٠٪ من حوادث الاختطاف مقابل الفدية.

(٢) عدم التبليغ عن كل حودات الاختطاف مقابل الفدية، يعتبر مشكلة جادة داخل العديد من الدول. ووجد أنه فى أغلب الأحيان فإن العائلات وأصحاب العمل يغفلون الإبلاغ عن حوادث الاختطاف، خشية من الإجراءات الانتقامية. وجرت العادة فى كولومبيا أن الفدية التى يدفعها الضحايا يعقبها فدية أخرى يبتزها منهم المختطفون لضمان عدم تكرار الاختطاف مرة أخرى. ومن هنا تجد الرهينة نفسها فى اتصال ممتد مع المجموعة لبعض الوقت بعد إطلاق سراحها.وتحت هذه الظروف فإن عددًا كبيرًا من الكولومبيين يميلون إلى تسوية الفدية فى سرية دون الإبلاغ عن الحادثة.(هيب، ٢٠٠٢).

على يد الشرطة، وبقى ٥٨ فى الأسر، وثلاثين تم الإفراج عنهم تحت تهديد وضغط من الشرطة، ولقى ٢٨ فردا مصرعهم أثناء الأسر[١].

وبينما أبلغت شرطة كولومبيا الوطنية أن المختطفين لم يزيدوا كثيرا عن ٢٠٠ فرد، أثناء هذه الفترة، فإن مؤسسة كولومبيا للأمن والديمقراطية أكدت أنهم قد بلغوا ٢٦٥ مختطفا خلال ٢٠٠٦[٢].

وقد قامت المجموعة الثورية لقوات الجيش بكولومبيا أو (FARC) إلى جانب جيش التحرير القومى (ELN) بمائة وأحد عشر اختطافا نسبت إلى المجموعتين بشكل مباشر. وقد كشفت الإحصائيات أن متمردى FARC كانوا يختطفون فى المتوسط رهينة واحدة كل خمسة أيام، أما ELN، فقد كانت تقوم بتلك العملية كل ثمانية أيام فى المتوسط. وعلى الرغم من أن FARC قد قلصت من أنشطتها بنسبة ٤٥٪، خلال السنة الماضية، فإن التقرير يشير إلى أنها لا تزال مسئولة عن نسبة كبيرة من الحوادث التى يتم الإبلاغ عنها. فالأرقام الحالية تشير إلى أن FARC كانت مسئولة عن ٢٦٪ من الإجمالى القومى البالغ ٦٨ حالة اختطاف، وفى المقابل فإن ELN كانت مسئولة عن ١٦٪ (٤٣ حالة). وبالطبع توجد مجموعات أخرى داخل كولومبيا، كانت مسئولة عن حوادث الاختطاف مقابل فدية، وتشمل مجموعات يمينية غير شرعية، مثل قوات الدفاع عن النفس المتحدة/ مجموعة كولومبيا (AUC) والمسئولة عن ١٪ من إجمالى حوادث الاختطاف، فضلا عن مجموعات سياسية جديدة مسئولة عن أكثر من ٥٪ من الحوادث من هذا النوع. أما باقى حوادث الاختطاف مقابل فدية فى كولومبيا، والتى تصل نسبتها إلى ٥٢٪ من الحوادث، فتنسب إلى مجموعات إجرامية يعتقد أنها مسئولة

---

(١) لاحظ الإحصائيات المأخوذة من مجلة Extortion Monitort فى يناير ٢٠٠٧، وهى متخصصة فى نشر حوداث الاختطاف والابتزاز حول العالم وبيانات هذ الإصدارات مأخوذة من الإنترنت؛ لذا فهى تعكس مواقع شعبية إقليمية تنشر أخبارًا محلية. ومن الواجب توخى الحذر حينما نحاول تقييم هذه المعلومات، حيث إن عنصر التحيز فى وسائل الإعلام المحلية والإقليمية شىء مألوف..

(٢) نفس المصدر.

عـن ١٠٪ فى زيادة نسـبة حوادث الاختطاف عن السـنة الماضيـة. بالإضافة إلى عناصر أخرى غير معروفة، فى المجتمع الكولومبى.

إن حوادث الاختطاف فى كولومبيا، قد وصل إيرادها بين الأعوام ١٩٩١ و١٩٩٦، إلى ٣٢٢, ٧٢٥ دولارا أمريكيـا. وطبقـا لآخـر تقاريـر وردت عـن تلـك الأرقام، فإن حصيلـة إيرادات المجموعات الشـبكية، يبلغ فى المتوسـط ٢٢٠ مليـون دولار أمريكى فى السـنة. (رياسـكوس وفارجـاس، ص٥-٦ ٢٠٠) وطبقا لهانـتر (١٩٩٦)، فإنه منذ ١٩٦٣، فـإن عصابـات كولومبيـا قد كونـت ثروة تقدر بـــ ٥١ بليـون دولار أمريكى، مـن جـراء ارتـكاب جرائم غير شرعية، تشـمل الاختطـاف مقابل فديـة. وبما أن طرق تمويـل الإرهـاب متنوعـة ومتباينة، وغالبـا ما ترتبط بارتكاب نشـاط إجرامى يشـتمل عـلى الاختطاف، أو الابتـزاز أو سرقة البنوك، أوالتهريب، والاحتيال المالى، فقد اجتمع كثـير من المحللين، عـلى الاعتقاد، بأن الإرهابيـين والمجموعات المتمـردة يعملون على التوازى، ويمارسـون أعمال التجارة المربحة، بينما تأخذ أنشـطة المجموعات الراديكالية شكلا إرهابيا.

(ديشمان، ٢٠٠١، ماكفرلين، ٢٠٠٣، منشيفا وجر، ٢٠٠٦، شبلى، ٢٠٠٠)

وبعـض المحللـين يذهـب إلى حـد افـتراض وجـود مـا يشـبه حلقـة الاتصـال بين الجريمـة والإرهاب. حيث تتعـاون مجموعات الجريمة مع مجموعـات الإرهاب بهدف تعظيـم الأرباح وتحسـين نوعية العمليات وكفاءتها (بابـز، ٢٠٠١، ماكارنكو، ٢٠٠٤، منشـيفاوجر، ٢٠٠٦، بيكاريلى، ٢٠٠٦، شـيلليو بـكارلى، ٢٠٠٢، ويلمز ١٩٩٤).إن الارتباط بين الإرهاب والجريمة من سـمات الدولة الفاشلة، أو الانتقالية. حيث يشكل التمرد عنصرا أساسـيا فى الحياة السياسـية والاجتماعية. (سنج، ٢٠٠٤). وفى دول مثل كولومبيا، والفلبين، وباكستان، والعراق، حيث تسيطر مجموعات المتمردين على المشهد السياسى، فإنهم يعتمدون فى تمويل أنشطتهم على ممارسة الجريمة.

وطبقا للونى (٢٠٠٥)، فإن حركة التمرد فى العراق، قد أخذت شكل التربح، حيث تمكن المتمردون من جمع أرباح ضخمة من جراء ممارسة أنشطة غير شرعية. مثل تهريب

المخدرات، وممارسة الاختطاف مقابل الفدية، وتجارة الجازولين في السوق السوداء. وهي جرائم يصنفها لوني على أنها أكثر ثلاثة أنشطة إجرامية تحقيقا للمكاسب. وقد استغلها مختلف المتمردين والمجموعات الإجرامية التي كانت تعمل على أرض العراق.

جدير بالذكر، أن ظاهرة تحقيق الأرباح الفاحشة من الجريمة ليست فقط من سمات الدولة الفاشلة أو المتعثرة، ولكنها أيضا، نتيجة للامركزية المجموعات الإجرامية؛ مما ساهم في انتشار عمليات الاختطاف مقابل الفدية، كوسيلة لتحقيق الأرباح في مناطق محددة من العالم (ديشمان، ٢٠٠٥، أورتيز، ٢٠٠٢).

إن المنطق الذي يفترض أن الاختطاف مقابل الفدية من قبيل التجارة المربحة، لمجرد أن المال هو الدافع الأساسي وراء الجريمة، يعتبر منطقا ضعيفا، حيث إنه يعتبر مغاليًا في تبسيط الأمور. فاستمرارية النشاط هو أساس اعتباره تجاريا أو مربحا، ويتحقق ذلك من خلال توفر الهيكل التنظيمي (ويليمز، ٢٠٠١).وهي سمة متوفرة في منظمات إجرامية مستقرة. (إدوارد وجيل، ٢٠٠٢). ومن ناحية أخرى فلابد من وضع معايير محددة لما يمكن اعتباره اختطافا مربحا. وذلك بهدف التفرقة بين سلوكياته وسلوكيات أنواع أخرى من الاختطاف (السياسي، أو العائلي مثلا). إن هدف هذا الفصل، هو الوصول إلى تحديد مواصفات الجريمة التي يمكن اعتبارها تجارة مربحة. وذلك من خلال التركيز على متغيرات أساسية تضمن تحقيق استمرارية النشاط الإجرامي.

تعريف الاختطاف مقابل الفدية بوصفه نشاطًا مربحًا

من المعروف، أن الاختطاف مقابل فدية جزء من أنشطة إجرامية، يمارسها العديد من المجموعات، بغرض تمويل إما الإرهاب، أو حركات التمرد أو غيرها من الجرائم. (ماكفرلين، ٢٠٠٣، نيلور، ١٩٩٣).إن تقديرا معتدلا للإيراد السنوي العالمي، من جراء عمليات الاختطاف والمطالبة بالفدية، قد تزايد بشكل مفرط حتى أنه بلغ ٥٠٠

مليـون دولار أمريكـي (بريجـز ٢٠٠١، ٢٠٠٢)[١]. وفى واقـع الأمر فإن هنـاك إدراكا كبـيرًا، أن عملية الاختطاف مقابـل الفدية، تعد من الأنشـطة الإجرامية وفيرة الأرباح (بريجز، ٢٠٠١، ٢٠٠٢، هاجيدورن أورباخ، ١٩٩٨، هانتر، ١٩٩٦، لاشنير، ٢٠٠٧، ماتيو، ٢٠٠٤، مور وزومبول، ٢٠٠١).

وتستـمد هذه المقولـة أهميتها، من ملاحظـة، أن الهدف الأساسـى للغالبية العظمى مـن عمليـات الاختطاف، هو المطالبـة بفدية مالية ضخمة. ومـن الأمثلة على ذلك، أن عمليات الاختطاف التى وقعت فى بلاد مثل المكسـيك، والعراق، والفلبين، وترينداد، وتوباجو، كانت جميعها بهدف تحقيق الربح المادى وليس من أجل تحقيق أجندة سياسية أو اجتماعيـة[٢] وبالنظـر إلى مناطق العالم ذات الكثافة المرتفعة فى ممارسـة هذا النشـاط، حيـث يتعـرض ما لا يقل عـن عشرة أفراد فى المتوسـط يوميـا لحادثة اختطـاف، فضلا عـن أن هذه المناطق تكاد تقتصر على دول فاشـلة أو دول غير مسـتقرة لمرورها بمرحلة انتقاليـة، أى أنهـا مناطـق غير مسـتقرة (سـانج، ٢٠٠٤)، فـإذا أضيـف إلى ذلك، عدد حـوادث الاختطـاف التى يكون دافعها تحقيـق الربح، بالإضافـة إلى الكثافة الجغرافية، فإن كل ما سبق يرجح ربحية هذا النشاط الإجرامى، وأنه غالبا ما يمارس بهدف تحقيق أرباح عالية. ومع ذلك، فلابد من الإشارة إلى أن هذه الملاحظات لا تستند إلى دراسات عملية.

وإذا أردنا أن نصنف عمليات الاختطاف على أسـاس أنها عمليات إجرامية لتحقيق الربح، فلابد لنا أولا أن نقارن بين مواصفاتها ومواصفات أنشـطة الإرهاب أو الجرائم

---

(١) لا بد من توخى الدقة عند تحديد هذا الرقم، حيث إن نشاط الاختطاف فى كولومبيا وحدها، يقدر بـ١٠٠ مليون دولار أمريكى. ونفس الشىء يمكن قوله عن بقية مناطق تركز الاختطاف فى العالم.

(٢) وهناك مزيد من الدول التى تعانى من ارتفاع فى نسبة الاختطاف مقابل الفدية. بريجز (٢٠٠٢) قدم تقريرا يشـمل أكثـر من عشر دول تمـارس فيها بكثافة عمليـات الاختطـاف: كولومبيا، وماكسـيكو، والبرازيل، والفلبين، وفنزيولا، وإكوادور، والاتحاد السوفيتى سابقا، ونيجيريا، والهند، وجنوب أفريقيا.

الأخرى. هنا نجد أن ما يجب أخذه فى الاعتبار حقيقة الأمر، هو الأساليب التى تتبناها المجموعات الراديكالية، وليس الدوافع. وإذا اعتبرنا الاختطاف من العمليات المربحة، فلابد من وجود مؤسسات ذات هياكل تنظيمية، ولابد من وجود أسواق تكيف نفسها مع الظروف، ولاتعمل على ازدهار هذه التجارة. ومن ضمن العناصر المطلوبة أيضا، القدرة على تكرار العملية واستمرار المجموعة فى ممارسة النشاط عبر فترة طويلة من الزمن. مما يعنى بدوره أن المجموعة تعتمد على منظمة يكون فى قدرتها إدارة عمليات اختطاف عدة رهائن و/ أو فى مناطق مختلفة فى الوقت ذاته. مع استمرار القيام بغسيل الأموال بشكل منتظم. ولابد من توفر شبكة اجتماعية تكون متاحة لدعم مثل هذه البنية التحتية المعقدة، التى تسمح بممارسة عملية الاختطاف مقابل الفدية بشكل متكرر. (أركيلا ورونفيلد، ٢٠٠١، ميلوارد وراب، ٢٠٠٢، شميدت، ١٩٩٦، ويليمز، ٢٠٠١).وفى ظل هذه الظروف، فإن عملية الاختطاف يمكن اعتبارها نشاطا إجراميا، يعتمد على سوق ذى هيكل وتكوين مماثل لأسواق الاتجار بالبشر أو بالمنتجات غير الشرعية.

العلاقة بين الأنشطة الإجرامية التى تعتمد على السوق وعملية الاختطاف مقابل الفدية

من بين جرائم تحقيق الربح، نذكر، عملية انتقال الممتلكات والأموال، من طرف إلى آخر، سواء من خلال القوة، أو المخادعة، أو من خلال أسواق التبادل الحر (دون قيود). (نيلور، ٢٠٠٣). وهو ما يتطلب توفير احتياطى من السلع غير الشرعية، والخدمات المتصلة بها (مثل توفير العقاقير المخدرة أوخدمات الدعارة).أو التحكم والسيطرة على المنتجات والخدمات بشكل غير شرعى. (الإفلاس أو الاحتيال).والوسيلة التى يتم بها نقل الأموال أو المنتجات، هى التى يتم من خلالها تصنيف الجرائم. ويعرف نيلور(٢٠٠٣) جرائم تحقيق الربح، على أنها جرائم تنطوى على نقل ملزم للأموال أو لمنتجات مادية بين طرفين، أحدهما ضحية مغلوب على أمرها غير راغب فى هذا التبادل،

كـما أنه يعتمد على السـوق، فيما يخـص العرض والطلب لسـلع وخدمات محظورة. على أن يتوافر أفراد على اسـتعداد لنقل هذه الأمـوال أو الممتلكات من خلال برنامج متعدد يشـمل المنتجين والموزعين، وتجار الجملة فضلا عن مجـال التعاون القانونى، بما يتضمنه مـن إنتـاج وتوزيع السـلع والمنتجات القانونيـة أو الخدمات. والذى قـد يتم من خلال أسـاليب غير قانونية لنقـل الممتلكات بين الأطـراف المختلفة. (انظـر: الجدول ١ , ١١ لمراجعة المواصفات). وسواء كانت الجريمة تتعلق بسرقة بنك أو عملية احتيال تسويقية عن بعد، فإن القاسـم المشـترك هو الدافع المادى لجرائم تحقيق الربح. ومن الملاحظ أن سـلوكيات هـذه الجرائم المعاصرة تتميز بقـدر عال من الحنكة وبالتنظيـم المرتفع، وأنها تتأثر بحركة الطلب العالمى للمنتجات والخدمات (شميدت، ١٩٩٦، شيلى وبيكاريللى، ٢٠٠٢).

(الجـدول ١ , ١١). يمثـل بعـض المواصفات الأساسـية كما قدمها نيلـور (٢٠٠٣) لأعمال النهب ولجرائم تحقيق الربح المعتمدة على السوق (البيانات من نيلور، ص٨٤- ٨٨ -٢٠٠٣).

مواصفات أعمال النهب والجرائم التى تعتمد على السوق

جرائم النهب	الجرائم المعتمدة على السوق
تتضمن جرائم النهب	تتضمن الجرائم المعتمدة على
١ - إعـادة توزيـع الدخـل القانونى من طرف لآخر	١ - إنتـاج أو توزيع لسـلع أو خدمات غير قانونية.
٢-علاقة ثنائية بين الضحية والمنفذ	٢ - تبـادل متعـدد مـن منتجـين وموزعين وتجار جملة ومديري تمويل ومستهلكين على الطلب.

٣- نقل قسرى بالقوة (أو التهديد).	٣ - شبكة سرية.
٤ - ضحايا يمكن التعرف عليهم (أفراد، مؤسسات، أو شركات).	٤ - نقل تطوعى (ليس بالقوة)
٥ - النقل يكون للأموال أو (منتجات عينية، خدمات أمنية - أو معلومات)	٥- النقل يكون أموالاً أو من خلال الأدوات البنكية.
٦ - خسائر يمكن تحديدها، الذى تم سرقته	٦ - مفهوم ضمنى لقيمة عادلة للسوق.
٧- يمكن للمؤسسات أن تحدد المال المنهوب أو الممتلكات	٧- الحاجة إلى إيجاد وسيلة لمعالجة إجراءات الضحايا من الأفراد.

وطبقا لنموذج تيلور، فإن الاختطاف يعتبر من جرائم النهب، بما أن نقل الأموال يتم بين طرفين ويعتمد على القوة ووسائل قسرية. ولكن قد يأخذ الاختطاف بعض المظاهر المختلفة التى تشبه فى مظهرها الجرائم التى تعتمد على السوق؛ ولذا قد يكون من الأفضل أن نعرف الاختطاف على أنه من جرائم تحقيق الربح. ومن المتغيرات، تكرار عملية الاختطاف[1] والتقييم[2] وإعادة توزيع الشبكة من أجل الاتجار بالرهائن. فضلا عن إدارة الأموال التى تم تحصيلها من وراء الجريمة.

(١) إن الأعداد الضخمة لعمليات الاختطاف مقابل الفدية، داخل مناطق نائية من العالم تشابه ولاشك، مواصفات جرائم الاعتياد على السوق. طبقا لروت، (٢٠٠٧) فإن حوداث الاختطاف مقابل الفدية، فى المكسيك يصل عددها حاليا إلى متوسط ٤٥٠٠ فرد فى السنة، لاحظ أنه بين أربعة وعشرة أفراد يتم اختطافهم مقابل فدية كل يوم فى بلاد مثل العراق، والمكسيك، وكولومبيا، وإكوادور، والفلبين، ونيجيريا والهند. وطبقا لنيلور(٢٠٠٣)، فإن الجرائم المعتمدة على الأسواق، تتميز بالعلاقات المتعددة، ومفهوم عدالة السوق بالنسبة للسلع وهى مواصفات تشبه بالتحديد بعض مواصفات أنشطة الاختطاف مقابل الفدية.

(٢) طبقا لنيلور (٢٠٠٣)، فإن الأنشطة الإجرامية التى تعتمد على السوق، تتسم بتعدد العلاقات، ومنطق تقيم السلع وفقا لسوق عادلة. هذه الملاحظات تتفق مع سمات الاختطاف مقابل الفدية.

وجدير بالذكر أن العمليات المعاصرة للاختطاف مقابل الفدية، تكشف عن مستوى سلوكى أكثر تقدما من خلال مستوى التنظيم وشبكة العمل[1]. ولهذه الشبكات أيضا دور فى تسهيل عملية توزيع الرهائن بين المجموعات المختلفة بغرض الحصول أخيرا على الفدية المطلوبة. ولاتتم عملية التوزيع بالضرورة داخل إطار منظمة إجرامية. بل من الممكن أن تحدث بين مجموعات جريمة منظمة وجماعات راديكالية. والاختطاف الذى يكون على هذا المستوى، يجذب إليه العديد من الانتهازيين الذين يقتصر همهم على تحقيق الأرباح. ومنهم سماسرة الفدية الذين يعملون كوسطاء بين المختطفين والمتفاوضين مقابل الحصول على عمولة (هاجدورن-أورباخ، ص٣٣-١٩٨٨). وبهذا الشكل فإن طريقة أسر الرهائن تشبه النشاط الإجرامى المعتمد على السوق. فى كولومبيا، اعتادت مجموعات الاختطاف، أن تقيم حواجز على الطريق، و هو مخالف للقانون، حتى تتصيد الأفراد بشكل عشوائى وتختطفهم مقابل الفدية (هيب، ٢٠٠٢، مورو زومبول، ٢٠٠١)[2]. وهى ممارسة تكشف عن محاولة إعطاء صبغة تجارية للنشاط. ويتم تحديد قيمة الرهينة وفقا لاعتبارات متعارف عليها فى السوق. وتتأثر عملية التقييم ببعض الظروف، ومنها الوظيفة، والحالة الصحية، والجنسية، والدين والنوع، وعمر الرهينة. كل هذه العوامل تعتبر مؤثرة وتحدد قيمة الرهينة بشكل ضمنى ومتفق عليه. وأشار بريجز (ص١٨-٢٠٠١)، أن هناك ظروفا خاصة بالسوق تتدخل أيضا، وتكون مؤثرة فى تحديد قيمة الرهينة. ومنها، الحالة الاقتصادية السائدة، والخوف

---

(١) يصف هاجدورن-أورباخ (ص٣٢-١٩٩٨) تعقيد عملية الاختطاف داخل أمريكا اللاتينية. فقد تركز مجموعة على إجراء الأبحاث على ضحية محتملة، بينما مجموعة أخرى، تراقب الهدف، وأخرى تعمل على تقسيم إستراتيجية عملية الاختطاف، وأخرى تنفذ الجريمة. بينما مجموعة أخرى تأخذ على عاتقها مسألة إيجاد مكان لاحتجاز الرهينة وتوفير الحراسة اللازمة. وأخيرا مجموعة أخيرة تقوم بدور المفاوض فيما يتعلق بالفدية المطلوبة.

(٢) وقد أشير إلى هذه العملية (بالصيد المعجزة)، حيث تقوم العصابات بإرغام الأفراد على ترك سياراتهم، ثم تحاول تقييمهم لتحديد الفدية وطبقا لمور وزومبول، (٢٠٠١)، فإن العصابات قد تحاول أيضا التعرف على ما يمتلكه الأفراد من أصول. مثل هذا السلوك قد تم رصده أيضا فى منطقة الشيشان. (تيشكوف، ٢٠٠٤) والعراق.

العـام مـن الاختطاف، والقيمـة الاجتماعية النسـبية للأفـراد داخل الدولة.بـل إن قتل الرهائـن قـد يرفع من قيمة المحتجزين منهم. أو من قيمة نـوع معين من الرهائن . وهو ما أشـار إليه لونى (٢٠٠٥). الذى كتب فى هذا الصدد، أن قيمة الرهائن من المواطنين الأجانـب المحتجزيـن فى العـراق، قد ارتفعت بعـد عمليات الإعدام (عـن طريق قطع الرؤوس) التى نفذها المتمردون فى الرهائن المحتجزة لديهم.

فقد اتضح أن قطع رؤوس الرهائن بشـكل علنى، فى العراق كانت له انعكاسـات، أدت إلى ارتفاع قيمة الرهائن الأجانب.وعادة ما كان يتم اختطافهم بواسطة العصابات الإجراميـة بالعراق، ثم بيعهم للمتمردين مقابل سـعر مرتفع. ويتم تحديد قيمة الرهينة بنـاء عـلى مـا تتمتع بـه مجموعـة المتمردين من نفـوذ وسـطوة، تتحدد بدورهـا فى ضوء عمليـات قطـع الرؤوس التى ينفذونهـا فى الرهائن.. هكـذا كان المتمردون يحصلون فى بعض الأحيان على مبالغ قد تفوق التعريفة المحددة.

هـذه التجارة الرائجة لبيع الرهينة ثم إعادة بيعها بثمن أعلى للعصابات المتنافسـة أو الجماعـات الراديكاليـة، أدى إلى خلق قيمة لها فى السـوق، مـع المحافظة فى نفس الوقت على توفير إمداد مستمر من الرهائن لأصحاب الطلب المتزايد على هذه السلعة.

وإذا أضفنـا إلى هـذه العوامـل القدرة المسـتمرة على غسـيل الأمـوال التى يحصلون عليها. نجد أنفسنا بالفعل أمام ظاهرة تعتمد على السوق كما وصفها لنا نيلور (٢٠٠٣). إن إدارة الأصول تشكل عبئا كبيرا لأى مجموعة يتسع حجم أنشطتها الإجرامية بشكل كبير.خاصـة المجموعـات الإجراميـة التى يكون أسـاس دخلها أموال جرائم السـلب والنهـب أو الابتـزاز (الضرائـب الثورية على سـبيل المثال). إلى جانـب سرقات البنوك والاختطـاف مقابـل الفديـة. فمثـل تلـك المجموعات تجـد نفسـها دوما أمـام كم من المشـاكل المرتبطة بـإدارة مثل هذه الأموال. وبالطبع فإن مسـألة تنظيـم وإدارة الأموال بالنسـبة للمجموعـات الإجرامية المنظمة لا تشـكل عبئًـا، بل تعتبر مـن قبيل الروتين. والعكـس صحيح بالنسـبة للمجموعات التى تفتقر إلى القـدرات التنظيمية، خاصة إذا كانـت بحوزتهـا كمية ضخمة من أموال الفدية، فتجد نفسـها أمام عبء تنظيمها. وهو

مـا واجهتـه المجموعة الأرجنتينية أرجسـيتو دى ريفولوسـيون بوبـولار (ERP) حينما قامـت بابتـزاز ٣ ملايـين دولار (ما يـوازى ٥٠٠ بيزو) كفدية لإطلاق سراح مسـئول كبـير. وقـد كان المبلغ من الضخامة بحيـث إنه ملأ عربة مصفحة عـن آخرها. (نيلور، ١٩٩٣).والمشـكلة لا تقتصر على حجم النقود وحدها، ولكن تسـجيل أرقام الأوراق المالية خاصة بالنسـبة للمبالغ الضخمة، يسهل عملية تتبعها. وهى المشكلة التى وقعت فيهـا مجموعـة ERP ، ويمكن أن تتعـرض لها أى مجموعة تقوم بتحصيـل هذا الكم من أموال الفدية عبر فترة زمنية محددة.

إن مجموعات كولومبيا الثورية خير مثال لمجموعات تنظيمية حديثة تمارس أنشـطة إجراميـة بدافـع تحقيـق الربح. فالقـوات المسـلحة الثوريـة لكولومبيا والمعروفة باسـم (FARK) وجيـش التحرير الوطنى أو (ELN) وهى شـبكات كولومبية متخصصة فى الاختطـاف مقابل الفدية، حققت أرباحا بلغت ٥ , ١ بليون دولار أمريكى بين الأعوام ١٩٩١ و١٩٩٩ (مـوور وزمبول، ص٣٣-٢٠٠١). فضلا عن ٨ , ١ بليون دولار من جراء ممارسـة الابتزاز والسرقة[1] وأيضا تمكنت مجموعة متمردى كولومبيا، من تحصيل مبلـغ وصـل إلى ٢ , ٣ بلايين دولار أمريكي من أنشـطة تهريب المخدرات فى نفس هذه الفترة الزمنية. (موور وزومبول، ٢٠٠١).

والقـدرة عـلى إدارة هـذه المبالغ الضخمـة هو ما يميـز النمـوذج التنظيمى الحديث لمجموعـات الجريمـة عـن نـماذج أخرى أقـل قـدرة واسـتعدادا مـن الناحيـة الإدارية والتنظيميـة.. ومما يجعل هذا النشــاط نشـاطا مربحا أيضا، القدرة على ممارسـة النشـاط لفترة مسـتمرة مـن الزمن. مع توفـر القدرة عـلى إدارة الأرباح المتحصلـة منه، وهيكلٌ تنظيمى يشـبه هياكل أنظمة التهريب. (ويليمز، ٢٠٠١) ورغم إشـارة نيلور (٢٠٠٣)

(١) عـلى الرغـم من أن هذا الرقم قـد ذكره موور وزمبول (٢٠٠١) كممثل لدخل كل من FARC , ELN فإنه تجدر الإشـارة إلى الفارق بينهما فى هذا الشـأن، فبينما الاختطاف مقابل الفدية، يعتبر دخلا أساسـيا بالنسبة لـ ELN حيث يمثل ٧٠٪ من نشاطها، فهو لايمثل أكثر من ٤٠٪ من نشاط FARC والفارق يمثله سيطرة FARC على نسبة كبيرة من أراضى كولومبيا؛ مما يتيح لها فرصة تحقيق دخل إضافى من جراء أنشطة التهريب والابتزاز.

فإنـه يصعـب فى كثير من الأحيان وضع حدود واضحة، تفـرق بين المنظمات الإجرامية وتلك المعتمدة على آليات السـوق، كما يؤكد من ناحية أخرى أن بعض أشـكال أنشـطة السلب والإجرام تحتاج إلى حلول تعتمد على آليات السوق لترتيب إجراءات تنفيذها.

إن نشاط الاختطاف يمكن أن يضاف إلى مجموعة الأنشطة الإجرامية الأخرى التى تمارسـها أى مجموعة على درجة عالية من التنظيم، والتى يعتبر تحقيق الأرباح هو هدفها الأساسـى. وتعتمد فى الأساس على آليات السـوق. أما إذا أرادت أى مجموعة إجرامية ممارسـة نشـاط الاختطاف مقابـل الفدية على نطاق واسـع بحيث يصبـح صناعة قائمة بذاتها، فلابد لها أولا أن تؤمن مسـألة إدارة الأموال دون أن تقع تحت طائلة مؤسسـات تطبيق القانون المحلية. (بينج، ٢٠٠٦).

التداخل بين أنشطة التهريب وممارسة التجارة غير الشرعية والاختطاف مقابل الفدية.

للحفاظ على اسـتمرارية الربحية فى أنشـطة مثل الاختطـاف مقابل الفدية، لابد من تكويـن نظـام قادر على ضـخ التمويل المطلوب الذى يضمن بقاء هذا النشـاط عبر فترة مستمرة من الزمن.

كثير من المؤسسات الإجرامية لديها بالفعل هذا التمويل المنظم الذى يتوافر لديها من جراء تقديم كم متنوع من الأنشطة غير الشرعية، مثل أنشطة القمار أو الدعارة أو الأنشطة الخاصـة بإنتاج وتوزيع المواد المخدرة. (ماكفرلـين، ٢٠٠٣). ويمكن لهذه المجموعات أن تسـتفيد بما تحققه من أرباح جراء ممارسـة تلك الأنشطة فى تنويع أنشطتها الإجرامية، فتجرب حظها فى نشاط مثل الاختطاف مقابل الفدية على سبيل المثال. ومن المعروف أن الأرباح التى تتحقق من جراء ممارسة أنشطة التهريب والتجارة غير المشروعة يمكن أن تربو على بليونى دولار سنويا[1]. وهو مبلغ يفترض بالضرورة امتلاك هذه المجموعات

(١) تـم الوصـول لهـذا الرقـم مـن فاجنـر. د (٢٠٠٦)، أربـاح الاتجار بالبـشر تثير الفـزع. على موقـع www-azcentral. com فى ٢٤ أغسـطس ٢٠٠٦.

لشبكة منظمة تمكنها من توفيرعدد ضخم من الموارد البشرية الفعالة، إلى جانب تنظيم مؤسسى يضمن حسن إدارة هذه الأرباح بما يؤمن استمرارية نجاح العمل. وجدير بالذكر، أنه وبالإضافة لما ذكرناه، فإن اللجوء إلى نشاط الاختطاف، قد ينشأ من اغتنام الفرص الجيدة، وقت ظهورها، خاصة مع توفر الخبرة المتراكمة فى مجال التعامل مع العنصر البشرى، بالإضافة بالطبع إلى توفر العقول المدبرة للجرائم.

جدير بالذكر، أن الأنشطة الثلاث السابق ذكرها، تشترك فى عدة تشابهات إن من الناحية المادية أو فى المفهوم ذاته[1].

فهى أولا تعتمد على خلايا منفصلة للقيام بمجموعة من المهام التى تحقق الهدف وتضمن نجاح العملية. (ميرو وكيرتس، ٢٠٠٣) فمثل هذه الأنشطة الإجرامية تتطلب سائقين، وحراسًا، وفريقًا للمراقبة، وتجار عملة، إلى جانب توفير ملاذ آمن. وقد تختلف أهمية الأدوار باختلاف النشاط الممارس. ولكن اشتراك هذه الأنشطة فى التعامل مع العنصر البشرى. إلى جانب تشابهها فيما يتعلق بالعنصر المادى للجريمة، يجعل البنيان التنظيمى من الناحية العملية، واحدا بالنسبة لهذه الأنشطة. فالمهربون وعصابات الاتجار بالبشر، تتوافر لديهم عوامل النجاح اللازمة فى تنفيذ عمليات الاختطاف، ومنها الناحية المادية، التى تتيح لهم ممارسة تهديد طرف ثالث وممارسة الابتزاز. إلا أن نجاح عمليات الاختطاف يعتمد فى الأساس على القدرة على إدارة العمليات فى ظل قدر كبيرمن السرية (أركيلاو رونفيلد، ٢٠٠١، ميلورد وراب، ٢٠٠٢، وليمز، ٢٠٠١) يتيح لهم القدرة على التحايل على أجهزة الكشف المحلية وإدارات تطبيق القانون أو التهرب منها. إلى جانب تجنب رشوة المسئولين المحليين (شيلى، ٢٠٠١).

ومن الطبيعى أن يتجه العقل المدبر لهذه العصابات إلى طرق لاستغلال الفرص المتاحة لتحقيق الأرباح، لاسيما أن التهريب أو الاتجار بالبشر يعتبر وسيلة فعالة لعملية

---

(١) والاتجار بالبشر يعتمد على اختطاف النساء والأطفال، الذين يتم بيعهم من خلال العصابات ويتم نقلهم تباعا إلى دولة أجنبية، حيث يتحولون دائما، إما إلى ممارسة الدعارة أو يصبحون جزءًا من رقيق العمل. (شيلى، ٢٠٠٣). التهريب من ناحية أخرى لا يفرض الهجرة القسرية إلى دولة أخرى، ولكن الأفراد يهاجرون إلى بلد يقع عليها اختيارهم. طواعية، وذلك من خلال شبكات الجريمة المنظمة.

التجديد والإحلال المستمر لمصادر الدخل؛ لذا تعتبر هذه الوسيلة من الوسائل المفضلة لضخ مزيد من الأموال لهذه المجموعات الإجرامية، خاصة إذا ما قورنت بعمليات تهريب المخدرات التى تحقق الأرباح مرة واحدة فقط. فلا يمكن التعويل عليها بصفة مستمرة؛ لأنها غير منتظمة (شيلى، ٢٠٠٣).

ومن المعروف أن تهريب البشر يتيح لهذه العصابات مصدرا ثانيا للدخل متمثلا فيما يعرف «بديون الاسترقاق» إلى جانب ممارسة الابتزاز. (شاور وويتون، ٢٠٠٦)[1].

فمن الممارسات الشائعة بالنسبة لتلك العصابات مطالبة هؤلاء الرقيق بفدية مقابل عودتهم مرة أخرى إلى بلدهم الأم مصدر هذه التجارة غير الشرعية (الأمم المتحدة، ٢٠٠٣).

وقد تتعرض عصابات التهريب إلى أخطار الإغارة من قبل عصابات تهريب أخرى، تحاول اختطاف الشحنة غير الشرعية واغتنام الفدية لنفسها. ومن هنا يتضح أن سوء استغلال البشر ملمح أساسى فى هذه الممارسات غير الشرعية من تهريب أو اتجار. حيث يسلب الأفراد حقهم فى تقرير المصير فور وصولهم إلى البلد المقصد، .بينما يحقق دخلا جديدا لجماعات الاختطاف.

وتجدر الإشارة إلى أن ممارسة عمليات الاختطاف مقابل الفدية على نطاق منظم وواسع، تختلف عن الممارسات الإجرامية الفردية لنفس النشاط. وإن كانت بالطبع تشترك فى الهدف وهو تحقيق العائد المادى. فالأخيرة تنقصها البنية التنظيمية التى تحقق قدرا عاليا من المهنية والاحتراف لجماعات الاختطاف المنظمة. وقد تتحد مجموعات

---

(١) يجبر المهربون من البشر على العمل مثل الرقيق أو ممارسة الدعارة من أجل القدرة على دفع ديونهم للمهربين، مما يوفر مصدرا إضافيا للدخل لهذه العصابات. يجادل شاور وويتون (٢٠٠٦) مؤكدين أن تهريب البشر يعد من قبيل الاستعباد إلى حد كبير لما يصاحب هذا النشاط غير الشرعى من ممارسة أسوأ أنواع الاستغلال، والقسر والاغتصاب والتهديد الخطير بالضرر الجسدى فضلا عن الحرمان من الحرية.

تربطهـا صـلات الصداقة للقيـام بعملية اختطاف محـددة لضحية بعينها، يتـم اختيارها بدقـة. ورغـم هذه الحرفية فكثيرًا ما يتم التضحيـة بالمجموعات الصغيرة. ولا يتم ذلك عشـوائيا، بـل على أسـاس اعتبارات دقيقـة يحكمها عامل الثـراء أو القـدرة على الوفاء بالالتزامـات المادية. وقـد اتضح من مقابلات أجراها يانج يـو وهوانج (٢٠٠٧)، على عينـة من المختطفـين التايـوان المحتجزين، أن شـيوع عمليات الاختطـاف يتوقف على تحقيـق الربـح السريع، إما نتيجة لإدمان أعضاء المجموعـة للمخدرات، أو نتيجة لفرار المجرمين ومطالبتهم بالأموال.

وقد يطلب زعماء العصابات المساعدة من الأصدقاء المقربين أو من العائلة، فتتكون بذلـك، مجموعـات قد لا تزيد على فرديـن أو ثلاثة، تقوم بعمليـة اختطاف واحدة تفى بالغـرض. ومن هنـا يتضح الفارق الكبـير فى البنيـة التنظيمية للمجموعـات الصغيرة التى تمارس هذ النشـاط عند مقارنتها بالشبكات الإجرامية المنظمة التى تمارس النشاط بشكل منتظم.

وجديـر بالذكر أن هناك بعض الظروف التى تمكن المجموعات الصغيرة من دخول سـوق ممارسـة الاختطـاف مقابل الفديـة. ويتوقف نجاحهـا فى المقام الأول عـلى البنية الاجتماعيـة والسياسـية للدولة المضيفة. ومن المعروف أن المناطـق التى تعانى من انهيار كامل لسـيطرة الدولة، هى تلك، التى تنتعش بها الجريمة المنظمة لاسيما نشاط التهريب والاختطاف.

وتعتـبر العراق خير مثال عـلى ذلك. ففى أعقاب الانهيار الكامـل للنظام الحاكم فى العـراق عام ٢٠٠٣، الـذى صاحبه انهيار تدريجى فى مؤسسـات الدولة، غرق العراق، فى بحـر من الفوضى الكارثيـة، التى كانت من ضمن تداعياتها العديدة، انتشـار ظاهرة الاختطـاف والمطالبـة بالفدية فى كل أنحـاء البلاد. وكانت هذه هى البيئـة المواتية تماما، لتفريـخ أنواع مختلفة من الجرائم، ممـا دفع بصغار المجرمين إلى الاتحاد فيما بينهم، لتنظيم عمليات الاختطاف وممارسة أنشطتها جنبا إلى جنب، وعلى التوازى مع شبكات الجريمة

المنظمة ومجموعات المتمردين التى انتشرت فى كل ربوع العراق. (لونى، ٢٠٠٥). وحقيقة الأمر، فإن الاتجار بالبشر والاختطاف يشتركان فى عدة خصائص، فكلاهما ينتعش ويزدهر فى الدول غير المستقرة، والتى تفتقر إلى سيطرة أجهزة الدولة، فتسود الفوضى ويعم الفساد.. بل إن انهيار مؤسسات الدولة يسمح، حقيقة الأمر فى كثير من الأحيان، للعصابات الصغيرة أن تنضم إلى شبكات أوسع وأكثر تنظيما مستفيدة من خبرتها الواسعة فى ممارسة الجريمة، واحترافها.

وقد وجد أن توافر البيئة المواتية والشروط اللازمة، قد يتيح الفرصة السانحة أمام مجموعات الجريمة المنظمة ويمكنها من بناء اقتصاديات موازية لمؤسسات الدولة وقادرة على ضخ أرباح ضخمة. والعامل الحاسم هنا هو قدرة الدولة على التحكم والسيطرة على أراضيها وحدودها. فمن البديهى أن غياب السيطرة الكافية على أجهزة الدولة وأراضيها يفتح الباب على مصراعيه أمام أطماع أصحاب الأجندات المخربة. وطبقا لألبانيز (٢٠٠٠)، فإن هناك ثلاث مجموعات من العوامل التى ينبئ توافرها بفرص نمو أنشطة جماعات الجريمة المنظمة. وهى: عوامل تتعلق بالفرصة، وأخرى خاصة بالبيئة فى الزمن الآنى، وأخيرا مدى توافر المهارات اللازمة لدى المجموعة، والتى تؤهلها لممارسة النشاط الإجرامى المطلوب. ولاشك أن فرص بناء وتكوين مؤسسات اقتصادية غير شرعية، يعتمد على الاستفادة من انهيار مؤسسات الدولة وغياب تطبيق القانون فى ظل انهيار الدولة. (سانج ٢٠٠٤). بالإضافة إلى حجم الطلب المحلى داخل المجتمع نفسه على السلع والخدمات غير الشرعية. وأخيرا المهارات الخاصة باللغة أو الحديث، فضلا على المعرفة الفنية وتلك الخاصة بالبيروقراطية السائدة فى هذا المجتمع. كل هذه العوامل تساهم بقدر كبير فى إنجاز أنواع بعينها من الأنشطة الإجرامية المنظمة. (بيكاريللى، ٢٠٠٤).

وحالة الشيشان، من الأمثلة التى يمكن الإشارة إليها فى هذا الخصوص.. ففى غياب نظام اقتصادى رسمى للدولة فى أعقاب الحرب التى أسفرت عن تدمير بنية جمهورية الشيشان الوليدة وما ترتب عليها من انهيار فى قطاع الزراعة والصناعات،

نها وازدهر اقتصاد غيررسمى يعتمد على السوق السوداء بشكل أساسى. (جاليوتى، ٢٠٠٢، ماكهينا، ٢٠٠٥).

ومما زاد الطين بلة، ارتفاع نسبة البطالة إلى٨٥٪ بالإضافة إلى هجرة الشعب الشيشانى الإجبارية جراء الحرب، مما فاقم من تردى الموقف الاقتصادى للبلاد. وقد استغل كثير من الأطراف هذه الظروف الكارثية، منها المتمردون الشيشان، وعصابات الجريمة، بالإضافة إلى القوات الروسية الفيدرالية. وطبقا لبيهانى (٢٠٠٤)، فقد انتشرت فى السوق السوداء الموازية أنشطة تهريب السلع غير الشرعية، وأغلبها تتعامل فى تجارة المخدرات، والاختطاف مقابل الحصول على الفدية، إلى جانب الإنتاج غير القانونى للنفط. ومثل هذه الأنشطة توفرالدخل اللازم للمتمردين الشيشان مما مكنهم من تمويل احتياجاتهم من الأسلحة. ويؤكد بيهانى، عدم توافر الإحصائيات الموثوق بها، عن حجم الإيرادات الإجمالية جراء ممارسة هذه الأنشطة.

وجدير بالذكر أن القوات الروسية والمواطنين المدنيين الشيشان كليهما كان متورطا فى أنشطة السوق السوداء الموازية، وقد ساهم الطرفان فى تفشى أنشطتها المشبوهة.

النموذج الشيشانى

يعتبرالنموذج الشيشانى لممارسة نشاط الاختطاف مقابل الفدية أكثرنماذج هذا النشاط خطورة فى العصر الحديث. (لانتينى وبكاشمار، ٢٠٠٧). وربما اقترب منه قليلا النموذج العراقى، خاصة فيما صاحب هذا النشاط من عنف متصاعد وبربرية عمياء. وحتى نماذج الاختطاف المنتشرة على نطاق واسع فى كولومبيا أو المكسيك لايمكن مقارنتها بالنموذج الشيشانى. حيث تحولت عمليات اختطاف الرهائن فى الشيشان إلى عنصر مهم وجوهرى فى تمويل حركة الكفاح للحصول على الاستقلال من جمهورية روسيا الاتحادية. (ديشمان، ٢٠٠١، جاليوتى، ٢٠٠٢، لانتينى وبكشمار، ٢٠٠٧، مور وزمبو، ٢٠٠١، موكينا، ٢٠٠٥، بيهانى، ٢٠٠٤). وبينما ارتفع عدد ما أعلن عنه من رهائن ليصل إلى المئات، تنامى حجم العمل فى سوق هذا النشاط حتى

وصلـت قيمتـه إلى عدة ملايين من الدولارات. وطبقا لموخينـا (٢٠٠٥)، فإنه بين يناير ١٩٩٧، وأغسـطس ١٩٩٩، كان قـد تـم اختطاف ١٠٩٤ مواطنـا مقابل الحصول على الفدية، وأن قيمة الفدية قد تراوحت فى المتوسط بين ٥٠٠٠ و١٤٥٠٠٠ دولار للرهينة الواحدة. وقد تم اسـتغلال هذا الدخل فى تمويل شراء الأسـلحة ومسـتلزمات الصراع الدائر فى هذه المنطقة. كما تم إعادة اسـتثمار العائد لتمويل المزيد من أنشـطة الاختطاف؛ لضمان اسـتمرارية النشـاط. جدير بالذكر أن نشـاط الاختطاف قد مارسـته كل أطياف وفئـات المجتمع فى الشيشـان. (جاليوتى، ٢٠٠٢) من عصابات الجريمة، إلى العشـائر إلى قطـاع الطرق، إلى الجماعات المتمردة، وحتى كبار موظفى الحكومة كانوا من المشـتبه فى تورطهم فى تلك الأنشـطة. بل إن هذا النشـاط انتشر لدرجة تخصيص سجون محددة لاسـتقبال الرهائن. وشاع الحصول على حقوق امتيازات لهذه السجون؛ مما أوجد سوقا جديدة فى هذا المجال.

طبقا لتيشـكوف (٢٠٠٤) فإن ممارسـة نشـاط اختطاف الرهائن، يعتـبر عرفًا قديمًا بالشيشـان. حيث كان مـن الشـائع احتجاز أسرى الحـرب لتبادلهم بالأسرى الشيشـان المحتجزيـن لدى العدو. كما كان يتم اسـتخدامهم أيضـا كعمالة رقيق. وهو تحول فى هذا النشاط، أفرز ظاهرة جديدة إبان حرب الاستقلال الأولى بالشيشان عام ١٩٩٦. وعندما كانت روسيا الاتحادية تحتجز المدنيين من الشيشان لاستجوابهم بشكل تعسفى وعرفت هذه الممارسـة «بالحجز العشـوائى والابتزاز». كان يتم شراء حرية هؤلاء المحتجزين من خلال دفع الفدية. .(مور وزومبول، ٢٠٠١).

وذلـك مقابـل تبادل أسرى روسـيا الاتحادية. وكان أغلب أسرى الجانب الروسـى يتـم قتلهـم ما إن يقبض عليهم. مع الاحتفاظ بعدد قليـل منهم، لأغراض المقايضة، أو البيع. ومن هنا كان أقارب هؤلاء الجنود يقومون بشراء حريتهم، من الثوار الشيشـان، ثـم يطالبون عائلة الرهينة، بفدية فى المقابل. ويضيف تشيكوف (٢٠٠٤) أن العائلات كانـت تـزور ما عرف «بسـوق الرهائـن» وتقدم طلبا بـشراء رهينة مع تحديـد الطلب، رجـل أعمال أو ضابـط أو مواطن مدنى. ولم يقتصر نشـاط أسـواق جروزنى وأوروس

مارتن على شراء الرهائن فقط، بل شمل أيضا شراء العلامة التجارية لممارسة النشاط أو الحصول على حق الامتياز.

وكان الحصول على حق الامتياز يتيح لصغار الفاعلين فى سوق الاختطاف المطالبة بفدية أكبر جراء جهودهم. أما ممارسو هذا النشاط من صغار المختطفين، فكانوا يقومون بعمليات الاختطاف، ثم يبيعون الرهائن لمنظمة أكبر (جاليوتى، ٢٠٠٢). وحقيقة الأمر فقد كان من المألوف أن تباع الرهينة عدة مرات قبل أن تصل إلى أيدى مجموعة بعينها .

إذا فشراء الامتياز التجارى قد غير من أحوال صغار المختطفين، ومكنهم من المطالبة بمبالغ أضخم كفدية. (تيشكوف، ٢٠٠٤). وكانت العائلات، خوفا على حياة أسراها، تسرع فى إجراءات دفع الفدية. وسمعة هذه المجموعات كانت ما يحدد قيمة الفدية وتتحكم فى شروطها أيضا. فكلما عرف عن المجموعة العنف والشراسة، زادت فرصتها فى نجاح مفاوضات الفدية لصالحها. وقد برز فى ذلك الوقت، اسم شيشانى من المقاومة يدعى أرابى برايف، عرف بشراسته وممارسته لأساليب بربرية فى قتل الأسرى من الجنود الروس (لنتينى وبكشمار، ٢٠٠٧). فكانت مجموعات الاختطاف تقوم بدفع جزء مما حصلت عليه من فدية جراء الحصول على امتياز استخدام اسمه فى القيام بعملياتها.

وحقيقة الأمر، فإن استخدام العنف وأساليب التعذيب الوحشية، كان ملمحا أساسيا فى عمليات المفاوضات على الفدية. فقد كان المختطفون يعذبون ضحاياهم من الرهائن ويصورون عمليات التعذيب أو التشويه على شرائط فيديو[1]. وقد مكنتهم أساليب الابتزاز العاطفى من التأثير على سير المفاوضات مع عائلة الرهينة. كما كانت

(١) وقد تضمنت وسائل تعذيب الرهائن الإجرامية، بتر الأذن والأصابع أو حتى طرف اللسان وبرد الأسنان. كما أجبر الرهائن على مشاهدة إعدام الرهائن الآخرين أو الأسرة من الجنود الروس. (تيشكوف، ٢٠٠٤، ١٩).

أفـلام الفيديـو دليلا واضحا على مدى معاناة أقـارب الرهائن من عذاب الضمير إذا تركوهم فى أيدى هؤلاء القتلة؛ مما ساهم فى سرعة الموافقة على ما كان يتم تحديده من فدية. وقد اشـتهر المختطفون الشيشـان خاصة، بالحنكة فى طرق ابتزاز الفدية. فطبقا لتيشـكوف (٢٠٠٤)، قـام هؤلاء فى إحدى المرات، باحتجـاز خمس رهائن من عمال البنـاء، ثـم نفذوا الإعـدام فى أحدهم، وكان أقلهم قيمة لعدم ظهـور أقارب له. وقد أرسـلوا دليـل إعدامـه إلى أسر الرهائن الآخريـن من خلال فيلـم الفيديو، مصحوبا برسـالة تحدد الفديـة المطلوبة. وهكـذا تمكنوا من رفع سـقف الفديـة المطلوبة، نظرا لارتفاع عنصر المخاطرة بالنسـبة للرهائن المحجوزين تحت سـيطرتهم. وهو ما يثبت حنكتهم واحترافهم. ويعتبر دليلا على اسـتخدام تلك العصابات لسـلاح فعال، هو وسائل التعذيب، بهدف التحكم فى سعر الفدية.

يعتبر إذا هذا النشـاط فى منطقة الشيشـان نموذجا نمطيا لنشاط الاختطاف مقابل الفدية على درجة عالية من الاحتراف. حيث إنه يتضمن خطة محكمة وبرنامجًا واضح الملامـح لتقييـم الرهائن، ثـم توزيعها تباعا فى السـوق المخصصة لها. وقـد كان لهذه التجارة فاعلون صغار يعملون أولا من خلال شبكة غير رسمية. حيث يقومون أولا بعملية الاختطـاف، ثم بتقييم الرهينة. وأخيرا إعادة بيعها إلى جماعات أكبر للجريمة المنظمة.

ومـا إن تصـل الرهينة إلى هذه المرحلة أو الحلقة، فى سلسـلة برنامجها المرسـوم بدقة، حتـى يتم احتجازها فى سـجون شـيدت خصيصـا للرهائن. وتكون مـزودة بحجرات لممارسـة التعذيب[1]. وهذه الحجرات ذات أهمية خاصة، إذ يعتمد عليها فى رفع سـقف المسـاومة على قيمـة الرهينة حين تجرى المفاوضات على قيمـة الفدية. كما يتم من خلالها

---

(١) تعرف هذه السـجون باسـم «زندانز»، وقد كانت فى أماكن سرية، كجراجات قديمة، أو حفر سرية، أو فى أقبية منازل خاصة. وطبقا لتشـيكوف (٢٠٠٤) فإن وزارة الأمن، كانت تحتفظ وحدها بحوالى ٥٠ رهينة فى سجونها التى كانت تستقبل باستمرار رهائن جديدة، من سوق جروزنى للرهائن.

أيضـا تحقيق السـيطرة عـلى بقية الرهائن أثناء فـترة احتجازهم. ويكشـف ذلك النقاب بوضوح عن طبيعة سلوكيات سوق الاختطاف، كما كان يدار فى منطقة الشيشان.

الخلاصة

لاشـك أن عملية الاختطاف تتطلب قدرا كبيرا مـن التخطيط والتنظيم، للمحافظة على اسـتمرارية النشـاط عبر فترة طويلة من الزمن. وحقيقة الأمـر فإن العمل التحليلى الـذى تقـوم بـه المجموعـة يمكـن مقارنتـه بالتخطيط المؤسسـى. فعـلى القائمـين بهذا النشـاط، على سـبيل المثـال، ضرورة التعرف على عنـاصر المخاطرة المرتبطة بممارسـته. ومنهـا احتـمالات القبـض عليهـم من قبـل السـلطات، وعليهـم أن يعملوا عـلى توافر مجموعة محددة من المهارات الفردية، إلى جانب دراسـة مدى ملائمة الأجواء السياسـية والاجتماعيـة السـائدة. كـما لابـد أن تتـم الموازنة بـين هذه العنـاصر وقيمـة الرهائن فى السـوق.إلى جانب دراسة احتمالات نجاح النشـاط، ومدى وفرة إمداد الرهائن. فضلا عـن إمكانية احتجـاز الرهائن فى أماكن سريـة وبعيدة عن أعين السـلطات الأمنية. إلى جانب أهمية اتخاذ القرارت الصحيحة بشأن اختيار الطريقة المثلى للاختطاف، وهل يتم عشـوائيا أم بشـكل محدد. وما هـو نوع الفديـة المطلوبة؟. وكل هـذه الاعتبارات مهمة وجوهريـة، إذا كان الهـدف هـو تجنب الوقـوع فى قبضة أجهزة الأمن. وهـل يتم تحديد الفدية بالعملة، أم من خلال عملية تبادل أم فى شـكل سـلع؟.وقيمة السـلعة تتحدد فى ضـوء حجم الطلب عليها فى السـوق. كما أن القدرة على إعـادة بيعها، يعتبر أيضا محددا أساسيا فى الاختيار..كل هذه العناصر شديدة الأهمية، ولابد من موازنتها بشكل فعال، يضمن بقاء واستمرارية العمل فى هذا النشاط.

ولكى يمكن اعتبار نشـاط الاختطاف مقابل الفدية، عملية اقتصادية مربحة وقابلة للنجـاح، لابد من الموازنة بين تكلفة إدارة العملية وإمكانية تحقيق أرباح مادية تسـاوى على الأقل عنصر المغامرة والخطورة التى تصاحبها. ومن التكاليف القابلة للتغيير أيضا، تكلفـة الحصول على الأسـلحة، وأجـور القائمين بعملية الاختطـاف، وتكاليف إخفاء الرهائن بالسجون وإطعامهم.

كل هـذه التكاليف لابـد أن تؤخذ فى الاعتبار حتى تصبـح عملية الاختطاف مجزية أو مربحـة. ومن هنا تحاول جماعات الاختطاف خاصة تلك التى تعمل على نطاق ضيق أن تقلل من تكلفة احتجاز الرهائن، فقد تلجأ إلى حبسـها بمنازل خاصة، أو فى سجون سريـة تحت الأرض. أمـا المجموعات الأكثر تنظيما أو التى تعمـل فى مناطق النزاعات، فهى تحاول تخفيض تكلفة الرهائن، عن طريق احتجازها فى سجون مؤقتة، (وتسمى فى بعض الأحيان «بفنادق الرهائن» هجيدورن ـ أورباخ، ١٩٩٨، ص٣٣) يتناوب عليها النـزلاء فى أوقـات مختلفة. كانـت هذه ملاحظـات صرح بها رهائن تمكنـت من النجاة مـن أسر الاختطاف فى فترة ما بعد حرب العراق. ولاشـك أن عامل الوقت أكثر تأثيرا بالنسـبة لمجموعـات الاختطـاف الصغيرة، فكلـما زادات مـدة الأسر ارتفعت تكاليف الاحتجاز.

إن ارتفـاع عائـد عملية الاختطاف مقابل الفدية يجعلها نشـاطا جاذبا للمجموعات المتطرفة، إذ تشـكل بالنسـبة لها وسـيلة لتمويل عملياتها.ومن ناحية أخـرى فإن عملية الاختطـاف لها شـق مركـب يتعلـق بالتفاعل الاجتماعـى. فتنفيذهـا إلى جانـب الوفاء بالناحيـة التمويليـة يحقـق أيضـا أهـداف سياسـية أو اجتماعية.(بسـت، ١٩٨٢، ترنر، ١٩٩٨، تزانيللى، ٢٠٠٦). وعلى هذا يعتبر شكلا نادرا من أشكال السلوك الإجرامى، إذ يمكنـه تحقيق عدة أهداف فى آن واحد. (لانتينى وبكاشـمار، ٢٠٠٧). وبالتزامن مع تمويل العمليات الأخرى. فنشـاط الاختطاف مقابل الفدية، يبرهن على فشـل سـيطرة الدولة على مؤسسـاتها. ودليل على عجزها عن تحقيق الحماية المطلوبة لمواطنيها، مما ينزع عن الدولة شرعيتها ويفاقم من انتشار الجريمة.

والعراق خير مثال على ذلك، حيث أدى انتشـار عمليات الاختطاف، واجتياحات المتمردين إلى تدمير الحكومة الحديثة وحركة إعادة البناء الوليدة التى تبنتها. وقد يستغل هذا النشـاط لأغراض الدعاية الإعلامية. أو يشـكل فرصة إستراتيجية لإطلاق سراح سـجين. كما قد يسـاهم فى التخلص من شـخصيات مهمـة على السـاحة الاجتماعية أو السياسـية. (كرامـر، ١٩٩٨) وهو بهـذا المفهوم يتجـاوز مجرد اعتبـاره مشروعًا ناجحًا لتحقيق الربح، بل يضيف أبعادا جديدة، ومتنوعة لتعريفه.

وحتـى يمكـن اعتبـار نشـاط الاختطـاف، عمليـة تحقق الربـح والمكسـب فى المقام الأول، فلابـد من مراعـاة عناصر بعينها، منهـا قدرة المنظمة على تكـرار تنفيذ عمليات الاختطـاف، بشـكل منتظم، مع الاحتفاظ بالقدرة على غسـيل الأمـوال على مدى فترة طويلـة مـن الزمن. ومن العنـاصر الفارقة أيضـا، التمييز بين الفاعلين المسـتقلين الذين يمارسـون النشـاط بهـدف الحصول عـلى الأموال، وهم غالبا ما يمارسـون النشـاط على نطـاق ضيق وغير منظم. ويطالبون بفدية ضئيلـة. ويعتبرون من صغار المجرمين، فعلى الرغم من أن الدافع الأساسـى لارتكاب الاختطاف، هو الحصول على الأموال. إلا أن النية لا تكون بغرض تأسـيس إمبراطورية لهذا النشـاط. ثم هناك المجموعات الصغيرة التـى يمكنها أن تتعامل مع شـبكات الاختطاف ذات النطاق الواسـع. (أو الاتحادات) (يانـج، يو، وهوانج، ٢٠٠٧). هؤلاء يمارسـون الاختطاف فى بعـض الأحيان بغرض بيـع الرهينة للمجموعات الكبـيرة. أو يقومون بالاختطاف بغـرض الاحتفاظ بالفدية لأنفسـهم. كما يحاولون تكوين مـشروع ناجح من وراء عملياتهـم. تحقيق العائد المادى وحده إذا، لا يعتبر وحده كاف لتحول عملية الاختطاف إلى مشروع مربح. فالمحدد هو، القدرة على التنظيم وعلى تكرار تنفيذ العمليات بشكل منتظم.

المراجع

Albanese, J. S. (2000). Do criminals organise around opportunities or do criminal opportunities create new offenders. *Journal of Contemporary Criminology, 16*, 409–423.

Arquilla, J., & Ronfeldt, D. (2001). *Networks and netwars* (pp. 61–97). Santa Monica: RAND Corporation.

Best, J. (1982). Crime as strategic interaction: The social organization of extortion. *Journal of Contemporary Ethnography, 11*, 107–128.

Bibes, P. (2001). Transnational organized crime and terrorism: Colombia, a case study. *Journal of Contemporary Criminal Justice, 17*, 243–258.

Briggs, R. (2001). *The kidnapping business.* London: The Foreign Policy Centre.

Briggs, R. (2002). Hostage Inc. *Foreign Policy, 131*, 28–29.

Clutterbuck, R. (1978). *Kidnap and ransom: The response.* London: Faber & Faber.

Dishman, C. (2001). Terrorism, crime, and transformation. *Studies in Conflict & Terrorism, 24*, 43–58.

Dishman, C. (2005). The leaderless nexus: When crime and terror converge. *Studies in Conflict & Terrorism, 28*, 237–252.

Edwards, A., & Gill, P. (2002). Crime as enterprise? The case of transnational organised crime. *Crime, Law & Social Change, 37*, 203–223.

Galeotti, M. (2002). Brotherhoods and Associates: Chechen networks of crime and resistance. *Low Intensity Conflict & Law Enforcement, 11*, 340–352.

Hagedorn-Auerbach, A. (1998). *Ransom: The untold story of international kidnapping.* New York: Henry Holt Company.

Heeb, A. (2002). *Violent crime, public perceptions and citizen security strategies in Colombia during the 1990s.* Unpublished doctoral thesis, Oxford University.

Hunter, T. (1996). Colombia's Kidnapping Incorporated. *Jane's Intelligence Review, 8*, 565.

Kiser, S. (2005). *Financing terror: An analysis and simulation for affecting Al Qaeda's financial infrastructure.* Santa Monica: RAND Corporation.

Kramer, M. (1998). The moral logic of Hizballah. In W. Reich (Ed.), *Origins of terrorism: Psychologies, ideologies, theologies, states of mind* (pp. 131–157). Washington, DC: The Woodrow Wilson Centre Press.

Lechner, A. (2007). Cosh or carry. *Intersec, 17*, July/August, 26–28.

Lentini, P., & Bakashmar, M. (2007). Jihadist beheading: A convergence of technology, theology, and teleology? *Studies in Conflict & Terrorism, 30*, 303–325.

Looney, R. (2005). The business of insurgency: The expansion of Iraq's shadow economy. *The National Interest, 81,* 1–6.

Makarenko,T. (2004). The crime-terror continuum: Tracing the interplay between transnational organised crime and terrorism. *Global Crime, 6,* 129–145.

Mateo, N. J. (2004). This business of kidnapping: Making sense of kidnapping within a business transaction perspective. *Philippine Journal of Psychology, 37,* 141–159.

McFarlane, J. (2003). Organised crime and terrorism in the Asia-Pacific region: The reality and response. *Transnational Organised Crime, Terrorism and Transnational Relations,* European Consortium for Political Research, 2nd General Conference, 18–12 September.

Merkling, S., & Davis, E. (2001). Kidnap and ransom insurance: A rapidly growing benefit. *Compensation & Benefits Review,* November/December, 40–45.

Milward, H. B., & Raab, J. (2002, October). *Dark networks: The structure, operation, and performance of international drugs, terror, and arms trafficking networks.* Paper presented at the International Conference on the Empirical Study of Governance, Management, and Performance, Barcelona, Spain.

Mincheva, L., & Gurr, T. R. (2006, March). *Unholy alliances? How trans-state terrorism and international crime make common cause.* Paper presented at the Annual Meeting of the International Studies Association, Panel on Comparative Perspectives on States, Terrorism and Crime, San Diego.

Miro, J. M., & Curtis, G. E. (2003). Organized crime and terrorist activity in Mexico, 1999–2002. The Library of Congress. Retrieved January 14, 2004 from www.loc.gov/rr/frd/

Moor, M., & Zumpolle, L. (2001). *The kidnap industry in Colombia – our business?* The Hague: Pax Christi Netherlands.

Mukhina, I. (2005). Islamic terrorism and the question of national liberation, or problems of contemporary Chechen terrorism. *Studies in Conflict & Terrorism, 28,* 515–532.

Naylor, R. T. (1993). The insurgent economy: Black market operations of guerrilla organisations. *Crime, Law and Social Change, 20,* 13–51.

Naylor, R. T. (2003). Towards a general model of profit-driven crimes. *British Journal of Criminology, 43,* 81–101.

Ortiz, R. D. (2002). Insurgent strategies in post-Cold War: The case of the revolutionary armed forces of Colombia. *Studies in Conflict & Terrorism, 25,* 127–143.

Peimani, P. (2004). *Armed violence and poverty in Chechnya.* A mini case study for the Armed Violence and Poverty Initiative. Centre for International Cooperation and Security of the Department of Peace Studies, University of Bradford, UK.

Picarelli, J. T. (2006). Transnational organised crime and terrorism: A theory of malevolent international relations. *Global Crime, 7,* 1–24.

Ping, H. (2006). Is money laundering a true problem in China? *International Journal of Offender Therapy and Comparative Criminology, 50,* 101–116.

Riascos, A. J., & Vargas, J. F. (2006, January). Violence and growth in Colombia: A brief review of the literature. Retrieved June 27, 2007, from: www.webpondo.org

Restrepo, E. M., Sanchez, F., & Cuellar, M. (2006). Impunity or punishment? An analysis of criminal investigation into kidnapping, terrorism and embezzlement in Colombia. *Global Crime, 7,* 176–199.
Root, J. (2007). In Mexico, crime continues its surge. *Yahoo News,* 22 September. Retrieved September 29, 2007, from www.yahoo.com
Schauer, E. J., & Wheaton, E. M. (2006). Sex trafficking into the United States: A literature review. *Criminal Justice Review, 31,* 146–169.
Schbley, A. H. (2000). Torn between God, family, and money: The changing profile of Lebanon's religious terrorists. *Studies in Conflict & Terrorism, 23,* 175–196.
Schmid, A. P. (1996). The links between transnational organized crime and terrorist crimes. *Transnational Organized Crime, 2,* 40–82.
Shelly, L. (2001). Corruption and organized crime in Mexico in the post-PRI transition. *Journal of Criminal Justice, 17,* 213–231.
Shelly, L. (2003). The trade in people in and from the former Soviet Union. *Crime, Law & Social Change, 40,* 231–249.
Shelly, L. I., & Picarelli, J. T. (2002). Methods not motives: Implications of the convergence of international organized crime and terrorism. *Police Practice and Research, 3,* 305–318.
Sung, H. E. (2004). State failure, economic failure, and predatory organised crime: A comparative analysis. *Journal of Research in Crime and Delinquency, 41,* 111–129.
Tishkov, V. (2004). *Chechnya: Life in a war-torn society.* Berkeley, CA: University of California Press.
Turner, M. (1998). Kidnapping and politics. *International Journal of the Sociology of Law, 26,* 145–160.
Tzanelli, R. (2006). Capitalizing on value: Towards a sociological understanding of kidnapping. *Sociology, 40,* 929–947.
United Nations (UN) Commission on Crime Prevention and Criminal Justice (2003, April). *International cooperation in the prevention, combating and elimination of kidnapping and in providing assistance to victims.* Retrieved July 23, 2007, from www.unodc.org/pdf/crime/commissions/12_commission/7add1.pdf
United Nations (UN) Commission on Crime Prevention and Criminal Justice (2004a, March). *International cooperation in the prevention, combating and elimination of kidnapping and in providing assistance to victims.* Retrieved March 30, 2007, from http://daccessdds.un.org/doc/UNDOC/GEN/V04/516/63/PDF/V0451663.pdf?OpenElement
United Nations (UN) Commission on Crime Prevention and Criminal Justice (2004b, April). *International cooperation in the prevention, combating and elimination of kidnapping and in providing assistance to victims.* Retrieved March 30, 2007, from http://daccessdds.un.org/doc/UNDOC/GEN/V04/529/58/PDF/V0452958.pdf?OpenElement
United Nations Assistance Mission for Iraq (UNAMI) (2006). Human Rights Report 1st November – 31st December. Retrieved March 3, 2007, from www.uniraq.org/FileLib/misc/HR%20Report%20Nov%20Dec%202006%20EN.pdf

Williams, P. (1994). Transnational criminal organisations and international security. *Survival*, *36*, 96–113.
Williams, P. (2001). Transnational criminal networks. In J. Arquilla, & D. Ronfeldt (Eds), *Networks and netwars* (pp. 61–97). Santa Monica: RAND Corporation.
Yang, S. L., Wu, B., & Huang, S. L. (2007). Kidnapping in Taiwan: The significance of geographic proximity, improvisation, and fluidity. *International Journal of Offender Therapy and Comparative Criminology*, *51*, 324–339.

الفصل الثانى عشر

دراسة حالة- رمزان قاديروف
فى الشيشان: القيادة السلطوية بالقوقاز

جون راسل

نبـذة: مـن أهم مـا ميز رمـزان قاديروف، كقائـد للشيشـان، أنه نجح فيما فشـل فيه الآخـرون. إذ اسـتطاع بحنكة نادرة أن يخلق تجانسـا فريدا بين مصلحـة وأطماع النخبة الحاكمة من ناحية واحتياجات شعب الشيشان، من ناحية أخرى. كما استطاع من خلال سـلطته أن يملأ فراغ سـلطة الدولة آنذاك. وأتيح له أيضا وبشـكل مماثل أن يسيطر على المكاسب الشخصية لشعبه، بحيث يوجهها لما يخدم مصلحته ومصالح النخبة الحاكمة. مقنعا الشـعب أن فى ذلك مصلحة اقتصاديـة للجميع، وفى نفس الوقت تمكن من حماية مصالح الشعب من النهب والسلب على أيدى المستعمر الروسى..

وقـد تمتـع المجتمع فى الشيشـان فى ظل حكمه، بنـوع من الاسـتقرار، أو ما يمكن اعتباره أمانا نسـبيا. إذ إن هذا الأمان كان مقصورا، حقيقة الأمر، على أتباع قاديروف وحدهم. أما معارضوه فعلى العكس تماما، لم يشـعروا قط بالآمان. وقد عاشت البلاد حالة من الديمقراطية المنقوصة لغياب تطبيق القانون. ومن هنا كان رامزان قاديروف على الأرجح يمثل نموذجا لا يحتذى به لحاكم مسـتبد وسلطوى. فقد كان بمثابة أول وآخـر «ملوك الشيشـان». وقـد اجتمع على هذا الرأى الشيشـان والـروس والمجتمع الدولى بأثره.

رجال أقوياء ومراكز مرموقة

لابد من الإشـارة إلى أن تغييرا ملحوظا قد طال النزاع بالشيشـان، وهى الجمهورية المتمـردة بمنطقـة شـمال القوقاز التـى عانت أكثر من عقـد من الزمن من قبضة روسـيا الحديديـة الخانقـة. (حتـى أن البعض يرى أنها مـرت كالقرون). فى أول عشر سـنوات من المواجهات، أسـفر العنف واسـتخدام القوة غير المتوازنة وبشكل عشوائى، من قبل القـوات الروسـية تجاه المواطنيـين المدنيين، عن قتـل أو إصابة أو تشريـد، ما يقرب من ٣٠٠٠٠٠ مواطن[1].

وقـد لفت هذا الصراع بين الشيشـان والـروس انتباه العالم، خاصة بسـبب تقدم الثـوار الشيشـان الـذى أدهـش الجميـع. وكان ذلـك فى الفـترة الأولى للنـزاع بـين (١٩٩٤-٩٦).(جـال ودى وال، ١٩٩٧، ألمانيـا، ٢٠٠٣، ليفـان، ١٩٩٩). إلا أن ممارسـات فـترة ما بين الحروب، مـن اغتيالات عن طريق قطع الـرؤوس وعمليات اختطـاف الرهائـن، عـلى أيدى قـادة الجماعات المسـلحة، أفقـدت الثوار الشيشـان الكثير مـن تعاطف العالم. (لانسـكوى، ٢٠٠٣). ثم ما لبـث هذا التعاطف أن تبخر بالكامل، مفسـحا الطريق أمام شـعور بالرعب والكراهية تجاههـم، فى الفترة الثانية مـن النزاع (١٩٩٩-٢٠٠٦) خاصة بعد حادث احتجاز الرهائن بمسرح دوبروكفا بموسـكو فى أكتوبر ٢٠٠٢، والذى أعقبه حادث مدرسـة بسلان فى سبتمبر ٢٠٠٤ (دنلوب، ٢٠٠٦).

---

(١) مـن الصعـب التأكد من دقة تقديرات أعـداد القتلى أثناء أحداث هذا النزاع. ومن المثير للدهشـة أن العدد ٣٠٠٠٠٠ قتيـل، جـاء على لسـان نائب رئيـس وزراء من أتباع الإدارة الروسـية، وربما يكـون مبالغًا فيه، لتحقيق مكافأة أعلى. انظر: «٣٠٠٠٠٠ قتلوا فى حروب الشيشـان- مسـئولين روس"، أخبار موسكو ١٩ نوفمبر ٢٠٠٤

ويرتبط هذا التغيير فى أوضاع الشيشان، والذى لا يتفق كثيرون[1]، على اعتباره من قبيل التحسن، باختلاف مصيرى قائدين يتمتعان بكاريزمية خاصة لدى الشعب الشيشانى.. هما على التوالى، شاميل بزايف، ورمزان قاديروف.كان شاميل بزايف، قائد المقاومة الشيشانية والعقل المدبر، لحوادث اختطاف الرهائن فى كل من: بودنفوسك، ودوبروفكا، ومدرسة بسلان. وقد قتل فى العاشر من يوليو ٢٠٠٦، فى ظروف غامضة فى منطقة إنجوستيا، المجاورة.(وكان ذلك فى ليلة افتتاح مؤتمر الثمانى الكبار بمدينة سانت بيترسبرج. موطن الرئيس الروسى فلاديمير بوتين. أما رمزان قاديروف، فقد ذاع صيته بعد مقتل والده أحمد، على يد قوات بزايف، فى مايو ٢٠٠٤. ويعتبر أول رئيس موال للروس من الشيشان.وقد أصبح رئيسا رسميا للشيشان، يوم ٢ مارس ٢٠٠٧. وكان الرئيس بوتين قد عينه رئيسا، أسبوعين قبل هذا الميعاد.

وتمكن هذا القائد الشاب، وهو فى عمر لا يتجاوز الثانية والثلاثين، حين تولى الحكم، من إعادة نوع من الاستقرار والحياة الطبيعية إلى ربوع البلاد. كما بدأ حركة إعمار، أعادت مرة أخرى الهدوء إلى جبهة أوروبا الجنوبية الشرقية. حتى أن شعبه قد لقبه «بالشاحن» بسبب ما تمكن من إنجازه لبلاده. (بوريزوف، ٢٠٠٧). وقد تمكن قاديروف، من وضع حد للحروب التى مزقت منطقة الشيشان. بل أسس نظاما للحكم حاكى فيه النظام الروسى، الذى يعتمد على المركزية وهيمنة الطبقة الحاكمة على مختلف مؤسسات الدولة. وذلك فى منطقة، كانت قد قاومت لمدة قرون هذا الشكل من أشكال الحكم، مفضلة عليه نموذجا يعتمد على تعدد المركزية، أشبه بنظام القبائل مما جعله فى أعين الكثيرين من أبناء شعبه، قائدا أسطوريا.

---

(١) انظر الخطاب الذى وقع عليه أكثر من ١٠٠ عضو من النخبة البريطانية السياسية والثقافية. «إن على بوتين أن يتحرك لإنهاء حكم الخوف والقمع الذى يسود منطقة الشيشان.» الإنديبندت ٧ مايو، ٢٠٠٧. «إن الأغلبية من شعب الشيشان تعتبر حكم قاديروف يتجاوز حكم الخوف والقمع. وذلك بلا مخرج، وبلا أمل فى المطالبة بتحقيق العدل فى الجرائم التى ترتكب بشكل يومى فى حق المدنيين».

بل إن بعض الروس كانوا يشبهونه بستالين (REF/RL). ٢٠٠٦ بينما اختلفت نظرة جزء من الإعلام الغربى إليه، حيث وجدوا أنه يشابه عيدى أمين فى قسوته وإشاعته للرعب وتحول إلى مادة للفكاهة والسخرية[١].

وقد شاع جو عام من التفاؤل والاستبشار بمستقبل أفضل حينما أعلن رمزان قاديروف، فى الخامس من يناير ٢٠٠٧، فى حديث أدلى به لجريدة النيوزويك الروسية، أن السلام قد استتب الآن فى جمهورية الشيشان[٢]. وقد عزز من هذا الإحساس، تأكيدات أدلى بها وزير دفاع روسيا آنذاك، سيرجى إيفانوف «أن المشكلة قد تم حلها» .(شيفرز٢٠٠٧). إلا أن الأمر اختلف بالنسبة للشعب الروسى، الذى كان أكثر تشككا تجاه هذه التصريحات. وقد أظهرت استطلاعات الرأى التى أجريت فى ذلك الوقت، بمركز ليفادا Levada Center أن ٥٠٪ من الشعب الروسى، يعتقد أن الحرب بالشيشان لاتزال مستمرة. بينما لم يتجاوز من يعتقد أن الأمن قد استتب بالفعل بالمنطقة أكثر من ٣٨٪ [٣]، كما علق محلل سياسى بالشيشان على تصريح آخر من قبل قاديروف، كان قد أدلى به فى التاسع من يوليو، مؤكدا أن النزاع قد انتهى (دودايف، ٢٠٠٧) بما يلى:

إن المقاومة المسلحة بالشيشان وبالأقاليم المجاورة، لا تزال تشكل قوة مهددة. ربما تتوهم النخبة الحاكمة فى روسيا أن القتال قد انتهى. ولكنى أعتقد، إن آجلا أو عاجلا، أن الانفصاليين سوف يعلنون عن وجودهم، وبقوة.

ولا شك أن تحليل نموذج هذا القائد، والذى كان يشار إليه «بالملك رمزان» من قبل القوات الروسية بالشيشان (أوسبورن، ٢٠٠٦)، والتعرف على العناصر التى ساعدته فى تحقيق هذا النجاح أمر مثير للاهتمام. إذ يمكن القول إنه نجح فى الفوز بقلوب الشيشان، وفى السيطرة على أفكارهم، وفى نفس الوقت نجح فى نيل مساندة

---

(١) تأثرا بنجاح فيلم عيدى أمين، « آخر ملوك إسكتلندا» لقبت لجنة عقدت بموسكو بمارس ٢٠٠٧ «بآخر ملوك الشيشان».

(٢) وقد تم العثور عليها ٤ مارس ٢٠٠٧ -٥..

(٣) تم العثور عليها ١١ مارس ٢٠٠٧. من موقعين على شبكة الإنترنت

وتأييد الرئيس الروسى بوتين. (وذلك على الرغم من أن الروس يتحملون مسئولية ما آلت إليه الأوضاع بالشيشان من بؤس وانهيار فى غضون صراعهم طويل الأمد فى هذه المنطقة). ومن العناصر الجديرة بالدراسة أيضا فى هذا الصدد، قدرة قاديروف على البقاء فى السلطة والاستمرار فى الحكم..

وسوف نستعين بمجموعة من النظريات التى تم استخلاصها من واقع تجارب خاصة بوضع حد للنزاعات أو بظاهرة الإرهاب ومكافحته، حتى يمكن دراسة هذا النموذج بدقة والحكم عليه. وما إذا كان يشكل بالفعل ظاهرة متفردة، ونادرة الحدوث، تصادف أن وقعت فى هذه الجمهورية الجبلية النائية، والتى تعيدنا إلى عصور ما قبل الحداثة. أو يمكن الاستفادة من تجربته واستخلاص دروس يمكن تطبيقها فى مناطق أخرى من القوقاز. أو ربما فى أفغانستان أو العراق. أى أننا نريد اختبار مدى جدوى وأهمية تطبيق حكم سلطوى مطلق فى فترة ما بعد النزاعات.

مصفوفة تجمع بين الحاجة والأطماع والعقيدة

من بين ما قدم أو عرض فى مجال دوافع قيام النزاعات الأهلية، أرى أن أكثرها تطابقا مع الوضع بالشيشان ما تقدم به ويلم زارتمان (زارتمان، ٢٠٠٥) انظر: الجدول١ , ١٢.

بناء على نظريته فإن أهم أربع دعائم لضمان بناء أى مجتمع، هى: القوة السياسية، والفرصة الاقتصادية واستتباب الأمن فى المجتمع وتطبيق القانون والنظام. وأزعم هنا أن قاديروف كان أول شخص بالشيشان أهله موقعه، أن يتعامل مع هذه العناصر الأساسية ويوجهها بالفعل لبناء المجتمع. وبغض النظر عن درجة النجاح أو الفشل فى التعامل معها. فقد أهله ذلك للفوز بما حظى به من شعبية، سواء على مستوى شعبه، أو من قبل الرئيس الروسى.

قبل مجىء قاديروف كان هناك فراغ سياسى، استغله جنرلات الحرب المحليين والقادة العسكريون، وعصابات مختلفة، قامت باستغلال قوتها ونفوذها لتحقيق مطامع شخصية.

كما استغل هؤلاء أيضا الغياب شبه التام لممارسة أية أنشطة اقتصادية شرعية فى منطقة الحرب فى تحقيق ثراء شخصى لأنفسهم ولأتباعهم. وكان من الطبيعى، وفى ظل هذه الأجواء، من غياب الأمن والنظام، أن يلجأ هؤلاء إلى حماية مصالحهم السياسية والاقتصادية بقوة السلاح.

وقد ساهم غياب أية آلية لتطبيق القانون، فى تكريس ممارساتهم لأعمال السلب والنهب على سجيتهم. إن غياب القانون أدى إلى أن يتولى أمور الشعب الشيشانى عصابات يمكن أن نطلق عليها اسم «مقاولى العنف» (روسل، ص١١٠-١٣٠، ٢٠٠٧) دفعتهم أطماعهم الجارفة وبعض العناصر فى عقيدتهم إلى المتاجرة بأقوات الشعب الشيشانى. (انظر: الجدول ٢ , ١٢).

لقد نجح قاديروف فى إقامة نوع من التوازن بين عنصرى «الحاجة» لدى الشعب «وأطماع» النخبة الحاكمة. أما «العقيدة» ومكوناتها فقد تم توظيفها بشكل تبادلى وتراكمى بين العنصرين السابقين. وكل عنصر من هذه العناصر، حقيقة الأمر، كانت له فعالية وقوة فى التأثير على ظروف هذا النزاع المروع بين الروس والشيشان.

إن التراث الثقافى الشيشانى يذخر بقصص المقاومة الشيشانية للمستعمر الروسى على مدى ثلاثة قرون (روسل، ص١٧-١٨، ٢٠٠٧).وقد عرف عن الروس شراستهم فى الرد على المقاومة الشيشانية. مما أفضى إلى ترحيل جبرى جماعى لأمة شيشانية كاملة إلى سيبيريا وكازخستان عام ١٩٤٤.

(جدول ١ , ١٢) التقابل بين الحاجات والمطامع فى الشيشان

الحاجة	المطمع
القوة السياسية	النفوذ الشخصى
الفرص الاقتصادية	التربح الشخصى
المجتمع الآمن	القوة وليس الحق
دولة يحكمها القانون	القوة وليس الحق

(الجدول ٢ , ١٢) مكونات العقيدة التى أحسن قاديروف استثمارها بالشيشان

العقيدة
إرث الشيشان الثقافى
القومية الشيشانية
العرقية الشيشانية
الصوفية

وقد أدت الممارسات اللاإنسانية الروسية إلى إشعال جذوة مقاومة جماعية عنيفة من جانب الشعب الشيشانى ضد الروس. وعلى الجانب الآخر، فإن التراث الثقافى الروسى، قد فاض بقصص المهمة الحضارية السامية «للأمة الروسية العظيمة» منارة الحضارة التى تجاهد ضد ظلمات التخلف، وتعمل على نشر أصول الحضارة والتمدن فى أقاليم جبلية نائية ووسط قبائل متخلفة. تعيش فى غياهب الجهل. وبهذا المنطق، فإن مقاومة هذه الشعوب للتحضر الروسى، هو أكبر دليل على تخلفها.

وقد تجلت عبقرية قاديروف فى إقامة التوازن الصحيح بين طرفى هذه المعادلة الصعبة. أى ادعاء حقيقة هذا الزعم الروسى، مقابل المطالبة بحصول الشعب الشيشانى على تعويض سخى على ما اقترفته القوات الروسية فى حقه من فظائع متعددة. وبهذا تمكن قاديروف من أن ينزع فتيل الكراهية التى ملأت قلوب الشعب الشيشانى تجاه الحكم الروسى البغيض. وجدير بالذكر أن خطط القتل الجماعى، التى لجأت إليها القوات الروسية، فى الشيشان، قد أسهمت فى تعميق الشعور القومى لدى الشعب الشيشانى بأهمية هويته العرقية، وأضعفت فى ذات الوقت من ارتباطه بالهويات الأخرى، التى كانت تعيش وقتذاك على أرض الشيشان ومنها الهوية الروسية. ومن المفارقات أن مطالبة شعب الشيشان بحقه فى تكوين «الأمة الشيشانية» يعتبر مطلبًا حديثًا. وقد نبع غالبا من عقدة مقارنات بالأمم الأخرى التى عانت ويلات الاستعمار، وكافحت حتى نالت استقلالها. وعلى الجانب الآخر فإن مفهوم «الأمة الروسية»، يعتبر مفهوما

ملتبسا، غير واضح إلى حد كبير. إذ إنه بالنسبة للبعض يمثل الأمة الروسية ذات العرق النقى الخالص، بينما هو بالنسبة للبعض الآخر، الأمة الروسية ذات النفوذ القوى التى تحكم قبضتها الاستعمارية على مواطنيها من مختلف الهويات الذين يندرجون تحت الاتحاد الروسى الفيدرالى، ، وليس بالضرورة من ذوى العرق الروسى، (كما هو الحال بالنسبة للشيشان). وقد لعب قاديروف دورا مهمًا وواضحا فى التأثير على قوة الارتباط بالهوية الشيشانية، ووجه بوصلتها إلى الاعتدال. حيث وافق الشعب الشيشانى على أن يستمر كجزء من الاتحاد الروسى. ناهيك عما حققه هذا الاعتدال من جانب الشيشان، من تعزيز وتكريس لطموحات روسيا فى تكوين أمة روسية عظيمة تحكم قبضتها على شعوبها كافة. وذلك بالطبع على حساب استقلال الشيشان..

ولكن من ناحية أخرى، ورغم ما تحقق للشعب الشيشانى على يد قاديروف، فإن غالبية الشعب ينتقد سياساته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ويتهمونه باتباع سياسية تتسم بحرية التصرف المطلق داخل الشيشان لتحقيق مصلحته أومصلحة أتباعه.

ولا يخفى أن مثل هذه السياسة لاتنظر إلى الأمد البعيد، كما أنها بالتأكيد ليست بالوصفة المثالية لتحقيق الاستقرار. وقد حذر سفانت كورنيل (كورنيل، ٢٠٠٢) فى كتاباته عن هذه المنطقة قائلا:

> **إن محاولة تجنب النزاعات العرقية من خلال اتباع سياسة تنازل أو تفويض من السلطة المركزية إلى السلطات المحلية، متعددة العرقيات، أمر مشكوك في صوابه، بل قد يؤدى إلى نتائج كارثية. إن العثرات المعروفة للاتحادات الفيدرالية ذات العرقيات المتعددة يجب أن تؤخذ فى الاعتبار عند صياغة سياسات صالحة للتطبيق فى مجتمعات متعددة العرقيات. (ص٢٧٦).**

يعتبر تدخل الدين فى الصراعات المحتدمة بين الدول شيئا مألوفا؛ لذا فإن دخول الدين فى هذا الصراع الروسى الشيشانى، لم يكن استثنائيا. ولكن ما استطاع قاديروف،

بحنكته المعهودة أن ينجزه حقيقة الأمر، كان تغيير اتجاه الإسلام فى هذه المنطقة، من الاتجاه الوهابى المتشدد، الذى اتسمت به المقاومة الشيشانية تحت قيادة بازاييف (فاشاجيف، ٢٠٠٥) إلى اتجاه الصوفية وممارساتها التقليدية. (سوليمانوف، ٢٠٠٥)، ولكن على الرغم من قدرة الصوفية على مقاومة النظام السوفيتى التطفلى، بمهارة فائقة، فإنها قد عجزت عن صد أمواج حروب القوات الروسية الفيدرالية العاتية. وذلك على العكس من الوهابية المتشددة، التى كانت من خلال العمليات الانتحارية المبررة والمباحة، والمسلحة بعقيدة الجهاد، تصد موجات القتال الروسى العنيف فتعادلها بفاعلية وكفاءة عالية. ومن هذا المنطلق، ولولا قدرة قاديروف على إقناع القوات الروسية بضرورة تقليص عمليات القتال المسلح فى هذا النزاع، لما وجد الشيشان على الإطلاق سبيلا ممكنا للعودة لممارسة عقيدتهم الإسلامية الأولى التى كانوا قد درجوا عليها.

وفى مثل هذا النوع من النزاعات أو الصراعات غير متوازن القوة بين الجانبين. كان من الطبيعى أن يلجأ الشيشان إلى العمليات الانتحارية كرد فعل يراد به معاقبة الجانب الروسى على القصف الجوى والمدفعى غير العادل، الذى أزهق أرواح المدنيين العزل والمقاتلين على حد السواء ودون أدنى تمييز. (انظر: الجدول ٣, ١٢). ومن ناحية أخرى فإن قسوة الاستعمار الروسى، قابلتها على الجانب الآخر، عزيمة لا تقهر من جانب الشيشان بضرورة الحصول على استقلالهم. هذه العزيمة، فاقت فى قوتها رغبة المستعمر الروسى فى البقاء. هنا تجسد إنجاز قاديروف، فى قدرته على تقليص التأثير السلبى للإستراتيجيات الروسية القتالية والاستعمارية، واحتواء الموقف بشكل أدى إلى إضعاف الحاجة إلى اتباع ممارسات متشددة أو متطرفة من الجانب الشيشانى كرد على التعنت الروسى.

وباختصار، فقد كان إنجاز قاديروف المشهود له، هو قدرته على تحقيق دمج ناجح بين «الحاجة» و«الأطماع». فسلطته كانت السلطة الوحيدة التى ملأت فراغ غياب

سلطة الدولة. ومن ناحية أخرى، فإن سيطرته على المكاسب الشخصية لأبناء شعبه، قد حمت تلك المكاسب من النهب والسلب على يد القوات الروسية. وببعض الحيل والمهارة، تمكن قاديروف، من إقناع شعبه، أن سياساته تصب فى مصلحة الجميع. فتمتع المجتمع الشيشانى بالأمان النسبى .

وأتباع قاديروف كانوا أكثر المستفيدين بطبيعة الحال. أما مناهضوه فغنى عن القول أنهم لم يشعروا قط بالاستقرار. وبعبارة موجزة، فإن القوة قد سيطرت على الحق أو العدل. إلا إذا اعتبرنا - كما يعتقد أتباعه، أن حكم قاديروف هو الحق بعينه.كان هناك إذا حكم بالشيشان، ولكن مع غياب واضح للدولة الديمقراطية التى يحكمها القانون.

ومن النقاط الملحوظة، وبعد أكثر من عقد من حرب ضروس، عاتية، وبرغم التعامل مع حاجات وحقوق المواطنين الشيشان بشكل ينقصه العدل أو الديمقراطية، فإن أغلب المواطنين يفضلون حالهم أثناء حكم قاديروف، عن العقد الذى سبقه، والذى عمته القسوة وانتشرت فى ربوعه الفوضى.

ولكن جدير بالذكر، أن غياب الحل السياسى الدائم المبنى على التفاوض، كالذى حظت به منطقة أيرلندا الشمالية، على سبيل المثال، من خلال جهود الوساطة (بلانك ٢٠٠١، بوجوران وزولداتوف، ٢٠٠٧) ينذر بقرب تحول سياسى فى هذه المنطقة. ربما يكون أقرب، هذه المرة، من الوضع الذى عرفته الشيشان، قبل مجىء قاديروف.

(جدول ١٢,٣) العقاب والإنكار فى الحروب غير المتوازنة

	العقاب	الإنكار
الجانب القوى لدى روسيا	اجتياح جوى وقصف مدفعى	الاحتلال
الجانب الضعيف لدى الشيشان	الانفجارات الانتحارية	الحرية

حرب النزاعات الأربعة

لقبت إدارة بوتين، الحرب الروسية الشيشانية الثانية «بعملية ضد الإرهاب»، وذلك على سبيل التجميل. إلا أن هذا التضليل وتلك المغالطة لم تنطل على كثيرين. فالأمر يعتبر تبسيطا مبالغا فيه لواقع الحرب الروسية الشيشانية. وكان لذلك تأثيره ولاشك، خاصة بعد ١١/ ٩ فى تضليل الرأى العام الغربى والروسى على حد السواء. وإبعاده عن الأسباب الحقيقية لهذا الصراع. (روسل، ٢٠٠٥).

لقد تعرفت على أربعة نزاعات، جرت بشكل متزامن داخل إطار الحرب الروسية الشيشانية. (انظر: الجدول، ٤ , ١٢). وغنى عن القول، إن التأثير الذى تمتع به قاديروف طوال فترة حكمه القصيرة، قد غير بشكل عظيم من طبيعة هذه النزاعات الأربعة داخل الحرب الشيشانية الروسية.

(جدول ٤ , ١٢) أربعة نزاعات روسية شيشانية

اسم	أصل النزاع	مقارنات
١- ثقافية	تحديث روسيا مقابل شيشان تقليدية.	أبوريجينيز، إسكتلنديين هايلندرز، إينويت، مواطنين هنود أمريكيين، روما
٢- استعمارية	الاستعمار الروسى مقابل حق الشيشان فى تحديد المصير	الجزائر، تيمور الشرقية، إستونيا، كوسوفو، التبت.
٣- النفق المظلم لغياب القانون	القوة فوق الحق الجريمة والفساد.	أفغانستان، العراق، لبنان السودان.
٤- العولمة	الحرب على الإرهاب الشمال ضد الجنوب، العالم ضد الجهاد.	أفغانستان، العراق، باكستان فلسطين.

وعلى الرغم من اعتزاز قاديروف بهويتـه القومية، فإنه كثيرا ما كان يظهر بين العامة مرتديا القبعة البحرية الشيشانية التقليدية.(وهو ما لم يفعله ألكالوف، خليفته فى الحكم إلا نادرا)[1]

وكان قاديروف عاشقا لمظاهر الحياة الفخمة والمرفهة. كما امتلك معرضا للحيوانات غير المألوفة. كالنمر الذى ظهر معه فى عدة صور. إلى جانب امتلاكه لأسطول من السيارات المكشوفة الفاخرة، ناهيك عن القصور الفخمة التى كانت بحوزته فى بتسنتر وجودرمز. كما كان راعيا بشكل شخصى لمسابقات اختيار ملكات الجمال[2]. واستضاف قاديروف شخصيات عامة ومشاهير، أمثال بطل الملاكمة فى الوزن الثقيل، مايك تايسون[3].من هنا يتضح عشقه للبريق والحياة الفخمة كالمشاهير. وقد كتبت جريدة الإيكونومست (٢٣ مايو ٢٠٠٧) تصف هذا الطراز الواضح فى حفلاته. كما لوحظ أنه كان حريصا على التمسك بالتقاليد الشيشانية والإسلامية على حد السواء.إذ ألغى ماكينات القمار، كما دافع عن تعدد الزوجات وارتداء الحجاب. وقد يشهد الجامع الذى شيده بجروزنى ويعد أضخم جامع فى أوروبا (ولش ٢٠٠٥) على حرصه على نشر تعاليم الإسلام.

وقد تمكن قاديروف، من خلال الموافقة على بقاء الشيشان كجزء من الاتحاد الفيدرالى الروسى، من تجميد، الصراع الاستعمارى المستعر بين الجانبين فى هذه المنطقة. على الأقل فى المدى القصير.. كما تحقق له أيضا وكمكافأة له من قبل الرئيس الروسى بوتين، قدر، ولو قليلاً من الحكم الذاتى على الشيشان، لم يكن ليحلم به أى حاكم من الأجيال التى سبقته. ولكن جدير بالذكر أن هذه الصفقة بين الجانبين، لم تحظ بشعبية كافية بين بعض

---

(١) صورة لقاديروف يرتدى قبعة بحرية وبجانبه يقف ألكانوف ذو اللحية. انظر: كوميرسنت ٢٣ سبتمبر ٢٠٠٥. وقد ارتدى قاديروف نفس القبعة أثناء احتفاله بفوز روسيا بالكأس فى مباراة كرة القدم. انظر: تيرك جروزنى فى مايو ٢٠٠٤. كما ظهر واقفا بجانب بوتين أمام قبر والده (وبحضور ألكانوف) ٢٣ أغسطس ٢٠٠٤.

(٢) أول ملكة جمال تتوج بالشيشان، أخبار موسكو، ٢٨ مايو ٢٠٠٦

(٣) الترحيب بالملاكم تايسون بالشيشان، أخبار BBC ١٥ سبتمبر ٢٠٠٥.

القادة العسكريين والسياسيين، الذين كان قاديروف قد قاد ضدهم حربه الأولى، لبسط نفوذه على الشيشان. كما انتقدت الصحافة الروسية أيضا هذا الطرح، متشككة فى استمراره طويلا، خاصة بعد رحيل الرئيس بوتين فى مايو ٢٠٠٨. ولقبته «بالانفصال الشيشانى تحت راية العلم الروسى» (ماركيدونوف، ٢٠٠٦) ومن أسباب التشكك أيضا (درجة الاستنزاف التى تعرض لها رؤساء الشيشان الذين سبقوا قاديروف). ولا يخفى أن أساس ما وصل إليه النزاع بالمنطقة أو ما عرف «بالنفق المظلم، نتيجة غياب القانون» كان بسبب تبنى أغلب القادة العسكريين الروس والزعماء السياسيين الشيشان، إلى جانب المعارضة الشيشانية بكل طوائفها، سياسة من شأنها تكريس استمرارية الحرب. وذلك على حساب معاناة المواطنين المدنيين. وكان قاديروف وباحتكاره لكل العمليات التى تجرى على أرض الشيشان الشرعى منها وغير الشرعى، قد قلص كثيرا من الحاجة إلى استمرار النزاع. ولابد أن مخاوف قاديروف الأساسية كان مكمنها إمكانية نقوص الجانب الروسى عن وعوده السخية، بتعويض الشيشان عما لحق بها من خسائرفادحة جراء حرب استمرت عقدا كاملا من الزمن. وذلك فى حالة فشله فى كبح جماح الإرهابيين الشيشان ووقف عملياتهم باهظة الثمن. وعلى الجانب الآخر، فبدون الحصول على الاستحقاقات التى وعد قاديروف بانتزاعها من الروس، فإن التنازل عن الحرب والجهاد يصبح مجرد حديث أجوف، يستحيل تحقيقه على أرض الواقع. مما يقلص بدوره، من فرص استتباب الأمن والسلام الحقيقى فى هذه المنطقة من العالم فى المدى القريب.

على أن أكبر تحول حدث فى الواقع، كان مرتبطا فى الأساس بالعولمة. قبل ظهور قاديروف، ارتبط هذا التحول بثلاثة عناصر رئيسية، العولمة التى قادتها الولايات المتحدة الأمريكية، والحرب على الإرهاب، ولغة الخطاب التى سيطرت على الولايات المتحدة على خلفية أحداث ١١/٩ ومفادها «أن من ليس معنا فى حربنا ضد الإرهاب فقد اختار أن يكون ضدنا». وقد اختارت روسيا أن تنحاز إلى الجانب الغربى بينما انحاز الشيشان أولا وبشكل واضح إلى الجانب الآخر. إلا أن الأمر ما لبث أن تغير، إذ اتفقت

روسيا بزعامة بوتين والشيشان بزعامة قاديروف على أن يكونا فى معسكر واحد منحاز للغـرب. ولكن يبـدو أنه لم يكن بالانحيـاز القوى. إذ أظهر اسـتطلاع للرأى أجرى فى روسـيا عـام ٢٠٠٧، أن مـا يقرب من ثلاثة أرباع الشـعب الروسـى، قـد اختار طريق «التنمية الأوروبية الأسيوية»[١].

ويبـدو أن أسـلوب إدارة بوتين قد حسـم الأمـر ووجه دفة اختيار الشـعب فى اتجاه أسـلوب أكثر ديمقراطيـة كالنظام الديمقراطى الأوروبى. ومن تلك الأسـاليب، ذلك الضغـط الذى مارسـته إدارة بوتـين والمتمثل فى التلويح بسـلاح الطاقة بشـكل واضح وصريح، إلى جانب سـيطرتها على العملية الانتخابية، بالإضافة إلى سلسلة الاغتيالات التـى ارتكبتها ضد مشـاهير الصحفيـين ورموز المعارضـة، كاغتيال آنا بوليكوفيتسـيا، وألكسـندر ليتفنينكو. أما فى الشيشـان، فقد أصبحت شخصية قاديروف، بكل ما ترمز إليه من نفوذ وشعبية، تذكر الشعب الشيشانى برموز مثل ستالين أو صدام حسين، أكثر منها بشخصية تصلح للقيادة فى القرن الحادى والعشرين. (ماركيدونوف، ٢٠٠٧)

ومـع ذلـك، ورغم مـا يمثله نمـوذج قاديروف من حكم سـلطوى مطلـق، يناقض بشكل واضح ديمقراطية حكام أوروبا وأمريكا، فإن التاريخ يشهد على أن العالم الغربى قد تكيف مع حكام ديكتاتوريين تفوقوا على قاديروف فى سـلطويتهم وحكمهم المطلق. ولم يكن الحال مختلفا فى روسـيا. إذ وصلت شـعبية بوتين فى استطلاعات الرأى العام فى يوليو ٢٠٠٧ إلى ٨٥٪ [٢]. مما يعد شـهادة على أن الديكتاتورية كانت مقبولة بل ومحبذة فى روسيا فى ذلك الوقت. فضلا عن أن إحياء الذكرى الخمسين لوفاة ستالين بروسيا فى مارس ٢٠٠٣، قد أثبت أن نظرة الشعب الروسى إلى فترة حكمه كانت إيجابية، إذ أظهر

(١) تم الحصول عليها فى ١٤ أغسطس ٢٠٠٧ من www.levada.ru /press /20070810O.html.

(٢) تم الحصول عليها فى ١٤ أغسطس ٢٠٠٧ من www.levada.ru /prezident.html

استطلاع للرأى العام الروسى أن ٥٣٪ من الشعب يعتبر أن مساهمته فى تنمية البلاد كانت إيجابية[١]. أما فيما يخص قاديروف، وما أثير وشاع عن فترة حكمه بالشيشان، فما جاء على لسان صحفى روسى (ألينوفا، ٢٠٠٧) يوجز الوضع فيما قل ودل، إذ أكد «أن الشيشان تعشق رمزان قاديروف».

معركة العقول والقلوب

بالطبع لم يكن قاديروف يتوقع نفس القدر من الثقة والمساندة من جانب المواطنين الروس: إذ أظهر استطلاع للرأى أجراه مركز ليفادا فى يناير ٢٠٠٧ أن ٣٥٪ من الروس لا يثقون به فى مقابل ٣٣٪ أكدوا أنه أهل بالثقة بينما امتنع ٣٢٪. وفى نفس الاستطلاع حبذ ٧٠٪ ضرورة البدء فى مفاوضات السلام. بينما صوت ١٦٪ فقط لصالح استمرار حالة الحرب[٢].

(الجدول ٥ , ١٢) إستراتيجيات مكافحة الإرهاب والرسائل المستخدمة بالشيشان:

الإستراتيجية الرسالة	الرسالة
(أ) الوسائل العنيفة ضد الإرهاب	
استئصال	«سوف نطاردهم ونقضى عليهم أينما وجدوا»
مكافحة	«سوف نرهبهم بكل الوسائل»
(ب) الوسائل غير العنيفة	
الاحتواء	«سوف نكسب العقول بعزل المتطرفين منهم»
أسباب متأصلة	«سوف نكسب العقول بعزل المتطرفين منهم»

---

(١) تم الحصول عليها ١٤ أغسطس ٢٠٠٧ من www.levada.ru /press /2003030400.html .

(٢) تم الحصول عليها ١١ مارس، ٢٠٠٧ من www.levada.ru /press /2007030702.html .

ولم يكـن بالغريـب أن يشـعر الروس بعدم الارتيـاح تجاه اتفاق يجمع بين الشيشـان والمقاتلين الروس الذين خاضت قواتهم المسلحة أعنف المعارك ضدهم، وذلك فى إطار حربين متتاليتين.

أما فى الشيشان، فقد كان الأمر مختلفا، إذ طبقا لما كتبه المعلق السياسى الروسى يوليا لاتينيا فى يوم عيد ميلاده الواحد والثلاثين (لاتينينا، ٢٠٠٧). فقد كان قاديروف يفهم ويعى جيدا، قوانين اللعبة داخليا أكثر ممن سبقه من حكام أو من الروس الذين كانوا قد تعهدوا بتضميد جراح الشعب الشيشانى وتعويضه ما تكبده من خسائر فادحة فى أعقاب الحربين السـابقتين. وفى نفس الوقت ما كانت قوات قاديروف، الملقبة بالقديروفسكى، لتدك أعناق الشعب الشيشانى بلا تمييز بين ثوار أومواطنين على الطريقة الروسية بزعـم مطـاردة الإرهابيين. كما كان يحـدث فى الماضى، قبل الاتفاق مع قاديروف. ويظهر ذلك مـن الجـدول ٥ , ١٢، حيث كان الـروس يلجؤون بشـكل منهجى للطرق والوسـائل العنيفة لمكافحة الإرهاب ولا يستخدمون إلا فى القليل النادر، الوسائل اللينة التى كان يمكنها أن تكسبهم حب وتفهم المواطنين الشيشان. (ستيبانوفا - ص ٨ - ٢٠٠٣).

ولا تعتـبر روسـيا بـأى حال اسـتثناء عـلى القاعدة، بل إنـه فى أغلب الأحيـان يقود كثيرمـن الدول الحديثة معارك إسـتراتيجية عنيفة وغير متوازنة ضـد من تريد أن تطلق عليهم «إرهابيين» . (روسـل، ص ١٠١ - ١٠٢ -٢٠٠٧).ومن الخسـائر الجانبية لتلك الحروب إصابة المدنيين أو قتلهم أو تشريدهم. ولكن من المفارقات، أن يندفع هؤلاء فى أحضان نفس العدو الذى قاد الحرب ضدهم طلبا للحماية.

ولاشـك أن فشـل روسـيا فى التمييز بين المقاتلين الشرعيين والمتطرفين الإرهابيين، وكذلـك بـين المقاتلين عمومـا والمواطنيين المدنيين، قد سـاهم بشـكل فعال فى إشـعال فتيـل الكراهيـة ضد المستعمر الروسـى من جديـد. ناهيـك أن الحصانة التـى تمتع بها القادة العسـكريون الروس ممن كانوا جديرين بلقب مجرمي الحرب، من قبل السـلطات

الفيدراليـة الروسـية، قد حولت أكثـر المتعاطفين مع قادة الكرملـين الروس إلى عكس ذلك تماما. حيث عبروا عن سـخطهم وتذمرهم. مثل الرئيس ألو ألكانوف (روسـل - ص ١٠٤ - ٢٠٠٧).

ولايمكن أن نزعم أن قاديروف لم يلجأ إلى اسـتخدام وسـائل العنف ضد الشيشـان فى بعض الأحيان لتثبيت نفوذه. إلا أنه لم يكن يبالغ فى ذلك. كما لجأ على التوازى، كثيرا إلى أسـلحة أكثر فاعلية فى احتواء المواقف وكسـب شـعبية المواطنين الشيشان. ولاشك أن قاديروف كان يسـتخدم وسـائل لقمع المعارضين ضده. ولكنه كان يميز بينهم وبين بقية شعب الشيشان.

وكذلك مما أكسـب قاديروف شـعبية مواطنيه، قراره بعودة المسـجونين الشيشـان إلى أرض الوطن لاسـتكمال فترة حبسـهم. بالإضافة إلى قدرته على تقليص ممارسـة أنشـطة السـلطات الروسية الوحشـية. والتى كانت تمارس من خلال ما عرف بمكتب العمليات ORB-2. ممـا نال عليه استحسـان المواطنين وأكسـبه مسـاندة واسـعة المجـال. (ليهى، ٢٠٠٦).

وكانـت مـن أكثر إنجـازات قاديـروف تأثـيرا، قدرته عـلى اجتذاب عـدد كبير من الشيشـان المسـلحين الذيـن كانـوا أولا مقاتلـين فى صفـوف المتمرديـن، كما هـو الحال بالنسـبة له شـخصيا، إلى صفوف فرقته المعروفة بالقديروفسـكى. ومـع غياب القانون بالكامل، كما كان الحال بالشيشـان، فإن هؤلاء كانوا يتمتعون بقوة القانون ويتحكمون فى مصائر المواطنين العاديين بالشيشان على المستوى اليومى. وقد أقنع قاديروف قواته، أن حصولهم على ٥٠٠ دولار شهريا، يوفر لهم الأمان الجسدى والمادى فى الوقت ذاته. وهـو ما لاتسـطيع المعارضـة أن توفره لهـم. (فورونـوف، ٢٠٠٦). إلا أن التعويل على معارضين سـابقين يشـكلون ما يقرب من نصف قوات قاديروف (NewsSru.comK 2005) إلى جانب اشـتراطه أن يحلفوا يمين الولاء له شـخصيا وليس لبوتين، قد أثار تشكك وريبة بعض المعلقين الروس كروتيكوف (٢٠٠٦).

فضـلا عـن ذلك، فقـد وضع قاديروف نفسـه فى موقـف يمكن أن يفقـده كثيرًا من محبـة شـعبه وينـال من سـمعته .ذلك أنـه قـد انتهج سياسـات تفضيليـة سياسـيا ، إلى جانـب احتكاره الاقتصاد .فقـد أظهر تفضيلا واضحا ، مثلا لشيشـان الشرق المنتمين لنهـر أرجون عن شيشـان الغرب رغم شـهرتهم بالذكاء (نوفوسـتاى ٢٠٠٦)،كما أنه أظهر تأييدا لطريقة القدرية ، الشـعبية ، مفضلا إياها عن الطريقة النقشـبندية وهى أكثر اعتمادا على «العقل» من بين الطرق الصوفية.

وفى نفـس الوقت ، فقد تجمعت لـه مبالغ كبيرة جراء التعويضـات والإعانات التى تكفـل بهـا الروس، مما جذب اسـتثمارات ضخمة من أسر شيشـانية ثريـة تعيش خارج الوطـن، بالإضافـة إلى مـا توفر لصنـدوق أحمد قاديروف من مسـاهمات .وقد اسـتغل قاديروف هذه الأموال فى إعادة بناء البنية التحتية بالشيشـان (فولر ٢٠٠٦). إلى جانب أنه سيطر بشكل كامل على هذه الأموال ، وكل العاملين فى القطاع العام .ولكن السؤال الذى كان يطرح نفسه ، فى ذلك الوقت، كان يتعلق بالذين كانوا خارج منظومة الاحتكار الاقتصادى أو السياسى ، وبالتالى بعيدا عن دائرة قاديروف .ممن تم استغلالهم ولكنهم لم يستفيدوا كالآخرين. هؤلاء لم يعرفوا إلى متى تستمر أوضاعهم المتردية؟ أسئلة لم تكن لتجد حلا واضحا آنذاك.

أهداف وإستراتيجيات

يبـدو مـن (الجـدول ٦ , ١٢) أن وصول قاديـروف إلى السـلطة قد تزامـن مع قرار اختيارات إسـتراتيجية أساسـية فى الشيشـان وروسـيا، بل والمجتمع الدولى. ورغم أن مسـئولية مقاومـة المقاتلين الانفصاليين الشيشـان قد تـم تفويضها إلى القادة الشيشـان المؤيديـن للجانب الروسـى (روسـل، ٢٠٠٧-٨٢-٨٨) وقد أعلن عنهـا منذ ١٩٩٥ (فولـر، ٢٠٠٤)، فإن هذا الإجـراء لم يأخذ حيز التنفيذ قبل منتصف عام ٢٠٠٠. حينما وجـد الرئيـس بوتين، وقد كان الرئيس المنتخب الجديد لروسـيا، أن أحمد قاديروف هو أكفأ من يضطلع بتلك المسئولية.

وفى الأحـوال العاديـة، أى فى ظـل مجتمـع ديمقراطـى، تنعـم فيـه وسـائل الإعلام بالاستقلالية والحرية، كان المجتمع سيتساءل بشأن اتجاه سياسة بوتين، والأسباب التى دفعته إلى منح الشيشـان حكما ذاتيا بعد الخسـائر الفادحة التى تكبدها الجيش الروسـى على يد المتمردين الشيشـان بسـبب حرب اسـتمرت بينهما عشر سـنوات كاملة. إلا أن الواقع بروسـيا كان حتما مختلفا. فالشـعب لم يكن يستشـار تحت حكم بوتين السـلطوى المطلق. ومع ذلك فقد بدا الشـعب راضيا بسياسـة بوتين إذا كانت ستسـفر عن تقليص العمليات الإرهابية الشيشانية أو الهجمات الانتحارية.

الجدول ٦ , ١٢ الأهداف والإستراتيجيات بالشيشان

الأهداف	الإستراتيجيات
الروسية	حصول الشيشان على أراضيهم
الحفاظ على سلامة الأراضى	
الشيشان:	
التخلص من التأثير الروسى بالشيشان	الحركة الانفصالية
المجتمع الدولى:	
الاستقرار بالمنطقة	الحل السياسى

ورغـم ذلك فقد كان هناك بعض الأصوات المعارضة لسياسـة بوتين فى الشيشـان. والتى أفصحت عن آرائها بشجاعة (ساكوف، ٢٠٠٥):

> **متسـائلة عـما يجمـع بـين الشيشـان تحت حكـم قاديـروف ونظام روسـيا أو قانونهـا؟ ولمـاذا إذا تـم التضحية بآلاف من الأرواح فى عمليات اسـتمرت سـنة كاملة لمكافحة الإرهاب بالشيشان؟**

وقد عقب أحد مشـاهير المعلقين السياسيين بروسيا (رميزوف، ٢٠٠٦) على النظام الـذى يحكـم به قاديروف الشيشـان، معتبرا أنـه نمط من «الإقطاع المتطـور». محذرا من

كونه ظاهرة توسعية بالأساس تكشف عن نفسها فى تركز كل مقاليد الحكم والقوة فى يد القائد. كما أن ذلك قد شجع بوتين من ناحية أخرى على استغلال ما يتمتع به قاديروف من قوة ونفوذ وشعبية فى تحجيم المعارضة الإسلامية وجعلها أكثر سلمية، وذلك فى منطقة شمال القوقاز.

وفى نفس الوقت، فإن الوعود التى قطعها قاديروف على نفسه تجاه شعبه، باسترداد الأراضى الشيشانية المحتلة من أيدى الروس، قد اتفقت حقيقة الأمر، مع الاتجاه الروسى . فالجالية العرقية الروسية قد تركت الشيشان بشكل يكاد يكون كاملا. فضلا عن أن العداء المحتدم بين الجانبين، والكراهية الروسية تجاه منطقة القوقاز بالكامل، وهو ما يعتبر نوعا من العنصرية المعلنة، فضلا عن الخوف من العنف، قد ساهم فى أن تفقد الشيشان- تحت حكم قاديروف ـ جاذبيتها بالكامل فى نظرهم. كل هذه الأسباب مجتمعة، تؤكد عدم عودتهم، على الأقل ليس بأعداد كبيرة إلى هذه المنطقة من جديد.

إن تحقيق الحلم الشيشانى باسترداد الحكم الذاتى بقيادة زعيمهم قاديروف، قد اتفق مع الهدف الروسى للمحافظة على سلامة الأراضى الروسية، الذى يتحقق من خلال الإبقاء على الشيشان داخل الاتحاد الفيدرالى الروسى. ومن هنا كان الثمن الذى دفعته روسيا لتحقيق أهدافها، ثمنا بخسا، مقابل ما حصلت عليه. وتلخص فى إقرار إستراتيجية قاديروف الانفصالية ومنحه حكما ذاتيا على الشيشان، بالإضافة إلى إطلاق يده اقتصاديا أيضا. مما وطد أركان مملكته وحقق له ما تمنى من نفوذ وقوة. وقد اتفق تحقق المصلحة المشتركة للجانبين الروسى والشيشانى مع مصلحة المجتمع الدولى أيضا، الذى أقلقه النزاع الروسى الشيشانى المستعر. إلا أن المجتمع المدنى الغربى قد أدهشه هذا الاتفاق، وتساءل: ألم يكن من الأجدى والأسلم الوصول لمثله منذ عقد من الزمان قبل اشتعال جذوة الصراع الذى أودى بحياة مئات الألوف، ناهيك عما تسبب فيه من هجرة جبرية وخسائر مادية فادحة، وزعزعة الاستقرار فى المنطقة بأثرها؟

إن التعليق الذى كتب بمجلة الإيكونومست (٢٤ فبراير - ٢ مارس ٢٠٠٧) تعقيبا على حصول قاديروف على حكم ذاتي على الشيشان يكشف الموقف بوضوح:

إن التقدم الاقتصادى الذى تحقق لروسيا بقيادة بوتين وللشيشان بقايدة قاديروف، قد تحقق على حساب تفشى الفساد وغياب القانون وسيادة الضبابية. إن النظامين قد قاما على أساس حكم أشخاص. لذا فرغم قوتهما الظاهرة، فإنهما ينذران بزعزعة الاستقرار وغياب الأمان.

سياسة قاديروف العنيفة

طبقا لجدول أليكس شميدت الذى يصور «الأطياف المتعددة للمشهد السياسى» فإن الموقف بالشيشان قبل تقلد قاديروف لمقاليد الحكم. (جدول ٧, ١٢) يقع بوضوح فى منطقة «العنف السياسى»، بل فى بعض الأوقات يعتبر حالة حرب (حوادث قصف جروزنى عام ١٩٩٥ و١٩٩٩) وبتطبيق تحليل شميدت، فإنه كان من المتوقع نتيجة تطبيق روسيا لسياسة دولة الإرهاب، إلى جانب ممارسات التطهير العرقى الممنهج وسياسة الحرب الداخلية والعدالة السياسية، كان سيقابلها حتما من الجانب الشيشانى، عمليات إرهابية واغتيالات، بالإضافة إلى تدمير مادى وحرب عصابات. ولكن بعد أن تولت قوات قاديروف عن القوات الفيدرالية الروسية عملية كبح جماح المتمردين، خمدت جذوة العنف المشتعل إلى حد بعيد. حيث أصبحت الأساليب المتبعة فى القتال أكثر انتقائية بعد أن كانت جائرة وغير تمييزية. وفى ظل هذه السياسة الجديدة اختفت حالة الحرب السائدة. ولكن جدير بالذكر أن حكم قاديروف قد شابه كثير من العنف تمثل فى فرض شكل من أشكال الدولة الإرهابية فى بعض الأحيان، ومن ذلك ممارسة الاغتيالات والعنف القمعى ضد أعدائه.

أما المعارضة، فمنذ موت بازايف قد تحولت من ممارسة العمليات الانتحارية و«الإرهابية» إلى نوع أكثر انتقائية من الإرهاب، مع احتفاظها ببعض من عناصر حرب العصابات.

الجدول ٧ , ١٢ . «الأطياف المتعددة للمشهد السياسى» لشميدت. وقد تم استخدامه بإذن من نيلور وفرانسيس: شميدت، ص ١٩٩ - ٢٠٠٤:

حالة السلام	
فاعلو الدولة	فاعلون من خارج الدولة
السياسة التقليدية	
١- حكم القانون (الحكم التقليدي الذى يستمد شرعيته من قوة التقاليد والإجراءات الدستورية)	سياسة المعارضة (تكوين لوبى يجمع بين أصحاب النفوذ، تكون المعارضة فى الصحافة والأحزاب، والتجمعات، والمنافسة الانتخابية رفع الدعاوى، (استخدام المحاكم للنضال السياسى)
السياسة غير التقليدية	
٢- السياسة القمعية (التحكم فى العملية الانتخابية، فرض الرقابة، التحرش، التمييز، اختراق المعارضة، سوء استخدام قانون الطوارئ)	الحركة غير العنيفة (الاحتجاج الاجتماعى لإقناع الحكام والجماهير، المظاهرات لإظهار تأييد الجماهير، عدم التعاون، العصيان المدنى وغيره من أشكال الحركة غير العنيفة)
سياسة العنف	
٣- العنف القمعى للسيطرة على قوة الدولة	استخدام القوة لتحدى قوة الدولة
٣-أ. (العدالة السياسية. السجن السياسى)	التدمير المادى
٣- ب. الاغتيالات	الاغتيالات (الاغتيال السياسى الفردى)
٣- ج. إرهاب الدولة (التعذيب، فرق الموت، الاختفاء - معسكرات التعذيب)	الإرهاب (الاغتيال السياسى غير الفردى)
٣- د. المذابح	المذابح
٣- هـ. الحرب الداخلية	حرب العصابات
٣-و. الحرب العرقية/ التسييس/ القتل الجماعى	التمرد، الثورة (فى حالة نجاحها)
	حالة الحرب

وعلى الرغم من أن قاديروف قد وفق إلى حد فى تحقيق تحول فى سياسة الشيشان فى اتجاه غير تقليدى، فإن استعداده للجوء إلى سياسات العنف والقمع حفاظا على نفوذه، قد عرض منطقة الشيشان، للتأرجح دوما ما بين السياسة التقليدية العنيفة وغير التقليدية.

وفى هذه الأثناء، فإن التحول قد طال روسيا أيضا إذ اتجهت إلى سياسة أقل عنفا تمثلت فى السماح بالمظاهرات والعصيان المدنى للمعارضين لمقاومة قمع الإدارة الروسية بقيادة بوتين، التى كانت تواجه مظاهر المعارضة بالاغتيالات والسجون السياسية وفرق الموت.

ويعتبر هذا الاتجاه أكثر تسامحا من سياستها التى بدأت قبل الحرب الأولى عام ١٩٩٤، والتى اتصفت بممارسة العنف الشديد وهو من السمات المميزة لسياستها التقليدية.

ومن المفارقات هنا أن كلا من الشيشان وروسيا قد اتجهتا فى لحظة مقاربة من الزمن، إلى انتهاج سياسة أقل عنفا، تسعى إلى تحقيق درجة من الاعتدال أو الوسطية فى تناول الأمور وأكثر اتجاها إلى الانتقائية فى اختيار أساليب العنف، وذلك بعد أكثر من عقد كامل من ممارسة سياسة العنف الأعمى. ومن العناصر المشتركة بين البلدين سيادة الفساد وممارسته بشكل منهجى والغياب شبه الكامل لتطبيق القانون. كما أن الإدارتين الروسية والشيشانية تتفقان أيضا على أن العنف وليس سيادة القانون هو الوسيلة المثلى لتحقيق الهدف والحفاظ على القوة والنفوذ.

الخلاصة

وفى حين تبنى بعض المعلقين والمحللين السياسيين بالغرب وجهة نظر الصحفية الروسية الشهيرة والمعروفة بجرأتها، آنا بوليتوفيسكا، والتى تمسكت بها حتى مقتلها، فى أكتوبر ٢٠٠٦، (انظر الملحوظة ٢، فرتنشيتى، ٢٠٠٧) حيث اعتبرت أن حكم قاديروف بالشيشان، كان حكما فاشلا. أو دون إيجابيات. فإن بعض المراقبين للموقف السياسى

بروسيا والشيشان، يفضلون الاعتراف، ولو على مضض، بأن ما حدث بالشيشان، (ويعرف بالشيشنة. وقد تم الإشارة إليه أعلاه) يمثل أفضل ما يمكن الحصول عليه فى ظل الظروف المتاحة حينذاك على أرض الواقع. (ألينوفا، ٢٠٠٧، لاتينينا ٢٠٠٧). وبغض النظر عما يشار إلى أسلوبه فى حكم الشيشان أو شخصيته غير التقليدية، فإنه قد تمتع رغم كل ما وجه إليه من نقد، بقدر من الشعبية فى الأوساط الشيشانية والروسية وحتى فى بعض دوائر الحكومات الغربية. وهو ما أشارت إليه جريدة realpolitik فى مقالة لها.

ولاشك أن حكم قاديروف فى المدى القصير، يمثل تطورا فى اتجاه إيجابى بالنسبة لقطاعات عريضة من الشعب الشيشانى، بالمقارنة بالبؤس البين ووحشية فترة الحرب التى عاشتها هذه المنطقة من العالم. فعلى الأقل من الناحية النفسية، فإن استبدال الجامع الضخم الذى يمثل صرحا معماريا على مستوى العالم. وكذلك المبانى الإدارية الحديثة، بالصورة المحبطة لجروزنى وسط ركام المبانى المنهارة من جراء دمار الحروب، يجدد النظرة التفاؤلية والأمل بمستقبل أكثر إشراقا.وفى نفس الوقت فإن وضع حد للسياسة الروسية التى لم تكن تميز بين المقاتلين والمدنيين ناهيك عن المبالغة والوحشية فى استخدام وسائل القمع، قابلها أيضا على الجانب الآخر، وضع حد لتكرار العمليات الانتحارية التى كان المتمردون الشيشان يقومون بها بشكل منتظم، بقيادة حكام مثل بودنفوسك، أو دوبروفكا أو باسلان ضد الجانب الروسى.

إن المشكلة الأساسية تكمن حقيقة الأمر، فى أن سياسة الشيشنة التى اعتمد عليها قاديروف لا تعتبر حلا سياسيا. إذ تعتمد على تفاهم واتفاق بين حاكمين تجمعهما علاقات شخصية، وهى على ذلك غير مؤسسة على أى سند شرعى، بل تعتمد فى أساسها على كاريزمية ونفوذ قائدين، بوتين فى روسيا وقاديروف فى الشيشان. ومن ناحية أخرى فإن حكمهما كان قصير الأمد، فهو محكوم فى حالة بوتين بالدستور الروسى، وفى حالة قاديروف بكم الأعداء الذين أحاطوا به على مدى صراع طويل وتاريخ من العنف السياسى بروسيا أو بالشيشان.

ولاشك أن ما ساهم فى قوة قاديروف وثقته بنفسه، كان مرتبطا بكونه ابن رئيس سابق بالشيشان، مما جعله يشعر بقوته وقدرته على إجبار الآخرين على الامتثال لأوامره والانصياع لإرادته. على أن ذلك كان مصدرا لقوة وضعف فى آن واحد. فكثيرون فى روسيا يعتقدون أن نجاحه فى الشيشان قد أدى إلى ما أطلقوا عليه «Kadyrovization» بمعنى ارتباط سياسته بشخصه، وذلك ليس فقط فى منطقة شمال القوقاز القابلة للاشتعال، بل فى روسيا أيضا.

وخلاصة الأمر ، أن الأمل فى الوصول تحت حكم قاديروف إلى حل طويل الأمد ومرض للطرفين فى النزاع الذى دام قرونا من الزمن، كان أمرًا غير واقعى.ومن هنا كان علينا أن نقر بأن قاديروف «كان أول وآخر ملوك الشيشان» . وسوف تظل فترة حكمه محفورة فى ذهن المجتمع الدولى كما هى فى روسيا أو الشيشان ،كنموذج للحاكم السلطوى المطلق الذى لا يمثل بأى حال نموذجا يحتذى به.

المراجع:

Agentsvo natsional'nykh novostei (2006). Report, Svet i teni sem'i Kadyrovykh [Light and shadows of the Kadyrov family], 27 June. Retrieved February 7, 2007, from www.compromat.ru/main/chechnya/a.htm

Allenova, O. (2007). Pravoverny putinets [A faithful Putinite]. *Kommersant Vlast, 23*, 18 June.

Blank, S. (2001). Russia's Ulster: The Chechen war and its consequences. *Demokratizatsiya, 9*, 1.

Bogoran, I., & Soldatov, A. (2007). Kavkazskii front: novaya taktika chuzhikh oshibok [The Caucasian Front: the new tactic of others' mistakes]. *Novaya gazeta, 60*, 9 August.

Borisov, T. (2007). Ramzan Kadyrov: s voinoi pokoncheno navsegda [Ramzan Kadyrov: the war is over forever]. *Rossiiskaya gazeta*, 10 July.

Chivers, C. J. (2007). Russian official says insurgency in Chechnya has been tamed. *New York Times*, 12 February.

Cornell, S. (2002). Autonomy as a source of conflict: Caucasian conflicts in theoretical perspective. *World Politics, 54*, 245–276.

Dudayev, U. (2007). Upsurge of fighting in Chechnya. IWPR's *Caucasus Reporting Service, 400*, 12 July.

Dunlop, J. B. (2006). *The 2002 Dubrovka and 2004 Beslan hostage crises: A critique of Russian counter-terrorism*. Stuttgart: ibidem-Verlag.

Franchetti, M. (2006). In the torture cell of Chechnya's tyrant. *The Sunday Times*, 30 April.

Franchetti, M. (2007). Chechnya: video evidence of torture. *The Sunday Times*, 3 June.

Fuller, L. (2004). Look back in anger – ten years of war in Chechnya. *RFE/RL Features*, 11 December.

Fuller, L. (2006). Chechnya: Premier seeks to change his image. *RFE/RL Features*, 19 May.

Gall, C., & de Waal, T. (1997). *Chechnya: A small, victorious war*. London: Pan.

German, T. (2003). *Russia's Chechen war*. London: RoutledgeCurzon.

Krutikov, Y. (2006). Chechnyu sdast preemnik Putina [Chechnya will be surrendered by Putin's successor]. *Prognosis.ru*, 17 March. Retrieved January 10, 2007, from www.prognosis.ru.html?id=382

Lanskoy, M. (2003). Chechnya's internal fragmentation. *The Fletcher Forum of World Affairs, 27*, Summer/Fall, 185–205.
Latynina, Y. (2007). Fugasnoe samoderzhaviye [High-explosive autocracy]. *Kommersant*, 5 October.
Leahy, K. D. (2006). Kadyrov's bluff: Why Chechnya's strongman continues to test his political boundaries. *Central Asia-Caucasus Analyst*, 17 May.
Lieven, A. (1999). *Chechnya: Tombstone of Russian power*. New Haven: Yale University Press.
Liss, A. (2006). *Chechnya's gun-toting strongman, 26 November*. Retrieved September 17, 2006, from http://news.bbc.co.uk/1/hi/world/europe/4470784.stm
Markedonov, S. (2006). Terror zakonchil'sya. Zabud'te [The terror is over. Forget it]. *APN Mneniya*, 1 February. Retrieved September 25, 2006, from www.apn.ru/opinions/article9559.htm
Markedonov, S. (2007). Ramzan solntselikii [Ramzan – Radiant sun]. *APN Publikatsii*, 9 April. Retrieved April 10, 2007, from www.apn.ru/publications/article16854.htm
NEWSru.com, (2005). *Pochti polovina sotrudnikov militsii Chechnyi byvshiye boyeviki: 7 tysyach chelovek [Almost half of those serving in Chechnya's police force are former fighters: seven thousand persons]*, 21 October. Retrieved September 25, 2006, from www.newsru.com/russia/21oct2005/chechnya.html
Osborn, A. (2006). Ramzan Kadyrov: the Warrior King of Chechnya. *The Independent*, 4 January.
Politkovskaya, A. (2007). Inside the Dragon's Lair. *The Guardian*, 20 March.
Regnum.ru, (2007). Ramzan Kadyrov – budushchy president Rossii? Obzor chechenskikh SMI s 15 po 31 marta 2007 goda [Ramzan Kadyrov – future president of Russia? Review of Chechen media from 15 to 31 March 2007]. Retrieved July 16, 2007, from www.regnum.ru/news/806101.html
Remizov, M. (2006). Chechenskuyu vitrinu 'razvitogo feodalizma' pora zakryvat [It is time to close the Chechen shop window of 'developed feudalism']. *APN Kommentarii, 51*, 15 September. Retrieved September 17, 2006, from www.apn.ru/news/article10390.htm
RFE/RL (Radio Free Europe/Radio Liberty) (2006, 9 October). *Anna Politkovskaya's last interview*. Retrieved March 11, 2007, from www.rferl.org/featuresarticle/2006/10/fc088b08-0cbd-4800-b2ff-f00f5494fa5e.html
Russell, J, (2005). A war by any other name: Chechnya, 11 September and the war on terrorism. In R. Sakwa (Ed.), *Chechnya: from the past to the future* (pp. 239–264). London: Anthem.
Russell, J. (2007). *Chechnya: Russia's 'war on terror'*. Abingdon: Routledge.
Schmid, A. (2004). Frameworks for conceptualising terrorism. *Terrorism and Political Violence, 16*, 197–221.
Sikevich, Z. (1999). Etnichesaya nepriyazn' v massovoi sosnanii rossiyan (Ethnic hostility in the mass consciousness of Russians). In G. Vitkovskaya, & A. Malashenko (Eds), *Neterpimost' v Rossii: stariye i noviye fobii* [Intolerance in Russia: old and new phobias] (pp. 99–12). Moscow: Carnegie.

Souleimanov, E. (2005). Chechnya, Wahhabism and the invasion of Dagestan. *Middle East Review of International Affairs*, 9, 48–71.
Stepanova, E. (2003). *Anti-terrorism and peace-building during and after conflict.* Stockholm: SIPRI.
Sukhov, I. (2005). Chechensky ochag [Chechen home fire]. *APN Proyekt*, 16 August. Retrieved September 17, 2006, from www.apn.ru/publications/article1519.htm
Vachagaev, M. (2005). The role of Sufism in the Chechen resistance. Jamestown Foundation's *Chechnya Weekly*, 6.
Voronov, V. (2006). Chtoby tol'ko v spinu ne strelyali [So long as they don't shoot you in the back]. *Sovershenno Sekretno* [Top Secret], January. Retrieved February 7, 2007, from www.compromat.ru/main/chechnya/kadyrovramnach.htm
Walsh, N. P. (2005). Biggest mosque for Grozny. *The Guardian*, 4 August.
Zartman, I. W. (2005). Need, creed and greed in interstate conflict. In C. J. Arnson, & I. W. Zartman (Eds), *Rethinking the economics of war: The intersection of need, creed, and greed.* Baltimore: Johns Hopkins.

الفصل الثالث عشر

من ٧/ ٧ إلى ١٠/ ٨ : الإطار الإعلامى لحوادث الإرهاب بالمملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية

ماری برنزون ومایکل ستول

نبذة: لاشك أن وسائل الاتصالات والإعلام من الأهمية بمكان، سواء بالنسبة للإرهابيين أو الحكومة المعنية بمكافحة الإرهاب. بل إننا لانبالغ إذا قلنا إنها قد تعادل فى أهميتها الحادث الإجرامى نفسه. ومن هنا كانت أهمية التغطية الإخبارية وتحليل دلالاتها فيما يتعلق بجهود مكافحة الإرهاب. تبحث هذه الدراسة، أنماط فهرسة الأحداث الإرهابية من قبل وسائل الإعلام فى كل من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة. وذلك من خلال متابعة عدة صحف بهاتين الدولتين فى عامى ٢٠٠٥ و٢٠٠٦ على التوالى، فيما يخص حادثتين: الأولى خاصة بانفجارات لندن فى ٧/ ٧/ ٢٠٠٥، والثانية بما عرف بمخطط الرعب لحوادث الطائرات عابرة الأطلنطى. وتعتمد الدراسة فى تحليلها للتغطية الإخبارية على مقياس CRA أو ما يمكن تسميته بالتحليل الرنينى، بهدف تقييم الحادثين فى ضوء الإعلام الأمريكى والبريطانى . وتشمل نتيجة التحليلات ، تصريحات للنخب السياسية ووجهات نظر. وذلك فى محاولة ،لدعم نظرية بنت Bennett فى فهرسة الأحداث الخاصة بالإرهاب.

فى صباح يوم السابع من يوليو عام ٢٠٠٥ وفى ساعات الذروة الصباحية، هزت العاصمة البريطانية ثلاثة انفجارات مروعة ومتزامنة بأنفاق لندن. وبعد مرور أقل من ساعة على هذه السلسلة، انفجرت حافلة. وقد راح ضحية هذه الحوادث ٥٢ مواطنا، كما لقى أربعة انتحاريين حتفهم، ناهيك عن إصابة ٧٠٠ آخرين جراء هذه الانفجارات. وبعد عام من هذه الحوادث، وفى يوم ٩ أغسطس ٢٠٠٦، بدأت السلطات المسئولة فى القبض على أشخاص قد اشتبه فى ضلوعهم فى مخطط لتفجير طائرات بلغ عددها ١٢ طائرة عابرة المحيطات تابعة لشركات جوية مختلفة. نقوم فى هذه الدراسة، بتتبع التغطية الإعلامية للصحافة المكتوبة بالمملكة المتحدة والولايات المتحدة، فيما يتعلق بهاتين الحادثتين اللتين قد حظيتا بتغطية إعلامية واسعة. حيث نقوم باستكشاف كيفية تناولهما فى الصحف، وما هى دلالات هذا التناول فى حشد تأييد جماهيري تجاه إستراتيجيات مكافحة الإرهاب التى تبنتها السلطات فى كلا الدولتين. ونستخدم فى هذا التحليل برنامجا متفردا يعتمد على تأثير الدلالات اللفظية فى الكشف عن المعانى الكامنة وراء تقديم الخبر وهو (CRA) الذى يستخدم نظرية تبحث فى كيفية تحقق التماسك والترابط المنطقى فى النص الإعلامى المكتوب[1]، بينما تلجأ وسائل أخرى لتحليل المضمون من خلال الاعتماد على قاعدة مفادها أن تكرار اللفظ يعنى بالضرورة أهميته.

يكمن الفارق بين الإرهاب كسلوك عدوانى يترتب عليه خسائر فادحة وغيره من حوادث العنف فى أن الإرهاب يحمل رسائل تواصل مهمة. فالحوادث الإرهابية عادة ما تكون بمثابة رسائل إلى الجمهور، الهدف منها، بث حالة من الرعب والفزع. وقد تكون تهديدية بمعنى أنه فى حالة عدم الاستجابة للمطالب، فإن تلك الحوادث سوف تتكرر. من هنا كانت أهمية وسائل الإعلام الحديثة فى تغطية ونقل الحوادث الإرهابية وردود أفعال السلطات تجاهها، بشكل منتظم للقارئ. وهو ما يؤكد أهميتها الإعلامية، لكل من الإرهابيين وسلطات مكافحة الإرهاب فى الوقت ذاته، التى تتخذ فى ضوئها ردود الأفعال المناسبة.

---

(١) برنامج CRA تم شرحه بالتفصيل فى قسم الطرق.

بـل إن بعـض الاتهامـات الموجهـة لوسـائل الإعـلام، والتـى يتفـق عليهـا العلماء وسـلطات مكافحة الإرهاب، مفادها أن وسائل الإعلام، حقيقة الأمر تخدم الإرهاب. إذ إنها من خلال تغطيتها لأخباره وحوادثه تسـاعده على نشر رسالة الرعب التى يعتمد عليها، إلى جانب كونها وسـيلته فى نقل مطالبه السياسـية إلى المسئولين بالحكومة. (انظر مثلا: ميلر، ١٩٨٢، بيكارد، ١٩٨١، بيكارد ١٩٨٦).وقد أكدت رئيسة وزراء بريطانيا السابقة، مارجريت ثاتشر، أن وسائل الإعلام تمد الإرهاب بما يحتاجه من شهرة وكأنها «أوكسـوجين الإرهـاب». كـما قال لاكـور وهو من العلـماء «إن الصحفيـين هم أفضل أصدقـاء للإرهابيين» (ص٤٢-١٩٩٩). مثل هـذه الاتهامات تبحث فى جدوى تناول أخبـار الإرهـاب ومنظماتـه عـلى نطاق واسـع، وتنادى عـلى العكس بـضرورة قصرها فى أضيـق نطـاق. إذ تفـترض أن الإعلام بنشره تلـك الأخبار، يعطـى الإرهاب فرصة التواصـل مـع الجمهور. وكأنه يمنـح الإرهاب ميزة عن الحكومة أو سـلطات مكافحة الإرهـاب. وقد تلا تلك الاتهامات من قبل رئيسـة الوزراء البريطانية، فرض قيود على نشر أخبار الإرهابيين، بل منعت BBC من بث تصريحات أعضاء جماعة IRA .

الإعلام

الإطار الإعلامى وتدفق المعلومات- المرسل

كان جوفمان (١٩٧٤) أول من لجأ إلى مناقشة معايير تقديم الخبر، أو وضعه فى إطار بعينـه، معتبرا «أنه مسـألة تنظيمية تحكم تقديم الأحداث، على الأقـل الاجتماعى منها. ثم هناك مسـألة تدخلنـا الذاتى غير الموضوعى فى قراءة الخـبر» (ص١٠)، وكان ليبمان (١٩٢٢) قد حدد أساسـيات تصور الخبر فى الأذهان أو ما أسـماه «بأسـاس الصورة فى الأذهـان» حيث كتب «إن إحسـاس أى منا بحدث لم يعشـه، يعتمد على شـعوره الذى تكـون مـن الصـورة الذهنية التى لديه عن هـذا الحدث». ففى الـدول التى لا ينتشر بها الإرهـاب، أو النشـاط الإرهابى المحدود تاريخيـا، يعتمد أفرادها على وسـائل الإعلام المكتوبة أو المرئية فى تكوين صورة ذهنية أو «صورة فى الأذهان» عن الحوادث الإرهابية.

مـن هنا كان اعتمادهم فى الأسـاس وطبقـا لجوفمان، على «الإطـار» الإعلامى فى تصور هذه الأحداث.

تصدرت دراسة كيفية تقديم الخبر من خلال الأطر المختلفة الدراسات التى أجريت فى مجـال الإعلام على مدى ثلاثة العقود الأخيرة. لاسـيما العملية الإدراكية التى يمر بها الفـرد ومـا يحكمها مـن خطوات تركيبية حتـى يتحقق لها الاكتمال. لقـد تحول موضوع الإطـار الإعلامـى إلى نظريـة متكاملة حاول كثير مـن العلماء أن يولوهـا أهمية خاصة، بهدف صحة تطبيقها أو تحقيق نوع من السيطرة عليها بشكل أو بآخر. (إينتمان، ١٩٩٣، جامسـون موديجليانى، ١٩٧١، شوفوله، ١٩٩٩، شـاه، كواك، شميرباخ وزوربريك، ٢٠٠٤).

تبنـى كثير من العلـماء فى أسـاليبهم وتعريفاتهـم المختلفة للإطـار الإعلامى مفهوم جوفـمان الأصـلى. إلا أن مفهـوم روبرت إنتمان هـو الذى هيمن، حقيقة الأمر، بشـكل واضـح على أدبيات هذا الفرع المعرفى. وطبقا له فـإن الإطار الإعلامى هو أداة تنظيمية يسـتخدمها كل من واضـع الإطار والقارئ بهـدف تحقيق الاختيار أو إبـراز نص بعينه بغـرض تعظيـم الفهـم. ويضيف أن الإطـار الإعلامى يقـوم بعملية تشـخيص وتقييم ووصـف للعلاج. أوبشـكل أكثر دقـة وتحديدًا «الإطـار يقوم بتعريف المشـكلة، محددا العمل الذى قام به المتسبب فى المشكلة، وما هى التكلفة والمكسب من وراء هذا العمل. وذلك عادة فى ضوء ثقافة المجتمع السائدة. ثم يقوم بعد ذلك، بتشخيص هذه الأسباب أى التعرف على القوة المسئولة عن حدوث المشـكلة. ثم يقوم بإصدار الأحكام، وهى بمثابـة عمليـة تقييـم للعامـل أو العوامـل المسـببة للمشـكلة وتأثيرهـا. وأخـيرا يقدم مقترحـات للعـلاج، من خلال طرق علاج مختلفـة ومبرراتها كما يتنبـأ بمؤثراتها جميعا» (إينتمان، ص٥٢-١٩٩٣).

كما يتطرق إينتمان أيضا إلى النواحى الخاصة بنشـأة الإطار الإعلامى وبسيطرته. وفى هـذا يقول إن السـيطرة تتراوح ما بين حالـة من الهيمنة الكاملة عـلى غيرها من الأخبار إلى حالـة مـن التكافؤ الكامل مـع غيرها من الأخبـار. وتمثل الهيمنة جانبـا واحدا فقط

مـن القضيـة. أمـا تكافـؤ الإطار، فتعنى وجـود أطر أخـرى قد تمثل الموضـوع من عدة جوانـب . (١٩٩١، ٢٠٠٣). ومـن أجـل تحقيـق التكافـؤ، لابد للجريدة مـن أن تقدم «قصصًا أخرى بديلة، على أن تتضمن المشـكلة والسـبب والعلاج، والحكم الأخلاقى» (ص٤١٨، ٢٠٠٣). وحقيقـة الأمـر فـإن «تحقـق التكافـؤ فى الإطـار الإعلامـى» يعد اسـتثناء وليس القاعدة. (ص.٤١٨) وفى ظل هيمنة الإطار الإعلامى، فإن الخبر المعنى بحادثـة من حـوادث الإرهاب، يمثـل جانبا واحدا فقـط من القصة. وبـدون توفر أى جدل خاص بمصدر الخبر أو دلالاته أو مناقشـة إسـتراتيجيات التعامل مع المشكلة أو وصف العلاج، لن يكون بمقدور القارئ أن يكون أى تقييم خاص بالحادث سـوى ما يحاول الإطار الإعلامى أن يفرضه عليه. وإذا نجحت النخبة السياسية فى فرض وجهة نظرها وتجاوز من يمكن اعتبارهم، حراس بوابة الصحافة، فسـوف تعمل الجريدة «فى نهاية الأمر فى اتجاه يخدم دعم ومسـاندة القادة السياسيين وسياسـة الأمن التى يريدون تطبيقها» (نوريس، كرن، وجست، ٢٠٠٣، ص١) وفى هذه الحالة فإن الصحافة سوف تبـدو غـير موضوعية بانحيازها فى اتجـاه الحكومة، بتبنيها المبالغ فيـه لوجهة نظر النخبة السياسـية وحدهـا. وبنفـس المنطق يؤكـد نوريـس، أن اكتفاء الصحافـة بعرض وجهة نظـر الإرهاب وحـده، تعتبر رسـالة تؤثر بدورهـا فى تكوين رأي عام تجـاه الإرهابيين وتقييمهم، وبالتالى تعرضنا لتداعيات سلبية خاصة بتهديداته فى المستقبل. «ومن ضمن مهـام الإطـار الإخبارى تشـكيل جدول أعمال الحكومـة أو أجندتها الخاصة بالسياسـة العامـة والخدمـات الخاصـة بالأمـن، بشـكل مبـاشر أو غـير مباشر من خـلال عرض وجهـات نظـر الجماهـير وردود أفعالهـا تجاه كبـار المسـئولين بالحكومـة». (نوريس أت أل.، ص٨-٢٠٠٣). مما يشـكل تحديـا للفرضية التى ذكرناها أعـلاه، والتى تزعم بأن الصحافة بصورتها التقليدية تنحاز لوجهة نظر الإرهاب، فتنشر رسـالة الرعب والفزع التـى يريـد بثها بين الجماهير، بما يخلع عليها شرعية ومصداقية فيشـجع دونما قصد، على تكرار مثل هذه الحوادث من خلال انتشـارعدوى الإرهاب. وقد رأينا من قبل فى إطار «حرب بوش ضد الإرهاب» فى أعقاب أحداث ١١/ ٩ مدى تبنى الإعلام للغة خطاب

إدارة بـوش فى حربها ضد الإرهاب. وذلك بشـكل صارخ ولافـت، حينما تقدم تقارير خاصة بالإرهاب.

كشـفت أبحاث جـادة، أجريت على التغطية الإخبارية لأزمات السياسـة الخارجية فى أعقـاب الحرب العالميـة الثانية بالولايات المتحدة الأمريكية، تقدمًا بشـكل منتظم فى جداول أعمال أو برامج النخبة السياسية. (بينت، ١٩٩٠).ولاشك أن هذا النمط، يعد كاشـفا عن ممارسـة الصحافة لسياسـة الالتزام بتقديم وجهة نظر الحكومة. (أليكسيف وبينـت، ١٩٩٥، زالـر وشـيو، ١٩٩٦) وتعـزز ما يسـميه بنـت Bennett بالفهرسـة. (١٩٩٠).وطبقـا له فـإن الصحفيين الأمريكيين، يقومون «بعملية فهرسـة» للأصوات ووجهـات النظـر المختلفـة سـواء فى النصوص الإخباريـة أو المقـالات فى ضوء الجدل الحكومى السائد تجاه موضوع بعينه أو قضية بعينها.

بعـد مراجعـة وفحص نظريـات الإعـلام المختلفة الخاصـة بالإطـار الإعلامى، أو بالفهرسـة أو إعـداد موضوع محدد، فإن هذه الدراسـة، اختـارت، أن تختبر فرضية بنت Bennett ومؤداها أن التغطية الإخبارية الخاصة بالإرهاب، تلجأ بشكل عام إلى فهرسة وجهات نظر النخبة إلى جانب حالة الانحياز الفوضوى التى تصف بها السلطات وهى بصدد جمع الأخبار. (ص ٤٨-٥٣). وقد نشـأ هذا الانحياز من فرضية خاطئة مفادها أن الخبراء من النخبة والعارفين ببواطن الأمور ممن يشغلون مراكز مرموقة، يتوافر لديهم ما يكفى من معلومات خاصة بالموضوعات والقضايا المختلفة؛ وبالتالى فإن الصحفيين لا يحتاجـون إلى مزيـد من البحث والتنقيـب عن تفاصيل القصة. أو حتى التشـكك فى مـدى خبرة هـؤلاء أو دوافعهـم الحقيقية. وبالطبع فـإن القصص الإخبارية التى تنشـأ بهذا الشـكل تنتج صورة نمطية من صور الإطار الإعلامى المسـيطر للنخبة الحاكمة أو الحكومة.(بينـت، لورنس ولفينجسـتون، ٢٠٠٦). والنتيجة كما يراهـا بنت وزملاؤه، تكـون «صحافـة عبـارة عـن أداة تواصل فى يـد الحكومـة الأمريكية، وليس الشـعب. وذلـك نتيجـة لقربها المبالغ فيه من دوائر صنع القـرار فى الأمة.وهو ما يمثل وضعًا جد غريب بالنسبة لصحافة عرفت بأنها من أكثر نظم صحافة العالم تحررا». (بينت، لورنس وليفنجستون، ٢٠٠٧، ص١).

وجدير بالذكر أن عملية الفهرسة قد تكون أكثر انتشارا فى حالة التعامل مع الأخبار الدولية أو السياسة الخارجية. حيث يكتفى الصحفيون بالمصادر الحكومية، ولا يقبلون على مزيد من التحرى أو التدقيق. وهو ما يجعلهم يميلون إلى الامتناع عن توجيه أى نقد لسياسة الحكومة الخارجية. ويرجع ذلك لعدة عوامل، بعضها اقتصادى والآخر مرتبط بقلة المعرفة أو جهل بالموضوع، أو قد يكون عجزًا فى الوصول إلى مصادر أخرى.

يقوم إنتيمان فى نموذجه الخاص بمواجهة التحدى الذى تفرضه رسالة النخبة. ملقيا مزيدًا من الضوء على تعزيز الصحف لبرامج وجداول أعمال بعينها، أو لقرارات محددة وقصص إخبارية تحقق تألقا صحفيا نتيجة للإقبال الجماهيرى عليها. وتقف الحكومة (إداريين ونخبة) على قمة النموذج، حيث تأتى المبادرة منهم أولا، فى شكل أفكار أو قرارات تتخذ، فتتكون الإطارات الجديدة. تقوم المصادر الإعلامية بتلقف هذه المعلومات، وقد تضيف إليها بعض النواحى التنظيمية المتحيزة عادة، تجاه وجهات نظر أشخاص بعينهم. أو قد يظهر ذلك من خلال إضافات مبالغ فيها أو حذف غير مستوجب لبعض الموضوعات أو الأفكار أو المفردات. هكذا تتشكل الأطر الإعلامية للقصص الإخبارية التى تظهر بالصحف، فيتفاعل معها الجمهور.

الإطار الإعلامى: الفكرة / الحدث والعام / المحدد - الرسالة

تقوم هذه الدراسة بتحليل التغطية الإخبارية للإرهاب من ناحية الفكرة الأساسية والحدث. وجدير بالذكر أن هذا التصنيف يساعدنا على التعرف على الأسباب المسئولة عن تغيير الإطار الإعلامى لحدث بعينه. ويعتبر إطار الحدث أكثر واقعية، حيث يتناول الجانب الوصفى من التغطية الصحفية لحادث معين أو أفراد أو ظروف معينة. أما إطار الفكرة، فهو نظرى أو تجريدى؛ ولذا يحتاج إلى تفسير تحليلى. (إيانجار، ١٩٩١) وقد بحث كل من إيانجار وسيمون، فى أنماط الإطار الإعلامى للسياسة الخارجية، وأكدت نتائج البحث أن التقرير المرتبط بالفكرة يؤثر على الأفراد فيدفعهم إلى النظر فى اتجاه الظروف الاجتماعية والسياسة العامة. أما إطار الحدث فيدفع الأفراد إلى التفكير

فى الأشخاص أنفسهم. كما أن إطار الفكرة يكون أوسع نطاقا، إذ يشتمل على الجدل السياسى، ومعلومات عن الخلفية والاتجاهات، والنتائج (إيانجار وسيمون، ١٩٩٣). أما فيما يخص الوقت، فإن تغطية الحدث تتميز بسرعة الانتشار بين الناس، إذ تصلهم بمجرد وقوعه، بينما تغطية الفكرة، تصبح أكثر تأكيدا بعد فترة من الزمن.

وقد لوحظ أن الأطر التى تتناول الفكرة كانت الأكثر انتشارا ووضوحا فى فترة ما بين وقوع الحادثين اللذين تستند إليهما الدراسة. وبتأمل هذا المزج بين نموذج إنتيمان ونظرية بنت الخاصة بالفهرسة، يتضح لنا بشكل جلى، كيف تنحاز تغطية أخبار الإرهاب إلى جانب الحكومة «نتيجة للمبالغة فى الاعتماد على تفسير مسئولي الحكومة، أو خبراء الأمن والمعلقين العسكريين. وهو ما يفضى فى نهاية الأمر إلى استمرار تأييد ومساندة القادة السياسيين وما يتبنوه من سياسات أمنية». (نوريس أت أل..، ص١-٢٠٠٣).

ويقودنا ذلك إلى الفرضيات التالية:

الفرضية الأولى:

نفترض أنه فى حالة إن اتفقت النخبة السياسية على اعتبار أن الإرهاب تهديد دولي، فإن الإعلام سوف يفرز أعدادا متزايدة من الأطر الدلالية التى تحمل وتعزز هذا المفهوم، وسوف يتعرض للأنشطة الإرهابية مستخدما دلالات تعزز البعد الدولى للإرهاب، وذلك بشكل يفوق الدول التى تعتبر نخبتها السياسية أن الإرهاب ذو أصول محلية.

الفرضية الثانية:

أما فى حالة اتفاق النخبة السياسية على اعتبار أن الإرهاب ذو أصول محلية، فإن وسائل الإعلام سوف تفرز مزيدا من المفاهيم الدلالية التى تعزز المفهوم المحلى للإرهاب، وتعبر عن ذلك من خلال استخدام واضح للمفردات التى تعكس هذا البعد. وذلك بشكل يفوق إعلام الدول التى تعتبر نخبتها السياسية الإرهاب ذا أصول دولية.

وسوف نقوم باختبار هذه الفرضيات فى فترات زمنية محددة: أولا فى الفترة التى تلى الحادثتين مباشرة، ثم فى الفترة «الهادئة» بينهما. وذلك من خلال دراسة دقيقة للصحف الليبرالية والمحافظة فى الأمم المتحدة والولايات المتحدة.

طرق البحث:

العينة

تم الاستعانة بنصوص إخبارية لصحف محافظة وليبرالية. شملت صحيفة النيويورك تايمز، ولوس أنجلوس تايمز، والوال ستريت جورنال بالولايات المتحدة. أما فى المملكة المتحدة فقد وقع الاختيار على التايمز أوف لندن، والجارديان، والإندبندنت. the Independent

و قد اختيرت النصوص من خلال الموقع الإلكترونى للجامعة. حيث تم توظيف مفردات مثل «لندن»، «فزع» «مسلم» أو «إسلام» فى العناوين، أو مفردات تم استخدامها فى أول فقرة من النص. أما بالنسبة لصحيفة لندن تايمز فقد سمح باستخدام كلمة «لندن» فى مواقع مختلفة من النص، لتوسيع مجال البحث.

و تم تحويل كل النصوص إلى ملفات، من خلال تحليل الرنين المركزى CRA، وقد أدرجنا معه ملفًا يقوم باستثناء الكلمات غير المفيدة أوغير اللازمة مثل: Mr (مستر)، أوphotographer (مصور)، وphoto (صورة). كما أن البرنامج يقوم تلقائيا بتجاهل كلمات مثل الأداة التعريفية «the» أو«it» أو«a» .وقد قام البرنامج بمسح الملفات المزدوجة وكذلك كل ما ليس له علاقة بالموضوع بما فيها النصوص التى تحتوى على مفردات قليلة، لاتسمح بتطبيق الأداة التحليلية CRA عليها.

وقد جرى اختيار نصوص كاملة من سنتى ٢٠٠٥ و٢٠٠٦، لتغطية حوادث انفجارات الأنفاق بلندن، والتى وقعت فى يوليو ٢٠٠٥ ومخطط طائرات الخطوط الجوية البريطانية الذى وقع فى أغسطس ٢٠٠٦. وذلك بهدف تغطية التحليل الإخباري

لهاتين الحادثتين من ناحية الفكرة والحدث. وحتى نتمكن من دراسة أهم فترتين بالنسبة للحادثتـين، أى (الفـترة التى تعقب وقـوع الحادثة الإرهابية مبـاشرة) إلى جانب الفترة الهادئـة (فترة مـا بين وقوع الحادثتـين)، فقد قمنا بتقسـيم فترة السـنتين إلى عدة أجزاء: الفـترة الأولى من ١ يناير ٢٠٠٥ - إلى ٦ يوليو ٢٠٠٥ وتعتبر الفترة الهادئة التى أفضت إلى وقـوع أو ل حادثـة. أما الفترة الثانية، فتشـمل الأسـبوع الذى تـلا وقوع انفجارات الأنفـاق بلنـدن. (من ٧ يوليو ٢٠٠٥ إلى ١٤ يوليـو ٢٠٠٥). كما أننا اعتبرنا الفترة (من ٧ يوليـو ٢٠٠٥- إلى ٧ أغسـطس ٢٠٠٥) فـترة تحليل منفصلة. والفـترة الهادئة الثانية من ٧ أغسـطس ٢٠٠٥ إلى ١٠ أغسـطس ٢٠٠٦. ثم تأتى فترة الأسبوع والشهر الذى تلا مخطط الانفجارات بلندن) ١١ أغسـطس ٢٠٠٦- إلى ١٨ أغسـطس ٢٠٠٦ و١١ أغسـطس ٢٠٠٦ إلى ١١ سـبتمبر ٢٠٠٦). وأخـيرا آخـر فـترة هدوء من ١١ سـبتمبر ٢٠٠٦ إلى ٣١ ديسمبر ٢٠٠٦.

وقـد وجدنا أن هناك ٢٤١ نصا إخباريا عن هذه الحوادث بالصحف الأمريكية، إلى جانب ٣٩٢ نصا بالصحف البريطانية.

إجراءات تحليل الرنين المركزى CRA

وقـد تـم تطبيق هذ النوع من التحليل على نصوص مأخـوذة من صحف بالولايات المتحـدة ولنـدن بدءًا مـن ١ يناير وحتى ٣١ ديسـمبر ٢٠٠٦. وقد لوحـظ عند مقارنته بوسـائل أخرى تحليلية، أن الرنين المركزى يسـتند بالأسـاس إلى نظرية لغوية جوهرها، كيفيـة تحقيق الأفراد الترابط اللغوى والتواصل مع الأخبار. بينما تتجه أسـاليب أخرى إلى الربـط بين تكرار المفـردات وأهميتها. ويقوم برنامج كراوديـد Crawded بمثل هذا التحليـل الكيفى للنصوص موضوع البحث. ويتعامـل CRA مع النص على اعتبار أنه شـبكة من المفردات المترابطـة التى تقدم المعلومـات والمؤثرات المختلفـة، بالإضافة إلى الترابـط المنطقى لمضمون النص. ثم يقوم بعد ذلك بإنتاج مجموعة متنوعة من الوظائف التحليلية للنص يمكن من خلالها استكشاف المعلومات والموضوعات المتضمنة داخل النص. (كورمان ،كون ، ماكفيه دوولى ٢٠٠٢).

وتعتمـد هذه الدراسـة على ثلاثة تطبيقات أساسـية لتحليل الرنـين المركزى CRA :
أولها المصور، والذى ينتج شـبكة الرنين المركزى، بالإضافة إلى جدول يلخص الكلمات المؤثرة الخاصة بالملفات. ويعتمد على موقع الكلمة فى شبكة الرنين لتقييم مدى تأثيرها.

أمـا ثانى التطبيقات لهذا التحليل فهو المقارن، الذى يسـتخدم ما لديه من معلومات فى العثور على المفردات الشائعة وغير الشائعة فى نصين لتقييم مدى أهمية استخدامهما فى هذين النصين. وأخيرا ثالث هذه الأسـاليب المستخدمة ويعرف بالمصنف، ويقوم بفرز النصوص وتصنيفها بشـكل آلى، أو أتوماتيكيا طبقا لتشـابهها من حيث المضمون. ومن المعروف أن هذا الأسـلوب يقدم نموذجا متنوعا مما يساعدنا فى إنتاج خرائط للمفاهيم الخاصة بكل مجموعة من النصوص .(كورمن ودولى، ٢٠٠٦).

النتائج

ويعد ما توصلنا إليه من نتائج دعما قويا لنظرية الفهرسة. كما أنه يبرز فى نفس الوقت نواحى متعددة لعملية وضع الإطار الإعلامى فى النصوص الصحفية. وبمراجعة نتائج الأداة التحليليـة CRA، وجدنـا مجموعة مـن الإطارات الإخبارية التـى تؤيد وجهات نظر كل من الرئيس الأمريكى بوش ورئيس الوزراء البريطانى بلير، المتعلقة بالمسئولين عـن الحوادث الإرهابية. كما توصلنا أيضا، وبشـكل واضح إلى أن المفردات التى تكون هذه الإطارات الإعلامية، تتفاوت فى تأثيرها باختلاف المصدر الأيديولوجى (ليبراليين فى مقابـل محافظـين) وكذلك باختـلاف الوقت المسـتغرق فى التغطيـة الإعلامية (إطار الفكـرة، مقابـل إطار الحدث). والمناقشـة التالية التـى نعرض لها فى الجـزء التالى، تقوم بتحليـل مختلـف الأطر التـى وجدناها بخرائـط CRA والمتعـددة المصادر[1]. حيث إنها تخـص دولاً متنوعـة وأزمنة مختلفة للتغطيـة الإعلامية وأيديولوجيات سياسـية مختلفة.

(١) عـدد النصـوص المتضمنـة طبقـا لتصنيفها: الولايـات المتحـدة المرتبطة بالحـدث ١-١ الولايـات المتحدة ٢-٥٠ : حـدث. الولايـات المتحدة المرتبطـة بالفكرة أو الموضوع -٨٢. المملكـة المتحدة المرتبطة بالحدث ١-٩٩، وأيضا بالحدث ٢-٦٣ المملكة المتحدة بالفكرة أو الموضوع ١٤٤ وهناك مزيد من التفاصيل بقسم الأساليب أو الطرق.

وبمقارنتها بالتصريحات الحالية للإدارة، تبين لنا صحة نظرية بنت Bennett للفهرسة. حيث جاءت تلك البيانات مطابقة لما توصلنا إليه من نتائج.

مقارنة بين تغطية الولايات المتحدة والمملكة المتحدة

وعلى لرغم من التناغم والتنسيق الشديدين بين مواقف كل من رئيس وزراء بريطانيا والرئيس الأمريكى فيما يتعلق بحرب العراق أو الحرب ضد الإرهاب، فإن ردود أفعالهما تجاه تلك القضايا، أو السياسات واجبة التطبيق فى أعقاب الحوادث الإرهابية، تبدو متباينة بشكل واضح. ويظهر ذلك جليا، سواء من التصريحات المباشرة للإدارتين أو من التغطية الإعلامية لتلك الحوادث فى ذلك الوقت. أما الرئيس بوش فقد استغل فرصة وجوده بالمملكة المتحدة وقت اندلاع اعتداءات ٧/ ٧ ، حيث تزامن هذا الوقت أيضا مع انعقاد قمة الثمانى الكبار هناك، لتعزيز تصريحاته ومواقفه السابقة تجاه الحرب على الإرهاب، مؤكدا ضرورة مواصلة الكفاح ضد الإسلاميين الراديكاليين. كما انتصر مرة أخرى لوجهة نظره الخاصة بانتشار الإرهاب فى العراق وبضرورة اجتثاثه من جذوره وقد اعتبره مبررا للوجود الأمريكى على أرض العراق. وقد استهل افتتاح قمة الثمانى الكبار بقوله «إن الحرب على الإرهاب مستمرة»، معززا مرة أخرى كلماته فى خطاب سابق، كان قد ألقاه من وقت قريب فى قاعدة بورت براج، حينما أراد إعادة إحياء الحرب ضد الإرهاب بين مواطنيه، وتعبئة الرأى العام الأمريكى لتأييد الوجود الأمريكى فى العراق. وقد أطلق عليه «الجبهة الرئيسية لمحاربة الإرهاب» (بلوك، ٢٠٠٥). هذه المعلومات تكشف لنا النقاب عن مدى اتجاه إدارة بوش إلى تدويل قضية الإرهاب واستفادتها من ذلك. حيث إن وضع هذه القضية فى إطار دولى من شأنه شحذ الهمم واستنفار الرأى العام العالمى إلى جانب الإدارة الأمريكية فى حربها ضد الإرهاب. كما أنه يمنحها حجة أمام العالم وتبريرا للتدخل فى حرب العراق.

ومن اللافت للنظر فى هذا الصدد سرعة ردود أفعال إدارة بوش فى توجيه إصبع الاتهام فى معظم الاعتداءات إلى تنظيم القاعدة. ويستدل على ذلك من تصريحات

مستشارها الأمنى فران تاونزند يوم ١١ يوليو. حيث أكدت أن السلطات البريطانية والأمريكية تجرى البحث حاليا عن كوادر من تنظيم القاعدة تعمل فى أوروبا، وترتبط باعتداءات إرهابية سابقة (ويلكنسون، ٢٠٠٥). وجدير بالذكر أن الرئيس الأمريكى بوش لم يبحث فى مدى ارتباط حوادث لندن بموقف بريطانيا من حرب العراق وتورطها مع الحليف الأول، الولايات المتحدة. وربما كان السبب فى ذلك أيضا ولو بشكل جزئى، عدم وقوع تلك الاعتداءات على أرض الولايات المتحدة الأمريكية نفسها.

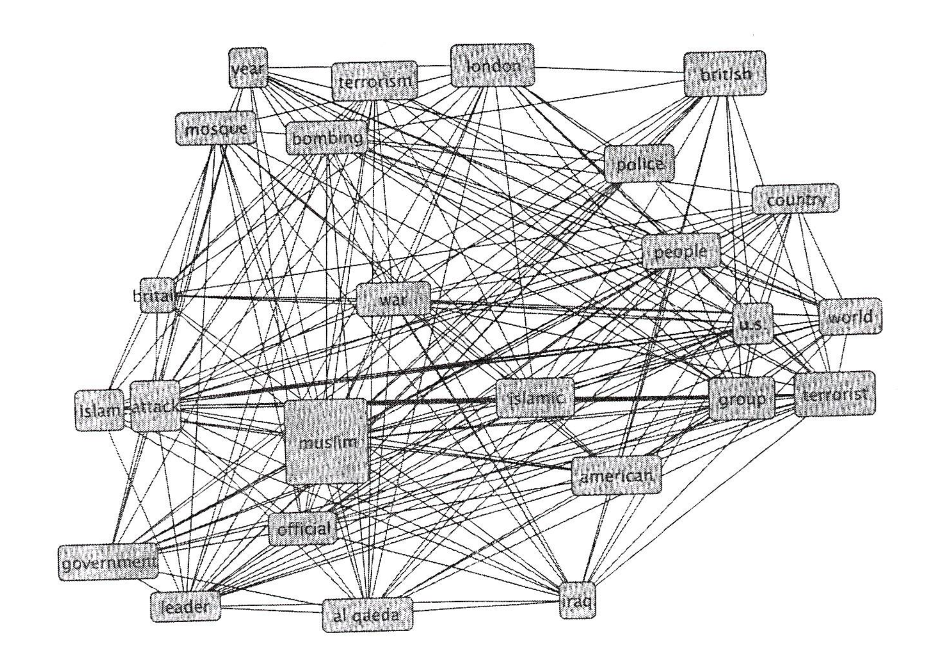
وعلى الجانب الآخر، فقد وجد رئيس وزراء بريطانيا تونى بلير نفسه فى موقف دفاعى لا يحسد عليه بعد اعتداءات السابع من يوليو. فالاعتداءات وقعت على أرض المملكة المتحدة مما جعله أكثر عرضة للاتهام والانتقادات الموجهة لسياسته تجاه حرب العراق، والتى أثار الكثيرون جدلا شديدا بشأنها، مشككين فى مدى جدواها فى الواقع. ومما فاقم من حدة الجدل فى هذا الشأن تعرض مدريد لاعتداءات سابقة فى ٣/ ١١/ ٢٠٠٥ بعد مشاركتها أيضا فى حرب العراق وإعلانها عن تضامنها مع الحليف الأمريكى فى حربه ضد الإرهاب.

أعلن وزير خارجية بريطانيا فى ذلك الوقت، السير مالكولم ريفكند: «لا أشك إطلاقا فى أن حرب العراق قد تمخض عنها فراغ سياسي، يسعى تنظيم القاعدة وغيره من الإرهابيين إلى استغلاله والاستفادة منه» (جرايس، ٢٠٠٥). وفى بيان عن الإرهاب ألقاه بلير بمجلس الأمن بالأمم المتحدة، يوم ١٤ يوليو، أكد «أن الأمر لا يتعلق بتوجه السياسة الخارجية، بل هو أكبر بكثير من ذلك ... إنه معتقد ومنهج، يمثل التطرف ونموذج لابد من أن نتحد لاستئصاله من جذوره ... وذلك من خلال اتخاذ إجراءات فاعلة ضد من يحرض عليه أو يدعو له، وذلك بغض النظر عن الدولة التى يمارس فيها هذا التطرف.. ومن أجل تحقيق هذا الهدف، يجب أن نقضى على ما بداخلنا من تردد أو شكوك فى هذا الشأن». (بلير، ٢٠٠٥). ومن الملاحظ على كلمته، أنه لم يربط بين الحوادث الإرهابية والحرب على العراق. كما أنه فى الوقت ذاته، لا يوجه الاتهام إلى القاعدة بشكل محدد، كما فعل الرئيس بوش فى تصريحاته.

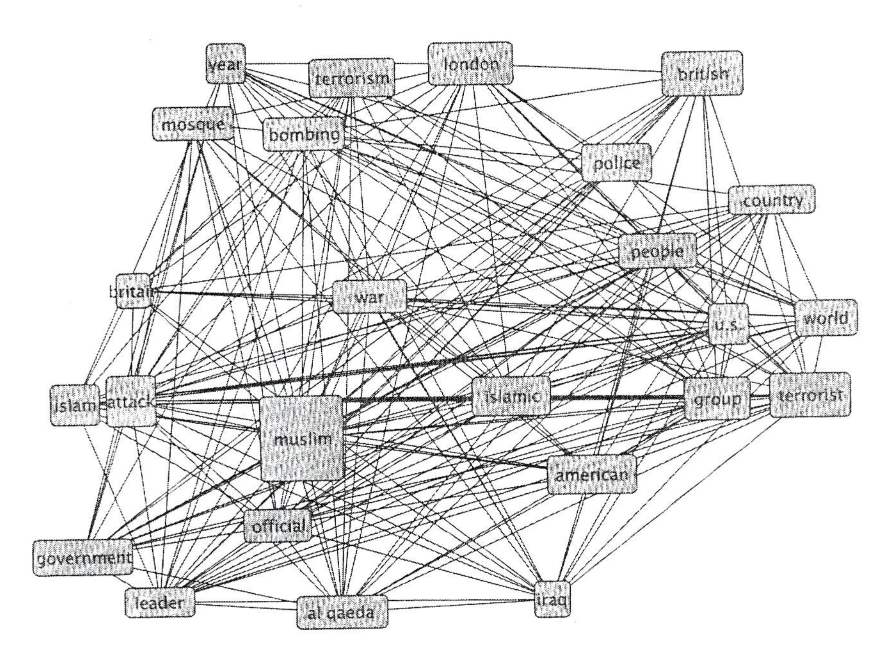
وجدير بالذكر أن هذا التباين فى وجهات النظر بين الطرفين قد تم التعبير عنه سواء خلال الفترة التى أعقبت الاعتداءات مباشرة أو فيما بعد. فقد استمر بوش فى توجيه الاتهام إلى تنظيم القاعدة وإلقاء اللوم والمسئولية الكاملة عليه فى ارتكاب تلك الاعتداءات. بينما التزمت الإدارة بالمملكة المتحدة سياسة الحرص وتوخت الحذر بشأن إصدار أية اتهامات لجهة بعينها. وتعتبر هذه سياسة ذكية من جانبها، إذ إن توجيه اتهامات للقاعدة أو أية شبكات أخرى دولية كان سيفتح النار حتما، على سياسة بلير. ويعطى فرصة لمعارضيه لانتقاده على أنه قد عرض إنجلترا إلى موجات من الاعتداءات المتتالية نتيجة لتورطه فى حرب العراق وانصياعه الأعمى خلف الحليف الأمريكى دون أية تحفظات. ولكن ما حدث، كان عكس ذلك. حيث لجأت إدارته إلى تصوير هذه الهجمات على أساس أنها عشوائية ومرتبطة بإرهاب محلى أو داخلى. وعلى هذا الأساس صدرت تصريحات عن مجلس العموم البريطانى تفيد بأن «هذه الهجمات قد تمت على يد أربعة إرهابيين بريطانيين. ولا يوجد من الدلائل ما يثبت أنهم ينتمون إلى شبكة إرهابية أوسع أو أن تطرفهم قد تم على يد منظمة، القاعدة أو غيرها. كما أن التخطيط لهذه الهجمات قد تم بشكل منعزل، وأنه لم يكن جزءًا من مخطط شامل. كما أن أسلوب التنفيذ لم يتسم بحنكة مهنية عالية» (الحكومة البريطانية، ٢٠٠٦).

وقد أظهرت خرائط المفردات للرنين المركزى CRA هذه الوقائع وعززتها من خلال ما أبرزته الصحف بالولايات المتحدة الأمريكية من مفردات خاصة بالمجال الدولى وبمنظمة القاعدة والحرب على الإرهاب. والتى كانت أقل كثيرا فى حالة الصحف البريطانية. ومن أكثر الشواهد دلالة، تكرار مفردات خاصة بالقاعدة بشكل واضح فى الخرائط الخاصة بالولايات المتحدة. مع اختفائها فى الصحف البريطانية. وذلك سواء تعلق الأمر بتغطية الحدث أو الفكرة أوكان الخبر من مصادر ليبرالية أو محافظة. وقد ظهرت مفردة القاعدة مرة واحدة فقط فى مرحلة تغطية الخبر بالمملكة المتحدة، إلا أنها لم تكن على درجة كبيرة من التأثير كى تظهرها بنية الخرائط. وهذا يؤيد مناقشتنا السابقة الخاصة باختلاف وجهات النظر. وبشكل عام فإن الخرائط الخاصة بالولايات المتحدة،

تضمنت مفردات ذات أبعاد دولية، بينما ركزت الصحافة البريطانية على قضايا محلية تتعلق بالقوانين والمجتمع. (انظر: الخرائط ١ و٢)



(الخريطة ١) المملكة المتحدة فترة الحدث (٧ أغسطس، ٢٠٠٥-١٠ أغسطس ٢٠٠٦)



(الخريطـة ٢) خريطة الولايات المتحدة الخاصة بفترة الحدث (٧ أغسـطس، ٢٠٠٥- ١٠ أغسطس، ٢٠٠٦)

ومـن الكلـمات التى وجـدت بالصحافـة الأمريكيـة والدالة على تنـاول الصحف لقضايـا وموضوعـات دوليـة مرتبـطـة بمجريـات الأحـداث وردت كلـمات مثـل: الإسلام - الدولة - الإرهاب - المسئولين - أمن الولايات المتحدة - باكستان - بالى - الانفجار. ونحن نرى أيضا هذه المجموعة من المفردات الدولية تظهر بالشكل المبين وهـو ما يظهر الارتبـاط بين الحدث موضوع البحث والأحـداث الإرهابية الأخرى أو شبكات الإرهاب الأكبر وغيرها من الاعتداءات. وعلى النقيض من ذلك، فقد ظهرت بالصحافـة البريطانيـة، وفى الفترة الزمنيـة بين الأحداث، موضوعـات ذات طابع محلى مرتبطـة بالحـدث وكانت أكثرها دلالة، مفردات مثل: مسـلم - الشرطـة - بريطانى - بريطانيـا - لنـدن - الشـعب - المجتمع. وتحديدا كان هناك ذكر لغارة فورسـت جيت. حيث تكررت فى هذا الموضوع مجموعة من المفردات مثل: المجتمع - الشرطة - الأقلية.

وفى بعض الأحيان كانت كلمات مثل: لندن - الحى - الشعب تشكل أهمية خاصة. إلا أن الأكثر شيوعا بين المفردات كان ذا طابع محلى. ولم تظهر كلمة العراق كمفردة مؤثرة فى أى مرحلة زمنية فى بريطانيا.

أما إن أردنا أن نتبين الفروق بين النصوص الصحفية من الناحية الأيديولوجية، فمن الممكن تصنيفها إلى ليبرالية أو محافظة. وقد لوحظ أن الصحف التى تعتبر محافظة تتبنى وجهات نظر كل من بوش وبلير أكثر من الليبرالية. ويظهر ذلك من الإطار الإعلامى لتلك الصحف. وتعتبر صحف مثل لوس أنجليس تايمز ونيويورك تايمز صحفا ليبرالية فى حين تعتبر الوال ستريت جورنال صحيفة محافظة. أما بالنسبة للصحف ببريطانيا، فيعتبر اللندن تايمز أكثر محافظة من الإندبندنت والجارديان وهى صحف عرفت بأنها ليبرالية. و جدير بالذكر أنه لا توجد أية إشارة للعراق فى خرائط الصحف المحافظة لكل من الولايات المتحدة وبريطانيا. أما فى التغطية الإعلامية للموضوع بالصحف المحافظة بالولايات المتحدة، فإن كلمة الولايات المتحدة تعتبر محورية ومرتبطة بوضوح بكلمات مثل: الاعتداءات الإرهابية، والجماعة الإسلامية، والقاعدة، والعالم الإسلامى، والحرب والإرهاب. و هو ما يعكس بشكل واضح تصريحات بوش خلال الفترة الزمنية المرتبطة بالموضوع أو الحدث. أما فى بريطانيا فإن التغطية المحافظة الخاصة بالموضوع تظهر أهمية كلمة الحكومة التى تعتبر محورية ومرتبطة بكلمات مثل باكستان، وإسلامية، ومجتمع. ولوحظ أن كلمة باكستان حين تذكر تكون مرتبطة بأصل المشتبه فيهم وليس بباكستان كأمة أو دولة.

وتبدو التغطية الإعلامية للموضوع بالولايات المتحدة بالصحف المحافظة شديدة الاختلاف عنها بالصحف الليبرالية؛ حيث تظهر كلمة القائد كمفردة أساسية وتحيط بها مفردات مثل الولايات المتحدة والمملكة المتحدة، ويظهر ارتباطها بكلمات مثل، الإرهاب والإسلام والعراق والحرب والقاعدة. مما يمكن اعتباره موقفا معارضا للرئيس بوش من قبل الصحف الليبرالية ويعكس فى الوقت ذاته بداية معارضة النخب السياسية لموقف بوش وبلير من خوض حرب ضد الإرهاب بالعراق. ومن

الكلمات التى تظهر فى الصحف الليبرالية البريطانية : بريطانيا والحرب والعراق. وتركز الصحف الليبرالية فى تغطيتها للموضوع على موضوعات خاصة بالمجتمع بدون أى ذكر لقضايا دولية.

الفترة الزمنية الخاصة بالموضوع وبالحدث

كما تم الإشارة إليه سابقا، فإن الإطار الإعلامى الخاص بالموضوع، يعتبر إطارا تجريديا يتكون من أفكار وموضوعات تجريدية أو نظرية، ذات بعد واسع وعادة يتطلب تحليلا تفسيريا. أما الإطار الخاص بالحدث فهو إطار مادى وملموس ومحدد ويشتمل على تغطية وصفية لحدث بعينه. (بنت، ١٩٩٠). وتعتبر فترة السنة التى أعقبت تفجير أنفاق لندن وقبيل خطة تفجير الطائرات فترة خاصة بالموضوع يمكن من خلالها استبيان الدلالات المؤثرة للمفردات. أما الشهر الذى أعقب مباشرة كلًا من حادثة السابع من يوليو وحوادث الطائرات عابرة الأطلنطى فى العاشر من أغسطس، فيمكن اعتباره فترة خاصة بالحدث.

وجدير بالذكر أن الفترتين لا ترتبطان حرفيا بالفترة الزمنية المحددة لهما. فعلى سبيل المثال تظهر بالخرائط الخاصة بالموضوع للولايات المتحدة مجموعات من المفردات الدولية مثل: القاعدة - الولايات المتحدة- الأمن - الإيطالية - باكستان - بالى - الانفجار. وذلك مع وجود كلمات أخرى مرتبطة بالحدث وتعتبر مؤثرة مثل: لندن - الأنفاق - مرور- ويليو - المشتبه فيه[1]. وتعتبر هذه الكلمات الوصفية شائعة الاستخدام فى تغطية الحدث.

ويتميز الرسم البيانى الخاص بالحدث فى بريطانيا بمحلية شديدة، تعبر عنها مجموعتان من المفردات. تركز الأولى على المجتمع المسلم (وهى غالبا تعكس غضب الجالية الإسلامية ببريطانيا) ومن الكلمات شديدة التأثير: المسلم - بريطانى - إسلامى - المجتمع -

(١) لمزيد من التفاصيل الخاصة ببنية الخرائط، انظر: الجزء الخاص بالأرقام.

الشعب - القائد- الحكومة. أما المجموعة الثانية من المفردات، فتتضمن معلومات خاصة بالحدث، وتركز على تفاصيل محددة خاصة بالاعتداء. ومن الكلمات المؤثرة: الاعتداء - لندن - الانفجار - المفجر- الإرهابى - القبلة - الانتحار - الخميس.

ويحاول إيانجار أن يبرهن أن التغطية المتعلقة بالحدث تفرز مسئولية فردية، بينما التغطية الخاصة بالموضوع أو بالفكرة، فيتولد عنها مسئولية المجتمع ككل. فدراسته التى تناولت الفقر، أظهرت أن تغطية الحدث نتج عنها أن الشعب قد حمل الأفراد المسئولية. أما فى التغطية الخاصة بالموضوع، فقد ألقيت المسئولية فيه على المجتمع بأثره أو الحكومة المسئولة عن الشعب. (١٩٩١). وحينما جمعنا التغطية الإعلامية للحدث أو الموضوع بالولايات المتحدة والمملكة المتحدة، ظهر أمامنا نمط مثير للاهتمام. حيث لوحظ أن أغلب المفردات الأكثر تأثيرا، كلمات عامة، ولو بشكل نسبى ومن ضمنها الكلمات الشائعة التى استعرضناها أثناء التحليل ومنها: الجالية - الإرهاب - الحكومة - الهجوم... إلخ .

ومن أهم الملاحظات، أن الكلمة المحورية التى تربط بين كل الكلمات الخاصة بفترة الحدث هى كلمة الشعب. أما الفترة الزمنية الخاصة بالموضوع فتكاد تكون متطابقة مع سابقتها فيما عدا استبدال كلمة الشعب بالحكومة. وجدير بالذكر أنه فى الفترة الزمنية الثانية للحدث تظهر كلمة الشعب مرة أخرى وبنفس أهمية الفترة الأولى. مما قد يعزز من فرضية إيانجار. إلا أن هذه الفرضية لاتزال تحت الاختبار، وتتطلب مزيدًا من البحث قبل التحقق من صحتها.

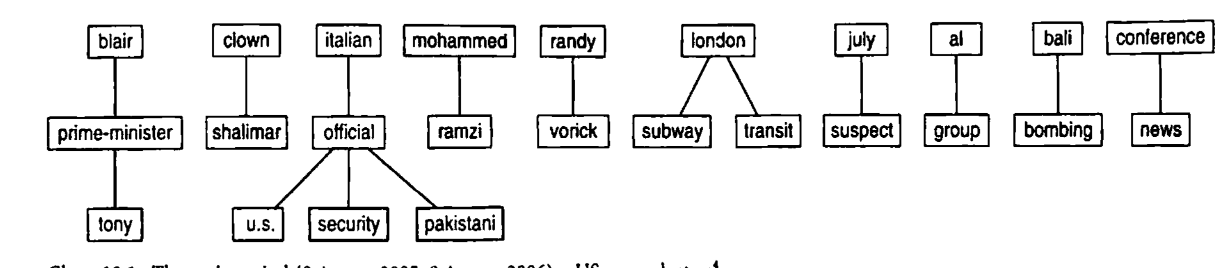
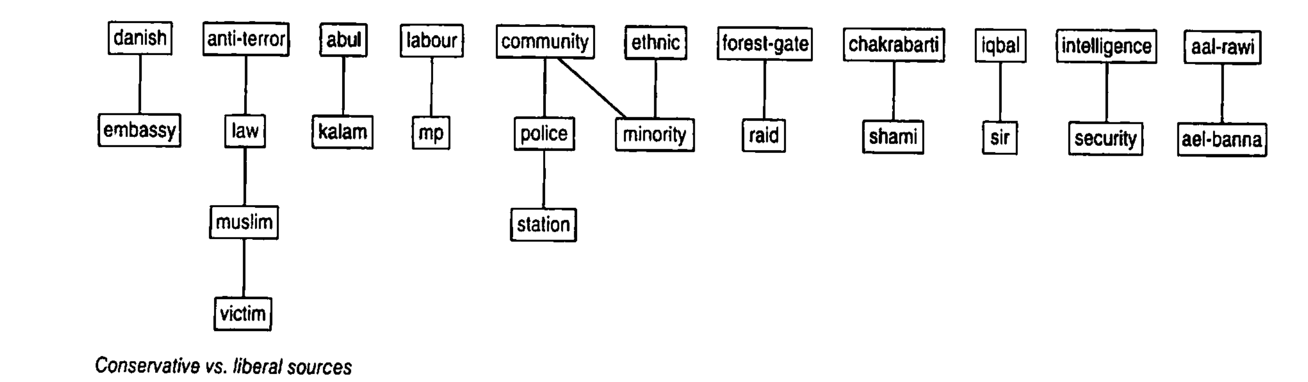


Chart 13.1. Thematic period (8 August 2005–9 August 2006) – US press clusters[4]

(الرسـم البيانـى ١٣,١) الفـترة الخاصـة بالموضوع (٨ أغسـطس ٢٠٠٥ - ٩ أغسـطس ٢٠٠٦) مجموعات الكلمات الخاصـة بالصحافة البريطانية.



Conservative vs. liberal sources

Chart 13.2. Thematic Period (8 August 2005–9 August 2006) – British press clusters

الرسم البيانى ٢, ١٣ الفترة الخاصة بالحدث (٨ أغسطس ٢٠٠٥ - ٩أغسطس ٢٠٠٦).

THEMATIC DATES (08/07/05-08/10/06)

	UK Articles	UK Articles	US + UK Articles
Conservative	No mention of Iraq. US is central, connected to terrorist attack, Islamic group, al-Qaeda, Islamic world and war - terrorism.	Mo mention of Iraq. Mo al-Qaeda. Government is central connected to Pakistan, Islamic, and community.	No mention of Iraq. Terrorist is top/centre connected to attack, Pakistan, Britain, American government, and war - terror.
Liberal	Leader in centre of map. Connected to US and UK. Terrorism, Iraq war, Islam, and al-Qaeda stem from leader.	Community a strong theme, i.e. people and home. No mention of Iraq. No international terms.	Britain - government are central. Connected to leader, terrorist, country, and American.
Conservative + Liberal	Al-Qaeda highly influential	Local issues focus, i.e. Anti-terror law, Muslim - victim, community -ethnic - minority. No mention of al-Qaeda	Same as thematic maps except government is central influential term. Community a central theme. Iraq war somewhat central, connected to terrorism, goverment and US.

الشكل ٣, ١٣ الفترة الخاصة بالحدث (٦/ ١٠/ ٩-٦/ ١٠/ ٥،٨/ ٧/ ٨-٥/ ٧/ ٧)

EPISODIC DATES (07/07/05-08/07/05; 08/10/06-09/10/06)

	UK Articles	UK Articles	US + UK Articles
Conservative	High influence words include al-Qaeda, and Pakistan, and Islamic group ail connected.	Group is central term connected to al-Qaeda, Pakistan, Islamic, bombing, and British.	Al-Qaeda, Pakistan, and Islamic all appear influential.
Liberal	Humanistic terms, i.e. Human rights, American Muslims, Islamic community. No mention of Pakistan or al-Qaeda. Britain - war is influential. Iraq influential but at bottom of map.	No mention of al-Qaeda or Pakistan.	No mention of al-Qaeda, Pakistan or Islamic.
Conservative + Liberal	Al-Qaeda highly influential. No mention of Iraq. Madrid and September 11 connection.	Iraq somewhat central. Al-Qaeda not influential to show on maps.	Same as thematic maps except people is the central influential word. Community a central theme.

Chart 13,4.

الشكل ٤ ,١٣ الفترة الخاصة بالحدث (٦/١٠/٩-٦/١٠/٨،٥/٧/٨-٥/٧/٧)

الخلاصة

مـن المـؤشرات المهمـة لعمليـة الفهرسـة الخاصـة بالصحـف بالولايـات المتحـدة والمملكـة المتحـدة، أن القاعدة كانت من الكلمات الأكثر شـيوعا وتأثيرا فى كل الخرائط الصحفيـة للولايـات المتحدة. وذلك على مسـتوى تغطية الموضوع أو الحدث، وسـواء أكانـت الصحف ليبرالية أو محافظة. وعلى النقيض من ذلك فإنها لا تظهر على الإطلاق بالخرائط البريطانية. بل إنه فى الفترة الزمنية للموضوع، بين الحادثين، لم تظهر بالصحف سـوى القضايـا الخاصة بالأحداث المحلية. وبشـكل عام فإن تركيـز الخرائط الصحفية بالولايـات المتحـدة الأمريكيـة، جاء متضمنـا لكلـمات ذات أبعاد دوليـة، بينما ركزت الصحافـة البريطانيـة على قضايا ذات طابع محلي، أكثر ارتباطـا بقوانين المجتمع. وهناك بعـض الاختلافات المثيرة للاهتمام حينما يتم التصنيف على أسـاس المصدر. فقد لوحظ أن الصحـف المحافظة أكثر تركيـزا على عناوين تحمل وجهات نظـر الرئيس الأمريكى بوش أو رئيس الوزراء البريطانى بلير، بشكل يفوق كثيرا الصحف الليبرالية. وإن كان ذلـك قـد بدا أكثـر وضوحا فى فترة ما بـين الحدثين. حينما تميل الصحـف عادة، إلى نشر نصوص تميل إلى التأمل.

هكذا، وبشكل عام فإن هذه الدراسة، تؤيد نظرية بنت Bennett ، وقد تم اختبارها مـن خـلال العينات التى قدمتها الدراسـة الخاصـة بالأطر الصحفية. وكان أليكسـيف وبنـت، قد توصـلا سـابقا إلى تأكيد تأثـير آراء النخب السياسـية فى الولايـات المتحدة أو فى المملكـة المتحـدة، عـلى الصحف البارزة وذلـك فيما يخص قضايـا الأمن القومى. (١٩٩٥).وهذه الدراسـة تؤكد أن تأثير النخب السياسـية فى كلا الدولتين، يمتد ليؤثر ليـس فقط على قضايا الأمن القومى، بل أيضـا على تغطية الأحداث، وقضايا الإرهاب

مما يعبر بقوة عن مواقف الحكومتين. وذلك سواء تعلق الأمر بالحدثين وقت وقوعهما أو فى فترة الهدوء فيما بينهما.

وعودة إلى سؤالنا الأصلى، وما إذا كانت الصحافة تنحاز إلى جانب الحكومة فى مواجهة الإرهاب. فنحن نرى أن هناك بالفعل انحيازًا إلى جانب الحكومة، من خلال إنتاج أطر إعلامية تتبنى وتؤيد مواقف الحكومة، وذلك على حساب رسالة الإرهاب التى تسعى إلى الاتصال بالشعب والتواصل معه عبر وسائل الإعلام المختلفة. وهى مسألة على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لهم. ومن هنا تعتبر عملية تحليل التغطية الإخبارية، وما يتمخض عنها من نتائج، قضية محورية خاصة فى مجال مساندة جهود مكافحة الإرهاب.

و فى ضوء ما قمنا به من تحليل، ولتحقيق مزيد من التعزيز لما طرحناه من فرضيات، فإن مزيدًا من الدراسة والبحث فى مجال ردود أفعال الجماهير، من شأنها أن تعلى من قيمة نتائج هذه الدراسة. وفيما يتعلق بجهود مكافحة الإرهاب، فنحن نتوقع أن تتغير ردود أفعال الجمهور، وتتباين خاصة إذا كان مصدر الإرهاب محليا كأن يرتبط بجاليات أجنبية من المهاجرين مثلا، تعيش داخل الدولة. فقد يؤثر ذلك على قضايا مثل الحريات المدنية وحدودها. حيث إن ذلك يختلف عن النشاط الإرهابى الذى تمارسه مجموعات من الأجانب (القاعدة، أو شبكات الإرهاب العالمى). وكذلك فنحن نتوقع أن يؤدى اختلاف التوجه الصحفى للحكومات فى كلا الدولتين، والذى أبرزته الدراسة الحالية، إلى تبنى أساليب مختلفة فيما يتعلق بجهود مكافحة الإرهاب داخل مجتمعات الدولتين بشكل عام.

فتوصل بريطانيا إلى أن النشاط الإرهابى الذى مورس على أرضها مصدره الجاليات الباكستانية المقيمة فى لندن، جعلها تتبنى سياسة تعمل على توطيد الصلة بين الجاليات المهاجرة والشرطة البريطانية. بينما لجأت الولايات المتحدة إلى توجه مختلف، مرتبط بمكافحة الإرهاب الأجنبى على أرضها.

ورغم تركيز هذه الدراسة على الصحافة المطبوعة، فإن محاولة تحليل أخبار الإعلام المرئى يمكن أن تمدنا بمادة مثيرة للاهتمام. وعلى الرغم من أن النصوص الصحفية أكثر عمقا من أخبار التلفاز، فإننا لاحظنا أنه فى فترة هذه الدراسة، كان التلفاز يحظى بإقبال جماهيرى يفوق الصحف. وبالمثل، فإن عقد مقارنة بين وسيلتى الإعلام، من ناحية فهرسة الأخبار، قد يفرز مادة ثرية فى هذا المجال. بالإضافة إلى مدى تأثير كليهما على تأييد الجماهير لسياسات مقترحة لمكافحة الإرهاب. ومن المتوقع أن يساهم اعتماد عدد كبير ومتزايد من الأفراد على شاشات الحاسبات الإلكترونية المعروفة بتغطيتها السطحية للأخبار، فى زيادة أهمية الإطار الإعلامى.

المراجع

Althaus, S. L. (2003). When news norms collide, follow the lead: New evidence for press independence. *Political Communication, 20*, 381–414.

Bennett, W. L. (1990). Toward a theory of press-state relations in the United States. *Journal of Communications, 40*, 103–125.

Bennett, W. L., Lawrence, R. G., & Livingston, S. (2006). None dare call it torture: Indexing and the limits of press independence in the Abu Ghraib scandal. *Journal of Communication, 56*, 467–485.

Bennett, W. L., Lawrence, R. G., & Livingston, S. (2007). *When the press fails: Political power and the news media from Iraq to Katrina.* Chicago: University of Chicago Press.

Blair, T. (2005, 14 September). *Statement to United Nations Security Council on terrorism.* Retrieved October 31, 2007, from www.number10.gov.uk/Page8191.

Block, R. (2005). US raises terror alert for transit. *The Wall Street Journal,* 8 July.

British Government (2006, May). *House of Commons Intelligence Report.*

Corman, S., & Dooley, K. (2006). Crawdad Desktop 2.0.

Corman, S. R., Kuhn, T., McPhee, R. D., & Dooley, K. (2002). Studying complex discursive systems: Centering resonance analysis of communication. *Human Communication Research, 28*, 157–206.

Entman, R. M. (1991). Framing U.S. coverage of international news: Contrasts in narratives of the KAL and Iran air incidents. *Journal of Communication, 41*, 6–27.

Entman, R. M. (1993). Framing: Toward clarification of a fractured paradigm. *Journal of Communication, 43*, 51–58.

Entman, R. M. (2003). Cascading activation: Contesting the White House's frame after 9/11. *Political Communication, 20*, 415–432.

Gamson, W. A., & Modigliani, A. (1971). *Untangling the cold war.* Boston: Little Brown.

Goffman, E. 1974. *Frame Analysis.* Boston: New England University Press.

Grice, A. (2005). Bomber's video: Reaction: 'No excuse' for speaking in the name of Islam, says Straw. *The Independent*, 3 September.

Iyengar, S. (1991). *Is anyone responsible? How television frames political issues.* Chicago: University of Chicago Press.

Alexseev, M. A., & Bennett, W. L. (1995). For whom the gates open: News reporting and government source patterns in the United States, Great Britain, and Russia. *Political Communication, 12*, 395–412.

Iyengar, S. (1991). *Is anyone responsible? How television frames political issues.* Chicago: University of Chicago Press.
Iyengar, S. & Simon, A. News coverage of the Golf crisis and public opinion: A study of agenda-setting, priming, and framing. *Communication Research, 20,* 365–383.
Laqueur, W. (1999). *The new terrorism.* Oxford: Oxford University Press.
Lippmann, W. (1922). *Public Opinion.* New York: Free Press.
Miller, A. (Ed.) (1982). *Terrorism, the media, and the law.* Dobbs Ferry, NY: Transnational.
Norris, P., Kern, M., & Just, M. (2003). Framing terrorism. In P. Norris, M. Kern, & M. Just (Eds), *Framing terrorism.* New York: Routledge Press.
Picard, R. G. (1981). The journalist's role in coverage of terrorist events. In O. A. Alali, & K. K. Eke (Eds), *Media coverage of terrorism: Methods of diffusion* (pp. 40–62). Newbury Park, CA: Sage Publications.
Picard, R. G. (1986). News coverage as the contagion of terrorism: Dangerous charges backed by dubious science. *Political Communication and Persuasion, 3,* 385–400.
Scheufele, D. A. (1999). Framing as a theory of media effects. *Journal of Communication, 49,* 103–122.
Shah, D. V., Kwak, N., Schmierbach, M., & Zubric, J. (2004). The interplay of news frames on cognitive complexity. *Human Communication Research, 30,* 102–120.
Wilkinson, T. (2005). The bombings in London. *The Los Angeles Times,* 11 July.
Zaller, J., & Chiu, D. (1996). Government's little helper: U.S. press coverage of foreign policy crises, 1945–1991. *Political Communication, 13,* 385–405.

الفصل الرابع عشر

إرهاب الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)

الإرهاب العالمى الجديد

أماندا م شارب باركر

نبذة: فى هذا الفصل نناقش احتمالات حدوث ما يعرف بإرهاب الشبكة العنكبوتية، والفروق بينه وبين الجرائم العادية التى تحدث أيضا من خلال الشبكة. كما ننقاش حقيقة التهديد المحتمل لهذه القوة التكنولوجية الجديدة، والحاجة إلى التعامل معها بجدية كافية لدرء الأخطار فى حينها. لا شك أن تنسيق الجهود الدولية كى تتعاون الدول فيما بينها فى هذا المجال، ضرورة حتمية لمكافحة أخطاره، خاصة وأن هذا الشكل الجديد من أشكال الإرهاب لايقف أمامه حدود دولية ولا يقتصر موطنه على دولة بعينها.

تقديم

إن إرهاب الشبكة العنكبوتية، يمثل لقاء بين الإرهاب وهذا المجال الجديد. (دانينج، ٢٠٠٠). و قد نشأ هذا النوع من الإرهاب نتيجة البحث الدؤوب من جانب الإرهابيين عن طرائق ومجالات جديدة يوجهون من خلالها ضرباتهم إلى المجتمع؛ لذا فلابد من إقرار أن أى مظهر حضارى للمجتمع يمكن أن يكون عرضة وهدفا للاعتداءات الإرهابية، بما فيها البنية التحتية لمؤسسات غاية فى الحساسية والخطورة. كوزارة الخارجية الأمريكية على سبيل المثال. (USDOS ٢٠٠٣)

مـن الواضـح أنـه لا يوجـد اتفـاق دولى عـلى تعريف محـدد للإرهاب. وقـد اقترح العديـد من الحكومات والباحثين والعاملـين فى هذا المجال من المتخصصين العديد من التعريفات، التى قد تتفق فى بعض المعايير وتختلف فى البعض الآخر. إلا أنه وحتى الآن لا يوجـد اتفاق أو توصيف موحـد للإرهاب. ومن الطبيعـى أن ينطبق ذلك أيضا على إرهاب الشـبكة العنكبوتية، خاصة وأنه يعتبر ظاهـرة حديثة فى عالم الإرهاب، وبالتالى فـإن محاولات وضع تعريف متفـق عليه، لا تزال محدودة. وقد اتفـق باحثون من أمثال داننيـج (٢٠٠) وفاتيس (٢٠٠١) وكونـواى (٢٠٠٢) وبوليت (٢٠٠٤) على تعريف موحـد، من واقع مـا قاموا به من أبحاث فى هذا المجال مـع تعريفات اقترحتها حكومة الولايات المتحدة الأمريكية جاء به: «إنه فعل إجرامى أومجموعة من الأفعال الإجرامية المقصودة والمخطط لها مسبقا. وتكون ذات طبيعة سياسية، أو اجتماعية أو دينية ويمارس من خلال محاولة الوصول إلى معلومات أو أنظمة أو برامج حاسوبات إلكترونية أو/ و قاعدة بيانات خاصة بها. وينتج عنها أعمال عنف أو خسائر فادحة ضد المواطنين على يد مجموعات داخلية أو عملاء يعملون فى السر».

و جديـر بالذكـر أنه قبل الهجمات الإرهابية للحادى عشر من سـبتمبر ٢٠٠١، التى وقعـت بنيويـورك وفيرجينيا وبنسـلفانيا، كانت حكومة الولايـات المتحدة قد حذرت المواطنـين مـن احتمالات تعرضها لاعتـداءات إرهابية مـن خلال الشـبكة العنكبوتية. وقـد أوردت الحكومـة فى تقرير بعنوان «إرهاب الشـبكة، الاحتـمالات والنتائج» ثلاثة مسـتويات مـن التهديـدات الإرهابية فى هـذا المجال، فأكـدت أنها قد تكـون ذات بنية أوتكوين بسـيط أو متقدم أو مركب. (مركز دراسات الإرهاب والحرب غير التقليدية، ١٩٩٩). إلا أنه من ناحية أخرى، فمن المهم أن نشـير إلى أن حكومة الولايات المتحدة قد فشـلت فى تقدير حجم الأخطار والخسـائر المترتبة على مثل هـذا الهجوم. ففى نفس التقرير جاء أن «إرهاب الشـبكة لا يملك من الإمكانيات ما يجعله يتسـبب فى خسـائر شـاملة» (مركز دراسـات الإرهاب والحرب غير التقليدية، ١٩٩٩) وهو ما يعد تقديرا فى غير محله، من شأنه أن يقلل من أخطار هذا النوع من الإرهاب بشكل غير مسئول.

وبالرغم من أن تهديد إرهاب الشبكة العنكبوتية أصبح حقيقة تخشاها حكومات العالم اليوم، فإن عدم تعرضها لأى هجوم من هذا النوع بعد، يجعل من الصعب التنبؤ بالإجراءات الوقائية الواجب اتخاذها للحيلولة دون وقوعه أو التقليل من فداحة الخسائر إذا وقع بالفعل.. إن لجوء المجموعات الإرهابية المختلفة إلى إمكانيات الشبكة الدولية وتقنياتها المتقدمة، سواء فى تجنيد عناصرها أو فى الحصول على التمويل أو التدريب اللازم، أمر معروف وشائع الحدوث فى عالمنا اليوم. إلا أن استخدام هذا التقدم الهائل والإمكانيات التقنية العالية لهذه الوسيلة فى توجيه ضربات واستهداف مصالح لايزال غير واضح. ومن هنا كانت الصعوبة فى تقدير حقيقة التهديد الذى قد يتعرض له العالم، خاصة مع تضاؤل المعرفة الخاصة بنوع الخسائر أو حجمها. إلى جانب الجهل بمعرفة القدرات التقنية الحقيقية للجماعات الإرهابية. وأخيرا عدم امتلاك القدرة على تكوين تصور جاد للأهداف التى يمكن أن تكون عرضة للاعتداءات الإرهابية عبر الإنترنت.

استخدام الإرهابيين للتقنية الحديثة

وعلى الرغم من عدم لجوء الإرهابيين بعد إلى هذه الوسيلة فى توجيه الهجمات الإرهابية، فإنهم لا يجهلونها بالكامل. بل إن بعض الجماعات الإرهابية مثل تاميل التايجر بسيرلنكا وأوم شينريكو باليابان قد استخدمت بالفعل وسيلة شبيهة بهجمات الشبكة ضد حكوماتها. ومن المعروف أن تنظيم القاعدة الإرهابى، والمسئول عن اعتداءات ١١/ ٩ يستخدم بشكل منتظم نظام الحاسوب فى عمليات تنظيمية كثيرة. وحكومة الولايات المتحدة يحدوها اعتقاد راسخ أن القاعدة تدرب أعضاءها على تقنيات وخطط الإرهاب العنكبوتى. وهى تستدل على ذلك مما وجدته فى حوزة بعض أعضائها ممن قبضت عليهم بقاعدة بباكستان، حيث كشفت بيانات حاسوباتهم، عن معلومات غاية فى السرية تتعلق بالبنى التحتية الأمريكية.

و من ناحية أخرى، فإن العديد من المجموعات الإرهابية، يستعينون باستخدامات تقنيات الشبكة فى منظماتهم فيما يخص عمليات تجنيد الأعضاء أو التدريب أو التخطيط

للاعتداءات المقبلة. (سيلوفو وباتاك، ٢٠٠٦، كرامارينكو، ٢٠٠٤). ويمكن ذكر ما يلى من تلك المجموعات، حزب الله، حماس، الجيش الثورى المسلح بكولومبيا (FARC) مجموعة نمور التاميل (LTTE). مجموعة الجيش الجمهورى الأيرلندى (IRA) (قبل وقف إطلاق النار) ومجموعة أبى نضال.

وطبقا لعمر بكرى محمد، أحد أتباع ومؤيدى أسامة بن لادن، فإن القاعدة تمتلك من التكنولوجيا الحديثة ما يؤهلها لشن هجوم عنكبوتي .ويؤكد « أن الإسلام لا يمانع فى استخدام التقنيات الحديثة كوسيلة هجومية فى حالة تعرضه للخطر) «فيرتون.(٢٠٠٣، كما يضيف أن «بن لادن» محاط بأتباع حاصلين على درجات علمية عالية فى مجال علوم الحاسوب أو برمجة الحاسوب أو تكنولوجيا المعلومات» (IT).. أما الولايات المتحدة الأمريكية فلديها معلومات أكيدة تفيد بدخول أعضاء القاعدة عدة مرات على مواقع للإنترنت تتيح معلومات خاصة بطرق تشغيل شبكات إمداد الكهرباء والماء ووسائل النقل وغيرها من شبكات الإمداد (جالمن، ٢٠٠٢). بالإضافة إلى أن أسامة بن لادن قد كرر عدة مرات بالفعل فى تصريحاته، اعتزامه تدمير اقتصاديات الدول أو النظم الرأسمالية. ويؤكد محمد أنه يرى فى أسواق الأوراق المالية بلندن ونيويورك وطوكيو أهدافا نموذجية لتحقيق هذا الهدف. وطبقا له. «لن يدهشنى على الإطلاق، حدوث انهيار اقتصادى ضخم نتيجة لهجوم يتعرض له النظام التقنى بالشركات الكبيرة» (فيرتون، ٢٠٠٣).

و قد أثار ما أدلى به فرانك سلوفو، مستشار الرئيس الأمريكى الخاص ومستشار مكتب الشئون الخارجية، من تصريحات مهمة كثيرًا من القلق بشأن احتمالات أخطار جديدة ترتبط بإرهاب الشبكة، وتهدد المستقبل. وكان ذلك فى يونيو ٢٠٠١. وطبقا له «إذا كان الخوف يتهددنا من استعداد «بن لادن» بالأسلحة الفتاكة، فإن تهديد أحفاده لن يكون أقل خطورة. إذ قد يقودون حربهم من خلال شبكةالإنترنت» (فيرتون، ٢٠٠٣).

ومع ذلك فكثيرون ما زالوا لا يعترفون بمثل هذه الأخطار. و يشككون فى جدية خطر الإرهاب العنكبوتى أو قدرته على تكبيد الدول خسائر باهظة.(بريناتو، ٢٠٠٢). ومنهم مدير هيئة الموارد المائية بماساتشوستس (MWRA). مدللا على رأيه باستحالة تخطى «الاستحكامات الأمنية» لتنفيذ مثل هذا الهجوم (بريناتو، ٢٠٠٢).

كما أنه من الملاحظ عدم التعامل بشكل جاد مع هذا الموضوع من قبل وسائل الإعلام. التى تستخدم مصطلح «إرهاب الشبكة العنكبوتية» بهدف لفت الانتباه ليس أكثر. فعلى سبيل المثال نشرت إحدى الصحف الكندية خبرا تحت عنوان يقول «صبى يعترف بممارسة إرهاب عنكبوتى ضد أفراد عائلته» (كرتستفين، ٢٠٠٢). وقد اتضح فيما بعد من تقارير الشرطة أن الصبى لم يفعل سوى أنه قام بإرسال عدة رسائل عبر البريد الإلكترونى، مثيرة للخوف على سبيل المزاح، مما تسبب فى «إثارة الفزع فيما بينهم» (كراسافين، ٢٠٠٢).وفى يوليو٢٠٠٧، تم بث تقرير على الإنترنت، يعلن عن بدء أول محاكمة من نوعها فى لندن، إذ تعتبر «أول محاكمة فى العالم لأول حادثة تتعلق بإرهاب الشبكة العنكبوتية» (سوليفان، ٢٠٠٧) وتم توجيه الاتهام لثلاثة أفراد استخدموا الشبكة الإلكترونية فى جمع التمويل والمساعدة فى التخطيط للاعتداءات لتنظيم القاعدة. وقد استمرت المحاكمة مدة شهرين، حتى اعترف وأقر المتهمون الثلاثة بجريمتهم. (سوليفان، ٢٠٠٧)، ولا يخفى أن هذه الحوادث لا تشكل إرهابا بل هى من قبيل جرائم الشبكة. فضلا عن ذلك فحادثة واحدة فقط من الاثنتين هى التى ساندت أو ساعدت مجموعة إرهابية. كما أن الاستخفاف بتعبير «إرهاب الشبكة العنكبوتية» وعدم إيلائه اهتمامًا حقيقيًا، يعكس مدى خطورة الموقف. إذ يرسخ فى الأذهان عدم أهمية هذا الشكل من التهديدات الإرهابية.

(الجدول ١ , ١٤) أهداف ومناطق مستهدفة للإرهاب العنكبوتى

حالة الدولة	الهدف	مناطق مستهدفة
وقت سلام	تجسس	حكومة الولايات المتحدة، مراكز أبحاث الجامعات شركات خاصة
المواجهة	الاستعداد لهجوم عبر الشبكة، من خلال التعرف على الأهداف السهلة	أنظمة المعلومات بالولايات المتحدة، التعرف على أهداف أساسية تزويد الأبواب الخلفية للبنية التحتية للولايات المتحدة وغيرها من وسائل الاختراق بما يلزم.
وقت الحرب/ الأزمات	هجوم	البنية التحتية المهمة، وووظائف الاقتصاد، النيل من ثقة الجماهير فى أنظمة معلومات الدولة.

المصدر (USDOS- ٢٠٠٣)

ويوافقنا فى هذا الرأى ريتشارد كلارك، المستشار الخاص السابق للرئيس بوش لشئون أمن شبكة الإنترنت، إذ طبقا له «يخطئ الأفراد بالاستهانة بما يمكن أن ينجم عن الهجوم الإرهابى من خلال الشبكة، وبالتالى يهملون فى أهمية التأمين ضد هذا الهجوم. حيث يزعمون أن أحدا لن يموت من هذا الاعتداء. ولكنهم بالطبع مخطئون فى ذلك. فخطر إرهاب الشبكة قائم وحقيقى». (هوبس، ٢٠٠٥).

وجدير بالذكر أنه بعد اعتداءات ١١/ ٩، قامت حكومة الولايات المتحدة، بإعادة تقييم جادة لتهديدات إرهاب الشبكة. ومن هنا كان إصدارها لتقرير «الإستراتيجية القومية لتأمين فضاء الإنترنت (الشبكة العنكبوتية)» عام ٢٠٠٣. وتقوم هذه الوثيقة، بإبراز الأهداف المحتملة والممكنة لإرهاب الشبكة أثناء وقت السلم، وأثناء المواجهة، ووقت الحروب أو الأزمات. (USDOS) (الجدول ١ , ١٤) ومما يفسر عدم وجود خطوات جادة

ووقائية ضد هذه الأخطار لتأمين «أماكن الأهداف» وقت السلم أو فى أوقات المواجهة، أن هذه الأفعال تعتبر من قبيل القرصنة أو جرائم الشبكة، ما دامت لم تحدث فى زمن الحروب أو الأزمات. هنا يكون هناك إمكانية حقيقية لحدوث إرهاب من خلال الشبكة. وحتى إذا حدث ذلك، فلا يمكن اعتباره إرهابا، طبقا لتعريف إرهاب الشبكة العنكبوتية، إلا إذا أسفر عنه حالة من الفزع العام وتسبب فى إلحاق أضرر حقيقية أو ما يمكن اعتباره خسائر فادحة. فمجرد الهجوم على موقع إلكترونى لا يمكن اعتباره من قبيل الإرهاب.

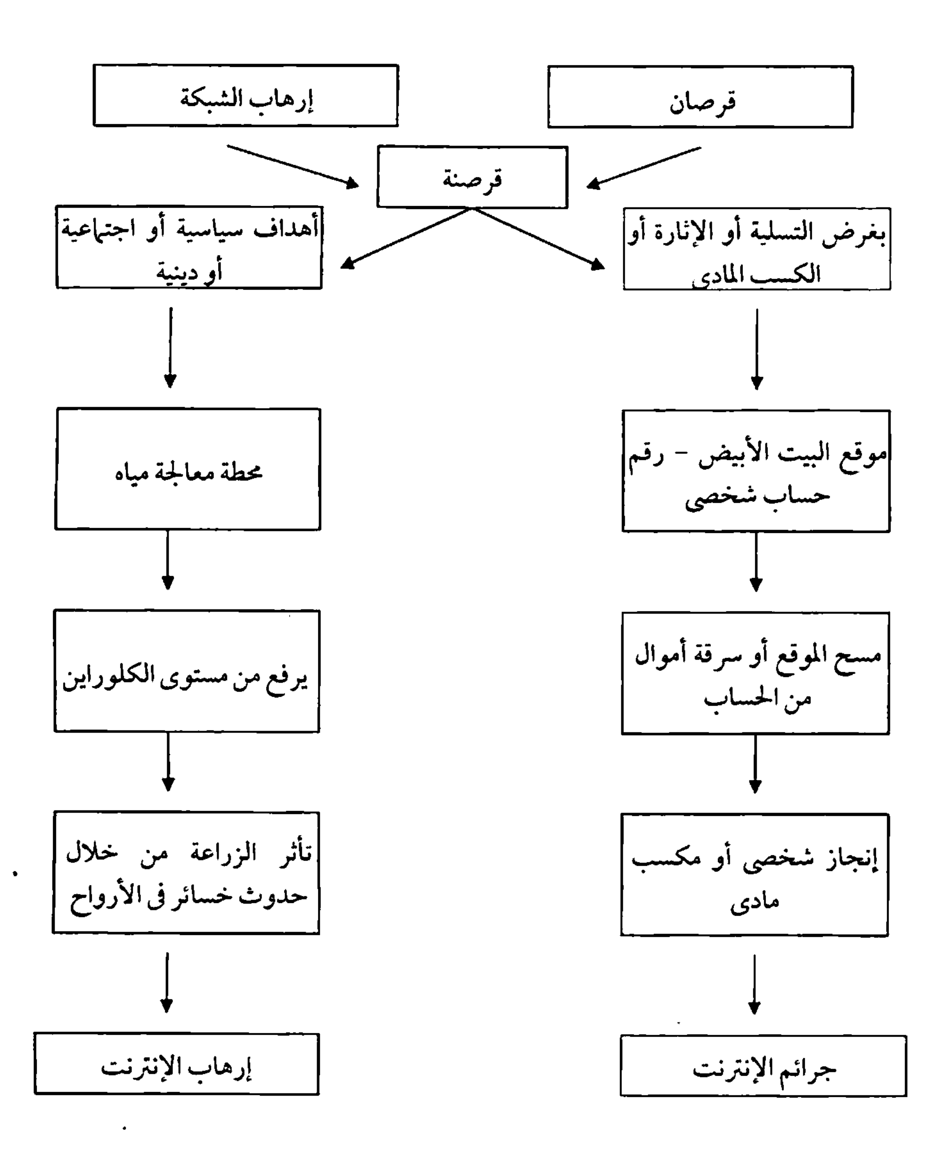
إرهاب الإنترنت وجرائمه

من المهم بمكان عدم الخلط بين المفهومين. حيث إن هناك اختلافا واضحا فيما يخص الهدف، أو المنفذين، أو حجم الضرر الذى يتسبب عنه كلاهما. فالفرد الذى يقوم بالقرصنة على الحساب البنكى لشخص آخر، بهدف سرقة معلومات تخص كروته الائتمانية، لايعد ممارسا لإرهاب الإنترنت، حتى إذا كان يعتزم استخدام ما يتحصل عليه من أموال فى مساعدة جماعات إرهابية. وعلى الرغم مما قد ينجم من آثار مدمرة بسبب ممارسة تلك الجرائم على الأفراد أو العائلات، فإن الخسائر التدميرية لممارسة إرهاب الشبكة، تفوق ذلك بكثير من حيث حجم فداحتها أو آثارها الكارثية.

ورغم أن مثل هذه الحوادث لم يتعرض لها العالم بعد، فإن حدوثها يشكل خطرا واقعيا، وقد يصبح أمرا حتميا، مع ما يشهده عالمنا المعاصر من تقدم تكنولوجى بمعدل غير مسبوق.

فلنتخيل الآن هذا السيناريو محتمل الحدوث:

محطة إمداد مياة بسان فرانسيسكو يقوم بتأمينها وحراسة زائريها رجال أمن مشرفون على المنطقة المحيطة بها. كما أن أوامر منع زيارة الأماكن السرية بدون وثائق رسمية، يتم تنفيذها حرفيا وطبقا للتعليمات الصادرة فى هذا الشأن. ولنتخيل الآن شخصا على الضفة الأخرى من المحيط يقضي يومه فى مكان عمله أو فى منزله أو أحد مقاهى الإنترنت. وأنه قد تمكن من اختراق شبكة الأمن الخاصة بهذه المحطة مما يمكنه من التعديل فى نظام الفلترة الخاص بمعالجة المياه. و أنه قام بتغيير معدلات تركيز مادة الكلوراين بالمياه إلى مستوى خطير.



(الجدول ١ , ١٤) الفروق بين جرائم الشبكة وإرهابها

إن نتائـج مثـل هذا الهجوم الإرهابى للشـبكة، يمكن أن تكون غايـة فى الفداحة، من ناحية التلوث الزراعى، أو البيئى. والأدهى من ذلك كله، أنها، قد تسفر عن وفاة الأفراد الذين يشربون هذه المياه غير الواعين بما اعتراها من تغيير وتلوث. كل هذا ممكن الحدوث، فى واقع الأمر، دون أن يحتاج الإرهابى إلى مغادرة مكانه أو زيارة موقع هذه المحطة.

ويذكـر فاتيس احتمالات أخـرى للهجوم من خلال الإنترنـت (٢٠٠١) ومن هذه الاعتداءات، محاولة مسـح المواقع، وممارسـة هجوم على دلالات الألفاظ، واعتداءات على خدمات مختلفة للإنترنت..و أخيرا العمل على نشر الفيروسـات المختلفة. (فاتيس ص ١٤-١٦) وقد يلجأ إرهابيون إلى اسـتخدام أى من هذه الوسـائل أو كلها. إلا أنها لاتعتبر مع ذلك، سـوى جرائم على شـبكة الإنترنت. كما يناقش فاتيس حالات أخرى يعتبرها إرهابا على شـبكة الإنترنت، مثل السيطرة على البنية التحتية للتحكم فى محطات إمـداد المياة أو البنية التحيتة لإمداد الكهرباء. ولكنـه يؤكد أنه لا يمكن اعتبارها إرهابا إلا إذا مورست من خلال الإنترنت وترتب عليها أضرار عامة.

و الخلاصة إذا، أن الفارق الأساسى بين جريمة الإنترنت وإرهاب الإنترنت يكمن فى دافع الجريمة، والأهداف التى تتحقق من تنفيذها، إلى جانب الأماكن المسـتهدفة من هـذا الهجـوم. وأخيرا حجم الخسـائر الناجمة عنهـا. وغنى عن القـول أن الأفراد الذين يرتكبـون جرائم عـلى الإنترنت لديهم دوافعهم الشـخصية، مثل تحقيق مكسـب مادى أو إنجاز شـخصى من خلال تمكنهم من اختراق الحواجز والدخول على أنظمة ومواقع مختلفة للحاسوب. إلا أن إرهاب الإنترنت تكون دوافعه سياسية، أو دينية أو اجتماعية. كما أن الهدف من ممارسـتة يكون إلحاق أكبر قدر من الخسـائر العامة، بما فيها التسبب فى حالات وفاة لأكبر عدد ممكن من الأفراد. (انظر: الشكل ١ , ١٤).

الأهداف المحتملة لإرهاب الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)

لا يقتصر تركيز إرهاب الشبكة على أنظمة الحاسوبات وحدها، كما قد يبدو من اسمه، وذلك لأن نقطة تركيزه تنصب فى الأساس على كم ضخم من المعلومات التكنولوجية.

ومـن المعروف أن إرهاب الإنترنت يمكن أن يهاجم أنظمة علاجية، مما قد يعرقل سـير النظام العلاجى بالمستشـفيات أو يفسد الأجهزة، مثل أجهزة تنظيم ضربات القلب، أو أجهزة الحفاظ على الحياة. كما يمكن أن يعرقل إرهاب الإنترنت حركة المواصلات، من خلال تعطيل أجهزة الحاسـوبات التى تتحكم فى السيارات أو أجهزة التحكم فى حركة المـرور. كـما يمكن أن يوجه هجومه إلى مفاعلات كهربائيـة، وأنظمة اتصالات عامة أو البنـى التحتيـة للبنوك / الاقتصـاد. ومن الممكـن أن يركز إرهابيو الشـبكة، هجومهم على الجيش، بما فيه المعدات أو وسـائل الاتصال. (كولين، ٢٠٠٤). ومن الأنظمة التى يسـهل تعرضها للهجوم، الأجهزة المتحكمة فى سـير الحياة اليومية. إذ إن الحاسـوبات، تتحكـم فى إدارة تسـهيلات نعتمـد عليهـا فى حياتنا اليومية. على مدى ٢٤ سـاعة ولمدة ٧ أيـام متواصلـة فى الأسـبوع. وهى تسـهيلات نعتمد عليهـا ونعتبرها من المسـلمات، ولا يمكن الاسـتغناء عنها على الإطلاق. فلا يجب أن ننسـى أن أجهزة الحاسـوبات فى «حالة مسـتمرة من القـراءة والتعديل للبيانات، وهو ما يسـتلزم فى بعض الأحيان فتح صـمام هنا أو إغـلاق مخزن هناك» (هوبـس، ٢٠٠٥، فيرتـون، ٢٠٠٣). وأخيرا يمكن أن تتعـرض خدمة الطوارئ المرتبطة بخطوط الهواتف العامة (مثل خط طوارئ ٩١١) للاعتـداء، أو لهجوم إرهابى من خلال شـبكة الإنترنت (لويس، ٢٠٠٢). مما قد ينجم عنه أضرار كثيرة للمجتمع الأمريكى الذى يعتمد عليها بشكل متزايد.

وتبـدو قائمة الأهداف المحتمل تعرضها لهجوم إرهابى من خلال شـبكة الإنترنت لا نهائية. حيث إن أى بنية تحتية تعتمد على التكنولوجيا تعتبر عرضة لهجوم إرهابى من هذا النوع. وقـد ذكرت حكومة الولايات المتحدة قائمة من الأهداف المحتملة والأكثر عرضـة لمثل هذا الهجوم، وذلك من خلال لجنة الرئيس لحماية البنية التحتية الأساسـية. وتشمل هذه القائمة:

١ – معلومات ووسائل اتصالات.

٢ – محطات إمداد الكهرباء.

٣ - الغاز والبترول (الإنتاج والنقل والتخزين).

٤ - البنوك والتمويل.

٥ - النقل والمواصلات.

٦ - محطات إمداد المياه.

٧ - خدمات الطوارئ.

٨ - خدمات الحكومة (إمبار- سيدون، ٢٠٠٢).

وتتضمن هذه القائمة مجالات شديدة العمومية، إلا أنها جميعا تعتمد على أنظمة الحاسوب حتى تعمل بكامل طاقتها. وهنا مجمل الخطر. فعلى سبيل المثال، الصناعات البترولية تعتمد على نظام التحكم الرقابى واكتساب البيانات (SCADA) إلى جانب أنظمة إدارة الطاقة (EMS) لضمان أن تعمل بكامل طاقتها. وهنا تكمن خطورة تعرض هذه الصناعة لاعتداء إرهابى من خلال الشبكة؛ مما يترتب عليه تعرض صناعات أخرى للأعطال مثل النقل. وهكذا تتضح الآثار التدميرية المحتملة لمجتمعات تعتمد بشكل أساسى على تلك التقنيات. (فاتيس، ٢٠٠١).

يعتمد الكثير من البنى التحتية على أنظمة (SCADA) في تشغيل صناعتها (جياكومللو ٢٠٠٤)، وعلى سبيل المثال السدود الكهرو/ مائية والشبكات الإلكترونية (بما فيها شبكات التحكم فى مرور الهواءت) تعتبران من البنى التحتية الأكثر عرضة لهجوم إرهابى من خلال الإنترنت . يؤكد مايكل تشرتوف، المساعد السابق للمدعى العام للولايات المتحدة الأمريكية، أنه من الناحية الواقعية، يتطلب تدمير السد أطنانا من المتفجرات (جيلمان ٢٠٠٢) ، وغنى عن الذكر ، أن أية محاولة للاقتراب من السد لوضع متفجرات ،سوف يعقبها إعلان حالة التأهب القصوى من جهة السلطات المسئولة .فى حين أنه من الممكن الوصول إلى أجهزة التحكم فى السد من خلال شبكة الإنترنت. ولايخفى أن محاولة فتح بوابات الفيضان التى تتحكم بها السدود سوف تتسبب فى

كارثة وحالة من الدمار الشامل لاقبل لأية دولة بها . ورغم استبعاد هذا السيناريو فإن احتمالات وقوعه ليست بالمستحيلة .فقد كشفت الولايات المتحدة النقاب، من خلال وسائل الإعلام، عن معلومات تفيد بأن أحد الحاسوبات التى تمكنت من الوصول إليها ، وكانت فى حوزة أحد أعضاء القاعدة ، احتوت على معلومات مفصلة ، عن سد غير معروف .وقد تمكن برنامج الحاسوب المتقدم من تحقيق تدمير لهذا السد (وإن لم يكن فى الواقع).(جيلمان ٢٠٠٢). إرهاب شبكة الإنترنت لا يبدو إذا نائيا أو مستبعدا. بل قد يكون على بعد خطوات قليلة من الهدف.

وطبقا لجريدة الواشنطن بوست، فى عام ١٩٩٨ ، وجد صبى فى الثانية عشرة نفسه فجأة وهو على الإنترنت على صفحة التحكم الخاصة بسد روزفلت بأريزونا. وطبقا للسلطات الفيدرالية، كان الطريق ممهدا أمامه للولوج إلى نظام .SCADA بما فيها من تحكم كامل فى بوابات الفياضانات للسد. (جيلمان، ٢٠٠٢) ويبدو أن الصبى لم تكن لديه أية نوايا سيئة، بل على الأغلب، أنه لم يفهم خطورة الموقف. ولو كان الموقف قد تكرر مع إرهابى لكان من الممكن أن يفتح بوابات الفيضان، فتندفع ٤٨٩ ترليون جالون من المياه إلى أريزونا. مما كان سيسفر عنه، حسب التوقعات، ما يشبه «سهلاً من الفيضان يضم مدن ميسا وتمب، التى تشتمل على ما يقرب من مليون نسمة» (جيلمان، ص٤).

قضية ماروشى شاير

(مجلس ماروشى شاير، ٢٠٠٦)

أما الذين ما زالوا متشككين فى إمكانية قيام هجوم من هذا النوع أو حجم الخسائر المترتبة عليه، فليعودوا بذاكرتهم إلى عام ٢٠٠٢ على الشاطئ المشمس لكوينزلاند بأستراليا. حيث وقع أحد الاعتداءات من خلال شبكة الإنترنت. وتعتبر جريمة وليست إرهابا، حيث إن الدافع من ورائها، كان شخصيا وليس سياسيا أو دينيا أو اجتماعيا. ولكن أهمية هذه القصة تتمثل فى كونها الأولى فى التاريخ، التى

يتمكن فيها شخص بمفرده من الاعتداء على بنى الدولة التحتية بسهولة، ومن خلال استخدام نظام تحكم رقمي. (باركر، ٢٠٠٢). لقد تمكن فيتك بودن، وهو مهندس وخبير حاسوب آلى، من الدخول عبر الشبكة على محطة مضخات للصرف الصحى، تقع شمال ماروشيدور بكوينزلاند بماروشى شاير، بأستراليا. (باركر، ٢٠٠٢). كما تمكن من تجاوز الإطار الأساسى والسيطرة على أجهزة التحكم. وذلك من خلال الاستعانة بحاسوب (لابتوب) وجهاز مذياع ذى اتجاهين (هيوز، ٢٠٠٣). وفى خلال شهرين أو ثلاثة شهور، قام فيتك بمحاولات لاختراق النظام ما يقرب من ٤٦ مرة. (باركر، ٢٠٠٢). حتى تمكن فى نهاية الأمر من إجراء تعديل على نظام عمليات الصرف الصحى، بحيث عرقل الاتصالات بين مختلف الحاسوبات، متسببا فى تعطيل أجهزة الإنذار وإعاقة انطلاقها. وقد ترتب على ذلك تدفق كميات من مياه الصرف الصحى تضاهى ملايين من الليترات، التى اندفعت على سواحل هذه المنطقة Sunchine Coast`s waterways. (هيوز، ٢٠٠٣). وقد تمكنت قوات الأمن من القبض عليه ولكن بعد ثلاثة أشهر من ارتكابه هذه الجريمة. حيث كان بالفعل قد ألحق ضررا جسيما بالمنطقة. (هيوز، ٢٠٠٣) وقد لخصت جانيل براينت، وهى محققة فى وكالة حماية البيئة لكوينزلاند، تلك الأضرار «بأنها تسببت فى موت الحياة المائية، وحولت مياه الخليج إلى اللون الأسود، بالإضافة إلى الرائحة النتنة غير المحتملة، التى أزكمت الأنوف فترة طويلة، فى هذه المنطقة».

وقد تمت محاكمة بودن، حيث أدين بثلاثين تهمة تتعلق بالقرصنة على أنظمة الحاسوب. وقد حكم عليه بالسجن مدة سنتين. (باركر، ٢٠٠٢). ورغم أن ما فعله بودن كان مقصودا ومخططا، فإن دافعه فى هذه الجريمة، كان شخصيا. حيث سيطر عليه هاجس الانتقام والثأر من شركة كانت قد رفضت أن تعينه بها. أما لو كانت دوافعه سياسية أو دينية لكان قد أصبح أول حالة للهجوم الإرهابى عبر الإنترنت.

ولاشك أن هذه الحادثة تعد برهانا واضحا، ومثالا حيا لأخطار وتهديدات إرهاب الشبكة العنكبوتية وذلك دون حاجة منفذيه إلى الوجود الفعلى فى موقع الحادث.

المستقبل

مما سبق يتضح، بلا أدنى شك، أن إرهاب الإنترنت، حقيقة أكثر منه مجرد افتراض؛ لذا فمن اللازم على الحكومات أن تتخذ إجراءات وقائية قبل أن تقع الفأس فى الرأس، كما يقال. أى قبل أن تقبل جماعات إرهابية على ممارسة عمليات إرهاب حقيقية من خلال الإنترنت. فبادئ ذى بدء، على الحكومات أن تفترض أن كل البنى التحتية التى تعتمد على التكنولوجيا الحديثة فى تشغيل وإدارة عملياتها تعتبر عرضة لهجوم إرهابى عبر الإنترنت.وبعد تحديد تلك البنى التحتية، لابد من تحليل وقياس واقعى لحقيقة ما تتعرض له تلك العمليات المعتمدة على التقنية الحديثة من أخطار؛ لذا، فهناك عدة أسئلة لابد للحكومات أن توجهها لنفسها، بهدف تحقيق الإجراءات الوقائية اللازمة ومنها:

ماذا يعود على المجموعة الإرهابية من مكاسب جراء مهاجمة أى من تلك البنى التحتية؟

وما البنية التى يتسبب تدميرها فى إلحاق أكبر قدر من الخسائر للجماهير؟ ما مواطن الضعف فى التكنولوجيا التى تدير أو تعمل على تشغيل تلك البنى التحتية؟ وبمجرد التعرف على المشاكل المحددة و/ أو مواطن الضعف فى تلك البنى، حتى يجب أن تبدأ الحكومات والمسئولون عن تلك البنى، فى تحسين نظام الأمن وتطويره. ويعتبر هذا الإجراء خطوة مهمة ومحورية على طريق تأمين عناصر التكنولوجيا فى البنية الأساسية خاصة إذا كانت مرتبطة بالنظام الأمنى بالمبنى المراد حمايته.

ولاشك أننا فى أمس الحاجة إلى نظام كامل للطوارئ شبيه بالموجود حاليا للنجدة أثناء أحداث الكوارث الطبيعية.كما أن التعاون ضرورى بين مختلف هيئات الحكومة. إن ظروف إدارة الأزمات تقتضى تعاونا وتنسيقا تاما بين الأجهزة الفيدرالية للدولة، وبين الحكومات المحلية، والقطاع الخاص بالإضافة إلى قيادات المجتمع. من أجل بناء إستراتيجية متكاملة للتعاون والاستعداد. (جيلمور، ٢٠٠٦). ويؤكد جيلمور، أنه «فى

حالة الطوارئ الحقيقية، أى عند التعرض لخطر هجوم إرهابى حقيقى، فلابد أن تكون هناك خطة موضوعة مسبقا لأول ٧٢ ساعة. تشبه خطط الجيش، يعرف بمقتضاها كل فرد دوره فى مساعدة المجتمع فى هذه الأزمة» (٢٠٠٦).

إلا أن هناك مشاكل عديدة مرتبطة بارتفاع تكاليف تطبيق هذه الدرجة العالية من التأهب والاستعداد. فإجراءات اتخاذ تدابير الوقاية المتقدمة باهظة الثمن. وبما أن الإرهاب عموما ليس له حدود، فإن إرهاب الإنترنت ينطبق عليه نفس الشىء. وهذا يشكل عائقًا لكثير من الدول التى لا تملك ترف توفير معدات حماية كل البنى التحتية شديدة الحساسية والخطورة. ويؤكد جولوبيف أن مشكلة إرهاب الإنترنت ذات شقين، بالنسبة لأوكرانيا على سبيل المثال، فهى لا تستطيع تحمل تكاليف التكنولوجية اللازمة لحماية كل منشآتها من إرهاب الإنترنت، ومن ناحية أخرى فإن معظم هذه المنشآت أو البنى التحتية تعتبر ذا أهمية إستراتيجية، مما يستلزم مراقبتها وحمايتها بصفة مستمرة. (جولوبيف، ٢٠٠٥). ثم إن هناك مشكلة لايمكن تجاهلها، خاصة بعمر الإجراءات الوقائية للتكنولوجيا المتقدمة. فما إن يتمكن الإرهاب من اختراق النظام الأمنى للبنية التحتية، حتى يستوجب الأمر تطويرو تحديث مستوى التقنية، حتى تصبح الحماية فعالة.

ملخص

أصبح إرهاب الإنترنت، هاجسا ومصدرا للقلق، فى عالم اليوم، الذى يتسم بالتطور السريع للتكنولوجيا المتقدمة. مما يستوجب اتخاذ إجراءات حماية ووقاية سريعة من جانب الحكومات. إن إرهاب الإنترنت أصبح حقيقة ماثلة أمام أعيننا جميعا، ولم يعد مجرد فرضية يشكك فى مدى جديتها؛ لذا نجد اليوم مزيدًا من الأكاديميين والمتخصصين فى شتى المجالات إلى جانب الحكومات، بطبيعة الحال، وقد أصبحوا أكثر وعيا وإدراكا بخطورة خسائر وأضرار مثل هذا الهجوم. الذى يتأثر به كل من الإنسان والمنشآت على حد السواء. إن على الحكومات أن تواجه مسئولياتها فى التعاون فيما بينها، لتقوية نظام الأمن الإلكترونى لمنشآت البنى التحتية لدولها، إذا أرادت الوقاية من تبعات هذا

الهجوم. كما أن عليها أن تتخذ إجراءات للاستعداد من خلال خطة لمواجهة هذا الهجوم إذا وقع بالفعل. إن هذا التعاون والتنسيق فيما بين الدول لم يعد ترفا، بل ضرورة، خاصة وأن إرهاب الإنترنت ليس مقصورا على دولة بعينها أو مكانا محددا من العالم.

المراجع

Barker, G. (2002). Cyber terrorism a mouse-click away. Retrieved June 24, 2007, from www.theage.com.au/articles/2002/07/07/1025667089019.html

Berinato, S. (2002). The truth about cyberterrorism. *CIO Magazine*, 15 March.

Center for the Study of Terrorism and Irregular Warfare (1999). *Cyberterror: Prospects and implications.*

Cilluffo, F., & Pattak, P. B. (2006). Cyber threats: Ten issues to consider. In R. Howard, J. Forest, & J. Moore (Eds), *Homeland security and terrorism* (pp. 167–181). New York: McGraw-Hill.

Collin, B. C. (2004). *The future of cyberterrorism: Where political and virtual worlds converge.* Retrieved December 13, 2004, from http://afgen.com/terrorism1.html

Conway, M. (2002). What is cyberterrorism? *Current History, 101*, 436–442.

Denning, D. (2000). *Cyberterrorism.* Testimony before the Special Oversight Committee on Armed Services, US House of Representatives, 23 May. Retrieved May 1, 2005, from www.cs.georgetown.edu/~denning/infosec/cyberterror.html

Embar-Seddon, A. (2002). Cyberterrorism. Are we under siege? *American Behavioral Scientist, 45*, 1033–1043.

Gellman, B. (2002). *Cyber-attacks by Al-Qaeda feared.* Retrieved May 4, 2007, from www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2006/06/12/AR2006061200711.html

Giacomello, G. (2004). Bangs for the buck: A cost–benefit analysis of cyberterrorism. *Studies in Conflict & Terrorism, 27*, 387–408.

Gilmore, J. (2006). *Grassroots response: Citizens taking care of citizens during disasters.* Heritage Lecture Series. Washington, DC: Heritage Foundation.

Golubev, V. (2005). *Cyberterrorism as a new form of terrorism.* Retrieved May 4, 2007, from www.crime-research.org/library/Golubev_august1.html

Hoopes, N. (2005). New focus on cyber-terrorism. *The Christian Science Monitor*, 16 August. Retrieved December 12, 2005, from www.csmonitor.com/2005/0816/p01s02-stct.html

Hughes, G. (2003). *The cyberspace invaders.* Retrieved June 24, 2007, from www.theage.com.au/cgi-bin/common/popupPrintArticle.pl?path=/articles/2003/06/21/1056119529509.html

Kramarenko, D. (2004, April 14). *Terrorism and high technologies.* Computer Crime Research Center. Retrieved March 24, 2005, from www.crime-research.org/news/14.04.2004/211/

Krasavin, S. (2002). *What is cyberterrorism?* Retrieved April 13, 2007, from www.crime-research.org/library/Cyber-terrorism.htm

Lewis, J. A. (2002). *Assessing the risk of cyberterrorism, cyber war and other cyber threats.* Washington, DC: Center for Strategic and International Studies.

Maroochy Shire Council (2006). *Maroochy Shire division map.* Retrieved August 15, 2007, from www.maroochy.qld.gov.au/sitePage.cfm?code=shire_map

Pollitt, M. M. (2004). *Cyberterrorism, fact or fancy?* Retrieved December 13, 2004, from www.cs.georgetown.edu/~denning/infosec/pollitt.html

Sullivan, B. (2007). Cyberterror and ID theft coverage in London. Retrieved July 7, 2007, from http://redtape.msnbc.com/2007/07/cyber-terror-an.html

United States Department of State (USDOS) (2003). *The National Strategy to Secure Cyberspace.* Retrieved April 1, 2005, from www.dhs.gov/xlibrary/assets/National_Cyberspace_Strategy.pdf

Vatis, M. A. (2001). *Cyber attacks during the war on terrorism: A predictive analysis.* Institute for Security Technological Studies, Dartmouth College, NH.

Verton, D. (2003). *Black ice: The invisible threat of cyber-terrorism.* Emeryville, CA: McGraw-Hill Company.

الفصل الخامس عشر

فك الاشتباك مع الإرهاب[1]

جون هورجان[2]

نبـذة: ارتبط تحليل سـلوكيات الإرهابيين ولزمن طويل بمحدوديـة إمكانيات المجال السـيكولوجى. أمـا الآن، فقد اختلف الأمر، إذ أصبح الطريـق مفتوحا أمام أبعاد جديدة مـن التحليـل المتطور، لقياس هذه السـلوكيات. وإن كنا لانزال بعيدين عـن توجيه اهتمام كاف أو منظـم لأسـباب نبـذ الأفراد للنشــاط الإرهابى أو الإجابة عن أسـئلة مثل : كيف ولمـاذا يقـرر الإرهابى فك الاشـتباك مـع الإرهاب. يهـدف هذا الفصـل إلى محاولة علاج هذا الخلل من خلال تقديم بعض الفرضيات أو الشـواهد المبدئية، الخاصة بأسـباب لجوء الأفراد إلى فك الاشتباك مع الإرهاب. ورغم أننا مازلنا نفتقر إلى معلومات مختبرة وموثقة فى هذا الشـأن، يمكن من خلالها تأكيد تلك الشـواهد الأولية، فإننا وجدنا أن هذا لا يجب أن يثنينا عن محاولة البحث ودراسة بعض الجوانب التى تعتبر وثيقة الصلة بهذا الموضوع.

---

(١) هـذا البحـث يعتبر تكملة لدراسـة أجريت من قبـل. أو بصفة أكثر تحديـدا، لجدل تقدم بـه ج. هورجان «هجـر الإرهـاب». فى أ. سـيلك «الإرهاب، الضحايـا، والمجتمـع» (لندن: جون ويلى وأبنـاء. ٢٠٠٣) وج. هورجان. سـيكولوجية الإرهاب. (لندن: روتلادج، ٢٠٠٥). كما أن هذا الفصل، يسـاهم فى النقاش المبدئـى لمـشروع بحث مقـدم للحصول على منحـة فى موضوع فك الاشـتباك، من مؤسسـة إيرى نيف فى منتصف ٢٠٠٦، والتى بدأها الكاتب بالفعل بهدف اختبار الفرضيات التى تم اسـتنتاجها من المناقشـات الدائرة. وسـوف يتم نشر نتائج هذا البحث فى ج. هورجان (٢٠٠٩) : هجرة الإرهاب: قصص عن فض الاشتباك عن الحركات الراديكالية والمتطرفة، لندن: روتليدج.

(٢) أعبر عن امتنانى لتعليقات ماكس تايلور على مسودة أولى قدمتها لهذا البحث.

ومن النتائج الجوهرية التى تم استخلاصها من هذا التحليل الأولى: أن هذا الموضوع ذو طبيعة مركبة، وهو يشبه فى ذلك عملية توصيف «أسباب التورط فى الإرهاب». كما أننا قد وجدنا- وبرغم ما قد يحمله ذلك من مفارقة - أنه يمكننا من خلال معرفة أسباب هجر الأفراد للنشاط الإرهابى أن نعمل بصورة جادة على بناء إجراءات وقائية رادعة، تقى الأفراد شر الوقوع فى شباكه وتجنب التورط فى أنشطته منذ البداية.

بل إننى أزعم أن مثل هذا التحليل قد يقودنا إلى القيام بمزيد من التحليلات الخاصة بمجال الإرهابيين الأفراد مما يترتب عليه تطوير فى مبادرات مكافحة الإرهاب.

مقدمة

إذا تدبرنا الأمر مليا، لاتضح لنا أنه فى أغلب الأحيان، يمكننا وبشكل عام، تصنيف إستراتيجيات مكافحة الإرهاب إلى إستراتيجيات تركز على الجانب العسكرى وأخرى على الجانب السياسى.. ومع إقرارنا بأن إستراتيجيات مكافحة الإرهاب غير قاصرة على هذين النوعين، فإن أهميتها تنبع من كونها يعبران عن اختلاف فى أسلوب المعالجة بين الأمريكيين والأوروبيين. وفى هذا الصدد فمن المهم بمكان، أن نشير إلى أن الأسلوب الأمريكى يميل إلى «اتخاذ إجراءات شبه عسكرية»، إذ يؤيد «اتخاذ خطوات فاعلة». أما الأسلوب الأوروبى، فميله يتميز بتسييس ردود الأفعال. (انظر: ثاتشوك، ٢٠٠٦). وبغض النظر عن مدى أفضلية إحدى الإستراتيجيات على الأخرى. فإن ما يهمنا هنا، هو أنه قد حدث إقرار تدريجي بأن كليهما لا يرتبط بمفهوم محدد. كما أن ردود أفعال كلا الإستراتيجيتين، لا تستند إلى الاختبار التجريبى، الذى يمكن أن يشكل سياسة التدخل. إن ما نتطلع إليه حقيقة الأمر، هو الوصول إلى بدائل سليمة وصائبة لمكافحة الإرهاب. خاصة بعد تجربتنا السابقة مع «الحرب على الإرهاب»[1]

(١) وعلى سبيل المثال، انظر: الموقع http//news.bbc.co.uk/1/hi/world/america/5383614.stm

ومـن المجالات التـى تحتاج لمزيد مـن البحث والدراسـة، تلك المرتبطـة بمبادرات تتعلـق بقضايـا ذات طبيعـة سـيكولوجية فى عمليـة التطـور التـى يمـر بهـا الإرهابـى (هورجـان، ٢٠٠٥، تايلور وهورجان، ٢٠٠٦). ويعتبر عجزنا حتى الآن عن التغلب على مصاعب تطوير المفهوم، من الأسباب الأساسية المسئولة عن عدم قدرتنا على وضع حـد للمصاعب النظرية والعملية التى تقابلنا فى مكافحة الإرهاب.(أما السبب الثانى فهـو افتقارنا إلى معلومات مفيـدة تم بالفعل إخضاعها للاختبـار والتأكد من صحتها، واختبـار صحة فرضياتنا من خلالها) ومن ناحية أخـرى، فنحن نرى أنه لا يجب رفض المفاهيم التى تشـكل نقـط ارتكاز مهمة مرتبطة بالموضوع محـل البحث. لمجرد أنها تتبع مجالا معرفيا مختلفا. فحين نبدأ دراسة ظاهرة الإرهاب لابد أن نعتمد على خلفية معرفية مسـبقة تمدنا بمعلومات كافية، وإلا فسـوف نجد أنفسـنا أمام مصاعب شتى، نابعة من عجزنـا عـن إدراك الجوانب المشـتركة «للإرهاب» مع مجالات معرفيـة أخرى. وبالتالى نفشل فى وضع تصور واقعى لأهداف أكثر عملية فى مواجهة خطر التورط فى الإرهاب.

وفى هذا الصدد لابد أن نشير، إلى أن مصطلح «سيكولوجية الإرهاب» يثير كما هائلا مـن الالتبـاس والتخبط. كما أن أى تحليـل نقدى لمفهوم الإرهابـى أو الإرهابيين، يفرز كـما ضخما مـن المخرجات متعددة الجوانـب تخص موضوع «سـيكولوجية الإرهاب». وبالتـالى فمـن الطبيعى أن يظن البعض أن محاولة تطوير سـيكولوجية للإرهاب أو فك الاشـتباك معه هدف يسـتحيل الوصـول إليه. والجـدل فى هذا الشـأن، يتناول ضرورة تطويـر تفكيرنا الخاص بمفهـوم التورط فى الإرهاب. كما أننـا وللوصول لنفس الهدف أيضـا يمكننا اللجوء إلى «التوصيف» فى الوقت الحالى بدلا من «التفسـير»، خاصة وأننا لانزال نفتقر إلى الإطار المفهومى أو النظرى المطلوب فى موضوع الإرهاب.

ويترتـب عـلى ذلـك، أن محاولة فهـم «فك الاشـتباك «مـع الإرهـاب»، يعتمد على فرضيـات لا تـزال تحت الاختبار. ومع ذلـك، ومع وضع كل ما سـبق فى الاعتبار، فإن وجهة نظر هذه الدراسـة تمثل أسـلوبا مختلفا فى فهم الإرهاب، عن الأسـاليب التقليدية السـابقة التى اعتمدت على دراسة سـيكولوجية الإرهاب ودورها فى تطويره. وكما تمت

الإشارة إليه فى مقال سابق (هورجان، ٢٠٠٥، تايلور وهورجان، ٢٠٠٦) فإن التعامل مع مسألة التورط فى أنشطة إرهابية، على أنها عملية ذات مراحل محددة، يضيف أبعادا جديدة، تعزز فهمنا لهذه المرحلة المهمة فى حياة الإرهابى. كما تمدنا بقاعدة مفهومية لازمة لتطوير تحليل جاد ومفيد. فاعتبار «التورط فى الإرهاب» «عملية»، يبعدنا عن المفهوم التجريدى الذى أعاق مناقشة ظاهرة الإرهاب من قبل. وطبقا لهورجان وتايلور، فإن ذلك يساعدنا على التركيز على سلوكيات واضحة تم تحديدها، وبإضافتها لسلوكيات سابقة، يمكن الوصول إلى نتائج مفيدة مرتبطة بظاهرة الإرهاب. فضلا عن أن الاعتماد على هذا الأسلوب من التفكير، يعطى بعدا جديدا للأسلوب السيكولوجى، ينأى به عن التعريفات المحدودة أو التى تتسم بعمومية تفقدها جدواها.

إن البعد الذى عمل تايلور وهورجان على تطويره (هورجان، ٢٠٠٥، تايلور ١٩٨٨)، يمثل أسلوبا مختلفا عن التحليل التقليدى للإرهابى. وخاصة فى المجهود الواضح الذى ركز على التعامل مع مسألة التورط فى الإرهاب على أساس كونها عملية تتكون من مراحل خفية: أولها يتمثل فى «أن يتحول الفرد إلى إرهابى» [1]، وثانيا «أن يصبح الفرد إرهابيا بالفعل» (وتتكون هذه المرحلة من : أ- الاستمرار فى حالة التورط وب- الاشتراك فى أنشطة هجومية) وثالثها، مرحلة فك الاشتباك مع الإرهاب. (هورجان، ٢٠٠٥).

وجدير بالذكر أن هناك نقطة أساسية ومحورية فى هذا الشأن، إذ يترتب عليها وضع أسس سليمة لإستراتيجيات المقاومة أو مكافحة الإرهاب (وبغض النظر عن المرحلة التى تركز عليها) ونلخصها فيما يلى أ- أن الظروف التى يتعرض لها الإرهابى فى أى من هذه المراحل لا ترتبط بالضرورة ببعضها البعض ب- أنها لا ترتبط بالضرورة بتصرفاته فى المرحلة التالية. أى أن الاستجابة لأى مرحلة من هذه المراحل من قبل الإرهابى،

(١) تعبير «التحول إلى إرهابى»، يمكن أن يكون أكثر فائدة إذ فسر على أساس «التورط بشكل مبدئى فى ممارسة الإرهاب».

لا يمدنا بأية توقعات عن المراحل التالية. ويتفق هذا المنطق مع الاختيار الترشيدى لعلم الجريمة.

و هو ما يعنى بدوره، أن أسباب اتجاه الأفراد إلى التورط فى الأعمال الإرهابية، قد لا يرتبط عمليا بما يقومون به من أنشطة إرهابية، (ما يسمح لهم به). أو معرفتنا لكيفية تورطهم الفعلى فى الإرهاب، أو أسباب استمرارهم فى ممارسته. (تايلور، ١٩٩٢). كما أن أسباب، انضمام الأفراد إلى حركة إرهابية، محددة، قد لا يرتبط على الإطلاق بأسباب خروجهم من هذه الحركة، أو فك اشتباكهم مع الأنشطة الإرهابية بوجه عام.

عملية التورط فى الأنشطة الإرهابية

فى محاولة للوصول إلى تقدم عملى، فإن الإجابة على سؤال خاص بكيفية تورط الأفراد فى الإرهاب، تعتبر أكثر أهمية وأجدى من محاولة الإجابة على أسئلة تتعلق بأسباب اتجاههم إلى هذا الطريق فى الأساس. (هورجان، ٢٠٠٥). الهدف إذا ليس الحصول على إجابات ساذجة ومتوقعة مسبقا. وهى ترتبط بالأساس، بدوافع الإرهابى. ونقتبس هنا ما كتبه كل من تايلور وكويل (١٩٩٤) لوصف التورط فى الإرهاب:

> ... إن الإرهاب لا يختلف كثيرا من حيث أسبابه عن أى نشاط آخر يقوم به الأفراد. فهو إختيار مثل غيره من إختيارات الحياة العديدة ... فكأننا نسأل أى فرد عن أسباب اختياره لمهنة معينة أو أسباب دوره فى الأسرة. فهو سؤال يصعب الإجابة عليه، وإن كان فائق السهولة واليسر . ولكن الفارق هنا هو محاولة التعرف على مجموعة العوامل التى تحكمت فى هذا لاختيار فى ظل ظروف معينة. وهذا التحليل هو ما يمكننا تطبيقه فى تتبع الأطوار المختلفة التى يمر بها الإرهابى. (ص٣٤-٣٥).

إن ما يصلنا من قصص شائعة خاصة بمواقف شخصية أو عوامل ثقافية، تؤدى إلى تورط الأفراد فى الإرهاب، تتسم بالعمومية وتعتبر غير مترابطة فى أغلب الأحيان من الناحية العملية. فنادرا ما يظهر عامل يمكن اعتباره دافعا محددا، بحيث يمكن

فصله واعتباره المسئول الأساسى عن هذا القرار. وذلك حتى فى حالة تأكيد الأفراد على أهمية عامل محدد ودوره كمحفز فى اتخاذ القرار؛ لذا فنحن نتوخى كثيرا من الحذر ونحن بصدد تفسير تلك القصص. حيث إن الاعتماد عليها، قد يؤدى إلى تكوين تفسير يبعدنا عن الموضوعية المطلوبة. لاسيما أن هذه القصص تتسم فى الأساس بالتحيز. كونها سردا فرديا. أما القصص التى ترد على لسان النشطاء الذين يجوبون أنحاء العالم، فهى على العكس، تتميز بالمصداقية وتعتبر، ولاشك، أقل تحيزا. فضلا عن أنها لا تخلو من التركيز على بعض عوامل الشد والجذب التى تعكس أدوار الأفراد فى ظل مستويات مختلفة من المضامين الأيديولوجية. أو سيطرة المنظمات أو عامل الالتزام... إلخ.

وفى كثير من الأحيان يغلب على ما نحصل عليه من أقوال للإرهابيين، لتفسير تورطهم، صبغة ترتبط بالعقيدة أو بالروحانية. بحيث نعجز عن استخلاص العوامل التى يمكن أن تكون قد لعبت بالفعل دورا فى توجيه الإرهابى إلى هذا السلوك من الأساس، أو أنها بأى شكل قد عززت من تورطه وممارسته لأنشطة إرهابية.

الأصل والطرق

حينما نحاول رسم صورة للطرق المختلفة التى يسلكها الإرهابى فى تطوره حتى يتحول إلى إرهابى. أو فى رحلته من مرحلة لأخرى داخل الإطار الإرهابى، يظهر أمامنا اتجاهان أساسيان، ينطبقان على كل الإرهابيين: أولا اتجاه تدريجى للتكيف الاجتماعى مع الإرهاب مصاحبا بنمو فى الإحساس بدرجة التورط، ، يتميز هذا الاتجاه بتنامى الشعور بالالتزام. كما أننا نؤكد أهمية العوامل المرتبطة بالمجموعة. حيث تلعب دورها فى بدء ممارسة الأنشطة الإرهابية. وبشكل عام فإننا نشعر أن الحدود بين الدرجات المختلفة من التورط تعتبر سيكولوجية (نفسية) أكثر منها مادية. (وذلك على الرغم من أهمية الانخراط الفعلى فى أنشطة إرهابية فى تأصيل عنصر الالتزام للمجموعة ولأنشطتها). بالإضافة إلى الشعور بالمكافأة المرتبط بالحصول على عضوية المجموعة، أو الوصول إلى أدوار أو مناصب بعينها داخلها. وجدير بالذكر أن هناك عدة عوامل

إيجابية بالنسبة للإرهابى الفرد يتم إغفالها أو لا تفسر تفسيرا يتسم بالموضوعية. منها على سبيل المثال، اكتساب أنواع مختلفة من المهارات (سواء أكانت نفسية أو جسدية). إلى جانب شعور متزايد بالتمكين، ووضوح الهدف والغاية والأهمية الذاتية. بالإضافة إلى التأثير الجماعى للإيمان بالأيديولوجية وقوة الدعاية الذاتية. فضلا عن شعور الفرد بالفخر لفوزه أخيرا بالقبول داخل المجموعة، وهى مكافأة يحصل عليها، مع تزايد تورطه وتكرار اشتراكه فى الأنشطة الإرهابية. فضلا على ما يحصده من مكانة متميزة داخل المجتمع الكبير من خلال مؤيديه. إن الشعور بالمكافأة الذاتية، يبدو وكأنه يشكل القاسم المشترك الوحيد بين إرهابيى العالم، على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم. وهذه نقطة مهمة فى تحديد العوامل المشتركة بين مجموعة من الأفراد تقبل على التورط فى الأنشطة الإرهابية بأشكال متباينة.

ورغم أنه يمكن الوصول بيسر إلى الظروف العامة، سواء كانت اجتماعية أو سياسية، التى تمهد إلى التورط فى الأنشطة الإرهابية (بجورجو، ٢٠٠٥)، تبقى حقيقة أن أفرادًا بعينهم هم وحدهم من يسلكون هذا الطريق. وهنا يمكن التعرف على عوامل بعينها، (هورجان ٢٠٠٥، انظر خصوصا: الفصل الرابع) يعتبر توافرها مسئولا عن جعل الأفراد أكثر عرضة أو ميلا لممارسة الأنشطة الإرهابية عن غيرهم. وذلك داخل نفس المجموعة من الأفراد. التى تكون قد تعرضت لنفس الظروف. إن تورط الأفراد فى الإرهاب يعتمد أيضا وبشكل جوهرى على ما يحصل عليه الفرد من تأييد داخل المجموعة أو ما تحصل عليه مختلف المجموعات من تأييد، داخل البيئة المحيطة. ونقصد بالبيئة هنا مجموعة المؤثرات سواء كانت مادية أو أيديولوجية.... إلخ وحقيقة الأمر فإن وصف العوامل المؤثرة فى الانخراط فى طريق الإرهاب على درجة عالية من التشابك والتعقيد بحيث يصعب فصلها، ونحن بصدد التخطيط لمبادرات عملية تسهم فى مكافحة الإرهاب.

وهناك نقطة جديرة بالاهتمام هنا، ونحن بصدد التفكير فى طرق تطوير إستراتيجيات فك الاشتباك مع الإرهاب. تتعلق هذه النقطة فى الأساس بعنصر المكافأة الفردية أو

المكسب النفسي الذى يعود على الفرد من قبوله عضوا فى المجموعة. وهذا يأخذنا إلى نقطة أخرى ربما كانت أكثر أهمية من تجنيده فى المجموعة، وترتبط بقوة الدافع وتأثيرها فى مدى ولائه للمجموعة أو التزامه كعضو فاعل داخلها. وينعكس ذلك فى شعور الفرد بزيادة أهميته ومركزه داخل المجموعة وتحكمه سواء داخل المجموعة التى ينتمى إليها أو المجموعة الأكبر الأكثر راديكالية. بالإضافة إلى شعوره بتزايد قوته وتأثيره داخل المجتمع ككل. وهذا بدوره يترتب عليه مكسب نفسى للعضو وهو ما يحقق زيادة فى الإقبال على عضوية هذه المجموعة، بالإضافة إلى تزايد أواصر الترابط والتعاون بين أعضائها وتزايد التزامهم وولائهم للمجموعة ككل.

ولاشك أن الولاء الخالص والالتزام الكامل لأعضاء المجموعة، من المبادئ الأساسية التى تشكل حجر الزاوية فى سياسة أى تنظيم يعمل على تعظيم عوامل نجاحه ويحافظ على استمراريته. وهذا ما تتفانى قيادات وكوادر المنظمات الناجحة فى المحافظة عليه، خاصة وأن تنظيمها يعتبر غير شرعى فى نظر المجتمع. ويتحقق لها ذلك من خلال وحدة الهدف فى مواجهة عدو يجتمع الجميع على ضرورة القضاء عليه.

لقد رأينا أن التمييز بين مرحلة التحول المبدئى إلى «إرهابى» ومرحلة «التورط الفعلى فى الأنشطة الإرهابية» يمثل تحولا نفسيا فى الأساس. ولكن إذا اعتبرنا مرحلة التورط الفعلى فى الأنشطة الإرهابية هى نقطة أساسية فى التوصيف، لكان لذلك فائدة فى بحثنا، فالانخراط الفعلى فى الأنشطة الإرهابية يمثل نقطة تحول للإرهابى يثبت من خلالها هويته الجديدة، ويصبح عضوا فاعلا ومعترفا به داخل المجموعة.

ومن المهم أن نخلص من هذه المناقشة إلى أن الجدل الدائر حول الإرهاب ومحاولة تفسيره من خلال أصوله أو جذوره، (وهو حديث يحظى باهتمام الرأى العام ويشغل حيزا كبيرا من التعليق انسياسى على الإرهاب) يعتبر أمرا مشكوكا فى صوابه. فالإرهاب يجب أن يناقش فى إطار مفهومى، أى لابد من اعتباره عملية تمر بمراحل وإجراءات. وعلى هذا الأساس، ربما كان من الأجدر أن نتعامل معه كما يتعامل علماء النفس مع

بعض السلوكيات غير العادية أوغير المألوفة، حيث يؤكدون أنه لا يمكن دائما التعرف على السبب المحدد المسئول عنها.

فض الاشتباك مع الإرهاب

لن أناقش هنا مرحلة «التحول إلى الإرهاب» فقد تم تناولها باستفاضة فى (هورجان، ٢٠٠٥، انظر: الفصل الخامس). لكننى سوف أنتقل مباشرة إلى المرحلة الأخيرة - مرحلة فك الاشتباك. فى البداية لابد من الاعتراف أننا نجهل الكثير عن هذه المرحلة أو الأسباب التى تدعو الإرهابى إلى نبذ النشاط الإرهابى والإقلاع عنه. فيما يخص الجانب السلوكى، فإن الباحثين قد ركزوا جهودهم، ولزمن طويل، على مسائل تتعلق بكيفية تحول الأفراد إلى الإرهاب. تاركين فجوة كبيرة فى المعلومات الخاصة بفك اشتباكهم معه. و مما يبعث على الأسى، حقيقة الأمر، أن أسباب ذلك، تتعلق بترددهم فى طرق أبواب هذا الموضوع. والعديد من الباحثين أضحوا يؤمنون أن دراسة سلوكيات الإرهابيين تقف عند حد نبذهم النشاط أو توقف أنشطة تنظيماتهم بسبب (دخولهم فى مرحلة وقف إطلاق النار أو عملية سلام). ونحن نؤكد هنا أهمية هذا المنعطف فى حياة الإرهابى. وضرورة الاستفادة منه فى إجراء المقابلات والأحاديث الكاشفة عن كثير من الجوانب التى تخفى عنا. ومن المعروف أن الإرهابى يكون أكثر استعدادا للحديث عن نفسه والكشف عن مكنون سلوكياته عند نبذ النشاط.. (ونذلل على ذلك من سهولة إجراء مقابلات وعقد حلقات نقاشية حاليا وأكثر من أى وقت مضى، مع كوادر مهمة من مجموعة أيرلندا الشمالية أو أعضاء حركات عديدة إرهابية بكولومبيا. ورغم ذلك فهذا الجانب العملى لم يسلكه سوى عدد ضئيل من الباحثين، لا يتعدى أصابع اليد الواحدة).

لاشك أن إلقاء مزيد من الضوء على أسباب نبذ الأفراد للنشاط الإرهابى، سواء طواعية أو جبرا، مسألة محورية تتحكم فى وضع سياسات صائبة لمكافحة العنف والإرهاب.

ولابـد من إيلاء بعض المسـائل فى هـذا الصدد أهمية خاصة، منها على سـبيل المثال، أسـباب حـدوث ذلك، أو العوامـل المؤثرة فى اتخاذ هـذا القرار الخطـير. وكذلك نتائج وتداعيـات هـذا القرار. ثم هناك نقطة مهمة أيضا خاصة بتعريف فك الاشـتباك أو نبذ الإرهاب.

إن نبذ الإرهاب، سـواء من وجهة النظر الفردية أو الجماعية، تعنى حدوث تغييرات محوريـة اجتماعية وإدراكية للإرهابى، الـذى يتخلى عن مجموعة من القيم والأخلاقيات والطموحات سـعى جاهدا لاكتسـابها فى أول الطريق، والمحافظة عليها فيما بعد. وهذا بالضبط ما يعنيه مصطلح «de- radicalization» أو «التخلى عن الراديكالية» أو «فك الاشـتباك مـع الراديكالية». ولكـن وعلى الجانب الآخـر، فقد يعنى فك الاشـتباك مع الإرهاب، مواصلة شـكل من أشـكال الطاعة لبعض من هذه القيم والسـلوكيات. من خلال الحفاظ على بعض السـلوكيات الاجتماعية المرتبطة بالمجموعة الإرهابية مع عدم التورط الفعلى فى أنشطة أو عمليات الإرهاب.

من الواضح أننا لايمكن أن نبحث فى مسـألة فك الاشـتباك، فى عزلة أو بمنأى عن مجموعة من العوامل المؤثرة. فمن اللازم أن نعى فى المقام الأول أسـباب وكيفية انضمام الإرهابـى إلى المجموعـة الإرهابيـة. وأيضا أسـباب بقائـه واسـتمراره فى عضوية هذه المجموعـة. (الشـكل ١. ,١٥) وكذلك لابد مـن من إيلاء مزيد من الاهتمام للأسـباب التى قد تشـكل عائقا أو سـدا أمام المخرج، والتى قد تكون (سيكولوجية، مثل الإصابة بحالة من خيبة الأمل تجاه المجموعة، أو قد تكون مادية، مثل، الخوف من قوات الأمن، أو اتخاذ قرار بوقف إطلاق النار). كما يمكننا تصنيف الأسـباب إلى طواعية أو إجبارية، فمـن الأسـباب الطواعية مثلا، (أن تفقـد عضوية المجموعة أهميتها بالنسـبة للفرد). أو أسـباب جبريـة، (كإجبار الأفراد على التخـلى عن عضوية المجموعـة، فى حالة أن تقرر المجموعة نزع السـلاح، وهو ما يعتبر مسـألة خارجية أو فى حالة وجود مبادرة قانونية جديدة وما يترتب على ذلك من تشـتت فى العملية التنظيمية للمجموعة). أو مزيج من الاثنين، فى صورة رفض كامل لمبادئ المجموعة كنتيجة لتحول سياسـى فى موقفها. ثم هنـاك مسـألة التوبة بمعناها العـام. فما هو وضع الإرهابى بعـد أن يكون قد بدأ بالفعل

عملية فك الاشتباك مع الإرهاب؟ هل يعتبر من التائبين أو غير التائبين؟. كما أننا نؤكد أن فك الاشتباك، لا يترتب عليه بالضرورة «فك الراديكالية أو التخلى عنها» (هورجان، فى الصحف، الفصل الأول).

وهكذا تتكون لدينا بعض التصنيفات المحتملة، لما يتعرض له الإرهابى من عوامل شد وجذب، تؤثر على مسار فك الاشتباك مع الإرهاب: قد تكون طواعية أو إجبارية، وقد تمر بمسالك نفسية أو مادية/ وكلها قد لا تفضى بالضرورة إلى حالة من التوبة والندم.

		Vountary		Involuntary	
		Repentant	Unrepentant	Repentant	Unrepentant
Individual	**Physical**				
	Psychological				
Collective	**Physical**				
	Psychological				

Figure: 15.1. A matrix disengagement dimensions.

(الشكل ١ , ١٥) مصفوفة احتمالات فك الاشتباك

البذور النفسية لفك الاشتباك

إن التنظيم الإرهابى الناجح، هو الذى يستطيع أن يجذب عناصر ناشطة من الشباب بشتى الوسائل. فإن نجح فى ذلك، فإن الشباب سوف يقبلون على عضويته مؤثرينه على المؤسسات التدريبية التقليدية، التى تستغرق وقتا طويلا فى تنمية قدرات الشباب. ومن الطبيعى أن فى سعيهم لنيل ثقة المجموعة، وتحقيق ذاتهم فى الوقت نفسه، يتعرض

الشباب لبعض العقبات والحواجز النفسية التى لابد من تخطيها أو على الأقل التكيف معها. وإن لم يحدث ذلك، فقد تبدأ البذور النفسية لفك الاشتباك فى التكون، وينتج عنها مجموعة من المؤثرات التى تبدأ فى التمهيد بشكل مباشر أو غير مباشر، إلى طريق فك الاشتباك مع الإرهاب.

إن المكافآت التى يتوقعها الشباب الجديد، أو التى يحصل عليها حين يلتحق بعضوية تنظيم إرهابى، تعتبر مصدر حماس وسعادة عظيمة له. بالإضافة إلى المكانة التى يصل إليها وقوة الهدف، وعوامل الإعجاب. فضلا عما أشار إليه ماكولى وسيجال (١٩٨٩) من «التضامن المشترك وروح الزمالة» داخل المجموعة. وعوامل التأييد والتشجيع فى غاية الأهمية، لاسيما مع اختلاف نوعية ما يطلب من الشباب المجند حديثا فى تلك المنظمات الإرهابية. إلا أن الصعوبة تكمن فى محاولة الموازنة بين العوامل الإيجابية والعوامل السلبية، والتى تتمثل فى صعوبة مواصلة حياة غير شرعية أو الاستمرار فى الإنجاز والمحافظة على التركيز. وهو ما عبر عنه هؤلاء المجندون أثناء مقابلتهم، بعد أن اختاروا هجر تلك المجموعات وبعضهم كتب فيها بعد مذكراته.

ومنهم على سبيل المثال، مايكل بومان (ذكرت فى ألكسندر ومايرز، ١٩٨٢) وهو عضو سابق فى مجموعة الثانى من نوفمبر الألمانية. الذى يعلق على التأثيرات السلبية لتحكم المجموعة فى الأفراد قائلا:

> **... و تضيق الحلقة على المجموعة بأعضائها، الذين يتزايد تقاربهم من بعضهم البعض. وكلما تزايدت وطأة الضغوط، ازدادوا تقاربا. وكلما زاد كم الأخطاء، تفاقمت الضغوط....هذا التركيز هو الذى يقلب موازين الأشياء إلى الأسوأ فى نهاية الأمر. حيث تختفى مبادئ مراعاة الآخر، ولا يوجد سوى هذا التركيز العنيد على أهداف المجموعة. ويستمر ذلك فى التصاعد إلى الأسوأ باستمرار. (ص ١٧٤).**

وجدير بالذكر أن تزايد إجراءات الأمن ضد الإرهاب، تفاقم من الضغوط المترتبة على محاولة رفع درجة الحماية والتأمين ضد محاولات الاختراق من الخارج، أو النزاعات

الداخليـة. فى فبرايـر ١٩٦٩، عثـرت الشرطـة فى اليابان عـلى ١٤ جثـة فى منطقة جبال ثلجيـة خارج طوكيو. وكشـفت النقاب عـن انتمائهم لمجموعة الجبش الأحمر اليابانى. وقـد تـم تعذيبهم ثم الإجهـاز عليهم على يد زملائهـم داخل المجموعة نتيجة لشـجار داخلى شـب فيما بينهـم يتعلق بقضايا أيديولوجية. وبينـما يتحمل بعض الأعضاء الجدد الضغـوط ويتأقلمـون عـلى حياتهم الجديدة، يصعـب ذلك على البعض الآخـر. إلا أننا للأسـف لا نملك بيانات يعتد بها فى هذا الشـأن. ومع ذلك، فمـن المعروف، أن بعض الإرهابيين الجدد يقررون بالفعل ترك المجموعة، على أسـاس عدم قدرتهم على التكيف أو عدم موافقتهم على هذا الأسـلوب من الحيـاة. وتصلنا بعض القصص التى تفيد بأن ذلـك قـد لايعد مشـكلة فى حد ذاته، بـما أن الافتراض السـائد، هو أن العضـو كثيرا ما يتـم التخلـص منه، عندما تنكشـف نيته فى تـرك المجموعة. وذلك حرصـا على الحفاظ عـلى أسرارها. ومن المعـروف أن مجموعة الألوية الحمراء الإيطاليـة- والتى كتب عنها جاميسـن بالتفصيـل (١٩٨٩) فيما يتعلق بأسـباب فك الاشـتباك، كانـت تعد لأعضاء المجموعـة من الشـباب حديثى الانضمام إليها، ما يشـبه الاختبار السـيكولوجى. ومن ذلك « اشـتراك عضو أو عضوين جديدين للمسـاعدة فى إطفاء حريق» حيث تم مراقبة واختبار سلوكهما فى ظل التعرض لظروف طارئة وبالغة الخطورة.

و لكـن، مـن الأمور البديهيـة فى أغلب الأحيـان، أن هجر المجموعـة لا يكون أبدا بالأمـر الهـين. وذلك بغض النظر عـن درجة تـورط الإرهابى. والمقصـود هنا، مرحلة التحول إلى إرهابى بالفعل، أو بدء ممارسة الأنشطة الإرهابية. فالمنظمة تستثمر الكثير فى تدريب هؤلاء الشباب على الأنشطة الإرهابية المختلفة، وتطلب منهم فى المقابل الإيمان الكامل بفكر المجموعة وتحمل الصعاب مهما كانت. ومن الأمثلة مجموعة بادر ماينهوف الألمانية التى كانت تعلن دون تردد «إن من يصبح عضوا فى المجموعة لابد وأن يتحمل ما يواجهه من صعاب» (بوست، ص٣١٠ - ١٩٨٧) وقد وصل بهم الأمر إلى التهديد المعلـن، بـأن من يصبح عضـوا بالمجموعة، «فإن عليـه أن يموت أولا قبـل أن يفكر فى هجرها. » وقد لجأ سـباير، وهو عضو سـابق بالحزب الشـيوعى الفرنسـى، إلى وصف

خوفه من التهميش أو المعاناة بعد نبذ المجموعة له، إذا جرؤ على « تحدي أيديولوجيتها، أو عقائدها» (سباير، ١٩٨٨) كما أشار بمزيد من التفاصيل لتبرير اشتراكه فى الجرائم السياسية، أو ممارسة القمع «أن أكثر ما كان يخشاه، هو شعوره بالتهميش من قبل زملائه فى المجموعة».

كما تضيف أدريانا فاراندا، وقد كانت عضوة فى مجموعة الألوية الحمراء الإيطالية، تجربتها، عن الضغوط التى يعيشها أعضاء المجموعة. والنتائج السلبية الاجتماعية والنفسية التى يتعرضون لها مقابل مواصلة تلك الحياة:

> **... إن اختيار الانضمام إلى مجموعة الألوية الحمراء، يعنى أن تمارس حياتك فى السر؛ لذا فعليك أن تقطع علاقتك مع الأسرة، ومع كل ما كان يمت بصلة لحياة الأمس. إنه قرار شامل، يؤثر على حياتك بالكامل. وهو يعنى أن تشغل نفسك منذ بداية اليوم وحتى انتهائه، بمشاكل السياسة أو بالتنظيم والقتال. ولايوجد مكان لحياتك السابقة على الإطلاق. الثقافة أو الاهتمام بالأطفال وتربيتهم، وكل ما يملأ حياة الأفراد العادية. فعليك أن تنحى كل ذلك جانبا، وتتجاهله، وذلك ببساطة؛ لأنه لن يصبح له أى وجود فى ظل حياتك الجديدة داخل المجموعة. وحينما يحدث ذلك، فأنت تقضى فى نفس الوقت على الجزء الأساسى من عواطفك وإحساسك. فتصبح مجردا، وتعيش فى عزلة. ومع مرور الوقت يتغير إحساسك بكل ما حولك. حيث إنك تصبح بالفعل مختلفا. وتشعر بالحزن والعزلة. لأن جزءا أساسيا من حياتك قد اقتلع. ولأنك تدرك فى الواقع، أن الحياة، أكبر من السياسة أو ممارسة أنشطة مضادة لها. (جاميسن، ص ٢٦٧- ٢٦٨:١٩٨٩).**

ومن الضغوط المهمة التى يتعرض لها الإرهابى، والتى تحرك دوافعه (نفسيا أو ماديا) إلى هجر المجموعة أو فض الاشتباك معها، إدراكه المتزايد أن طموحاته الأولى وآماله الشخصية التى سعى إلى تحقيقها من خلال الانضمام للمجموعة، لم يعد لها مكان، مع تزايد واجباته والتزاماته اليومية التى يمليها عليه الاضطلاع بدوره الجديد.

وقد بحث كل من بروكنر وروبين (١٩٨٥) فيما يمكن تسميته بالمصايد أو الفخاخ النفسية.

والمقصود هنا ما يتوقعه الأفراد من مكافأة تتمثل فى إنجاز المهام المطلوبة والوصول إلى الهدف الذى تحدده الجماعة. إن توقع هؤلاء الأفراد الوصول إلى الأهداف، مرهون باستمرارهم فى الاستثمار فى المجموعة من خلال مواصلة الاشتراك فى الأنشطة الإرهابية. إلا أنه فى لحظة معينة، يشعر هؤلاء أن الوصول إلى الهدف أمل يستحيل تحقيقه، أو فى أقل تقدير بعيد المنال. هنا يشعرون بالإحباط وبأن استثمارهم فى الجماعة يفوق ما يتحقق لهم فى المقابل. وعند هذه النقطة يجدون أنفسهم فى مفترق طرق، ويقعون فريسة لأزمة اتخاذ القرار. حيث يشعرون بعظم ما ضحوا به من وقت ومجهود. خاصة إذا ما أضافوا إليه، (الضغوط الاجتماعية أو الأيديولوجية، التى لابد من الخضوع لها حتى يقبلوا كأعضاء بالمجموعة). هنا الانسحاب يعنى التضحية بكل هذا المجهود.، فيضيع سدى. أما اختيار الالتزام فيكون بمثابة تبرير أمام الذات، بجدوى الاستثمار وما بذل فيه من جهد. هنا يقع الإرهابى فى الفخ النفسى الذى يعقبه فى أغلب الأحيان، حالة تعرف بلولبية الالتزام كما يصفها ماكس تايلور. وتعتبر مألوفة الحدوث لأعضاء كثيرين فى المجموعات الإرهابية. (تايلور، ص١٦٨ -١٩٨٨).

مؤثرات أخرى نفسية

أبرز بوست (١٩٨٧) دور المجموعة فيما يواجهه الأعضاء من ضغوط وما يتخذونه من قرارات. حيث إن أغلب هذه القرارات، يكون إما متوقفا على «الإجراءات داخل المجموعة» أو مرتبطا بها. (بوست، ص٣١٠-١٩٨٧) يصف بوست دراسة جانيس التى تناولت تفكير المجموعة، بأنها ظاهرة تدل على حالة تماسك داخل المجموعة، تزيد من قدرتها على اتخاذ قرارت خطيرة. فى هذه الحالات نجد أن رغبة أعضاء المجموعة فى تحقيق الإجماع على اتخاذ القرار، يفوق تفضيلهم اختيار بدائل أخرى، وإن كانت أفضل « واقعيا» . وهذا من شأنه أن يعطل وصول المجموعة إلى تحقيق الهدف. يؤكد بوست أنه فى مثل هذه الظروف، يسيطر على المجموعة شعور غير حقيقى بأن هذا

القـرار هو الصحيح، لمجرد رغبتهم فى أن يكون كذلك.. ويرى بوسـت أن هذه خطوة طبيعيـة، تحدث لكل الأعضـاء الجدد الذين يؤثرون آراء المجموعـة على آرائهـم للتأكيد على ولائهم والحصول على ثقتها.

وفى نفـس الوقـت قد يجد الأعضـاء أنفسـهم إزاء موقف محير، حينـما يضطرون إلى التنـازل عن مبادئهم ومعتقداتهم التى انضمـوا للمجموعة من أجلها. وقد يكون ذلك فى بعـض الأحيان نتيجة الأجواء الخانقة داخل المجموعـة، أو نتيجة لتصرفات وأدوار بعض الأعضاء داخلها. ويمكن أن يفضى ذلك إلى حالة معارضة شديدة، قد يتم التعبير عنهـا أو تبقـى سرا. والمقابلة التالية أجراها كاتب هذه السـطور فى شـمال أيرلندا. وهذا الجـزء منـه يصور تأثير عوامل كثيرة قادت إلى حالة من التغيير فى الولاء تجاه المجموعة. حيـث تبـدأ خيبـة الأمل فى التـسرب إلى نفـوس الأعضاء. وتحـل تدريجيا محـل الطاعة والتفكير الجماعى. يقول هذا العضو:

دعينـا للاجتـماع وقد توقعنـا جميعا مزيدا مـن المتاعب. حيث تـم التأكيد على ضرورة حضـور كل الأعضـاء، وتنبأنا أن يتم الاسـتغناء عـن بعضنا. ثم حضر القائـد وطلـب اسـتتباب النظام. تقـدم إلى كل عضـو وطلب تقريرا منـه. حينما جـاء دورى، وكنـت آخرهم، عزمت على الكلام هذه المـرة، ومهما كلفنى الأمر. أفصحت عما آلت إليه الأمور بالنسبة للأسلحة. فقد كنا فى حالة بائسة، بالإضافة إلى نقـص التمويل. وأكدت له، أنه إذا لم نتصرف سريعا بشـأن هذه الأمور، فقد قـضى علينـا لامحالة. لقـد كنـت فى أول الأمر شـديد الثقـة بهذا الرجـل، ولكن اتضـح لى فيـما بعد، أنه ليس لديـه القـدرة أو الرغبة فى الاعـتراف بالأخطاء. أو تسـمية الأشياء بأسمائها. طالبت بضرورة انتخاب مدير توكل إليه مسئولية إدارة المجموعـة وتجنيد الأعضاء. بالطبع لم يكن سـعيدا بحديثى. فقـد كانت المنظمة بالنسـبة له شـيئا عظيما، وبلا مشاكل. وحينما انتهى الاجتماع، وجدت نفسى على السـلم مع عضو آخر، لم أكن أشـعر بمودة تجاهه. ولكنى فوجئت به، يشـد على يدى محييا، ومؤكدا أن أحدا منا كان لابد أن يتكلم.. لقد شـعرت أنه ما لم أتكلم أنا، فلن يتكلم أحد.

كان حديث هذا الرجل عن منظمة IRA ، والتى تفككت فى أوائل السبعينيات، لأنها عجزت عن إثبات وجودها السياسى بشكل فعال. وقد كان هذا الشخص من كوادر المنظمة، ومن الأعضاء المؤسسين لها. إلا أنه قد تركها وبدأ يفكر فى الهجرة. والكلام له :

لقد رحلت إلى بلد آخر لعدة أعوام. حيث كنت قد سئمت كل شىء. لقد نشأنا أولا على مبادئ الاشتراكية. وتسببنا فى إغضاب الكثيرين. إلا أن القائد هو الذى جلب علينا المتاعب. حيث كان قد فصل نفسه عن الواقع. ولم تصلح الأمور بيننا بعد ذلك. إنه لأمر محزن خاصة حينما تؤمن بقوة مبادئ المنظمة وفكرة الاشتراكية الأولى التى تبنيناها. لقد تخليت عن الكثير من أجل كل ذلك، منزلى، وسيارتى... وكان هناك من تخلى عن مزرعته... و كل ذلك من أجل ماذا؟ لقد كان الحديث الدائم هو نقص السلاح نتيجة لنقص المال.

لقد نمت خيبة الأمل داخل هذا الرجل تدريجيا. ويكشف حديثه أثناء المقابلة عن أوجه تشابه كثيرة مع المقابلة التى أجراها جاميسن مع فارندا. لقد وصفت فارندا «انفصالها» عن الألوية الحمراء بهذه الكلمات:

... لقد كانت عملية تدريجية، تمت على عدة مراحل صغيرة، لم تكن مثل القفزة المفاجئة. ولكنها شملت كل شىء، رغم ذلك، طريقة التفكير، والتقييم، أسئلة عديدة بشأن الكثير من الأمور، لم يكن الأمر يتعلق بطريقة بعينها فى قيادة الكفاح المسلح، أو بشأن مشروع ثورى، بل كان كل شىء... لقد كانت الثورة نفسها، الماركسية، والعنف، منطق العداء والصراع، العلاقة مع السلطة، طريقة إيجاد حلول للمشاكل، مواجهة الواقع، والمستقبل....... لا لم أتخذ قرارى كالقفزة المفاجئة نتيجة صدمة. فلم يكن الأمر وكأنى قد تحولت فى يوم وليلة من إنسانة إلى أخرى شديدة الاختلاف.. (جاميسن، ص٢٨٣-١٩٨٩).

إن الملاحظة المهمة فى هذا الصدد، هو أن القصتين تشيران إلى تطور تدريجى لفك الاشتباك مع الإرهاب، يكاد يماثل التطور الذى يمر به الفرد إلى أن يتورط بالفعل فى

الأنشطة الإرهابية. إلا أن البعض الآخر يؤمن أن أحداثا بعينها قد يتعرض لها الإرهابى هى التى تؤدى به إلى تحول سريع أو فك اشتباك ويكون نفسيًا فى الأساس. ونذكر من هذه الأمثلة، حالة ناصر بن عباس، الذى كان حتى وقت قريب، من كوادر حركة الجماعة الإسلامية. لقد وصل دور عباس فى الحركة إلى النواحى التنظيمية وتوفير التدريب اللازم للإرهابيين، وذلك بمعسكر الحديبية (الذى وصفه عباس بأنه كان بمثابة «الأكاديمية العسكرية الكاملة» . (انظر: تايلور، ٢٠٠٦)، وقد تم تشييده على أرض تم إخلاؤها من غابات كثيفة). كانت عقيدة عباس قوية ومتينة، ولم يشك أبدا فى «جواز قتل القوات الأجنبية التى تحتل بلاد المسلمين. مثل السوفيت بأفغانستان، أو الأمريكيين بالعراق، أو جيوش الفلبين التى تحتل أرض أجداده فى منديناو . « لقد كان الحافز الأساسى فى تحوله هو اتخاذه قرارًا، بعدم جواز قتل المدنيين العزل من الأطفال أو الشيوخ أوالنساء» . ويرجع عباس البذور الأولى لهذا التحول إلى انفجارات بالى عام ٢٠٠٢ . حينما تسبب هذا الانفجار فى قتل ٢٠٠٢ مواطن من المدنيين. لقد اكتشف عباس فى وقت لاحق، أن تلاميذه قد اشتركوا فى هذا الهجوم. فقال معلقا «أشعر بأسف شديد... بل أشعر بالخطيئة... لقد استخدموا ما لديهم من معرفة، فى قتل المدنيين العزل، وهم مواطنون أبرياء». ونضيف إلى تجربة عباس، تجربة أخرى يمكن الاستفادة منها متمثلة فى نشاط القاضى حمود الهيتار باليمن. فقد أسس «لجنة برنامج الحوار»[1] فى إطار جهوده الحثيثة لوضع إستراتيجية «إعادة تعليم الإرهابيين».

وبشكل موجز، فإننا ومما سبق، يمكن أن نحاول التعرف على عوامل تساهم فى التحرك فى اتجاه فك الاشتباك النفسى مع الإرهاب:

- تنامى الشعور السلبى نتيجة التركيز على حياة المجموعة (ومنها التأثير السلبى للوجود داخل مجموعة غير محتملة، وتزايد الضغوط النفسية) ويترتب على ذلك:

- إحساس بتغير فى الأولويات (التطلع إلى مكانة اجتماعية ونفسية (سواء واقعية أو متخيلة) يشعر العضو بافتقاره إليها أو أنها كانت موجودة بالفعل ولكن فى مرحلة

(١) لمزيد من التفاصيل انظر: الموقع http// www.csmonitor.com/2005/0204/p01s04-wp.c.html

سـابقة لانضمامـه للمجموعـة. ويحدث ذلك من خـلال حوار داخلى يجريـه العضو مع نفسـه، أو شـعوره ببذل مجهود ضخم اجتماعى ونفسـى فى المجموعـة دون الحصول فى مقابله على عائد يذكر. وذلك يحدث فى أغلب الأحيان.

- الشـعور بتزايد خيبة الأمل تجاه الأهداف السياسية (كما وضح فى المقابلة الرسمية مع عضو IRA) أو تجاه تكتيكات أو إستراتيجيات العمليات، والتى تعززها التصرفات والمواقف. (كما اتضح من تصريحات ناصر بن عباس).

فك الاشتباك المادى مع الإرهاب

مـن السـهل فى أغلب الأحيـان التعرف على مـا يمكن أن نطلق عليه فك الاشـتباك المـادى. كـما تدل عليـه المؤشرات. وهو ما يعنـى التحول أو البعد عن فـرص التورط فى أنشـطة إرهابية. وهذا بغض النظر عن تناقص الشـعور بالالتزام تجاه المجموعة. كذلك يحدث كثيرا ألا يصاحب هذا الانسحاب المادى بالضرورة تراجع فى الفكر الأيديولوجى (أو فى سـيطرة الفكر على الجانب الاجتماعى أو النفسـى للفرد). ومن الأسباب الشائعة لفك الاشتباك المادى: (ولا يمكن اعتبار أى منها مسئولة وحدها عنه).

- اعتقـال من جانب سـلطات الأمن، قد يعقبه الحبس. (أو أن تدفـع القيادة الأفراد فى اتجاه أدوار تكون فيها بمأمن عن خطورة الاعتقال).
- الإجبـار عـلى تغيـير الأدوار، قـد يكـون نتيجة عـدم تحقق الطاعـة المطلوبـة: هنا قد تنبـذ المجموعـة الفرد. وقد يصل الأمـر إلى الإعدام. ولكن قد يتـم تخفيف الحكم إلى الاضطلاع بأدوار فاعلة وإن كانت مختلفة عن الأدوار الأولى.
- زيـادة الانشـغال بنشـاط مختلف، بحيـث لا يترك أى مـكان للـدور الأول. أو تزايد الاشتراك فى النشـاط السياسى (غالبا، نتيجة الحبس. ومن السخرية أنه يمثل بالنسبة للبعض توثيقا وتعزيزا نهائيا مع هوية المجموعة).

- قد يتعرض الفرد للطرد من المجموعة (وقد يكون ذلك نتيجة سوء استخدام للأسلحة أو للأموال... إلخ أو أن يبدر منه أى سلوك غير لائق، يقتضى إبعاده من المجموعة. ولكن لا يصل الأمر للإعدام).

- أو تغير الأولويات، كما هو الحال بالنسبة لفك الاشتباك النفسى.

إن الفارق الأساسى بين فك الاشتباك النفسى والمادى، يكمن فى أن الإرهابى فى النوع الأخير، قد ينتقل من دور لآخر مع استمراره فى المجموعة. فقد يغير دوره لتسهيل وضع شخصى جديد، على سبيل المثال (فى حالة زواجه، أو حينما يرزق طفلا، فينتقل نتيجة لذلك إلى دور مساعد). ويستمر فى ممارسة أنشطة تتعلق بالإرهاب، وإن كانت خارج إطار التورط الفعلى فى أنشطة عنف أو «عمليات إرهابية». ومن أسباب تغير الأدوار أيضا أن تفرض القيادة ذلك، نتيجة قرب موعد الانتخابات مثلا، مما يستوجب التركيز على أنشطة سياسية. فقد تتغير الأدوار إلى خطوات أكثر عملية، كتنظيم التجمعات السياسية أو توزيع الملصقات.

و من المصادر الحيوية فى تكوين فرضيات، تتعلق بعملية فك الاشتباك، القدرة على تحليل العمليات التنظيمية التى تضطلع بها قيادة المجموعة. والتى يمكن أن نستنتج منها عوامل الترويج للانضمام للمجموعة، ومحاولات إعاقة فك الاشتباك - خاصة النفسى - منها.

و على أى حال فمن الأولويات البحثية الواضحة، محاولة فهم دور وأسباب الهجرة بين أفراد المجموعة. وهذا النوع من البيانات يمكن الحصول عليه من خلال تفاصيل حالات الإرهابيين. بالإضافة إلى المقابلات مع الإرهابيين السابقين أنفسهم[1].

---

(١) بدأ الكاتب فى منتصف ٢٠٠٦ مشروع بحث على فك الاشتباك بمساعدة مؤسسة أيرى نيف. وقد تم أثناء هذه الدراسة إجراء مقابلات مع ١٣ عضوا فى حركات إرهابية، حيث تم مناقشتهم بشكل مباشر عن تجاربهم مع فك الاشتباك. لمعرفة نتيجة هذه المقابلات، انظر: هورجان (٢٠٠٩).

نتائج هجر المجموعة (الرحيل)

كان تركيزنا فى هذا الفصل من الكتاب على محاولة التعرف على الأسباب التى يمكن أن تكون مسئولة عن عملية فك الاشتباك مع الإرهاب. نبحث الآن فى نقطة جديدة، وهى تداعيات هذا القرار الخطير على حياة الإرهابى. وهو ما يلقى بدوره بمزيد من الضوء على مدى تعقد هذه المسألة. ومن ضمن أسباب هجر الإرهابى لهذا النشاط، ، شعوره بمحدودية ما يمكن أن تقدمه له الحياة بعد عمر قضاه خلف أسوار هذا السجن الكبير. إذ قد يصبح فريسة سهلة لضغوط نفسية تستمر فى التصاعد إلى أن تضحى غير محتملة، إلى الحد الذى قد يدفعه إلى الاستسلام. وعلى سبيل المثال، فإن قلديب سينج، وهو عضو سابق فى منظمة تحرير خالستان، قد قام بتسليم نفسه للشرطة عام ٢٠٠٠، لارتكابه جرائم عام ١٩٩١ (هورجان، ٢٠٠٥).و قد كشفت الشرطة أن تسليم سينج نفسه، مبعثه الأساسى رغبته فى بدء حياة جديدة بعد المثول أمام القاضى لمحاكمته.وفى نفس هذه السنة، تمت محاكمة هانز جواشيم، وهو زميل سلاح سابق للإرهابى المعروف كارلوس الجاكال Carlos the Jackal.بعد مرور ٢٥ عاما على اشتراكه مع كارلوس فى الهجوم على اجتماع لوزراء منظمة الأوبك (منظمة البلدان المصدرة للبترول) عام ١٩٧٤ . وكان قد قضى سنوات طوال هاربا من العدالة. وفى نفس العام، تم القبض على مؤسس مجموعة الجيش الأحمر الإرهابية اليابانية فوساكو شيجينوبو. بعد أن قضى أكثر من ٢٥ عاما من حياته فى الخفاء.

من الممكن إذا ألا تتوافر أسباب الحماية والأمن لهؤلاء الإرهابيين لتحفيزهم على البقاء داخل المجموعة، ولكن من ناحية أخرى، فليس هناك ما يضمن عدم تعرضهم لمطاردة الشرطة أو قبضة الاستخبارات القوية، التى لن تتهاون فى مطاردتهم حتى يمثلوا أمام العدالة.

وكثيرا ما يحدث أن تلجأ أجهزة المخابرات، إلى تجنيد عناصر من الإرهابيين السابقين، وتستعين بهم فى الكشف عن معلومات تفيد فى مطاردة المجموعات

الإرهابيـة. وقد يكـون ذلك إحدى الطرق التى تسـهل على الإرهـابي عملية الخروج من المجموعة.

و قـد سـاعد سـين أوكالاجن، من قبـل أجهزة الأمـن، فى نشر التوعية ضد أنشـطة منظمـة IRA الإرهابيـة، لدرجـة أنـه حتـى الآن يعتبر عنـصرا مطاردا من قبـل زملائه السابقين فى المنظمة.

وكذلك أيمون كولنز، قد قتل، بعد إدلائه بشهادته فى محاكمة أحد قادة نفس المنظمة، وكان مخبرا يعمل لحساب أجهزة الأمن.

ولاشـك أن مصداقية الحكومة فى التعامل مع الإرهابيين السـابقين، تعد من النقاط الجوهرية المؤثرة فى تطوير إستراتيجيات فاعلة فى مجال فك الاشتباك، ومن ثم فى وضع خطط ناجزة فى مجال مكافحة الإرهاب. (وقد كانت هذه النقطة جوهرية، حقيقة الأمر، فيما يتعلق بالجهود المبذولة من قبل عدة دول لتطوير إستراتيجيات مكافحة الإرهاب).

إلا أن سياسـات الحكومـات لم تكـن عـلى المسـتوى المتوقـع فى توفـير المخبريـن أو الجواسـيس لمدها بما هو ضرورى من معلومات فى منطقة شـمال أيرلندا أو فيما يخص ما اصطلح على تسميته برنامج «بنتيتى» بإيطاليا. حيث حصل هؤلاء الإرهابيون السابقون أو (الأعضاء السابقون فى المافيا)، على أحكام مخففة مقابل تعاونهم مع الشرطة فى إجراء التحقيقات.

و قـد قامت الحكومتـان الإنجليزيـة والأيرلندية، بمحاولات لتسـهيل عمليات فـك الاشـتباك لأعضاء فى منظمة IRA من خـلال تكرارها لما أعلنته لاحقا، من أنها لاتعتبر مسـألة نزع سـلاح المنظمة، بمثابة الاستسـلام من ناحيتها. وقد كان ذلك فى مقابل أن يقوم قادة المنظمة بتقليص تصعيد حملتهم الخاصة برفع دعوى سياسية ضد الحكومة.

إلا أننا يجب ألا نغفل عنصرا مهمًا فى هذا الصدد، وهو عملية إعادة تأهيل الإرهابى لحياته الجديدة خارج المجموعة. ففى منطقة شـمال أيرلندا، وبرغم التقدم الضخم الذى

حـدث، والمتمثـل فى تقلص مظاهر العنف والإرهاب بشـكل واضـح، كان ثمن العفو باهظـا رغـم ذلـك. فقد بدأت مـؤشرات الطائفيـة الواضحـة تدمر تدريجيـا مجهودات تأسـيس مجتمع سـلمى يبعد عن مظاهر العنف السـابق. ونحن نرى أن السبب فى ذلك يرجع فى الأسـاس إلى: أولا، الفشـل فى إجراء تقييمات سـليمة لخطـورة المرحلة. ثانيا، غياب تطبيق إسـتراتيجيات مناسـبة على السـجناء الذين تم إخلاء سـبيلهم بعد اتفاقية «الجمعة الطيبة».

وحتـى مع افـتراض أن ينتهى الأمـر بتفكك المجموعـة بالكامل، فـإن الطرق التى سـوف يسـلكها الأعضاء السابقون، قد تتباين بشكل كبير. فقد يتجه البعض إلى أنشطة أخـرى غـير شرعية، كالانخراط فى أنشـطة الجريمة المنظمة، على سـبيل المثال. وهذا ما يحدث فى أغلب الأحيان، خاصة إذا كان الفرد قد مارس سابقا، أثناء عمله مع المجموعة الإرهابية، نشاطا مشابها. (مثل أنشطة جمع التمويل اللازم) وعادة ما يلجأ الإرهابى هنا إلى اسـتخدام اسم الحركة فى مواجهة المنافسة من قبل مجموعات الجريمة الأخرى. وقد يتجه البعض الآخر إلى العزلة الاجتماعية وما يترتب عليها من مشاكل نفسية (كالإصابة بالاكتئـاب، أو بـدء تناول المخدارات... إلخ). وقد يجد البعض الآخر هدوءا وسـكينة فى بـدء حيـاة جديدة مع شريك حياة جديد أو وظيفة جديـدة. وجدير بالذكر، أن إيجاد وظيفة جديدة، لا يعنى أن يفقد الإرهابى السابق عنصر الالتزام تجاه ما يؤديه من نشاط، أو يفقد الحماس، خاصة إذا ارتبطت الوظيفة بنشاط خدمة المجتمع أو عمل شبابى.

ومن العوامل المؤثرة فى رسـم المسـالك المحتملة للإرهابى السابق: أ- درجة تورطه مع المجموعة الإرهابية (بمعنى، مدة العمل وهل كانت جزءًا من الوقت أم كل الوقت) ب- دور المسـاندة النفسـية الذى تمنحها لـه المجموعة، وأهميتهـا فى تكوين هويته. ج- درجـة تقييـم الإرهابى للفترة التى قضاها من حياته مـع المجموعة.(والتى قد تصل إلى معظم سـنوات عمره).وقد تلت مرحلة الإعلان عن نزع السـلاح، مواصلة الكثير من أعضـاء الجيش الجمهورى الأيرلنـدى البحث عن طرق بديلة. وطبقا لخبراء الأمن فإن المجموعات الأخرى المعارضة فى أيرلندا مثل (the Real IRA) أو (the continuity)

IRA (أى استمرار الحركة) انشغلت عن ذلك، إما بسبب سيادة الفوضى وانتشارها الواسع بداخلها، أو لأن أغلب أعضائها، بقوا على ولائهم الأيديولجى للمجموعة.

محاولة فهم فك الاشتباك مع الإرهاب

كما ذكرنا فى البداية، فإن ما قد حصلنا عليه حتى الآن من معلومات، فى هذا الشأن، لايمكننا من تقديم مناقشة مفصلة عن مسألة فك الاشتباك مع الإرهاب. وكل ما يمكن أن نؤكده فى هذا الشأن، هو أن ما لدينا يصلح كبداية؛ لأننا لازلنا نخطو خطواتنا الأولى لكشف أغوار هذه المسألة شديدة التعقيد، والتى يجب أن نوليها قدرا كبيرا من البحث والاهتمام يعادل اهتمامنا، بمسألة تحول الفرد إلى الإرهاب بما يتضمنه من عوامل شد وجذب، تفضى به إلى هذا الطريق. لابد إذا أن نقر، أن هذه المرحلة من مراحل الإرهاب هى أقلها وضوحا وأن معلوماتنا عنها لاتزال ضحلة.

فيما سبق تناوله عن فك الاشتباك، ناقشنا عدة مستويات تحليلية لهذا الموضوع. وفى أغلب الأحيان، وجدنا أن قرار «إنهاء» الإرهاب يعتبر بالنسبة للمجموعات الإرهابية قرارا صعبا. إذ إنه يمر بمراحل عبر فترة ممتدة من الزمان. وينتهى بهم التفكير فى أغلب الأحيان إلى الوصول إلى نتيجة واحدة، وهى أن طريق العنف وحده لايفضى إلى تحقيق أية أهداف.

ففى حالة منظمة IRA المؤقتة، وطبقا لكادر من كوادر المنظمة السابقين، فإن هذا المزج المشترك بين الجانب السياسى والكفاح المسلح، والذى أفضى إلى تغليب الكفاح المسلح على الجانب السياسى، هو الذى أدى تدريجيا إلى الاتفاق على نزع السلاح فى نهاية الأمر.

ولانريد أن نكرر مرة أخرى مدى حاجتنا إلى أبحاث مفيدة فى هذا المجال. إلا أن هذه ضرورة لابد منها. وجدير بالذكر أن معظم ما حصلنا عليه من معلومات، كان مصدره دراسات عن الحركات الإرهابية فى أوروبا. فلايوجد لدينا عمليا نفس المعلومات عن منظمة القاعدة مثلا. بخلاف ما لدينا من مقابلات مع إرهابيين سابقين.- وهو مصدر مهم يمكن من خلاله تكوين نموذج لفك الاشتباك-. إلى جانب الاعتماد على مذكرات

كتبها بعض الإرهابيين السابقين أيضا. ولكن لابد من أن نشير هنا، إلى أهمية توخينا الحرص والدقة، ونحن بصدد إجراء تقييم صحيح لهذه المصادر. وفضلا عن ذلك فلابد من دراسة طبيعة هذه المعلومات، ومقارنتها، لمحاولة الوصول إلى نقاط مشتركة أو أوجه تشابه، نكون على أساسها معلومات مفيدة عن شخصية الإرهابى.

إن الاعتماد على المذكرات كمصدر للمعلومات تحمل عدة مخاطر ومشاكل. ربما كان أوضحها عدم توافرها بالقدر الكافى فى الوقت الحاضر. أما إجراء المقابلات وهو ما نعتبره بحثًا مباشرًا، فقد لايمكن تحقيقه بسهولة من الناحية العملية بالنسبة للبعض. إلا أن نجاح عدد صغيرمن الباحثين فى هذا المجال، يشهد بتعاون المنظمات الإرهابية عموما مما يسهل الوسائل البحثية.

ومن نتائج هذه المناقشة، أيضا، توصلنا إلى أهمية توافر الخدمات التى تدعم الإرهابيين أو النشطاء الذين يسعون إلى فك الاشتباك النفسى مع الإرهاب. وبشكل عام فلابد من تطوير الإستراتيجيات التى تشجع أو تدعم فك الاشتباك. أما على المستوى الشخصى، فنحن لا نحبذ تبنى إستراتيجيات العلاج. حتى بعد نجاح إقناع الإرهابى بها. ونحن فى حقيقة الأمر لانملك بعد الدليل التجريبى الذى يوجهنا فى اختيار الإستراتيجية الملائمة. ومن الإستراتيجيات الواعدة التى تم تطويرها، تلك التى تعتمد على فترة الحبس، والتى تعزز العمل فى اتجاه مساعدة الذات. وتجدر الإشارة هنا، إلى أن المصدر الأساسى لهذه الإستراتيجيات، هو تطورحدث فى مجال العلاج السلوكى الإدراكى. (CBT)و يعرف بطريقة القبول والالتزام[1]. وقد قدم كل من هايس، ريفيل، أكيهيكو وراى (٢٠٠٢). بحثا واعدا فى هذا المجال.

والخلاصة، هى وصولنا إلى أن سؤال «لماذا يترك الأفراد الإرهاب؟» يعتبر سؤالا معقدا ومركبا لا يقل فى ذلك عن سؤال «لماذا يتجه الأفراد إلى الإرهاب؟» . وذلك

---

(١) من المعروف أن طريقة القبول والالتزام، ACT تعتبر طريقة علاج سيكولوجية مختبرة، تستخدم إستراتيجيات القبول مع الالتزام وتغيير السلوك بهدف زيادة المرونة النفسية. وهى مستقاة من آخر أعمال السلوكيين فى مجال نظرية إطار العلاقات وتنتمى إلى مفهوم السلوك الإدراكى. وأساس مفهوم ACT أن سبب المعاناة النفسية، هو السمات المشتركة بين اللغة الإنسانية والإدراك والتحكم فى السلوك الإنسانى من خلال التجربة المباشرة.

نتيجـة لتشـابك وتعقد العوامل التـى تتحكم فى هذين السـؤالين، بالقدر الذى يصعب معـه إيجاد إجابات واضحة أو شـافية بالقدر الكافى، تصلـح أن تكون قاعدة قوية، لبناء إسـتراتيجيات فعالة لمكافحة الإرهاب. وبالنظر لما سبق واسـتعرضناه فى هذا الفصل، فـإن هجـر الإرهاب، قد يخضع لظـروف، تقع خارج تحكم الفـرد أو إرادته. فقد تكون تتويجا لمجموعة من العوامل المسـئولة عن هذا الاتجاه. ومنها على سـبيل المثال، شـعور الفرد بأن الأبواب المتاحة أمامه قد سـدت بالكامل. وذلك على المسـتوى الاجتماعى أو التشـغيلى على سـبيل المثال أو غـيره. ما نجهله حقيقـة الأمر، هو العلاقـة التفاعلية بين العوامـل المتحكمـة فى القرار. فقد يتعلق الأمر بالإرهـاب فى لحظة معينة من الزمن وفى مـكان محـدد. كما يدعو البعض إلى ضرورة الحكم عليه من هـذا المنظور. فإذا كان الأمر كذلك، فإنه يمكن الإجابة عن السؤال الأول من هذا المنظور أيضا. إذ سوف يؤثر ذلك عـلى الشـكل الذى يرى به الإرهابى نفسـه فى مـكان ولحظة زمنية محـددة. ونحن ندعو هنا، إلى ضرورة إيلاء نفس القدر من الاهتمام للإجابة على السـؤالين. فإذا تم مسـتقبلا المطالبة بوضع تصنيف علمى للعوامل التى تساهم فى اتخاذ الأفراد لقرار فك الاشتباك (بعضها قد تم اقتراحه فى هذا الكتاب)، فإننا ندعو الباحثين فى هذا المجال إلى الاعتراف أولا بأهمية العملية الديناميكية التى تتحكم فى سـلوكيات الأفراد تجاه المراحل المختلفة للتورط الإرهابى، أو فى دور وظيفة المجموعة الإرهابية التى ينتمى إليها الفرد.

المراجع

Alexander, Y., & Myers, K. A. (Eds) (1982). *Terrorism in Europe.* London: Croom Helm.

Bjorgo, T. (Ed.) (2005). *Root causes of terrorism.* London: Routledge.

Brockner, J., & Rubin, J. Z. (1985). *Entrapment in escalating conflicts.* New York: Springer-Verlag.

Hayes, S. C., Reville, N., Akihiko, M., & Rye, A. K. (2002). Prejudice, terrorism and behavior therapy. *Cognitive and Behavioral Practice, 9,* 296–301.

Horgan, J. (2005a). *The psychology of terrorism.* London: Routledge.

Horgan, J. (2005b). The social and psychological characteristics of terrorism and terrorists. In T. Bjorgo (Ed.), *Root causes of terrorism.* London: Routledge.

Horgan, J. (2009). *Walking away from terrorism: Accounts of disengagement from radical and extremist movements.* London: Routledge.

Jamieson, A. (1989). *The heart attacked: Terrorism and conflict in the Italian State.* London: Marian Boyars.

McCauley, C. R., & Segal, M. E. (1989). Terrorist individuals and terrorist groups: The normal psychology of extreme behaviour. In J. Groebel, & J. H. Markstein (Eds), *Terrorism: Psychological perspectives* (pp. 41–64). Seville: University of Seville Publications.

O'Callaghan, S. (1998). *The informer.* London: Granta.

Post, J. M. (1987). Group and organisational dynamics of political terrorism. In P. Wilkinson, & A. M. Stewart (Eds), *Contemporary research on terrorism* (p. 310). Aberdeen: Aberdeen University Press.

Spire, A. (1988). Le Terrorisme Intellectuel. *Patio, 11,* 150–158.

Taylor, M. (1988). *The terrorist.* London: Brassey's.

Taylor, M. (1992). Rational choice, behaviour analysis and political violence. In R. V. Clarke, & M. Felson (Eds), *Routine activity and rational choice – Advances in criminological theory.* Rutgers, NJ: Transaction Press.

Taylor, M., & J. Horgan J. (2006). A conceptual framework for addressing psychological process in the development of the terrorist. *Terrorism and Political Violence.* 18:4, 585–601.

Taylor, M., & Quayle, E. (1994). *Terrorist lives. (pp.34–35).* London: Brassey's.

Taylor, P. (2006). The Jihadi who turned 'Supergrass'. *BBC News.* Retrieved June 22, 2009 from: http://newsvote.bbc.co.uk/mpapps/pagetools/print/news.bbc.co.uk/1/hi/programmes/5334594.stm

Thachuk, K. L. (2006). Countering terrorism across the Atlantic. *Defense Horizons,* July, *53,* 1–8.

الفصل السادس عشر

فك الاشتباك مع الراديكالية وبدء النزول على السلم الإرهابى

فتحالى م. موغدم[1]

نبـذة: بناء على الصورة التى رسـمناها فى مخيلتنا، فإن وصول الشـخص إلى التورط فى عـالم الإرهـاب يتطلـب الصعود خطوة خطوة على امتداد سـلم يفضى بـه إلى الطابق الأخير من المبنى، والذى يمثل التورط الفعلى فى ممارسـة الأنشـطة الإرهابية. والمقترح هنا، هو وضع برامج لفك الاشـتباك مع راديكالية الإرهابى عند كل مسـتوى (طابق) من مسـتويات الإرهـاب. والتصور هنا، أن كل مسـتوى من مسـتويات الفكر والفعل الإرهابى يمثل عملية نفسية تصاحبه. وأن ما نريد الوصول إليه، هو وضع إستراتيجيات تقابل كل مستوى من هذه المستويات تنقل الأفراد إلى الطوابق السفلى تدريجيا إلى أن يتم اصطحابهـم أخيرا خارج المبنى. والغاية إذا، هـى الوصول إلى هدف طويل الأمد لفك الاشـتباك مع الإرهاب، عن طريق حدوث التحول النفسـى المطلـوب للإرهابى حتى ينأى بنفسه عن أنشطة دعم وتعزيز الإرهاب.

---

(١) عنوان المراسـلات: فتحالى مغدم. قسـم السكولوجى، مبنى وايت جريفنر (الطابق الثالث) جامعة جورج تاون، واشنطن، DC الولايات المتحدة. ٢٠٠٥٧. البريد الإلكترونى: Moghaddf!@georgetown>edu

لا يزال الإرهاب يشكل تهديدا على المستوى المحلى والدولى معا. والإرهاب الذى نقصده هنا هو «العنف ذو الدافع السياسى، الذى يقوم بتنفيذه أفراد أو مجموعات أو عملاء تساندهم الدولة، والذى يهدف إلى إشاعة حالة من الفزع والفوضى بين أبناء المجتمع الواحد مما يترتب عليه سهولة التأثير على متخذى القرار وتغيير سلوك المجتمع». (مغدم، ص١٦١-٢٠٠٥). وعلى الرغم من نشاط الإرهابيين الغربيين فى كل من أيرلندا الشمالية (كوجان، ٢٠٠٢) وإسبانيا (بلفور، ٢٠٠٥) والولايات المتحدة (لينيشال، ٢٠٠١) بالإضافة إلى مجتمعات ديمقراطية أخرى، فإن خطر الإرهاب منذ الثمانينيات تزايد من جراء أنشطة إرهابية ارتكبتها المجتمعات الإسلامية بالشرق الأوسط أو الجاليات الإسلامية بأماكن أخرى. خاصة فى شكل عمليات انتحارية حض عليها وشجعها، مجموعات العنف السلفى أو مجموعات التطرف الإسلامى الأخرى. (بلوم، ٢٠٠٥، خوسروخافار، ٢٠٠٥، ماكدرموت، ٢٠٠٥، أوليفر وستاينبرج، ٢٠٠٥، باب، ٢٠٠٥ بداهزور، ٢٠٠٥).

قدم علماء النفس مساهمات عديدة لإلقاء مزيد من الضوء على جذور الإرهاب، ونتائج العمليات الإرهابية على ضحايا الإرهاب. (بونجر، براون، بويتلر، بريكنريدج، وزمباردو، ٢٠٠٦، دانيلى، بروم، ووايزر، ٢٠٠٥، هورجان، ٢٠٠٥، موغدم ومارسيلا، ٢٠٠٤، ساجمان، ٢٠٠٤، ستاوت، ٢٠٠٢).

على أن مزيدًا من الجهود يجب أن توجه إلى تنامى إرهاب التطرف الإسلامى داخل المجتمعات الإسلامية فى الدول الأوروبية أو خارجها على السواء. وليس ذلك بسبب تضاؤل نوع آخر من الإرهاب (إذ منذ ٢٠٠٥ بدأ الإرهاب يتزايد فى إسبانيا). ولكن لأن الإرهاب الإسلامى أضحى حاليا ومن المتوقع أيضا فى المستقبل القريب، أكثر التهديدات الموجودة على أرض الواقع خطورة وشراسة. (بما فيها أوروبا، انظر: برليز، ٢٠٠٧، فون هيبل، ٢٠٠٧).

أصبح الكثير من المجتمعات الإسلامية حول العالم ومن ضمنها ملايين من المسلمين المهاجرين إلى كثير من الدول الأوروبية، . (على سبيل المثال مسلمى، جنوب آسيا بالمملكة المتحدة، أو شمال أفريقيا بفرنسا، أو الأتراك المسلمين بألمانيا) تساند مجموعات الإسلام المتطرف، وقد تتبنى مواقفه. و على سبيل المثال، فإن عددا كبيرا من هؤلاء المهاجرين، يرفضون الاعتراف بأن اعتداءات ١١/ ٩ قد قام بها العرب. (٥٦٪ من مسلمى إنجلترا، ٤٦٪ من المسلمين الفرنسيين، ٤٤٪ من مسلمى ألمانيا، و٦٥٪ فى إندونيسيا، ٥٩٪ من مصر وفى تركيا ٥٩٪ وفى الأردن ٥٣٪). كما أن نسبة كبيرة منهم أى عشرات الملايين المقيمين فى مجتمعات غربية أو غير غربية، تبرر استهداف المدنيين فى بعض الأحيان بحجة الدفاع عن الإسلام (مسلمو بريطانيا ١٥٪، مسلمو فرنسا ١٦٪، فى ألمانيا ٧٪ وإندونيسيا ١٠٪ وفى مصر ٢٨٪، وبتركيا ١٧٪ وبافردن ٢٩٪).

وتتمثل خطورة راديكالية هذه الجاليات، فيما يمكن أن تقدمه من مساندة معنوية أو عملية لأنشطة عنيفة مثل الإرهاب بشكل خاص.

لتقريب الصورة من العملية الراديكالية، وعلاقتها بالإرهاب، كونت صورة خيالية لسلم يعتلى الإرهابى درجاته، خطوة خطوة، حتى يصل إلى آخر طابق، الذى يمثل آخر نشاط إرهابى قام به. ولنتخيل الآن أن معظم ساكنى هذا المبنى، يقطنون الدور الأرضى، فلا يحتاجون إلى صعود السلم فيما عدا البعض منهم. وبالنسبة لهؤلاء، فإن كل طابق من الطوابق يمثل مستوى مختلفًا من الأفعال والأفكار، التى تتحكم فيها عمليات نفسية عديدة.

و على سبيل المثال، ففى الطابق الأرضى حيث يعيش أكثر من بليون مسلم، فإن الأفكار والأفعال تسيطر عليها الهوية (هنا يتبادر إلى ذهن الإرهابى أسئلة مثل : إلى أى نوع من الأفراد أنتمى؟ وماهى هوية مجموعتى؟) وفيما يخص العدالة؟ (هل أعامل بعدل؟) وأما الجانب المادى، فالسؤال لابد أن يتعلق بما إذا كانت المجموعة تحقق لى ما أريد من إشباع مادى؟. بعض الأشخاص تصل بهم أسباب الضيق

وظروف الحياة إلى طريق مسدود فيلجئون إلى الصعود إلى الطابق الأول، لتحسين أوضاعهم.

فى الطابق الأول، تشغل مسألة فرص الحراك الاجتماعى حيزا جوهريا من تفكير الإرهابى. بالإضافة إلى فرص اشتراكه فى عملية اتخاذ القرار داخل مجموعته.أما الذين لايجدون أمامهم أى فرصة للاشتراك فى اتخاذ القرار، ويتم إسكاتهم بدلا من مشاركتهم، فهؤلاء ينتقلون إلى الطابق الثانى، حيث يتم توجيههم إلى أهداف خارجية. وتشير الظروف السياسية والثقافية للمجتمعات الإسلامية، حاليا، أن الولايات المتحدة وإسرائيل أكثر الأهداف الخارجية شيوعا.

وقد لعبت الجوامع دورا كبيرا كمراكز سياسية داخل المجتمعات الإسلامية، كما أنها فاقمت من أهمية وخطورة التطرف الإسلامى داخل المجتمعات الغربية أو خارجها. وقد كان قمع الحاكم المطلق للمعارضة العلمانية أو الإسلامية، إلى جانب الفساد من العوامل الأساسية المسئولة عن تعاظم هذه الظاهرة فى الدول الإسلامية الكبرى مثل المملكة العربية السعودية ومصر وباكستان.حيث تحولت الجوامع إلى مراكز لقاء سياسية. ولاشك أن زيادة إحساس المسلمين بالعزلة الجماعية، هى التى مهدت الطريق أمام تزايد نفوذ هؤلاء المتطرفين فى بعض الجوامع.

هؤلاء الأفراد الذين يستمرون فى الصعود إلى الطابق الثالث يصبحون أكثر انفصالا وانعزالا عن الأخلاقيات العامة التى تكيل الاتهامات إلى الإرهاب، ويتبنون على العكس من ذلك، أخلاقيات مختلفة تؤيد الإرهاب وتبرره. فى هذا الطابق أيضا يتشبث الإرهابى بالمعتقد الذى يقوده إلى قناعة «ضرورة القضاء على العدو- الذى يمثل الشيطان، ومهما كانت التكلفة». أما الطابق الرابع فتتأصل فيه روح المجموعة، وشرعيتها فى عرف الأعضاء، وتنمو روح «من ليس معنا، فهو ضدنا». وقد تم تبنى هذا الفكر الراديكالى من قبل بعض القادة الغربيين، وظهرت هذه العبارة فى الكثير من خطاباتهم. وأخيرا ومن بين هؤلاء الذين صعدوا إلى الطابق الرابع يقع الاختيار على

بعض الإرهابيين الذين يكونون مستعدين نفسيا. فيتم تجنيدهم لبدء ممارسة الأنشطة الإرهابية فى الطابق الخامس.

ويبرهن بحث نفسى تم إجراؤه خاص بفكرة الالتزام والطاعة، على قوة الراديكالية التدريجية. (مغدم، ٢٠٠٥، الفصل ١٥ و١٦، زمباردو، ٢٠٠٧).و نضرب هنا مثالا، للإجراء التدريجى الذى استخدمه ميلجرام (١٩٧٤) فى دراساته المتعلقة بالطاعة للسلطة، حيث تم حث المشاركين فى دور «المعلم» على زيادة العقوبة، التى يتم تطبيقها ظاهريا على «المتعلم» (مجموعة من الأفراد يخضعون للتجربة). وذلك بواقع زيادة تدريجية تصل إلى ١٥ درجة. وكما توصل ميلجرم فى هذه الدراسة (١٩٧٤) عن «النظام السلطوى» إلى أن انتقال الأفراد إلى المستويات الأعلى من الطاعة يرتبط بصفاتهم الشخصية، فإننا يمكن أن نقيس على ذلك أيضا الاختلاف بين الأفراد فى الانتقال من مرحلة إلى أخرى على درجات سلم الإرهاب. ويعتبر التعرف على الاختلافات بين الأفراد على مختلف مستويات السلم، من النقاط التى تتطلب مزيدا من الاهتمام فى أبحاث المستقبل. وبالمثل، أيضا حركة النزول على درجات السلم المختلفة.

لاشك أن هناك حاجة ملحة، لإعطاء أهمية خاصة للعملية النفسية التى تقود إلى مرحلة فك الاشتباك مع الراديكالية. خاصة بعد حقبة اعتداءات ١١/ ٩. أولا لأن قبل هذه الفترة كان الحديث عن فك اشتباك مع الراديكالية خاص براديكالية مجموعات الجناح الأيسر أو اليسارية (انظر المناقشة الكلاسيكية لتاكر، ١٩٦٧عن تخلى الحركات الماركسية عن الراديكالية، والمناقشة الأكثر حداثة لسبرينزك، ١٩٩٨ عن المجموعة الأمريكية Weathermen وهى مجموعة يسارية متطرفة) وثانيا، ورغم موافقتنا على وجهة النظر التى تنتصر لوجود نقاط تشابه كثيرة بين الإرهاب «القديم» و«الحديث» وأن إرهاب القرن ٢١ مشترك فى عديد من النقاط مع الإرهاب القديم، فإننا نؤكد تميز الإرهاب الجديد بعدة نقاط أساسية مختلفة، ومنها اعتماده بشكل متزايد على التقنية الحديثة فى وسائل الاتصال، كالشبكة العنكبوتية (الإنترنت) (تاكيه وجفوزديف، ٢٠٠٢). وتنظيم القاعدة أفضل دليل على ذلك، حيث يمارس نشاطه الدعائى ونشر

مبادئـه وأخلاقياتـه من خلال أحدث تقنية فى وسـائل الاتصالات أى الشـبكة الدولية للاتصـالات؛ لـذا فهو يعد قوة مؤثرة من خلال «اسـتخدامه لوسـائل الثقافـة الكونية الحديثة» (مغدم، ٢٠٠٧). (شاهد فيديو أسامة بن لادن، الذى تم توزيعه عبر الإنترنت، فى سبتمبر، ٢٠٠٧).

إن هدف هذه المناقشة، هو استخدام مثال السلم الإرهابى، لاستكشاف سيكولوجية فـك الاشـتباك مع الراديكاليـة، أو التخلى عنها. والبحث الذى نقدمـه هنا، يقدم إطارا عامـا للاسترشـاد والحث على مزيـد من البحث والدراسـة فى هذه المسـالة. فى الجزئين التاليـين، لهـذا البحث، أناقش أولا عمليتى الراديكالية وفك الاشـتباك معها، ، ثم أولى اهتمامى، إلى برامج فك الاشـتباك مع الراديكالية، التى تسـتهدف الأفراد الذين وصلو إلى عدة طوابق على السلم الإرهابى. وفى الجزء الأخير، أوجه اهتمامى إلى نقطة، أعتبرها محورية، باعتبارها هدفًا طويل الأمد، خاصًا بعملية التخلى عن الراديكالية. أى التحول النفسـى للفرد، الذى يكسبه صفات جديدة، تؤهله للاشتراك فى نظام سياسى والعمل على دعم استمراره.

الراديكالية وفك الاشـتباك معهـا **Radicalization and De-radicalization**

بعـد حـوالى ثمانيـة عقود مـن الأبحاث النفسـية عـن المواقـف، منذ إجـراء لابيير، (١٩٣٤) لأبحاثـه الرائـدة فى هـذا المجـال، وحتى الدراسـات التى أجريـت فى القرن الحادى والعشرين (هادوك، ٢٠٠٤)، كلها تؤكد أن راديكالية المواقف لا يترتـب عليها بالـضرورة راديكالية السـلوك. وفى هذا الخصوص، لابد من الإشـارة إلى أهمية التفرقة بين العناصر الإدراكية والـتأثيرية والسـلوكية للراديكالية. على المستوى الإدراكى، فإن راديكالية المجتمعات الإسلامية تتضمن شقين: أولا، معرفة بالمجموعات المختلفة التى تعـترف بالإرهاب، وتسـانده، وثانيا، اندماج الهوية الشـخصية مع الهويـة التى تعترف بالإرهـاب بشـكل يحقق التسـامح مع الفكـر الإرهابى. وعـلى المسـتوى التأثيرى، فإن

الراديكاليـة تعنى، التعلم الاجتماعى استـعدادا للاشـتراك فى الأنشـطة الإرهابية. وهو يركـز على كيفية تجاوز السـلوك الذى يمنع أو يعطل إقبال الشـخص على إصابة أو قتل الآخرين والذى يصفه لنا (لورنز، ١٩٦٦). وهو نفس التعليم، الذى يتلقاه الفرد أيضا فى التدريـب العسـكري. (جروسـمان، ١٩٩٥). فإذا بلغ الأفراد مثل هـذه الدرجة من الراديكاليـة، ووصـل الأفراد، طبقا لما ذكرناه من قبل إلى آخر طوابق السـلم الإرهابى، فكيف يتسنى لنا التعامل مع تحدى فك الاشتباك مع الراديكالية؟

فك الاشتباك مع الراديكالية.

إن لدينـا بالفعـل بعـض المعلومـات الواضحة الخاصـة بكيفية حـدوث عملية فك الاشـتباك أو التخلى عـن الراديكالية. ومنها أولا، معلومـات خاصة بالأدب المعرفى فى هذا المجال. (مثال، ألكسـندر، ٢٠٠٢، أرت وريتشاردسون، ٢٠٠٧، برنارد، ٢٠٠٥، كرينشـو، ١٩٩١، ١٩٩٥، كرونـين، ٢٠٠٦، روس وجـور، ١٩٨٩، معهـد السـلام بالولايـات المتحـدة، ١٩٩٩). وكل مـا ذكر، يتفق عـلى أن الطريق لفك الاشـتباك مع الراديكالية، بالنسبة للأفراد أو المجموعات، ليس بالضرورة عكس طريق التورط فيها. وعلى سـبيل المثال، فإذا كان اتجاه فرد إلى الراديكالية مرتبطا بتحقيق الانفصالية، وتحت تأثير قائد كاريزمى، فإن تخليه عنها، قد لا يكون مرتبطا بتلك الأسـباب على الإطلاق. بل قد يرجع إلى عوامل مختلفة تماما، كانخفاض شعبية المجموعة بين جمهورها الأساسى (كما حدث فى أيرلندا، خاصة منذ منتصف التسعينيات) أو حدوث تغيرات فى الظروف السياسية المحيطة.

والنقطـة الثانيـة المهمـة هنا، هـى ضرورة التأكيد عـلى أن نجاح برنامـج التخلى عن الراديكاليـة يرتبـط فى المقـام الأول بالطابق (الافـتراضى) الذى يكـون الفرد قد وصل إليه على سـلم الإرهاب (الافتراضى)، والعملية النفسية المصاحبة للفرد فى هذا الطابق. وعـلى سـبيل المثال البرنامـج الناجح للتخلى عـن الراديكالية فى الطابـق الأول يجب أن يكون مرتبطا بالحالة النفسـية الخاصـة بتحقيق مفهوم العدالة، بالإضافة إلى ضمان قدرة

الفرد على التحرك أو التنقل. أما البرنامج المناسب للأفراد فى الطابق الأخير فيجب أن يركز على التخلى عن الراديكالية بعد الاعتقال، أى عملية إعادة تأهيله للخروج إلى المجتمع مرة أخرى. وفى هذا الخصوص نذكر أن هناك العديد من الدروس التى يمكن الاستفادة منها، من خبرة السلطات الإيطالية، مع إعادة تأهيل أعضاء الألوية الحمراء لمواجهة المجتمع من جديد. (كتانزارو، ١٩٩١). ونريد أن نشير إلى وجود مزيد من التفاصيل بشأن التخلى عن الراديكالية على المستويات المختلفة من السلم الإرهابى، فى الجزء الأساسى من هذا البحث.

وثالثا، فإن هذه البرامج يجب أن تصمم بحيث تأخذ فى الاعتبار أيضا، الأدوار المختلفة التى يقوم بها الفرد داخل المجموعة الإرهابية. وحقيقة الأمر فإن تغير أدوار الأفراد داخل المجموعة باختلاف الطوابق (الافتراضية) على السلم الإرهابى، مسألة لم تول ما يكفى من اهتمام؛ ولذلك وبعد دراسة متعمقة، تناولت عدة منظمات إرهابية، توصلت إلى توصيف تسعة أدوار رئيسية داخل المجموعة. (مغدم، ٢٠٠٦): ١- الملهم (ويلعب دورا رمزيا فى الحركة الإرهابية). ٢-الإستراتيجى، (يقوم بدور التخطيط، والإدارة بشكل فعال)، ٣- منسق خلايا المجموعة (يحاول تحقيق الترابط بين الخلايا الإرهابية المختلفة للمجموعة، وينسق بين الأفراد داخل المجموعة التى تشكل الحركة). ٤- الخبير (الذى يطبق خبرته المعرفية، فى مجالات الاتصالات الإلكترونية والمتفجرات، لتسهيل تنفيذ العمليات الإرهابية). ٥- مدير الخلية (يعمل على استتباب الأمن، والتحقق من كفاءة سير العمل، ويؤمن استمرارية الخلية الإرهابية) ٦- المرشد المحلى (حلقة الاتصال بين المجندين من الإرهابيين الجدد والمسئولين عن عملية التجنيد) ٧- عضو الخلية (يقوم بتقديم خدماته فى مجموعة صغيرة، لتنفيذ الهجمات ومساندة الإرهابيين) ٨- العلف (يستخدم كأداة فى الاعتداءات الإرهابية) ٩- جامع التمويل (يتولى جمع الموارد المالية لمساندة العمليات الإرهابية) وقد تم تصنيف هذه المهام إلى أدوار محددة بناء على عدة معايير: مثل (المكسب الذى يحققه الفرد للشبكة)، الوظيفة، مدة الخدمة، مستوى ونوع الخبرة، الدافع. وقد تعرف (نيسير ٢٠٠٥) على أدوار أخرى داخل الخلية. مثل : «رجل الأعمال» «الطفل البارع» «الفرد غير المتكيف»،

و«كثير التنقل». واقترحنا هنا أن يطور المتخصصون، شكلا جديدا من أشكال التدخل العلاجي يأخذ في الاعتبار هذه الأدوار والتخصصات داخل المجموعة الإرهابية. ونتيجة لمحدودية مكان النقاش هنا، فسوف أعطى الأولوية لخصائص كل مستوى على سلم الإرهاب ويليها في الأهمية، الأدوار المختلفة داخل الخلية الإرهابية. مع التأكيد أن هناك فجوة في هذا المجال، نتمنى أن تعنى بها الأبحاث مستقبلا.

ولابد لبرامج التخلي عن الراديكالية أن تأخذ في اعتبارها أن الأفراد الموجودين على مختلف مستويات سلم الإرهاب، غير موزعين بشكل عشوائي أو بشكل متساو. فالأفراد الذين يقومون بدور الأداة في الهجوم الإرهابي، يعتلون الدور الأخير من الطوابق، وهو طابق النشاط الإرهابي. بينما يمكن لجامعي التمويل أن يبقوا في الطابق الثالث أو الرابع، نتيجة لتبنيهم أفكار مساندة للإرهاب، إلا أنهم غير متورطين فيه بشكل مباشر، بل ليس من المستبعد أن لايكونوا قد شاهدوه، أو لايكونوا على علم بوقوعه أساسا.

النزول من طوابق درج الإرهاب

يساعدنا تصور درج الإرهاب، في تحديد أهداف برامج فك الاشتباك مع الراديكالية التي تقابل كل مستوى من طوابق الإرهاب. ونبدأ من الطابق الأخير، حيث يكون الفرد قد تلقى التدريب الكامل لبدء تنفيذ الأنشطة الإرهابية.

الطابق الخامس

من المؤكد أن الفرد عند هذا المستوى، يكون قد تلقى تدريبا يؤهله لتنفيذ هجوم إرهابي (كعضو فاعل في المجموعة). وعادة ما ينتمي منفذ العملية الإرهابية إلى مجموعة صغيرة، تعمل في جو من السرية التامة، ويتم حثه وحضه على التحرك إلى الهدف الأخير. وهو تنفيذ الهجوم. ومع اقتراب موعد الهجوم فإن الإرهابي يكون على قناعة بضرورة كتابة وصيته، وتحضير فيديو لتوزيعها بعد موته. وطبقا لنظرية الإدراك التنافري، ونظرية النظرة الذاتية، (انظر مغدم، ص ١١٤-١٢٣-١٩٩٨) فإن هذا

الأداء، والاستعداد للوفاة من جانب الانتحارى، يجعل مسألة الرجوع عن رأيه احتمالا غير متصور: أولا، لأنه يكون لديه دافع قوى لمطابقة سلوكه مع معتقداته وتعهداته (طبقا لنظرية الإدراك التنافرى). وثانيا، لأنه بتصرفه كإرهابى، فإن نظرته إلى نفسه تصبح مطابقة تماما لذلك. (طبقا لنظرية النظرة الذاتية).

ومن الطبيعى أن تتأثر البرامج العلاجية لإرهابيى الطابق الخامس، بالدورات الكبرى للاقتصاد، والسياسة والاجتماع. (أندرز وساندلر، ٢٠٠٠) وتتباين أطوال هذه الدورات، فى حين تكون أعمار كثير من الإرهابيين قصيرة، فقد تقل عن السنة. إلا أن هناك دلائل تاريخية تشير إلى اتجاه حياة الإرهابى الدينى؛ لأن تكون أطول أنواع الإرهاب عمرا. (رابوبور، ١٩٩٤).

من العوامل الاقتصادية المؤثرة فى عدد الإرهابيين الذين يصلون إلى الطابق الخامس، حجم السكان وأعمارهم. فى المجتمعات ذات الكثافة العالية فى نسبة الشباب، كما هو الحال فى بلاد الشرق الأوسط والأدنى، حيث تصل نسبة الشباب الأقل من ٢١ عاما إلى ٦٠ ٪ من إجمالى عدد لسكان، يكون لدى المجموعات الإرهابية اختيار كبير من الشباب للتجنيد. حيث يتميز صغار السن من الشباب بالجرأة المطلوبة فى مواجهة المخاطر والإقبال على الهجوم فى معظم المجتمعات.

ولكن كيف تتم عملية التخلى عن الراديكالية بين الذين وصلوا بالفعل إلى الدور الأخير؟

أولا، يمكن أن يتم القبض على الإرهابى، ثم يبدأ فى تلقى تعليم جديد من خلال برامج تعليمية خاصة، تؤهله للتخلى عن الراديكالية. وعلى سبيل المثال، دعمت حكومة اليمن منذ التسعينيات إعداد برامج للتخلى عن الراديكالية الإسلامية. وقد ركزت على الإسلاميين الراديكاليين الذين تم القبض عليهم (تارنبى، ٢٠٠٥). ومن ضمن ما تشتمل عليه هذه البرامج، مناقشات جدالية تعقد بين شيوخ أجلاء يتمتعون باحترام الجميع، وبين الراديكاليين، حول موضوعات ذات أهمية خاصة (مثل معنى الجهاد).

وذلـك بـما يتوافق مع قواعد إجراء الحـوار الذى يحترم الاختلاف بـين جميع الأطراف. وقـد حقـق هـذا البرنامج نسـبة معقولة مـن النجـاح. وإن كان من المحتمـل أن يكون اعـتراف الراديـكالى بأنه قد اقتنع بالفعل نابعا، من رغبتـه فى الحصول على حريته، ليس أكثر. ثانيا، قد تتعرض المجموعة لهجوم من قبل الحكومة، يتسـبب فى إضعاف الشـبكة الإرهابيـة، ممـا يترتب عليـه التخلى عـن الراديكالية. وقد يـؤدى هذا الهجـوم إلى إلقاء القبـض عـلى الزعيم الكاريزمـى للمجموعة أو قتله. وإن كان هذا الاحتمال مسـتبعدا، بالنسـبة لمجموعات الإسـلام الراديكالى الجديدة، المعروفـة بمنهجها اللامركزي. فهى تعتمـد على شـبكة الاتصـال العالمية وليـس على قائد واحـد. . وثالثا، عـدد الإرهابيين الذيـن يصلـون إلى الطابق الأخير قد يتضـاءل نتيجة تحول فى شـبكة العمل. وذلك إما بسـبب الانتهـاء من إنجاز الهدف المحـدد. أو لأن المجموعة الإرهابية قد تم اسـتيعابها داخـل الاتجاه السياسـى العام للدولـة، أو لأن الإرهابيين قد حولـوا المنظمة إلى منظمة ذات أهداف إجرامية بحتة، لا تسعى إلا إلى تحقيق المكسب المادى أو الأرباح العالية.

الطابق الرابع

من يصل إلى الطابق الرابع، يكون بالفعل قد وصل إلى حالة من التسامح مع الإرهاب. وفى هـذه المرحلة من السـهل الوقـوع فى شراك كثير من الناشـطين الإرهابيين أو الداعين والمرشـدين لهذه الشـبكات الإرهابية، حيث يتصيدون هذه العنـاصر الجديدة، ليصبحوا أعضـاء فى الخليـة أو مديريـن لهـا أو خـبراء. ومن يتم تجنيدهـم داخـل المجموعة، حيث يخضعون لعمليات غسـيل أدمغة، لاستيعاب المعتقد الذى تقوم عليه المجموعة ويبدءون تدريجيـا فى التكيف على حياتهم الجديدة فى شـكل خلايا سريـة صغيرة، تتراوح بين أربعة إلى سبعة أعضاء. وتتميز هذ المرحلة من الراديكالية الإرهابية، من الناحية النفسية بتأصل فكرة «نحن» ضد «هم» مع خلع الشرعية على القضية التى تتبناها المجموعة.

من أهم الأسباب المسئولة عن تقلص الحركات الإرهابية سابقا، هى الفشل فى تجنيد عنـاصر جديدة من الشـباب، بالإضافة إلى عدم القدرة على التأثير على العناصر الشـابة

لإقناعهـم بتبنى قضيـة المجموعة. وبما أن تجنيـد العناصر الجديدة يتـم فى هذه المرحلة، فـإن برامـج التخلى عـن الراديكالية يجب أن تعطى أولوياتها للشـباب الـذى وصل إلى هذه المرحلة. كما أنها يجب أن تركز أهدافها على التغييرات النفسـية السـائدة لديه فى هذه المرحلة.

أول هـدف يجب أن يركز على القضاء عـلى فكرة «نحن» ضد «هم» أو فكرة «الخير» ضد «الشر» بمعناها المطلق. وهذا يمكن إنجازه من خلال تجنب الخطاب ذى التصنيف المطلق.الذى أصبح سائدا فى المجتمعات الغربية وغير الغربية على حد السواء. كما لابد من مد الجسور بين مختلف مجموعات المجتمع المتعارضة، من خلال تعريف كل مجموعة بالأخـرى. (أربـين وميلر، ١٩٩٨) وتشـجيع الشـعور بـأن هناك تداخلاً ومسـاحات مشـتركة بـين كل المجموعـات. وأن تحقيق أهـداف المجتمع، يقتضى التعـاون فيما بينها جميعـا. وكذلك التركيز على الأهداف التى تخدم الإنسـانية ككل (كتحديات البيئة التى تواجهها الإنسانية باختلاف مجموعاتها. (تايلور ومغدم، الفصل الثالث، ١٩٩٤).

ثانيا: لابد للبرامج أن تسعى إلى إقناع أفراد المجموعة بعدم شرعية قضية الإرهاب. وقد أجرى قليلا من الأبحاث فى هذا الشأن. مثلا أبحاث فى تبرير وتحليل المجموعات الراديكاليـة للهجـوم عـلى المدنيين العـزل وقتلهم. وحقيقـة الطـرح فى عقيدتهم الذى يسـتندون عليه فى ذلك، إذ إنه، وعلى الرغم من انتشار الراديكالية حديثا فى المجتمعات الإسـلامية، فـإن أغلب المسـلمين، مـا زالوا يعتقـدون أن قتـل المدنيين شـيئًا غير مبرر وغيرأخلاقى.(مركـز بيـو للأبحـاث، ٢٠٠٦). ويطابـق ذلـك نتائج الدراسـات التى أجريـت عـلى الطاعة والالتـزام، منذ أبحاث شريـف فى الثلاثينيـات، وحتى الأبحاث المعـاصرة على يد (مغدم، ٢٠٠٥، الفصل ١٥ و١٦). وقد أعلن كثير من المشـتركين فى الأنشـطة الإرهابية، رفضهم الالتزام بالطاعة فى هذا الأمر، رفضوا الامتثال لما اعتبروه تعاليم خاطئة، ولا تتماشى مع أخلاقيات الدين الحقيقى. ولاشك أن هؤلاء «المتمردين

«وغير الملتزمين»، يمكن أن يشكلوا قاعدة انطلاق، لترشيد هذا التوجه. ولابد أن يقوم بقيـة المسـلمين بدورهم فى نشر هذه التعاليم، التى تروج لإسـلام أكثر تسـامحا، وأشـد معارضة لمهاجمة المدنيين العزل، فى جميع الأحوال.

الطابق الثالث

ويتأكـد فى هذا الطابق، الاتجاه نحو مسـاندة وتأييد كامل للإرهاب، وعلى التوازى لذلك يحدث تخل تدريجى عن الأخلاقيات المعتدلة التى كان الفرد يتميز بها قبل انضمامه للمجموعة. وفى كثير من الأحيان يتم إغواء الشباب إلى تلك الأخلاقيات الجديدة، من خلال فروع اجتماعية للمجموعة. (ساجمان، ٢٠٠٤)؛ لذا فلابد أن تركز إستراتيجيات التخلى عن الإرهاب، إلى جذب الشـباب إلى أنشطة ترتبط بالمجتمع الكبير، خاصة وأن المجتمعـات الإسـلامية تتميز بعـدد ضخم من الشـباب. وعلى الرغم مـن ندرة فرص العمل والتعليم فى المجتمعات الإسلامية، مثل مصر وباكستان، والأردن، فمن الممكن بـذل جهـود كبيرة فى هذا المجال عمليا أو من خلال تغيير النظرة إلى إمكانيات حدوث حراك اجتماعى. فالتجارب البحثية تثبت أن مجرد قناعة الفرد بأن ذلك محتمل، حتى مع تضـاؤل فرص النجاح، يعتـبر عاملا قويا فى تحقيق ثقة الفـرد فى عدالة النظام. (لالوند وسيلفرمان، ١٩٩٤). إن المجتمعات الغربية لديها الإمكانيات المادية التى تضمن توفير فرص التعليم والعمل من خلال توفير المنح الدراسية، فى التعليم وتوسيع قطاع التعليم والتدريب بشكل عام. وبذلك تصنع تأمينا لتحقيق الحراك الاجتماعى للأفراد.

إن عـلى علماء النفس أن يتيحوا فرص المسـاعدة فى تطبيـق برامج توفر فرصًا تدريبية مناسبة لتكوين كفاءات فى مجال علم النفس. (مغدم وتايلور، ١٩٨٦، زيبيان، الامودين، معلوف، وشاتيلا، ٢٠٠٧). وحقيقة الأمر، فإن كثيرًا من الفرص التعليمية المتاحة الآن لتدريب الطلبة على مسـتوى العالم، تصمم بهدف إعداد وتدريب الباحثين أو غيرهـم فى المجـال العملى بالمجتمعات الغربية، ولاتصلـح للتطبيق على غير الغربيين، وخاصة ممن ينتمون للمجتمعات الإسـلامية. (مغدم، ١٩٩٧، الفصل الخامس). والنتيجة الطبيعية

لذلـك، هو عـدم تلقى الخبراء غـير الغربيين ما يتلقـاه زملاؤهم مـن تدريبات وفرص تعليمية. وبالتالى يفشـلون فى المسـاهمة بشـكل بنـاء فى برامج التنميـة المحلية فى بلادهم الأصلية.

الطابق الثانى

ومن يصل من الأفراد إلى الطابق الثانى، فهو غالبا، يكون فى حالة معاناة من إحباط متزايـد. حيث إنه لم يقابل فى سـعيه نحو الحراك الاجتماعى سـوى طرق مسـدودة. كما لم يسـمح لـه بالتعبير عن آرائه الخاصـة باتخاذ قرارات تؤثر فى حياتـه اليومية. ومن أكثر مـا يحبط الأفـراد، عند هذا المسـتوى، هو هويته غـير المكتملة. (مغـدم، ٢٠٠٦). فمن المسـئول عن هذا الإحباط؟ كثير من الباحثين يؤمنون أن الإجابة عن هذا السـؤال على درجة كبيرة من الحيوية، حيث إن الأسـباب المسئولة قد تصبح هدفا لاعتداءات (ميلر، بدرسون، أيرلى واين وبولوك، ٢٠٠٣) مبالغ فيها.

إن اسـتطلاعا دوليـا قـد أوضح أن أسـهم الولايـات المتحدة قـد انخفضت فى نظر المجتمعات الإسلامية. حيث إنها تعتبرها مصدرا لمعظم المشاكل. (مركز بيو للأبحاث، ٢٠٠٦). ففى الفترة بين ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠٦ استمر انخفاض النسبة المئوية التى تعبر عن الشـعور بالتقدير للولايات المتحدة. حيث انخفضت فى إندونيسـيا من ٧٥ إلى ٣٠ وفى تركيـا، مـن ٥٢ إلى ١٢، وفى الأردن مـن ٢٥ فى عـام ٢٠٠٢ إلى ١٥. وقـد لوحظ تزايد طفيـف فى تقديـر الولايات المتحدة فى عام ٢٠٠٦ فى باكسـتان. ولكن فى نفس السـنة، امتد الانخفاض فى التقدير إلى بلاد الاتحاد الأوروبي. فعلى سبيل المثال، النسبة المئوية فى بريطانيا، هبطت من ٨٣ فى عام ٢٠٠٠ إلى ٥٦ فى عام ٢٠٠٦.

و هذا الاتجاه نفسـه، ضد الولايات المتحدة، ينعكس فى ردود أفعال كثير من الدول التـى ترى خطـورة فى الدور المتزايد لهـا فى العراق، حيث يهدد السـلام العالمى أكثر من إيـران.. وطبقا لإندونيسـيا: فإن الولايات المتحدة تمثل خطرا بنسـبة ٣١٪ وإيران ترى نسـبة خطورتها ٧٪، أما مصر فترى خطورتها بنسـبة ٥٦٪، وإيران ١٤٪ والأردن ترى

الخطـورة ٥٨٪ وإيـران ١٩٪ وتركيا تـرى خطورتها ٦٠٪، و باكسـتان ترى خطورتها ٢٨٪، وتركيـا الخطورة ٦٠٪ ومن يـرى أن إيران تمثل خطورة ١٦٪. (والصورة مختلفة وأكثـر تباينا فى بلاد الاتحـاد الأوروبى. حيث ترى بعض الـدول أن إيران تمثل خطورة على السـلام العالمى، أكثر من الولايات المتحدة). وبشـكل عام فقد تم اعتبار الولايات المتحـدة وحلفاءها أصل ومصدر جميع المشـاكل. المحلى منها والـدولى أيضا. خاصة فى دول الشرق الأدنى والأوسـط. فمشاكل الفساد والحكم المستبد والمشاكل الاقتصادية، وقصور الصحة، تنسـب أيضا إلى الولايات المتحدة وحلفائها. وهذه السياسـة يستغلها الحـكام المسـتبدون والمحيطون بهم من مفسـدين. حيث إنهم يشـجعون مواطنيهم على توجيـه هذا الشـعور السـلبى إلى الولايـات المتحدة. بالطبـع على الولايـات المتحدة أن تتحمل مسـئولية سياسـيتها فى المنطقـة. إلا أن البرامج يجب أن توجـه الأفراد أيضا، إلى حقيقة الفساد الداخلى، الذى تتحمل الحكومات المحلية، الشق الأساسى منه.

الطابق الأول

إن البحث وراء فرص التقدم وتحقيق الحراك الاجتماعى، والقدرة على اتخاذ القرارت الحاسـمة فى الأمور المهمة فى حياة الأفراد، هـى التى تقود الأفراد إلى الطابق الأول على درج الإرهاب. ورغم أن هذه أولى الخطوات فى اتجاه تكوين الفكر والمسلك الراديكالى، فـإن الأفـراد فى هـذا الطابق لا يكونون بعد فى طور يسـمح لهم بمسـاندة الإرهاب، إن بالمواقف أو بالتصرفات. حيث يكونون لايزالون فى مرحلة البحث عن سـبل ووسـائل تحسـين حياتهـم والقدرة عـلى التعبير عن أنفسـهم. كما أنهم فى هذه المرحلـة لا يعتبرون أنفسهم راديكاليين.

إن برامـج تخلى الأفراد عن الراديكالية، فى هذه المرحلة من الطابق الأول، لابد أن تركز على الثقافة والتعليم والبرامج السياسية بشكل عام. ويتأتى ذلك من خلال نشر برامج وأنشـطة الثقافة العامة، فى مختلف مؤسسات الدولة، حتى يمكن أن تستوعب أكبر قدر من الشباب. ومنها الفنون والحرف الشعبية، كصناعة الأكلمة والسجاجيد

اليدوية أو فنون العمارة. أما على المستوى التعليمى، فكثير من الجهود يجب توجيهها، لإقامة مؤسسات ومعاهد تدريبية، بدلا من الاعتماد على الخبرة الغربية وحدها فى التعليم. وأما على المستوى السياسى، فلابد من نشر التوعية بالتقاليد الشعبية السائدة بالمجتمعات الإسلامية. لزيادة المشاركة السياسية والنهوض بحرية تعبير الشباب عن آرائه. (انظر: مناقشة التقاليد الديمقراطية للشيعة فى مغدم، ٢٠٠٦، الفصل العاشر).

الطابق الأرضى، والحالة النفسية للمواطن

لاشك أن برامج فك الاشتباك مع الراديكالية تعمل بكفاءة أكثر عند تحديدنا الهدف عند كل مرحلة (طابق). فإذا تكلمنا عن الطابق الأرضى، حيث توجد الأغلبية من الأفراد، فإن هدف البرامج النفسية لايجب أن يقتصر على محاولة إحداث تغير على المستوى العام وحده، Macro level أى من القمة إلى أسفل، حيث الحلول الاقتصادية والسياسية العامة، كوسيلة لتحقيق التغير الاجتماعى المنشود للأفراد.إذ لا يعتبر ذلك كافيا. إن طريقة أو أسلوب التفكير والعمل اليومى، والمعايير التى تتحكم فى العلاقات الاجتماعية، يمكن أن تجهض سياسات من القمة للأسفل أو Macro level.. وهذا يفسر لنا ما يعرف «بتناقض الثورة»، حيث تصنع الثورات تغيرات على مستوى القمة، ولكن ليس بالضرورة على المستوى الأقل أو ما يعرف بـ Micro level من القاع للأسفل. والتى تعنى بمشاكل الحياة اليومية للأفراد. (مغدم، ٢٠٠٢، خاصة الفصل الثانى).

إن خللاً ما قد حدث نتيجة الاهتمام بسياسات القمة وحدها، والذى انعكس بدوره فى التعويل على الإجراءات النفسية والاجتماعية لإحداث التغير الاجتماعى والعدالة والديمقراطية. (فينكل ومغدم، ٢٠٠٤، سنيدرمان، فليتشر، ورسل، وتيلوك، ١٩٩٦، سوليفان وترانسو، ١٩٩٩، تيلوك، ١٩٩٨) بالإضافة إلى فتح باب واسع لمناقشة العلاقة بين الإسلام والديمقراطية (هانتر وماليك، ٢٠٠٥، روئ، ٢٠٠٤، صديقى،

٢٠٠٤). إلا أن الأمر يتطلب مزيدًا من الأبحاث فى مجال نفسية الفرد عند مستوى الطابق الأرضى من المجتمعات الإسلامية. وماهية التغيرات النفسية المطلوبة لتفاعل الأفراد المجتمعى من أجل تحقيق نظام سياسي أكثر انفتاحا وعدالة.

وحتى يستطيع المواطن أن يتكيف مع أى نظام سياسى، فيصبح مواطنا منتجا ويواصل حياته العملية فى ظل هذا النظام، لابد أن يتكيف على ذلك نفسيا بما ينعكس على المستوى الفكرى أوعلى مستوى السلوك والتصرفات. على سبيل المثال، فإن المواطن الذى يطلب منه المحافظة على نظام ديكتاتورى، يجب أن يتعامل معه بسمات الطاعة المطلقة والالتزام، إلى جانب الخنوع والتبعية التامة لنظام شديد المركزية. قد يستمر لمدى الحياة فى بعض الأحيان. والأمر يختلف جذريا بالنسبة للمواطن فى ظل النظام الديمقراطى، حيث يتمتع بحرية توجيه النقد لقرارات الحاكم، كما يشترك فى صنع القرارات. ويكون دائما على استعداد للرفض والمعارضة ومحاسبة من هم فى السلطة فى سبيل مصلحة المجتمع. كما أن المواطن فى الديمقراطيات يطالب بمبدأ تداول السلطة ويعارض مبدأ بقاء الحكام فى السلطة مدى الحياة. ويحاول تقليص سرية قرارات الحكومة بقدر ما استطاع. وذلك بعكس ما يحدث من احتكار الحكومة للمعلومات فى ظل سيادة الحكم المطلق.

يرى علماء النفس أن التدخل فى عملية اتخاذ القرارات، يمكن أن يلعب دورا بناء فى الحالة النفسية للمواطن. (تايلر وهيو، ٢٠٠٢)، خاصة فيما يتعلق ببناء الثقة، التى تشكل حجر الزاوية فى تأسيس الديمقراطية. (وارين، ١٩٩٩). أثبتت التجارب أن مواطنى الشرق الأدنى والأوسط، يحتاجون لمساعدة خاصة لتشجيعهم على ضرورة التدخل فى عملية صنع القرارات.(فيجوتسكى، وانظر: مغدم، الفصل ١٠، ٢٠٠٥) وقد نجحت بالفعل تجارب علماء النفس فى بناء دعائم الديمقراطية فى مجتمعات مثل دول أمريكا اللاتيبة. (سانشيز، ١٩٩٦).التى كانت تعانى من غياب تام للديمتراطية.

الصفات النفسية والمعايير العالمية

حالة الاحتياج إلى الهوية

استعرضنا سمات أساسية للمواطن فى ظل أنظمة سياسية مختلفة، مثل النظام الديكتاتوري، أو النظام الديمقراطى. وتؤكد أبحاث علم النفس أهمية اكتساب معايير عالمية للهوية. ومطلوب توافرها فى هوية الأفراد فى جميع ثقافات العالم. فالهوية الإيجابية والمتميزة موجودة عبر مختلف الثقافات، وتؤثر على الأفراد بشكل قوى، خاصة فى مجال التواصل بين المجموعات (مغدم، ٢٠٠٦).لقد تأكد أنه من خلال تدريب الشباب على الحصول على التقدير الاجتماعى، ومحاولة إنجاز أهداف إيجابية، فضلا عن تحقيق التميز (طبقا لمعايير المجتمع وأخلاقياته) من شأنه أن يحقق للمجتمعات الإنسانية المختلفة حدا أدنى من معايير الالتزام والطاعة، السائدة فى كل المجتمعات، يترتب عليها، أداء جماعى أكثر فعالية فى ظل الإمكانيات المتاحة.

وحينما يسعى الأفراد إلى التواصل فيما بينهم، تثرى هويتهم وتنصهر داخل هوية المجتمع الكبير. ورغم وجود معايير عالمية للحكم على الهوية، إلا أن هناك اختلافات فى تقييم مدى كفايتها، وفقا لاختلاف القيم من مجتمع لآخر نتيجة لتباين الثقافات السائدة. وعلى سبيل المثال، فتقييم الأفراد الذين ينتمون للخلية الإرهابية الصغيرة، فى الطابق الرابع والخامس (على سلم الإرهاب)، يتأثر بحجم النشاط الذى يبذل فى مساندة الإرهاب، بشكل تصاعدى.فالإطار المعيارى السائد داخل هذه الخلايا وتأثيروجود قائد «كاريزمى»، هو الذى يدفع المجندين من الشباب، لارتكاب الاعتداءات الإرهابية، إرضاء لاحتياجات الهوية. ونحن نحتاج ولاشك، فضلا عن ضرورة التخطيط، للقبض على تلك الخلايا أو تدميرها، برامج طويلة المدى، بهدف التأثير على المعايير السائدة لتقييم الهوية لمواطنى الطابق الأرضى من المبنى. حيث يوجد أغلب الناس.

تعليق ختامى

طبقا لتصورنا للدرج الإرهابى، فإن الحاجة ملحة إلى أسلوب متعدد الجوانب لحث الأفراد على التخلى عن الراديكالية، مع الوضع فى الاعتبار ضرورة تطبيق برامج قصيرة وطويلة المدى لاستهداف الأفراد فى مختلف الطوابق وباختلاف أدوارهم فى كل طابق. ففى المدى الطويل يجب أن يعطى التركيز والأولوية لمئات الملايين من الأفراد فى الطابق الأرضى. ورغم أن الاستطلاعات العالمية الأخيرة تشير إلى أن كثيرا من الشباب المسلم قد تبنى المنهج الراديكالي عند المستوى الأرضى، فى العقد الأول من القرن الحادى والعشرين، إلا أننا نأمل ولدينا ما يدعم هذه الآمال، أنه فى الإمكان بالفعل، التخلى عن الراديكالية سريعا. إن برامج فك الاشتباك مع الراديكالية، تكون، كما أشرنا من قبل، أكثر كفاءة إذا طبقت مزيجا من سياستى من القمة إلى القاع The Macro Level ومن القاع إلى القمة The Micro level. ولاشك أن علم النفس قادر على تصميم سياسات أكثر كفاءة بفضل هذا المزج.

وأخيرا فلابد أن تسد أبحاث المستقبل عددا من الفجوات التى اشتمل عليها هذا النقاش.

فلابد من تصميم، برامج نفسية، تقابل كلاً من التخصصات التسع أو الأدوار التى تم رصدها للأفراد داخل المنظمات الإرهابية. إلى جانب اللجوء إلى أنواع أخرى من التدخلات المقترحة. هناك أيضا الحاجة إلى مزيد من الأبحاث الخاصة باستكشاف السمات والملامح الأخلاقية المختلفة للفرد على مختلف مستويات سلم الإرهاب، بالإضافة إلى رصد التغيرات التى تطرأ عليه إذا تحرك من طابق إلى آخر صعوداً أو نزولا.

وأخير، فإن أبحاث المستقبل يجب أن تتناول مجال المقارنة بين مختلف العمليات المصاحبة لاكتساب الراديكالية أو التخلى عنها، بين الأفراد والمجموعات.

المراجع

Alexander, Y. (2002). *Combating terrorism: Strategies of ten countries.* Ann Arbor, MI: University of Michigan Press.

Art, R. J., & Richardson, L. (2007). *Democracy and counterterrorism.* Washington, DC: United States Institute of Peace.

Balfour, S. (Ed.) (2005). *The politics of contemporary Spain.* London: Routledge.

Bernard, C. (Ed.) (2005). *A future for the young: Options for helping Middle Eastern youth escape the trap of radicalization.* Santa Monica, CA: RAND Corporation.

Bloom, M. (2005). *Dying to kill: The allure of suicide terror.* New York: Columbia University Press.

Bongar, B., Brown, L. M., Beutler, L. E., Breckenridge, J. N., & Zimbardo, P. (Eds) (2006). *Psychology of terrorism.* New York: Oxford University Press.

Catanzaro, R. (Ed.) (1991). *The Red Brigades and left-wing terrorism in Italy.* London: Pinter.

Coogan, T. P. (2002). *The IRA.* New York: Palgrave.

Crenshaw, M. (1991). How terrorism declines. *Terrorism and Political Violence, 3,* 69–87.

Crenshaw, M. (Ed.) (1995). *Terrorism in context.* University Park: Pennsylvania University Press.

Cronin, A. K. (2006). How al-Qaida ends: The decline and demise of terrorist groups. *International Security, 31,* 7–48.

Danieli, Y., Brom, D., & Waizer, J. (Eds) (2005). *The trauma of terror: Sharing knowledge and sharing care.* New York: Haworth Press.

Enders, W., & Sandler, T. (2000). Is transnational terrorism becoming more threatening? A time-series investigation. *Journal of Conflict Resolution, 44,* 307–332.

Finkel, N., & Moghaddam, F. M. (Eds) (2004). *The psychology of rights and duties: Empirical contributions and normative commentaries.* Washington, DC: American Psychological Association Press.

Grossman, D. (1995). *On killing: The psychological cost of learning to kill in war and society.* New York: Little Brown.

Haddock, G. (Ed.) (2004). *Contemporary perspectives on the psychology of attitudes.* Hove, England: Psychology Press.

Horgan, J. (2005). *The psychology of terrorism.* London: Routledge.

Hunter, S. T., & Malik, H. (Eds) (2005). *Modernization, democracy, and Islam*. Westport, CT: Praeger.

Khosrokhavar, F. (2005). *Suicide bombers: Allah's new martyrs* (Trans. D. Macey). London: Pluto Press.

Lalonde, R. N., & Silverman, R. A. (1994). Behavioral preferences in response to social injustice: The effects of group permeability and social identity salience. *Journal of Personality and Social Psychology, 66*, 78–85.

LaPiere, R. T. (1934). Attitude and actions. *Social Forces, 13*, 230–237.

Linenthal, E. T. (2001). *The unfinished bombing: Oklahoma City in American memory*. New York: Oxford University Press.

Lorenz, K. (1966). *On aggression* (Trans. M. Wilson). New York: Harcourt, Brace & World.

McDermott, T. (2005). *Perfect soldiers: The hijackers – who they were, why they did it*. New York: HarperCollins.

Milgram, S. (1974). *Obedience to authority: An experimental view*. New York: Harper & Row.

Miller, N., Pederson, W. C., Earlywine, M., & Pollock, V. E. (2003). A theoretical model of triggered displaced aggression. *Personality and Social Psychology Review, 7*, 75–97.

Moghaddam, F. M. (1997). *The specialized society: The plight of the individual in an age of individualism*. Westport, CT: Praeger.

Moghaddam, F. M. (1998). *Social psychology: Exploring universals in social behavior*. New York: Freeman.

Moghaddam, F. M. (2002). *The individual and society: A cultural integration*. New York: Worth.

Moghaddam, F. M. (2005a). The staircase to terrorism: A psychological exploration. *American Psychologist, 60*, 161–169.

Moghaddam, F. M. (2005b). *Great ideas in psychology: A cultural and historical introduction*. Oxford: Oneworld.

Moghaddam, F. M. (2006a). *From the terrorists' point of view: What they experience and why they come to destroy*. Westport, CT: Praeger Security International.

Moghaddam, F. M. (2006b). Interobjectivity: The collective roots of individual consciousness and social identity. In T. Postmes, & J. Jetten (Eds), *Individuality and the group: Advances in social identity* (pp. 155–174). London: Sage.

Moghaddam, F. M. (2008). *Multiculturalism and intergroup relations: Psychological implications for democracy in global context*. Washington, DC: American Psychological Association Press.

Moghaddam, F. M., & Marsella, A. J. (Eds) (2004). *Understanding terrorism: Psychosocial roots, consequences, and interventions*. Washington, DC: American Psychological Association Press.

Moghaddam, F. M., & Taylor, D. M. (1986). What constitutes an 'appropriate psychology' for the developing world? *International Journal of Psychology, 21*, 253–267.

Nesser, P. (2005). Profiles of Jihadist terrorists in Europe. In C. Bernard (Ed.), *A future for the young: Options for helping Middle Eastern youth escape the trap of radicalization* (pp. 31–49). Santa Monica, CA: RAND Corporation.

Oliver, A. M., & Steinberg, P. F. (2005). *The road to Martyr's Square: A journey into the world of the suicide bomber*. New York: Oxford University Press.

Pape, R. A. (2005). *Dying to win: The strategic logic of suicide bombing*. New York: Random House.

Pedahzur, A. (2005). *Suicide terrorism*. London: Polity Press.

Perlez, J. (2007). Seeking terror's causes, Europe looks within. *The New York Times*, September 11, p. A6.

Pew Research Center (2006). *Conflicting views in a divided world: How global public views Muslim-Western relations, global issues, U.S. role in the world, Asian rivalries*. Washington, DC: Author.

Rapoport, D. C. (1984). Fear and trembling: Terrorism in three religious traditions. *American Political Science Review, 78*, 658–677.

Ro'i, Y. (Ed.) (2004). *Democracy and pluralism in Muslim Eurasia*. London: Frank Cass.

Ross, J. I., & Gurr, T. R. (1989). Why terrorism subsides: A comparative study of Canada and the United States. *Comparative Politics, 21*, 405–426.

Sadiki, L. (2004). *The search for Arab democracy: Discourses and counter-discourses*. London: Hurst.

Sageman, M. (2004). *Understanding terror networks*. Pennsylvania: University of Pennsylvania Press.

Sanchez, E. (1996). The Latin American experience in community social psychology. In S. C. Carr, & J. F. Schumaker (Eds), *Psychology and the developing world* (pp. 119–129). Westport, CT: Praeger.

Sniderman, P. M., Fletcher, J., Russell, P., & Tetlock, P. E. (1996). *The clash of rights: Liberty, equality, and legitimacy in liberal democracy*. New Haven: Yale University Press.

Sprinzak, E. (1998). The psychopolitical formation of extreme left terrorism in a democracy: The case of the Weathermen. In W. Reich (Ed.), *Origins of terrorism: Psychologies, ideologies, theologies, and states of mind* (pp. 65–85). Washington, DC: Woodrow Wilson Center Press.

Stout, C. E. (Ed.) (2002). *The psychology of terrorism* (4 vols). Westport, CT: Praeger.

Sullivan, J. L., & Transue, J. E. (1999). The psychological underpinnings of democracy: A selective review of research on political tolerance, interpersonal trust, and social capital. *Annual Review of Psychology, 50*, 625–650.

Taarnby, M. (2005). Yemen's committee for dialogue: The relativity of a counter terrorism success. In C. Bernard (Ed.), *A future for the young: Options for helping Middle Eastern youth escape the trap of radicalization* (pp. 129–139). Santa Monica, CA: RAND Corporation.

Takeyh, R., & Gvosdev, N. (2002). Do terrorist networks need a home? *Washington Quarterly, 25*, 97–108.

Taylor, D. M., & Moghaddam, F. M. (1994). *Theories of intergroup relations: International social psychological perspectives* (2nd ed.) Westport, CT: Praeger.

Tetlock, P. E. (1998). The ever-shifting psychological foundations of democratic theory: Do citizens have the right stuff? *Critical Review*, *12*, 545–561.

Tucker, R. C. (1967). The de-radicalization of Marxist movements. *The American Political Science Review*, *61*, 343–358.

Tyler, T. R., & Huo, Y. J. (2002). *Trust in the law*. New York: Russell Sage Foundation.

United States Institute of Peace (1999). *How terrorism ends*. Special Report No. 48. Washington, DC: Author.

Urban, L. M., & Miller, N. (1998). A theoretical analysis of crossed categorization effects: A meta analysis. *Journal of Personality and Social Psychology*, *74*, 894–908.

Von Hippel, K. (Ed.) (2007). *Europe confronts terrorism*. New York: Palgrave Macmillan.

Warren, M. E. (Ed.) (1999). *Democracy and trust*. Cambridge, UK: Cambridge University Press.

Zebian, S., Alamuddin, R., Maalouf, M., & Chatila, Y. (2007). Developing an appropriate psychology through culturally sensitive research practices in the Arab-speaking world: A content analysis of psychological research published between 1950 and 2004. *Journal of Cross-Cultural Psychology*, *38*, 91–122.

Zimbardo, P. (2007). *The Lucifer effect: Understanding how good people turn evil*. New York: Random House.

المحرر فى سطور:

ديفيد كانتر

أستاذ علم نفس، ومدير المركز الدولى للأبحاث الخاصة بالتحقيقات النفسية بجامعة هادرسفيلد. وهو مؤسس صحيفة ويلى للتحقيقات النفسية الخاصة والصفات الشخصية للمجرمين.. وقد عمل فى هذا المجال مع قوات البوليس حول العالم. مساهما فى نشأة هذا الفرع المعروف بالتحقيقات النفسية. مما مهد الطريق لإجراء دراسات دقيقة ومفصلة عن الإرهابيين.

ومنذ عام ١٩٨٦، أسهم البروفسور كانتر فى أكثر من ١٥٠ تحقيقا لجرائم متنوعة حول العالم. وقد حصل مؤخرا على الزمالة الشرفية. BPS، كما حصدت كتبه الآتية جوائز مهمة: «ظلال إجرامية: داخل رأس قاتل بالجملة» (١٩٩٥). و«تخطيط للقتل: أسرار تحديد الشخصية الإجرامية جغرافيا».

المساهمون فى سطور:

١ - كيفين برجيسون:

حاصـل على درجة الدكتوراه، وأسـتاذ مسـاعد بقسـم العدالة الجنائية بكلية سـالم، حيـث يقوم بتدريس فصـول تتناول التحقيقـات الخاصة بمسرح الجريمـة، والصفات الشـخصية للقاتـل، إلى جانـب الجرائم المتحيزة. وقـد ظهرت أعمالـه بجريدة الاجتماع التطبيقى Journal of applied Sociology ودورية ميتشـيجان للاجتماع Michigan Sociological review ودوريـة علـوم السـلوكيات American Behavioral Science. وقـد اشـترك فى تحرير كتاب «الإرهاب فى أمريـكا» (للناشر جونز وبارلت، ٢٠٠٨).

٢ - مارى برنسون:

تعـد رسـالة الدكتـوراه بقسـم الاتصالات بجامعـة كاليفورنيا، بسـانتا بربـرا. وقد حصلت على بكالوريوس فى العلوم السياسية والاتصالات من جامعة لويولا بشيكاغو، كـما حصلـت على درجـة الماجسـتير فى الاتصـالات من جامعة سـانت لويـس. وتركز أبحاثهـا على مجال الإعلام والاتصال بـين الثقافات المتعددة. وقد نشرت أعمالها بدورية الدراسـات العربية إلى جانب دورية هارفـرد Harvard Asian Pacific Review. كما قدمت أعمالها بمؤتمرات خاصة بالاتصالات ودراسات الشرق الأوسط. وتركز رسالتها «المسلمون فى الإعلام: نتائج اجتماعية لمسلمى الولايات المتحدة الأمريكية». على مدى تأثر مسلمى أمريكا بصورتهم فى وسائل الإعلام المختلفة. من ناحية احترامهم لذاتهم، وهو يتهم وأنماط اكتسابهم لثقافة جديدة.

٣ - مارك بورجس:

يعمل محاضرا بجامعة أكسفورد بروكس بالمملكة المتحدة. وقد تخصص فى علم النفس الاجتماعى للتحدى. وقد قام بعدة تجارب معملية. كما سبق له القيام بتحقيقات وإجراء مقابلات مع أفراد اتسموا بالعنف ومع أفراد عاديين، من شتى أنحاء أوروبا وأمريكا الشمالية. وأهم مجالات أبحاثه يتناول طرق إجراء المقابلات.

٤ - ديفيد كانتر:

أستاذ علم نفس بجامعة هادرسفيلد بالمملكة المتحدة، حيث يدير المركز الدولى لعلم النفس الخاص بالتحقيقات. وهو معروف عالميا بجهوده فى مجال تطوير علم النفس التطبيقى وإعداد تقارير دقيقة، تتناول الصفات الشخصية لمرتكبى الجرائم. وقد أعد أبحاثا عديدة تخدم مجال التحقيقات. و بدأ هذا الطريق، من خلال عمله فى مجال علم نفس البيئة ودراسة تصرفات وسلوكيات الأفراد أثناء الحرائق وغيرها من حالات الطوارئ.

تميز إنتاجه بالغزارة فى مجالات عديدة لعلم النفسى الاجتماعى التطبيقى. وتم اختباره متحدثا أساسيا فى عدة مؤتمرات دولية. كما سبق له أن كان مستشارا فى تحقيقات عديدة وقضايا محاكم وتحقيقات حكومية. وهو يكتب بصحف معروفة ويساهم فى العديد من الأفلام الوثائقية.

٥ - نيل فيرجسون:

مدير مركز ديزموند توتو للحرب والسلام، وأستاذ مساعد لعلم النفس السياسى بجامعة ليفربول هوب. وكان محاضرا زائرا بجامعة لوك هيفن ببنسلفينيا وبجامعة يورك. كما كان باحثا بجامعة سانت أندروز، ومحاضرا بجامعة ألستر قبل انضمامه إلى جامعة ليفربول هوب عام ١٩٩٦ . تتناول أبحاثه وكتاباته، التطور النفسى إلى جانب

موضوعات أخرى فى مجال علم النفس السياسى. وحاليا يعمل مديرا لمؤسسة موزايك. كما يقدم خدمات لمجلس المجتمع الدولى لعلم النفس السياسى. وهو عضو بمجلس التحرير لصحيفة التربية النفسية وللصحيفة الأيرلندية لعلم النفس.

٦ - ديباك.ك.جوبتا:

هو البروفسور فريد. ج. هانسن المتخصص فى دراسات السلام. أستاذ بارز فى العلوم السياسية. ومدير برنامج الأمن الدولى وإدارة الأزمات بجامعة سانت دييجو. وقد ألف ثمانية كتب وما يربو عن مائة مقال تم نشرها بصحف متخصصة، كما تم تحريرها بعدة مجلدات وصحف.

٧ - دكتور جون هورجان:

مدير المركز الدولى لدراسة الإرهاب بجامعة بنسلفينيا، حيث يعمل أستاذا مساعدا للعلوم والتكنولوجيا والمجتمع. وكان من قبل باحثا أول بجامعة سانت أندروز وذلك بمركز دراسات الإرهاب والعنف السياسى بإسكتلندا، حيث ما زال يحتفظ بمركز شرفى. ومن مؤلفاته «علم نفس الإرهاب» (٢٠٠٥) و«مستقبل الإرهاب» (١٩٩٩ بالاشتراك مع ماكس تايلور) و«نبذ الإرهاب: فك الاشتباك الفردى والجماعى» (٢٠٠٩ بالاشتراك مع تور بجورجو). آخر كتبه «هجر الإرهاب: عن فك الاشتباك مع حركات التطرف والأصولية» وقد تم نشره فى يونيو ٢٠٠٩.

٨ - جورج كاسيميرس:

باحث أول فى مجال الإرهاب والأزمات بجامعة ولفرتهامتون. ومؤلف كتاب «آخر الإرهابيين الحمر بأوروبا»، وهو أول كتاب يتناول مجموعة ١٧ نوفمبر (أصدرته جامعة نيويورك). وقد قام بتحرير كتاب «بربرية الحروب» (أصدرته جامعة نيويورك). وكذلك السياسة والإرهاب: دليل المستخدم (أصدرته جامعة كولومبيا).

٩ - فتحالى.م.موغدم:

أستاذ بقسم علم النفس ومدير برنامج إدارة الأزمات بالقسم التابع للحكومة بجامعة جورج تاون. وزميل Senior Fellow بمركز ستانفورد للتعليم والأبحاث الخاصة بالإرهاب. ومن أحدث كتبه: «تباين الثقافات والعلاقة بين المجموعات: النتائج النفسية لتطبيق الديمقراطية فى سياق عالمى» (اب ٢٠٠٨١) و«إدارة الأزمات العالمية من خلال التحليل» Global Conflict Resolution through Positioning Analysis. (سبرينجر ٢٠٠٨ بالاشتراك مع هارى وناومى لى) وكذلك «كيف تحفز العولمة الإرهاب» How Globalization Spurs Terrorism (بريجر، ٢٠٠٨). وكتابه القادم هو «ظاهرة نقص الأمان بعالمنا الجديد» (بريجر، ٢٠١٠).

١٠ - سام مولينز:

حصل على درجة الماجستير فى علم النفس من جامعة جلاسجو، وذلك قبل حصوله على ماجستير بدرجة امتياز فى علم النفس الخاص بالتحقيقات. من جامعة ليفربول بالمملكة المتحدة. ويقوم حاليا بأبحاث للحصول على درجة الدكتوراه. تتناول الإرهاب الإسلامى ونشأته المحلية Homegrown Islamist terrorism. وذلك بمركز منع الجرائم خارج الوطن the Center for Transnational Crime Prevention، بجامعة ولونجونج بأستراليا. وقد نشرت له أعمال عن الإرهاب والجريمة وتنظيم الأمن بالمجتمع.

١١ - أفرارد فيلبس:

يقوم بإعداد درجة الدكتوراه بجامعة ليفربول. وتتناول أبحاثه موضوع السلوك الابتزازى لجرائم الاختطاف. وهو متخصص فى الملامح الشخصية المسئولة عن جرائم قتل الرهائن. وكذلك وسائل تفاوض المختطفين للحصول على الفدية. كما تغطى أبحاثه جرائم الاختطاف المعاصرة ذات الدوافع السياسية. كما هو الحال فى العراق وأفغانستان. وإن كانت نقطة تركيزه الأساسية تتناول سلوكيات التنظيمات التى تمارس عمليات

الاختطاف بشكل منتظم فى كل من أمريكا اللاتينية وجنوب شرق آسيا وغرب أفريقيا. وقد تخاطب أفرارد مع فئات مختلفة من الجماهير فى هذا الموضوع. ضمت دبلوماسيين وعسكريين والعديد من المنظمات الدولية الخاصة بالأمن والمخاطر.

١٢ - جيفرى إيان روس:

أستاذ مساعد بقسم علم الجريمة والعدالة والدراسات الجنائية. وزميل بالمركز الدولى والقانون المقارن بجامعة بالتيمور. وقد قام بأبحاث وألف كتبا، كما حاضر عن الأمن القومى والعنف السياسى والجريمة السياسية وجرائم العنف والإجراءات العقابية وتنظيم المجتمع لأكثر من عقدين. وقد تم نشر أعماله فى عدة مجلات أكاديمية وكتب. وغيرها من إصدارات معروفة. كما نشرت له عدة كتب فى مجال تخصصه. فضلا عن مساهمته أيضا فى العديد من وسائل الإعلام المرئية والمكتوبة. وقد عمل مستشارا لعدد من الهيئات الحكومية والمنظمات التجارية.

١٣ - سودهانشو سارانجى:

ضابط برتبة عليا بالشرطة فى الهند. وحاليا على رأس وحدة مكافحة الإرهاب فى ولاية أوريسا الشرقية بصفته مفتشًا عامًا للبوليس بقسم العمليات. ولديه باع طويل فى التعامل مع تطرف الجناح اليسارى. ومستر سارانجى طالب سابق بجامعات بريطانيا، ويعد حاليا رسالة الدكتوراه ويشرف عليها البروفسور ديفيد كانتر، وتتناول العوامل النفسية المؤدية إلى الجهاد العسكرى.

١٤ - مايكل ستول:

أستاذ ورئيس قسم الاتصالات وأستاذ العلوم السياسية بجامعة كاليفورنيا بسانتا بربارة. ويركز بحثه على وسائل الاتصال السياسى والعلاقات الدولية، ويهتم بصفة خاصة بمسألة العنف السياسى والإرهاب وحقوق الإنسان. وقد ألف أو ساهم فى تأليف أكثر من مائة مقال بمجلات أكاديمية. إلى جانب كتابة فصول للعديد من

الكتب. وقام بتأليف أو الاشتراك فى تحرير اثنى عشر كتابا. وهو حاليا محقق دولى لمجلس الأبحاث الأسترالى. وهو مركز يقوم بتنظيم الأمن فى المجتمع، وذلك بالاشتراك مع جامعة أستراليا الوطنية وجامعة جريفيث.

١٥ - أماندا م.شارب باركر:

طالبة دكتوراه فى علم الجريمة بجامعة جنوب فلوريدا بتامبا. وقد حصلت على شهادة البكالوريوس ودرجة الماجستير فى علم العدالة الجنائية من جامعة كارولينا الشرقية بجرينفيل بكارولينا الشمالية. وتشمل موضوعات بحثها، التهديد الإرهابى، خاصة عبر شبكة الإنترنت وأسباب الإرهاب واتجاهات الإرهاب خارج حدود البلاد. وقد قامت بتقديم تلك الموضوعات من خلال إلقاء المحاضرات عبر الولايات المتحدة وإنجلترا وإسبانيا وبولندا وشمال أيرلندا.

١٦ - د. ألكس ب. شميدت:

مدير مبادرة أبحاث الإرهاب (TRI) ورئيس تحرير المجلة الإلكترونية « وجهات نظر عن الإرهاب» . وأثناء حياته المهنية عمل بثمانى جامعات، كما عمل بالأمم المتحدة ،حيث ترأس فرع منع الإرهاب. وحتى ٢٠٠٩ كان مديرا لمركز دراسات الإرهاب والعنف السياسى بجامعة سانت أندروز .وهو عضو مراسل لأكاديمية هولندا الملكية للعلوم. ويقيم حاليا بالنمسا، حيث يستكمل كتابا عن أبحاث الإرهاب.

١٧ - كليف وليمز:

خبير عن الإرهاب والعنف ذى الدوافع السياسية. عمل فى حياته المهنية بالمخابرات الحربية بأستراليا وبسياسة الدفاع الإستراتيجية بأستراليا والمخابرات. وقد عمل فى قضايا تتعلق بالإرهاب منذ ١٩٨٠ . وخلال الثلاث سنوات الأخيرة عمل كأستاذ زائر بجامعة كاليفورنيا وجامعة جورج واشنطن. وفى عام ٢٠٠٦ عين أستاذا مساعدا بمركز ماكوير الجامعى للمخابرات ومكافحة الإرهاب.بسيدنى (PICT) كما كان أستاذا زائرا بأكاديمية قوات الدفاع الأسترالية. وهو عضو بمنظمة مديرى الشرطة

(IACP) والمنظمة الدولية للفنيين العاملين فى مجال القنابل والمحققين. (IABTI) وكذلك المعهد الأسترالى لضباط المخابرات (AIPIO) ..

١٨ - روبن ماريا فاليرى:

حاصلة على درجة دكتوراه. وقد حصلت أولا على شهادة البكاليوريوس فى علم النفس والاقتصاد من جامعة كورنيل، وعلى درجة الماجستير والدكتوراه فى علم النفس من جامعة سيراكوز. وتعمل حاليا أستاذة علم نفس بجامعة بونافونتير. وقد تم نشر أعمالها بعدة مجلات خاصة بعلم النفس والاجتماع مثل المجلة الأمريكية العلمية للسلوكيات ومجلة علم النفس الاجتماعى التطبيقى ومجلة الاجتماع التطبيقى. ودورية متشيجان للاجتماع. والمجتمع والحيوانات Society and Animals.

١٩ - د. مايكل فشنيفسكى:

يعمل محاضرًا غير متفرغ فى علم الجريمة بجامعة سالفورد بالمملكة المتحدة، وهو منسق لمركز جامعة سالفورد الخاص بدراسات السجون (www.sucps.salford. ac.uk) وحصل على درجة الدكتوراه فى علم الجريمة من جامعة كييل بالمملكة المتحدة. وكان عنوان رسالته «دراسة اجتماعية تاريخية عن ظهور وتطور شبكات الإرهاب فى مرحلة ما بعد الجمهورية السوفيتية الشيشانية» وقد كان إسهامه فى فصول هذا الكتاب من واقع النتائج التى توصل إليها فى بحثه الخاص بالدكتوراه.

حاضر فى عدة فصول خاصة بعلم الجريمة والعلوم السياسية. وأبحاثه تتناول الإرهاب والعنف السياسى والتطرف فى الشيشان والسجون. ويمكن الاتصال به عبر العنوان الإلكترونى التالى M.Vishnevetsky@salford.ac.uk.

المترجمة فى سطور:

جيهان الحكيم

- عملت أستاذة للغة العربية والترجمة بمعهد اللغة العربية بالجامعة الأمريكية من عام ١٩٩٥ - ٢٠٠٥.

- تخرجت فى مدرسة الليسيه الفرنسية عام ١٩٧٣، ثم حصلت على بكالوريوس فى الاقتصاد والعلوم السياسية من جامعة القاهرة عام ١٩٧٧.

- درست الأدب الفرنسى بالمركز الفرنسى بالقاهرة عام ١٩٧٨.

- حصلت على شهادات فى اللغة الألمانية والترجمة من معهد جوتة بالقاهرة ١٩٨٦.

- حصلت على دبلوم فى الترجمة من الجامعة الأمريكية ١٩٨٩.

- حصلت على شهادة تدريب للتدريس من الجامعة الأمريكية ١٩٩١.

- حصلت على ماجستير فى تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها من الجامعة الأمريكية بالقاهرة عام ١٩٩٩. موضوع الرسالة: تركيب الجملة فى لغة الصحافة المصرية. دراسة كمية ومقارنة فى جريدة الأهرام ١٩٣٧ - ١٩٩٧.

- عملت أيضًا أستاذة للغة العربية بالمرحلة الثانوية بالكلية الأمريكية بالمعادى ١٩٩٩- ٢٠٠٠.

- وعملت أخيرًا فى مركز الأبحاث الأمريكية بالقاهرة ٢٠٠٥، وأستاذة ومترجمًا للباحثين الأمريكيين فى مجالات: الآثار المصرية، وتنظيم الأسرة، والسياسة والاقتصاد.

ومن ترجماتها:

- ولاتزال الجنة بعيدة - نساء العالم فى مواجهة القرن الجديد. تحرير: جوديث مركى وماتى رادليت. صدر عن المركز القومى للترجمة ٢٠٠٧.

- إعادة التفكير فى القرن الحادى والعشرين. مشكلات «جديدة» وحلول «قديمة»، تحرير: إيمى إيكرت - لورا سجوبرج. صدر عن المركز القومى للترجمة ٢٠١١.

التصحيح اللغوى: رجب عبد الوهاب
الإشـــراف الفـــنى: محســن مصطفى